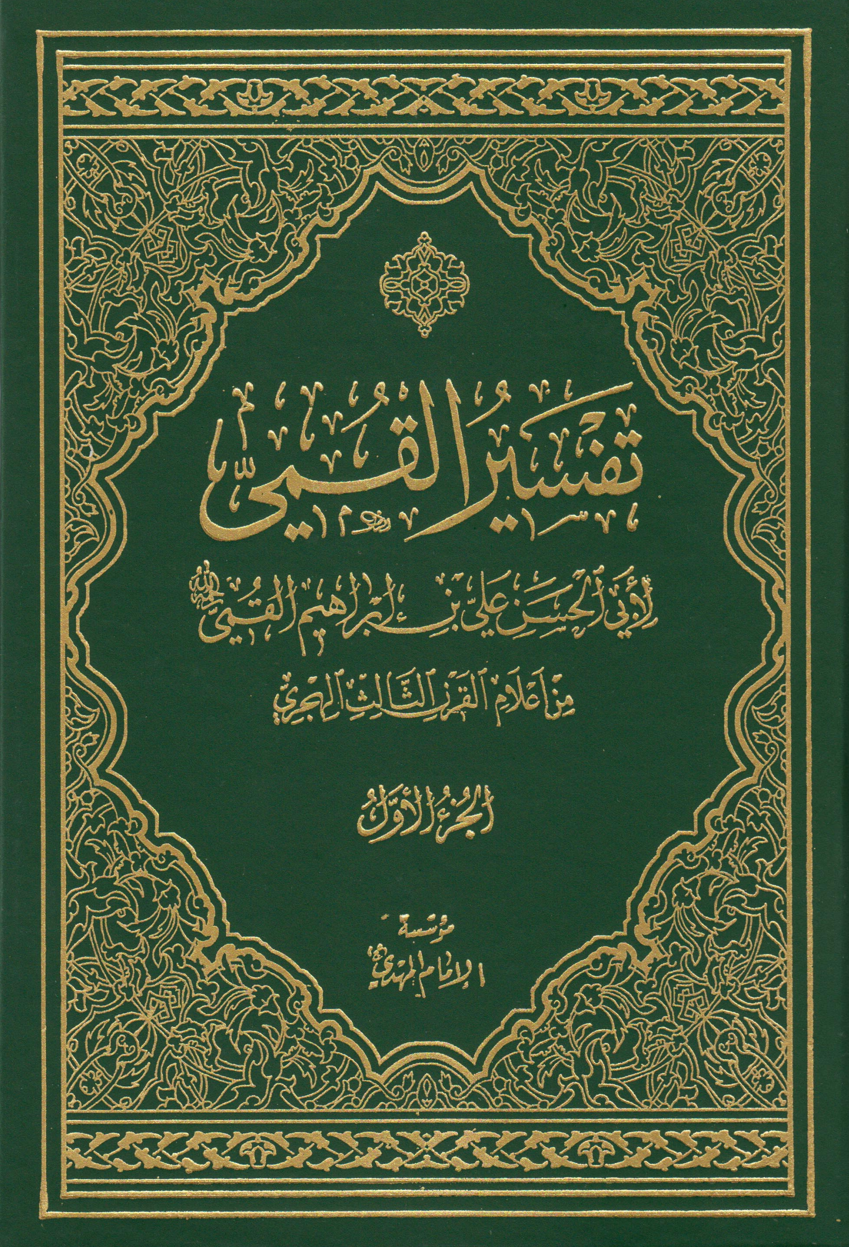


تفسير القمي
لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي رحمه الله
من أعلام القرن الثالث الهجري
الجزء الأول
مؤسسة
الإمام المهدي

تفسير القمّي



لأبي الحسن عليّ بن ابراهيم القمّي رحمه الله

من أعلام القرن الثالث الهجري

ومن مشايخ الكليني رحمه الله

الجزء الأوّل





هوية الكتاب

الكتاب: تفسير القمّي، الجزء الأوّل

المؤلّف: عليّ بن إبراهيم القمّي رحمه الله من أعلام القرن الثالث

التحقيق و النشر: مؤسّسة الامام المهدي عليه السلام ـ قم المقدّسة (عشّ آل محمّد عليهم السلام)

اشراف: علّامة المحقّق السيّد محمّد باقر الموحّد الابطحي الاصفهاني قدس سره

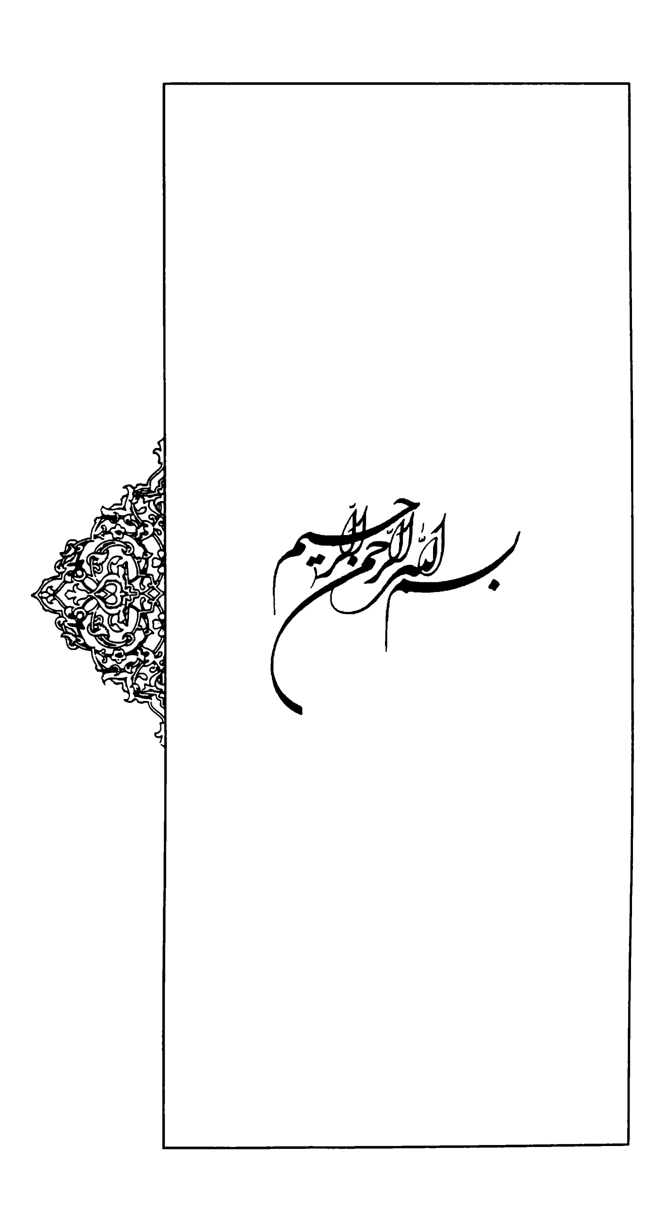
صفّ الحروف: مرتضى ظريف **الطبعة:** الاولى، جمادي الأُولى ١٤٣٥

العدد: ١٠٠٠ نسخة **السعر:** ٥٠٠٠٠ تومان

شابک المجلد: ٣ـ٦ـ٩٤١٥٩ـ٩٦٤

شابک الدورة: X ـ٨ـ٩٤١٥٩ـ٩٦٤

التوزيع: قم، شارع انقلاب، الفرع السادس، پ ١٥٣، الهاتف: ٣٧٧٠٣٠٦٠ ـ ٠٢٥


بسم الله الرحمن الرحیم

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ومبيّن آيات كتابه المبين، الّذي خاطبه الله وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]

وعلى آله الطيّبين الطاهرين الّذين اصطفاهم الله وأورثهم كتابه وقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2]

والّذين هم أحد الثقلين في الحديث المتواتر المتّفق عليه بين الفريقين، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى، كتاب الله عزّوجلّ وعترتي أهل بيتي».[3]

وللتمسّك بالقرآن لابدّ من فهم معانيه وتأويلاته، ولا يمكن تحصيله إلّا من طريق أهل البيت عليهم السلام قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[4]. والراسخون في العلم هم النبيّ والأئمّة عليهم السلام كما ورد في أحاديث كثيرة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتدرون من المتمسّك بالقرآن الّذي بتمسّكه ينال هذا الشرف العظيم؟ هو الّذي أخذ القران وتأويله عنّا أهل البيت.[5]

وهذا الكتاب بين أيديكم أحد من التفاسير المعروفة المأثورة، ورواياته مرويّة عن المعصومين عليهم السلام .

---

(١) النحل: ٤٤. (٢) فاطر: ٣٢. (٣) البحار: ١٣٣/٢٣ ح ٧٠.
(٤) آل عمران: ٧. (٥) البحار: ١٨٢/٩٢.

المؤلف:

عليّ بن إبراهيم بن هاشم، ابو الحسن القمّي من أجلّ رواة أصحابنا ويروي عنه مشايخ أهل الحديث.

قال النجاشي: عليّ بن إبراهيم بن هاشم ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر وصنّف كتباً وأضرّ (أي وصار ضريراً) في وسط عمره.[١]

ولم نقف على تاريخ ولادته أو وفاته، الّا أنّه كان حيّاً في سنة ٣٠٧، لأنّ الصدوق‏رحمه الله روى عن حمزة بن محمّد بن أحمد العلوي في رجب سنة ٣٣٩ قال: أخبرني عليّ بن إبراهيم بن هاشم فيما كتب إليّ سنة سبع وثلاثمائة.[٢]

والده:

ابراهيم بن هاشم بن الخليل، أبو اسحاق القمّي، أصله كوفيّ وهو أوّل من نشر حديث الكوفيّين بقم.[٣]

وفي الكنى والألقاب: أنّه تلميذ يونس بن عبدالرحمان وعدّ المشهور حديثه حسناً، وصرّح جمع من المحقّقين بوثاقته، منهم: المحقّق الداماد في الرواشح، ووالد شيخنا البهائي والمجلسي والمحقّق الأردبيلي. وقال العلّامة الطباطبائي بحرالعلوم: والأصحّ عندي أنّه ثقة، صحيح الحديث لوجوه. وذكر شيخنا في المستدرك وجوهاً لتوثيقه، منها: قولهم في حقّه: «وأصحابنا يقولون: إنّه أوّل من نشر حديث الكوفيّين بقم». فإنّ النشر كما صرّح به الاستاذ الأكبر لا يتحقّق إلّا بالقبول، وانّ انتشاره عندهم من حيث العمل والاعتماد، لا من حيث النقل.[٤]

---

(١) رجال النجاشي: ص٢٠٦ رقم ٦٨٠.
(٢) الكنى والألقاب: ٦٨/٣.
(٣) لسان الميزان: ١١٨/١.
(٤) الكنى والألقاب: ٦٩/٣.

ابنه:

احمد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي، يروي عنه الصدوق رحمه الله مترضّياً ويكثر من الرواية عنه.

وفي لسان الميزان: أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم بن الخليل القمّي، أبو عليّ، نزيل الريّ، ذكره ابن بابويه في تاريخ الريّ وقال: سمع أباه وسعد بن عبدالله وعبدالله بن جعفر الحميري وأحمد بن إدريس وغيرهم، وكان من شيوخ الشيعة، روى عنه أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه وغيره.[١]

مؤلّفاته:

قال النجاشي: له كتاب التفسير، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب قرب الاسناد، كتاب الشرائع، كتاب الحيض، كتاب التوحيد والشرك، كتاب فضائل اميرالمؤمنين عليه السلام، كتاب المغازي، كتاب الأنبياء، جوابات مسائل سأله عنها محمّد ابن بلال، كتاب يعرف بالمشذّر، والله أعلم أنّه مضاف إليه.[٢]

الكتاب:

إنّ تفسير القمّي أصل من التفاسير الكثيرة المعروفة، ورواياته مرويّة عن الصادق عليه السلام، ومن خصائصه أنّ مؤلّفه كان في زمن الإمام العسكري عليه السلام وأنّ والده الّذي روى هذه الأخبار لولده كان من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.

قال صاحب الذريعة[٣]: تفسير القمّي للشيخ أبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي، شيخ ثقة الإسلام الكليني (الّذي توفّي سنة ٣٢٩)، وقد أكثر الرواية عنه في الكافي، كان في عصر أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام وبقي إلىٰ سنة ٣٠٧ هـ.

فإنّه روى الصدوق في «عيون أخبار الرّضا عليه السلام» عن حمزة بن محمّد بن أحمد

---

(١) لسان الميزان: ٣٣٣/١.	(٢) رجال النجاشي: ٢٦٠.	(٣) ٣٠٢/٤.

ابن جعفر، قال: أخبرنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم سنة ٣٠٧ هـ.

وحمزة بن محمّد هذا هو الّذي ترجمه الشيخ في باب من لم يرو عنهم بقوله: حمزة بن محمّد القزويني العلوي يروي عن عليّ بن إبراهيم ونظرائه،

روى عنه محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه؛

وتمام نسبه ذكر في «خاتمة المستدرك»[1]

وفي بعض أسانيد «الأمالي» و«الإكمال» هكذا:

حدّثنا حمزة بن محمّد ـ إلى قوله: ـ بقمّ، في رجب سنة ٣٣٩، قال:

أخبرنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم فيما كتبه إليّ في سنة سبع وثلاثمائة. طبع مستقلاً بإيران على الحجر في سنة ١٣١٣، وأخرى مع تفسير العسكري عليه السلام في سنة ١٣١٥، وهو الموجود عندي وأنقل عن صفحاته ـ ونحن بدّلنا ارقام الصفحات إلى صفحات هذا الكتاب ـ أوّله (الحمد لله الواحد الأحد الصمد الفرد الّذي لامن شيء كان)

ومرّ اختصاره في باب الألف، ويأتي مختصراته في الميم،

ومرّ في تفسير الأئمّة أنّه ليس للقمّي تفسيران كبير وصغير، كما أنّه ليس تفسير القمّي مأخوذاً من تفسير العسكري عليه السلام على ما يظهر من رسالة مشايخ الشيعة المنسوبة إلى والد الشيخ البهائي، كما هو ظاهر لمن راجعهما[2]؛ نعم قد أورد المفسّر القمّي في أوّل تفسيره مختصراً من الروايات المبسوطة المسندة المرويّة عن الإمام الصادق عن جدّه أمير المؤمنين عليهما السلام في بيان أنواع علوم القرآن؛ وقد أورد النعماني تلميذ الكليني تلك الروايات بطولها في أوّل تفسيره، وأخرجها منه السيّد المرتضى وجعل لها خطبة، ويسمّى برسالة «المحكم والمتشابه»، وطبعت مستقلّة في الأواخر[3]؛ وهي مدرجة بعينها في أوائل المجلد التاسع عشر (ج٩٣ من صفحة ١ ـ ٩٧ ط جديد) وهو كتاب القرآن من كتاب «بحار الأنوار».

---

(١) ص ٣٤٠. (٢) ما حققناه من تفسير العسكري عليه السلام وتفسير القمّي هذا.

(٣) ومنقحة بالجمع بينهما في ج ٣ من جامع الأخبار والآثار في خصائص القرآن ص ٩٠.

وكذلك عمد المفسّر القمّي في تفسيره هذا على خصوص ما رواه عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام في تفسير الآيات؛ وكان جلّه ممّا رواه عن والده إبراهيم بن هاشم، عن مشايخه البالغين إلى الستّين رجلاً من رجال أصحاب الحديث؛(١)

والغالب من مرويّات والده ما يرويه عن شيخه محمّد بن أبي عمير بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام أو مرسلاً عنه؛(٢)

ومن روايته عن غير الإمام الصادق عليه السلام ورواية والده عن غير ابن أبي عمير، ما رواه عن والده في (ص٣٠٧) عن شيخه الآخر ظريف بن ناصح، عن عبدالصمد ابن بشير، عن أبي الجارود؛ وما رواه عن والده أيضاً في (ص١٦٣) عن شيخه صفوان ابن يحيى، عن أبي الجارود، عن الإمام الباقر عليه السلام،

وكذلك قد يروي عليّ بن إبراهيم في هذا التفسير عن غير والده من سائر مشايخه مثل روايته عن هارون بن مسلم في (ص٦٤٣)؛ ولكن في (ص٢٢٤) هكذا:

فإنّه حدّثني أبي، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، وكأنّه يروي عن هارون بلاواسطة أبيه ومعها، وكذا في (ص٨٦٠) روى عن يعقوب بن يزيد.

ولخلوّ تفسيره هذا عن روايات سائر الأئمة عليهم السلام قد عمد تلميذه ـ الآتي ذكره والراوي لهذا التفسير عنه ـ على إدخال بعض روايات الإمام الباقر عليه السلام الّتي أملاها على أبي الجارود(٣) في أثناء هذا التفسير، وبعض روايات أُخر عن سائر مشايخه ممّا يتعلّق بتفسير الآية ويناسب ذكرها في ذيل تفسير الآية، ولم يكن موجوداً في تفسير عليّ بن إبراهيم فأدرجها في أثناء روايات هذا التفسير تتميماً(٤) له وتكثيراً لنفعه،

(١ و ٢) نذكرهم في آخر الكتاب.　　(٣) راجع إلى الذريعة: ٢٥١/٤ تفسير أبي الجارود.

(٤) قال صاحب الذريعة رحمه الله (ج ٤ ص ٣٢٠): تفسير ميرزا هادي بن السيّد عليّ من أحفاد ميركلان الهروي البجستاني الخراساني الحائري المعاصر مؤلّف «الأسنة» و «الانتقاد» وغيرهما، هو تكميل لتفسير عليّ بن إبراهيم القمّي بإيراد الأحاديث المرويّة من طرق العامّة المطابقة لروايات الأئمّة عليهم السلام المذكورة في «تفسير القمّي» لا بإدخالها في المتن بل كتب كلّ حديث في هامش الحديث المطابق معه في المتن.

وذلك التصرف وقع منه من أوائل سورة آل عمران (ص١٤٤) إلى آخر القرآن،

والتلميذ هو الّذي صدر التفسير باسمه في عامّة نسخه الصحيحة الّتي رأيناها، فانّ فيها بعد الديباجة والفراغ عن بيان أنواع علوم القرآن ما لفظه:

(حدّثني أبوالفضل العبّاس بن محمّد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفرعليه‌السلام، قال: حدّثنا أبوالحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، قال:

حدّثني أبي‌رحمه‌الله، عن محمّد بن أبي عمير، عن حمّاد بن عيسى؛

ثمّ ذكر عدّة من طرق والد عليّ بن إبراهيم بن هاشم بعنوان:

(وقال: حدّثني أبي، عن فلان) عطفاً على قوله الأوّل قال: حدّثني أبي؛ ثمّ شرع في تفسير البسملة ص٥٢ وأورد الأحاديث بعنوان: (قال: وحدّثني أبي).

وفي أوّل سورة البقرة ص٥٥ تحت عنوان: (قال أبو الحسن عليّ بن إبراهيم: حدّثني أبي) وقد يقول: (فإنّه حدّثني أبي) الصريح جميعها في أنّها مرويّات عليّ ابن إبراهيم عن أبيه؛ وهكذا إلى أوائل سورة آل عمران في تفسير آية ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[1] في (ص١٥٣) وقد يغيّر أُسلوب الرواية هكذا: (حدّثنا أحمد بن محمّد الهمداني، قال: حدّثني جعفر بن عبدالله، قال: حدّثنا كثير بن عيّاش، عن زياد بن المنذر أبي الجارود، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ‌عليهما‌السلام)

وروى بهذا السند أيضاً في بعض صفحات الكتاب.[2]

وهذا السند بعينه هو الطريق المشهور إلى تفسير أبي الجارود،

وقد روى الشيخ الطوسي «في الفهرست ص٢٤٦» وكذا النجاشي ص ١٧٠ تفسير أبي الجارود عنه بسندهما إلى أحمد بن محمّد الهمداني هذا المعروف بابن عقدة، المتوفّى سنة ٣٣٣، إلى آخر سنده هذا الّذي ذكرنا في تفسير أبي الجارود،

أنّه سند ضعيف بسبب كثير بن عيّاش؛ لكنّه غير ضائر حيث أنّه رواه أيضاً كثير من ثقات أصحابنا عن أبي الجارود كما سنشير إليه.

---

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) ص ٢٩١ و ٣٣٢.

وقائل حدّثنا ابن عقدة في المواضع الثلاثة، ليس عليّ بن إبراهيم جزماً،

لأنّ القمّي هو الّذي يروي عنه الكليني المتوفّى سنة ٣٢٨ كثيراً من روايات كتابه «الكافي» الّذي يرويه ابن عقدة هذا عن مؤلّفه الكليني،

فكيف يروي عن ابن عقدة رجل هو من أجلّ مشايخ اُستاذه.

وهذا أوّل حديث أدخله أبوالفضل ـ عن شيخه ابن عقدة مسنداً إلى أبي الجارود ـ في هذا التفسير، ولم يذكر أبا الجارود قبل ذلك أبداً؛

ثمّ إنّه بعد ذلك لم يذكر تمام هذا الإسناد إلّا في (ص٢٩١) و (ص٣٣٢)

وأمّا في غيرهما فقد اكتفى بقوله:

(وفي رواية أبي الجارود كذا) وهكذا إلى آخر تفسير القرآن،

وفي الغالب بعد تمام ـ رواية أبي الجارود أو رواية اُخرى عن بعض مشايخه الاُخر كما يأتي ـ يعود إلى تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي بقوله:

(وقال عليّ بن إبراهيم كذا) أو (ثمّ قال عليّ بن إبراهيم كذا) أو (قال عليّ بن إبراهيم كذا) وفي عدّة مواضع يقول: (رجع إلى تفسير عليّ بن إبراهيم) كما في صفحات (٣٨٨، ٣٨٩، ٤٢٧) وفي بعضها (رجع إلى رواية عليّ بن إبراهيم) كما في صفحات (٣٩٩، ٤٤٨) وفي بعضها (رجع الحديث إلى عليّ بن إبراهيم) كما في (ص٤٠٩) وفي بعضها (في رواية عليّ بن إبراهيم كذا) كما في صفحات (٤١٨، ٤٢٠، ٥٩٩، ٦٦٥) وفي بعضها (من هنا عليّ بن إبراهيم)

لكن في بعض النسخ لم يوجد كلمة (من هنا).

وبالجملة يظهر من هذا الجامع أنّ بناءه على أن يفصّل ويميّز بين روايات عليّ ابن إبراهيم، وروايات تفسير أبي الجارود بحيث لايشتبه الأمر على الناظرين في الكتاب، كما أنّه لايخفى على أهل الخبرة والإطّلاع بالطبقات تمييز مشايخ المفسّر القمّي في هذا الكتاب عن مشايخ تلميذه أبي الفضل المذكور في أوّل الكتاب،

وإنّما يعرف طبقة أبي الفضل ومقدار معلوماته عن مشايخه ومرويّاته،

وإلّا فلم يوجد لأبي الفضل العبّاس هذا ذكر في الأُصول الرجاليّة، بل المذكور فيها ترجمة والده المعروف بمحمّد الأعرابي، وجدّه القاسم فقط، فقد ترجم والده الشيخ الطوسي في رجاله (ص٤٢٤) في أصحاب الإمام الهادي عليه السلام بعنوان محمّد بن القاسم بن حمزة بن موسى العلوي، والكشّي (ح١٠٣٤) ذكر جدّه القاسم بعنوان القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليه السلام، وذكر أنّه يروي عن أبي بصير ويروي عنه أبو عبدالله محمّد بن خالد البرقي، نعم العبّاس هذا مذكور في عامّة كتب الأنساب، مسلّم عند النسّابين، وهم ذاكرون له ولأعمامه ولإخوانه ولأحفاده، عند تعرّضهم لذكر أعقاب الحمزة بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام على ما رأيته في المجدي، وعمدة الطالب صفحة (٢١٨) من طبع لكنهو، وبحر الأنساب المقدّم تأليفه على العمدة الّذي ذكرناه في (ج٣ـص٣٠) والمشجر الكشاف، والنسب المسطر المؤلّف في حدود الستّمائة الهجريّة كما يظهر من أثنائه، فعند ذكر عقب محمّد الأعرابي بن القاسم بن حمزة بن موسى الكاظم عليه السلام، ذكروا أنّ محمّداً هذا أعقب من خمسة بنين موسى، وأحمد المجدور، وعبدالله، والحسين أبي زبية، والعبّاس، وذكروا من ولد العبّاس بن محمّد ابنه جعفر بن العبّاس، ثمّ ابن جعفر زيد الملقّب (بزيد سياه).

وقال في المجدي: إنّ لقب زيد (دنهشا) ثمّ ابنه أحمد بن زيد الّذي سكن بغداد وولده بها، ومنهم محمّد الملقّب بزنجار بن أحمد بن زيد بن جعفر بن العبّاس بن محمّد الأعرابي، ويقال لولد محمّد الزنجار: بنو سياه كما في المجدي، وكذلك ذكروا إخوة محمّد الأعرابي أيضاً، وهم أعمام العبّاس ولم نظفر ببقيّة أعقاب العبّاس ومكانهم إلّا في كتاب «النسب المسطر» المؤلّف بعد سنة (٥٩٣إلى ٦٠٠) فإنّه عند ذكر العبّاس قال: (وأمّا العبّاس بطبرستان بن محمّد الأعرابي فله أولاد بها منهم جعفر وزيد والحسن ولهم أعقاب) وأمّا في سائر الكتب فلم يذكر من أولاده إلّا جعفر وأعقابه إلى محمّد الزنجار كما مرّ،

فيظهر من كتاب «النسب» أنّه نزل بطبرستان ولأولاده الثلاثة أعقاب بها،

ويظهر من سائر الكتب أنّ خصوص أحمد بن زيد بن جعفر بن العبّاس منهم أوّل من هاجر من طبرستان وسكن بغداد واستقرّ ولده بها،

وبما أنّ طبرستان في ذلك الأوان كانت مركز الزيديّة فينقدح في النفس احتمال أنّ نزول العبّاس إليها إنّما كان لترويج الحقّ بها، وراى من الترويج السعي في جلب الرغبات إلى هذا التفسير الكتاب الديني المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام، الموقوف ترويجه عند جميع أهلها على إدخال بعض ما يرويه أبو الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسيره المرغوب عند الفرقة العظيمة من الزيديّة الّذين كانوا يسمّون بالجاروديّة نسبة إليه.

وقد ذكرنا أنّ تفسير أبي الجارود لا يقصر في الاعتبار عن تفسير عليّ بن إبراهيم، بل هو في الحقيقة تفسير الإمام الباقر عليه السلام كما سمّاه به ابن النديم ص...، لكنّه ينسب إلى أبي الجارود لروايته له في حال استقامته،

وليس طريق الرواية عن أبي الجارود منحصراً بكثير بن عيّاش الضعيف، بل **يروي عن أبي الجارود جماعة من الثقات الاثبات:**

(منهم) منصور بن يونس الثقة، روى عن أبي الجارود في (أُصول الكافي ٣٠٣/١ ح١) في باب الإشارة إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام.

(ومنهم) حمّاد بن عيسى يروي عنه في الجزء الثاني من (بصائر الدرجات ص٨٧٢).

(ومنهم) عامر بن كثير السرّاج في (ثواب الأعمال للصدوق: ١١٦ص١٩).

(ومنهم) الحسن بن محبوب في أخبار اللوح في (كمال الدين للصدوق: ٣١١ح٣).

(ومنهم) أبو إسحاق النحوي ثعلبة بن ميمون في كتاب الحجة من (أُصول الكافي: ١٩٤/١ ح٤٤) في باب أنّ الأئمّة نور الله.

(ومنهم) إبراهيم بن عبد الحميد الّذي وثّقه الشيخ في (الكافي: ١٨٩/٢ ح٧) في باب إدخال السّرور على المؤمن.

(ومنهم) صفوان بن يحيى في (تفسير عليّ بن إبراهيم ص١٦٣).
(ومنهم) المفضّل بن عمر الجعفي في (الخصال في باب الأربعة ص١٠٤).
(ومنهم) سيف بن عميرة في (الكافي: ٢٢٢/٣ ح٧) في باب التعزّي، عن عليّ بن سيف، عن أبيه، عن أبي الجارود، والظّاهر أنّه سيف بن عميرة.
(ومنهم) عمر بن أُذينة (الكافي: ٢٨٩/١ ح٤).
(ومنهم) عبدالصّمد بن بشير (الكافي: ٢٩٨/١ ح٢).

ومن مشايخ أبي الفضل جزماً الّذي أكثر النقل عنه في أثناء هذا التفسير، هو الشيخ أبو العبّاس محمّد بن جعفر بن محمّد بن الحسن الرزّاز الّذي هو شيخ أبي غالب الزراري، وخال والده (والمولود ٢٣٣ والمتوفّى ٣١٣) كما أرّخه أبوغالب في رسالته إلى ابن ابنه، وهو أيضاً شيخ ابن قولويه (المتوفّى ٣٦٨) يروي عنه في «كامل الزيارة ص٤٥١ ح٥»

والرزّاز هذا يروي عن مشايخ كثيرين:

(منهم) خاله محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب (المتوفّى ٢٦٢)

و(منهم) أبو جعفر محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري صاحب «نوادر الحكمة» فإنّه صرّح النجاشي (ص٣٤٨ رقم ٩٣٩) برواية الرزّاز هذا «نوادر الحكمة» عن مؤلّفه.

وفي الغالب يروي عن الرزّاز في أثناء هذا التفسير هكذا:

حدّثنا محمّد بن جعفر، عن محمّد بن أحمد، وصرّح بوصف الرزّاز في (ص١٠٤٧) وقد يروي عنه بكنيته أبي العبّاس كما في (ص٣١٢)

وروي في (ص٨٦٨) في الهامش هكذا (حدّثنا أبو العبّاس، قال: حدّثنا محمّد بن أحمد، قال: حدّثنا إبراهيم بن هاشم، عن النوفلي، عن السكوني). وهذا نصّ في أنّ قائل «حدّثنا» هذا ليس هو عليّ بن إبراهيم، لأنّه يروي عن أبيه بلاواسطة من أوّل الكتاب إلى آخره، فأيّ شيء دعاه في المقام إلى الرواية عنه بواسطتين؟.

ومن مشايخ أبي الفضل الّذي أكثر النقل عنه في هذا التفسير وروى عنه بما يقرب من عشرين طريقاً، هو الشيخ أبو عليّ أحمد بن إدريس بن أحمد الأشعري القمّي (المتوفّى ٣٠٦) وهو من مشايخ الكليني، وأبي غالب، وابن قولويه، والحسن بن حمزة العلوي، و قد سمع التلعكبري (المتوفّى ٣٨٥) عنه يسيراً بغير إجازة،

وأكثر مرويّاته عن ابن إدريس هو ما رواه ابن إدريس، عن أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعري القمّي الّذي يروي المفسّر القمّي عنه بغير واسطة دائماً،

بل القمّي من العدّة الّذين يروي الكليني بتوسّطهم عن أحمد بن محمّد بن عيسى هذا، وابن عيسى يروي عن الحسين بن سعيد الأهوازي وغيره.

وممّن روى عنه مكرّراً كما في (ص٢٣٦، ٢٩٢، ٤٥٨) الشيخ أبو عبدالله الحسين بن محمّد بن عامر الأشعري القمّي الّذي يروي تفسير المعلّى البصري عنه كما يأتي (ص٢٣٦)، وقد أكثر الكليني من الرواية عنه في «الكافي»؛ ويروي عنه عليّ بن بابويه وابن الوليد (المتوفّى ٣٤٣) وابن قولويه (المتوفّى ٣٦٩)

وممّن يروي عنه مكرّراً أيضاً كما في (ص٨٤٤، ١٠٢٨، ١٠٤٤، ١٠٥٠) وهو الشيخ أبو الحسن عليّ بن الحسين السعد آبادي القمّي الراوي عنه أحمد بن أبي عبدالله البرقي كما ذكره النجاشي (٧٧ رقم ١٨٢) في ترجمة البرقي مع أنّ البرقي هنا ممّن يروي عنه المفسّر القمّي بغير واسطة دائماً، وهذا السعد آبادي أيضاً من مشايخ الكليني، وابن بابويه، وأبي غالب، وابن قولويه.

وممّن يروي عنه مكرّراً كما في (ص٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠١١، ٧١٩، ٧٢٢) هو الشيخ أبو عليّ محمّد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الإسكافي (المتوفّى ٣٣٦) كما أرّخه تلميذه التلعكبري، ويروي عنه ابن قولويه في «كامل الزيارة: ٢٤٥، ٢٦١»، وأبو عبدالله محمّد بن إبراهيم النعماني تلميذ الكليني في «كتاب الغيبة» له.

وممّن كرّر الرواية عنه كما في (ص٨٩٠، ٩٧٨، ١٠٤٣، ١٠٦٠، ١٠٧٣) **هو أبو عبدالله محمّد** بن أحمد بن ثابت الراوي عن الحسن بن محمّد بن سماعة (الّذي توفّي ٢٦٣)

كتبه كما في النجّاشي ص٤٢، رقم ٨٢، وقد روى عن أبي عبدالله بن ثابت الشيخ أبو غالب الزراري (المتوفّى ٣٦٨) كما ذكره في رسالته إلى ابن ابنه، وعدّه من رجال الواقفة الّذين كانوا فقهاء ثقات في حديثهم كثيري الرواية، ويروي عن ابن ثابت أيضاً أبو الحسن عليّ بن حاتم بن أبي حاتم القزويني (الّذي كان حيّاً إلى سنة ٣٥٠) كما صرّح به النجاشي ص٣٦ رقم٧٣ في ترجمة الحسن بن علي بن أبي حمزة.

وممّن كرّر الرواية عنه في هذا الكتاب كما في (ص٩٠٨، ٩٨٥، ١٠٨٣، ١١٠٠) هو أبو جعفر محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري القمّي الراوي عن أبيه كتابه «قرب الإسناد»، وقد كتب هو بخطّه إجازة روايته عنه عن أبيه، لأبي عمرو سعيد بن عمر بعد قراءته الكتاب عليه (في سنة ٣٠٤) وهو من مشايخ الكليني وابن قولويه و أبي غالب، ولم أجد في الكتاب رواية عن والده عبدالله بن جعفر الحميري أبداً مع أنّ عليّ بن إبراهيم إنّما يروي عن الوالد كما صرّح به النجاشي في ترجمة محمّد ابن فرات ص٣٦٣ رقم ٩٧٦.

وممّن يروي عنه مكرّراً كما في (ص٥٥٦، ٦٤١، ١٠٣٢، ١٠٣٥) بعنوان محمّد بن أبي عبدالله هو أبو الحسين محمّد بن جعفر بن محمّد بن عون الأسدي (المتوفّى ٣١٢) ويقال له: محمّد بن أبي عبدالله كما صرّح به النجاشي في ترجمته وهو من مشايخ الكليني، ومن العدّة الّذين يروي الكليني بتوسّطهم عن سهل بن زياد، ومن روايته عن سهل في هذا التفسير (في ص٦٤١).

وممّن روى عنه مكرّراً كما في (ص٧٠٧، ٨٠٥، ٨٢٩) هو حميد بن زياد النينوائي (المتوفّى ٣١٠) وهو أيضاً من مشايخ الكليني وأبي غالب الزراري وابن قولويه.

وممّن روى عنه مكرّراً كما في (ص٤٨٠) الحسن بن عليّ بن مهزيار، عن أبيه علي، عن ابن عمير وحمّاد بن عيسى والحسين بن سعيد الأهوازي وغيرهم، والمفسّر القمّي يروي عن أبيه عن هؤلاء الثلاثة، فالواسطة والده إبراهيم بن هاشم فقط.

وممّن يروى عنه أبوالقاسم الحسني الراوي لـ «تفسير فرات» عن مؤلّفه، كما وقع

في سورة «ق» (ص٤٣٦) والتطفيف (ص١٠٠٥، ١١٤٠) وقد أشرنا في «تفسير فرات» بأنّ عليّ ابن بابويه يرويه عن فرات بغير واسطة، فكيف يرويه المفسّر القمّي الّذي هو من مشايخ ابن بابويه عن فرات بالواسطة، فإنّ غاية ما في الباب أنّ فرات وعليّ بن إبراهيم كانا متعاصرين، والعادة جارية بالرواية المدبجة من الراويين المتعاصرين، وأمّا رواية أحدهما عن الآخر بالواسطة فهي خلاف المعتاد.

وأيضاً يروي عليّ بن إبراهيم عن أبي القاسم عبدالعظيم الحسني بواسطة واحدة أعني أحمد بن أبي عبدالله البرقي، وقد وقعت في (ص٩٦٤) رواية عنه بثلاث وسائط هكذا: حدّثنا أبوالقاسم، حدّثنا محمّد بن العبّاس، حدّثنا عبيدالله بن موسى، حدّثنا عبدالعظيم الحسني،

وغير هؤلاء من المشايخ الّذين يروي عنهم في هذا التفسير،

مع أنّا لم نجد رواية عليّ بن إبراهيم عن أحد من هؤلاء في جميع رواياته المرويّة عنه في «الكافي» وغيره، وهم جماعة نسرد أحاديثه عنهم سرداً:

حدّثنا أبو الحسن، عن الحسين بن عليّ بن حمّاد (ص١١٨٩)

حدّثنا أبوالقاسم بن محمّد (ص٩٦٤)

حدّثنا أحمد بن زياد (ص١٠٥٥) عن الحسن بن محمّد بن سماعة (الّذي توفّي ٢٦٣) والظاهر أنّه أبو عليّ أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني الراوي عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم كما في «الفهرست: ص١٢» في ترجمة إبراهيم بن رجاء، ويروي عنه الشيخ الصدوق وصاحب «مقتضب الأثر».

حدّثنا أحمد بن عليّ، عن الحسين بن عبيدالله السعدي (ص٩٩٤) وهو أحمد بن عليّ الفائدي القزويني الّذي يروي عن السعدي، ويروي عنه عليّ بن حاتم القزويني (المتوفّى بعد ٣٥٠) كما في «الفهرست: ص٣٤، ١٠٦، ٢١٣» و«النجاشي»،

حدّثنا أحمد بن محمّد بن ثوية (ص٨٧٣)

حدّثنا أحمد بن محمّد الشيباني (ص٨٧٣، ١١٦٧)

حدّثنا أحمد بن محمّد بن موسى (ص١١٠٥)

حدّثنا جعفر بن أحمد، كما في أزيد من عشرين موضعاً يروي فيها إمّا عن عبدالكريم بن عبدالرحيم، أو عن عبيدالله بن موسى، والظاهر أنّه عبيدالله الحارثي الروياني الراوي عن أبي القاسم عبدالعظيم الحسني،

حدّثنا حبيب بن الحسن بن أبان الآجري (ص١٠٢٩)

حدّثنا الحسين بن عبدالله (ص٩٢٨)

حدّثني الحسين بن عليّ بن زكريّا (ص٧٨) قال:

فإنّه حدّثني خالد، عن الحسن بن محبوب (ص٨٨٩) وأقول: يروي ابن محبوب، عن خالد بن جرير البجلي كما في «النجاشي: ص١٤٩» وغيره.

وأمّا خالد الراوي عنه فلم أجد ذكره في كتب الرجال،

حدّثنا سعيد بن محمّد، عن بكر بن سهل (ص١١٤٦)، حدّثنا العبّاس بن محمّد (ص٩٧٠)، حدّثنا عبدالرّحمن بن محمّد الحسيني، عن الحسين بن سعيد (ص ١٠٥٥)، حدّثنا عليّ بن جعفر (ص٨٤٢)، حدّثنا محمّد بن أحمد (ص١٠٢٦، ١٠٣٨، ١١٦٧)، حدّثنا محمّد بن الحسين (ص٤٨٠)، حدّثنا محمّد بن عبدالله (ص٤٨٠)، حدّثنا محمّد بن عمرو (ص٤٨٠)، حدّثنا محمّد بن القاسم بن عبيد الكندي (ص٩٨٤)، حدّثنا محمّد بن القاسم بن عبيدالله (ص١١٦٠)، حدّثنا محمّد بن الوليد (ص٧٤٤).

□ ■ □

شكر وتقدير:

أُسجّل شكري ـ بعد حمدي لله تعالى وشكر على توفيقه ـ للاخوة المحقّقين في مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام وأخصّ منهم بالذكر السيّد باقر الحلو، وإياد الثابت والشيخ محمّد الظريف، جزاهم الله خير جزاء العاملين.

الفقير إلى رحمة ربّه الغني

السيّد محمّد باقر الموحّد الأبطحي قدس سره

مقدّمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرّد، الّذي لامن شيء [كان ولا من شيء] خلق ما يكون، بل بقدرته، بان بها من الأشياء، وبانت الأشياء منه، فليست له صفة تُنال، ولاحدّ تُضرب فيه الأمثال، كَلّ عند صفاته تحبير[1] اللغات، وضلّ هنالك تصاريف الصفات، وحارت في أداني ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير، وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، وتاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول.

فتبارك الله الّذي لا يبلغه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن،

وتعالى الّذي ليس لنعته حدّ محدود، ولا وقت ممدود، ولا أجل معدود.

[و]سبحان الّذي ليس له أوّل مبتدأ، ولا غاية منتهى[2] سبحانه هو كما وصف نفسه، والواصفون لايبلغون نعته، حدّ الأشياء كلّها بعلمه عند خلقه وأبانها إبانة له من شبهها، وإبانة لها منه، لم يحلل فيها، فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن، ولم يخل منها فيقال له: أين؟

لكنّه سبحانه أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه، وأحصاها حفظه، ولم يعزب عنه خفيّاتُ هبوب الهواء، ولاغوامض سرائر مكنون ظُلَم الدُّجى، ولا ما في السماوات العُلى والأرضين السفلى، وعلى كلّ شيء منها حافظ ورقيب، وبكلّ شيء منها محيط، هو الله الواحد الأحد ربّ العالمين.

والحمد لله الّذي جعل العمل في الدنيا، والجزاء في الآخرة، وجعل لكلّ شيء

---

(١) : كلّ ما حسن من خط أو كلام أو شعر أو غير ذلك (لسان العرب: ١٥٧/٤).

(٢) «ولا آخر يفنى».

قدراً، ولكلّ قدر أجلاً، ولكلّ أجل كتاباً ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.[١]

والحمد لله الّذي جعل الحمد شكراً، والشكر طاعة، والتكبير جلالة وتعظيماً، فلا إله إلّا هو إخلاصاً يُشهد به، فإنّه قال عزّ وجلّ:

﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾[٢] وقال: ﴿إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣]

تشهد به بلجة[٤] صدورنا، وعارفة قلوبنا، قد شيط[٥] به لحومنا ودماؤنا وأشعارنا وأبشارنا وأسماعنا وأبصارنا.

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ رسول الله، أرسله بكتاب قد فصّله وأحكمه وأعزّه، وحفظه بعلمه، وأوضحه بنوره، وأيّده بسلطانه، وكلأه من أن يميل سهواً أو يأتيه الباطل من بين يديه، ومن خلفه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٦]

لاتفنى عجائبه، من قال به صُدِّق، ومن عمل به أُجر، ومن خاصم به فُلج، ومن قاتل به نُصر، ومن قام به هُدي إلى صراط مستقيم، ومن تركه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم من غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، فيه نبأ ما كان قبلكم، والحكم فيما بينكم، وخبر معادكم، أنزله الله بعلمه، وأشهد الملائكة بتصديقه، فقال: ﴿لٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً﴾[٧]

فجعله نوراً يهدي للّتي هي أقوم، فقال:

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٨]

ففي اتّباع ما جاء من الله عزّ وجلّ الفوز العظيم، وفي تركه الخطأ المبين، فجعل في اتّباعه كلّ خير يُرجى في الدنيا والآخرة.

فالقرآن آمر وزاجر، حدّ فيه الحدود، وسنّ فيه السنن، وضرب فيه الأمثال، وشرّع

---

(١) الرعد: ٣٩. (٢ و٣) الزخرف: ١٩، ٨٦.

(٤) بلج صدره: انشرح (مجمع البحرين: ١/ ١٨١). (٥): نضج.

(٦) فصّلت: ٤٢. (٧) النساء: ١٦٦. (٨) الأعراف: ٣.

فيه الدين عذراً من سعته، وحجّة على خلقه، أَخذ عليهم ميثاقهم، وارتهن منهم أنفسهم، ليُبيّن لهم ما يأتون وما يتّقون،

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ إِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أيّها الناس! إنّ الله عزّ وجلّ بعث نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله بالهدى وأنزل عليه الكتاب بالحقّ، وأنتم أُمّيّون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله؛ أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأُمم، وانبساط من الجهل، واعتراض[٢] من الفتنة، وانتقاض من المبرم[٣]، وعمى عن الحقّ، وانتشار من الخوف، واعتساف[٤] من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظّ[٥] من الحروب، وعلى حين اصفرار من رياض جنّات الدنيا، ويبس من أغصانها، وانتشار من ورقها، ويأس من ثمرتها، واغورار[٦] من مائها، قد درست أعلام الهدىٰ، وظهرت أعلام الردى[٧]؛ والدنيا متجهّمة[٨] في وجوه أهلها، مكفهِرّة[٩]، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، قد مزّقتهم كلّ ممزّق؛ فقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليهم أيّامها، قد قطعوا أرحامهم[١٠] وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب الموؤدة بينهم من أولادهم، يختار دونهم طيب العيش ورفاهيّة خفوض[١١] الدنيا، لايرجون من الله ثواباً، ولا يخافون منه عقاباً، حيّهم أعمى نجس، ميّتهم في النار مُبْلسٌ[١٢].

فجاءهم النبيّ صلى الله عليه وآله بنسخة ما في الصحف الأُولى، وتصديق الّذي بين يديه،

---

(١) الأنفال: ٤٢.
(٢) «اعتزام، اغترار» خ.
(٣) «البرم، الهرم» خ.
(٤) إعتسف الطريق: ركبه على غير هداية ولا دراية.
(٥): تلهّب.
(٦): ذهاب الماء في الأرض. (مجمع البحرين: ١٣٤٠/٢).
(٧): الهلاك.
(٨) «كالحة» خ.
(٩): إذا عبست.
(١٠) كناية عن قريش وبني أُميّة لأنّ بينهم وبين النبيّ صلى الله عليه وآله رحم.
(١١): الدعة. (الصحاح: ١٠٧٤/٣).
(١٢): اليائس من رحمة الله. (الصحاح: ٩٠٩/٣).

وتفصيل الحلال من ريب الحرام، ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطق لكم، [ولكن] أُخبركم عنه أنّ فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لأخبرتكم عنه، لأنّي أعلمكم». [١]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع في مسجد الخيف: «إنّي فرطكم[٢] وإنّكم واردون عليَّ الحوض، حوض عرضه ما بين بُصْرى وصنعاء، فيه أقداح من فضّة عدد النجوم، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين» قالوا: يا رسول الله! وما الثقلان؟

قال: «كتاب الله الثقل الأكبر، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لن تضلّوا ولن تزلّوا، والثقل الأصغر: عترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يَردا عليَّ الحوض كأصبعيَّ هاتين ـ وجمع بين سبّابتيه ـ ولا أقول كهاتين ـ وجمع بين سبّابته والوسطى ـ فتفضُل هذه على هذه». [٣]

فالقرآن عظيم قَدْره، جليل خَطَره، بيِّن شرفه، من تمسّك به هُدي، ومن تولّى عنه ضلّ وزلّ[٤] فأفضل ما عُمل به القرآن، لقول الله عزّوجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله:

﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ[٥] وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٦]

وقال: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٧]. [٨]

---

(١) عنه البحار: ٨١/٩٢ ح ١١، وأورده في الكافي: ٦٠/١ ح ٧، عنه البرهان: ٣١/١ ح ٥، وج ٥٩٢/٥ ح ٣، ونور الثقلين: ٨٩/٤ ح ١٨١، وج ١٢٢/٨ ح ١٢، و ١٧٦ ح ٢٨، والمستدرك: ٢١٧/١٨ ح ١، والوافي: ٢٧٠/١ ح ٧، وجامع الأخبار والآثار: ١٥٥/١.

(٢): أتقدّمكم.

(٣) عنه البحار: ١٢٩/٢٣ ح ٦١، ورواه النعماني في الغيبة: ٥٠، عنه البحار: ١٠٢/٩٢ ح ٨٠، وإثبات الهداة: ٣٠/٣ ح ٦٥٥، صحيفة الرضا عليه السلام: ١٣٥ ح ٨٤ (قطعة).

(٤) «وذلّ» خ.

(٥) في التوراة: «تبيان من كلّ شيء»! ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ «النحل: ٦٤» ومن للتبعيض، فتدبّر.

(٦) النحل: ٨٩.

(٧) النحل: ٤٤.

(٨) وقال: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم الّذي اختلفوا فيه﴾ «النحل: ٦٤».

ففرض الله عزّ وجلّ على نبيّه ﷺ أن يبيّن للناس ما في القرآن من الأحكام والقوانين والفرائض والسنن، وفرض على الناس التفقّه والتعلّم[١] والعمل بما فيه، حتّى لايسع أحدٌ جهله، ولايُعذر في تركه.

ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا، ورواه مشايخنا[٢] وثقاتنا عن الّذين فرض الله طاعتهم، وأوجب ولايتهم ولا يقبل عمل إلّا بهم[٣]،

وهم الّذين وصفهم الله تبارك وتعالىٰ في كتابه، وفرض سؤالهم، والأخذ منهم، فقال: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ﴾[٤] فعِلْمهم عن رسول الله ﷺ.

وهم الّذين قال الله تعالىٰ في كتابه المجيد وخاطبهم في قوله تعالى:

﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجٰاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهٰادِهِ هُوَ اجْتَبٰاكُمْ وَ مٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرٰاهِيمَ هُوَ سَمّٰاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هٰذٰا ـ القرآن ـ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا ـ أنتم يا معشر الأئمّة ـ شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ﴾[٥].

فرسول الله ﷺ شهيد عليهم، وهم شهداء على الناس، فالعلم عندهم، والقرآن معهم، ودين الله عزّوجلّ ـ الّذي ارتضاه لأنبيائه وملائكته ورسله ـ منهم يُقتبَس؛ وهو قول أميرالمؤمنين عليه السلام:

«ألا إنّ العلم الّذي هبط به آدم عليه السلام من السماء إلىٰ الأرض وجميع ما فضّلت به

---

(١) «والتعليم» خ.

(٢) أقول: قول المصنّف نوّر الله مرقده الشريف: ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا... إلخ تصريح بأنّ الرجال المذكورين في هذا الكتاب الشريف كلّهم ثقات، وللثقة معنى في كلام أئمّتنا عليهم السلام وفي كلام أصحابهم غير ما هو المتعارف بين المتأخّرين، وهو الّذي قطعنا بالقرائن العادية الحاصلة عند المعاشرة أو بدونها بأنّه لم يكذب في نقل ما نقله، وخبر الثقة بهذا المعنى يفيد القطع العادي بورود الحديث من «الأصل» كما يفهم من الروايات ويقتضيه الطبع السليم.

(٣) «بموالاتهم» خ.

(٤) الأنبياء: ٧.

(٥) الحجّ: ٧٧ ـ ٧٨.

النبيّون إلى خاتم النبيّين، عندي وعند عِتْرة خاتم النبيّين، فأين يُتاه بكم، بل أين تذهبون»؟.[١]

وقال أيضاً أميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة: «ولقد علم المستحفظون[٢] من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّي وأهل بيتي مطهّرون، فلا تسبقوهم فتضلّوا، ولاتتخلّفوا عنهم فتزلّوا، ولاتخالفوهم فتجهلوا، ولاتعلّموهم فإنّهم أعلم منكم؛ هم أعلم الناس كباراً، وأحلم الناس صِغاراً، فاتَّبعوا الحقّ وأهله حيث كان».[٣]

ففي الّذي ذكرنا من عظم خَطَر القرآن، وعلم الأئمّة عليهم السلام كفاية لمن شرح الله صدره، ونوّر قلبه، وهداه للإيمان، ومَنَّ عليه بدينه.

وبالله نستعين، وعليه نتوكّل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

□ ■ □

(١) عنه البحار: ٩٢/٨٠ ح٧، والبرهان: ٧٣/١ و ٧٤.

(٢) المستحفظون ـ بفتح الفاء ـ أي الّذين استودعهم الرسول الأحاديث وطلب منهم حفظها وأوصاهم بتبليغها، وفي القاموس: استحفظه ايّاه: سأله أن يحفظه. ومنهم من قرأ بكسر الفاء، أي الّذين حفظوا الأحاديث طالبين لها، والأوّل أظهر.

(٣) عنه البحار: ٢٣/١٣٠ ح٦٢، والبرهان: ٧٤/١، وإثبات الهداة: ٥٥/٣ ح٧٢٤.

قال أبو الحسن عليّ بن إبراهيم الهاشمي القمّي:

فالقرآن منه ناسخ ومنه منسوخ، ومنه محكم ومنه مُتَشَابِه، ومنه عامّ، ومنه خاصّ، ومنه تقديم، ومنه تأخير، ومنه منقطع، ومنه معطوف.

ومنه حرف مكان حرفٍ [ومنه محرّف] ومنه على خلاف ما أنزل الله عزّ وجلّ.

ومنه ما لفظه عامّ ومعناه خاصّ، ومنه ما لفظه خاصّ ومعناه عامّ.

ومنه آيات بعضها في سورة وتمامها في سورة أُخرى.

ومنه ما تأويله في تنزيله، ومنه ما تأويله مع تنزيله[١].

ومنه ما تأويله قبل تنزيله، ومنه ما تأويله بعد تنزيله.

ومنه رخُصةٌ إطلاقٍ بعد الحظر[٢].

ومنه رُخصةٌ صاحبها فيها بالخيار، إن شاء فعل وإن شاء ترك.

ومنه رُخصةٌ ظاهرها بخلاف باطنها، يُعمل بظاهرها ولا يُدان[٣] بباطنها.

ومنه ما على لفظ الخبر ومعناه حكاية عن قومٍ.

ومنه آيات نصفها منسوخة ونصفها متروكة على حالها.

ومنه مخاطبة لقوم ومعناه لقوم آخرين، ومنه مخاطبة للنبيّ صلى الله عليه وآله والمعنيّ أُمّته.

ومنه ما لفظه مفرد ومعناه جمع [ومنه ما لفظه جمع و معناه مفرد].

ومنه ما لا يُعرف تحريمه إلّا بتحليله.

ومنه ردّ على الملحدين، ومنه ردّ على الزنادقة، ومنه ردّ على الثنَويّة.

ومنه ردّ على الجَهْميّة، ومنه ردّ على الدّهْريّة، ومنه ردّ على عبدة النيران.

ومنه ردّ على عَبَدَة الأوثان، ومنه ردّ على المعتزلة، ومنه ردّ على القَدَريّة.

ومنه ردّ على المُجَبِّرة، ومنه ردّ على من أنكر من المسلمين الثواب والعقاب

---

(١) «خلاف تنزيله» خ. (٢) «الحصر» البرهان. (٣) «ولا يضرب» خ.

بعد الموت قبل يوم القيامة [في القبر]، ومنه ردّ على من أنكر المعراج والإسراء.
ومنه ردّ على من أنكر الميثاق[١] في الذرّ، ومنه ردّ على من أنكر خلق الجنّة والنار.
ومنه ردّ على من أنكر المُتعَة والرجْعَة، ومنه ردّ على من[٢] وصف الله عزّوجلّ.
ومنه مخاطبة الله عزّوجلّ لأميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام وما ذكره الله[٣] من فضائلهم.
وفيه خروج القائم عليه السلام، وأخبار الرجْعَة، وما وعد الله تبارك وتعالى الأئمّة عليهم السلام من النصرة والإنتقام من أعدائهم؛

وفيه شرائع الإسلام، وأخبار الأنبياء عليهم السلام ومولدهم ومبعثهم وشريعتهم، وهلاك أُمّتهم، وفيه ما أنزل الله في مغازي النبيّ صلى الله عليه وآله.

وفيه ترغيب، وفيه ترهيب، وفيه أمثال، وفيه أخبار وقصص.

ونحن ذاكرون من جميع ما ذكرنا إن شاء الله [آية آية] في أوّل الكتاب مع خبرها، ليُستدلّ بها على غيرها و [يُعرف بها] علم ما في الكتاب.

وبالله التوفيق والإستعانة، وعليه نتوكّل، وبه نستعين ونستجير. ونسأله الصلاة على محمّد وآله الطاهرين الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

(١) فأمّا الناسخ والمنسوخ: فإنّ عدّة النساء كانت في الجاهليّة إذا مات الرجل تعتدّ امرأته سنة، فلمّا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينقلهم عن ذلك وتركهم على عاداتهم، وأنزل الله تعالى بذلك قرآناً، فقال: ﴿وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوٰاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوٰاجِهِمْ مَتٰاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرٰاجٍ﴾[٤] فكانت العدّة حَوْلاً،

فلمّا قَوِيَ الإسلام أنزل الله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوٰاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾[٥] فنسخت قوله: ﴿مَتٰاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرٰاجٍ﴾

---

(١) العهد الّذي أخذه الله تعالى من الناس أجمعين حال كونهم بصورة الذراري ـ النمل الصغار ـ لقوله تعالى: «ألست بربّكم ومحمّد نبيّكم وعليّ إمامكم؟ قالوا: بلى».

(٢) «شكّ في» خ.

(٣) «وما فيه» خ.

(٤ و ٥) البقرة: ٢٤٠ و ٢٣٤.

ومثله أنّ المرأة كانت في الجاهليّة إذا زنت تحبس في بيتها حتّى تموت، والرجل يؤذى، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَاللاّٰتِي يَأْتِينَ الْفاٰحِشَةَ مِنْ نِساٰئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتّٰى يَتَوَفّٰاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[١] وفي الرجل: ﴿وَ اللَّذاٰنَ يَأْتِياٰنِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تاٰبا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللهَ كاٰنَ تَوّٰاباً رَحِيماً﴾.[٢] فلمّا قَوِيَ الإسلام أنزل الله:

﴿الزّٰانِيَةُ وَ الزّٰانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واٰحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[٣] فَنَسخت تلك.

ومثله كثير نذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى.

(٢) وأمّا المحكم: فمثل قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[٤].

ومنه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾[٥]

ومنه قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاٰتُكُمْ وَبَناٰتُكُمْ وَأَخَواٰتُكُمْ﴾[٦] الآية إلى آخرها،

فهذا كلّه محكم قد استُغنيَ بتنزيله عن تأويله، ومثله كثير.

(٣) وأمّا المُتَشَابِه: فما ذكرنا ممّا لفظه واحد ومعناه مختلف،

فمنه الفتنة الّتي ذكرها الله تعالى في القرآن:

فمنها عذاب، وهو قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النّٰارِ يُفْتَنُونَ﴾[٧] أي يُعذّبون.

ومنها الكفر، وهو قوله: ﴿وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[٨] أي الكفر.

ومنها الحبّ، وهو قوله: ﴿أَنَّما أَمْواٰلُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٩] يعني بها الحبّ.

ومنه الإختبار، وهو قوله: ﴿الٓم * أَحَسِبَ النّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ﴾[١٠] أي لايختبرون. ومثله كثير نذكره في مواضعه.

(١ و٢) النساء: ١٥، ١٦. (٣) النور: ٢. (٤) المائدة: ٣.
(٥) المائدة: ٦. (٦) النساء: ٢٣. (٧) الذاريات: ١٣.
(٨) البقرة: ١٩١. (٩) الأنفال: ٢٨. (١٠) العنكبوت: ١ و٢.

ومنه: الحقّ، وهو على وجوه كثيرة، **ومنه:** الضلال، وهو على وجوه كثيرة.

فهذا من المُتَشَابِه الّذي لفظه واحد، ومعناه مختلف.

(٤) وأمّا ما لفظه عامّ ومعناه خاصّ: فمثل قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١] فهذا لفظه عامّ ومعناه خاصّ لأنّه فضّلهم على عالمي زمانهم بأشياء خصّهم بها.

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢] يعني بلقيس، فلفظه عامّ ومعناه خاصّ، لأنّها لم تؤت أشياء كثيرة، منها الذكَر واللّحية.

وقوله: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[٣]

لفظه عامّ ومعناه خاصّ، لأنّها تركت أشياء كثيرة لم تُدمّرها.

(٥) وأمّا ما لفظه خاصّ ومعناه عامّ، فقوله:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[٤]

فلفظ الآية خاصّ في بني إسرائيل، ومعناها عامّ في الناس كلّهم.

(٦) وأمّا التقديم والتأخير: فإنّ آية عدّة النساء الناسخة قدّمت على المنسوخة.

لأنّ في التأليف قد تقدّمت آية عدّة النساء ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾[٥] على آية عدّة سنة كاملة[٦] وكان يجب أوّلاً أن تُقرأ المنسوخة الّتي نزلت قبل، ثمّ الناسخة الّتي نزلت بعدها.

وقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾[٧].

---

(١) البقرة: ١٢٢. (٢) النمل: ٢٣. (٣) الأحقاف: ٢٤ ـ ٢٥.

(٤) المائدة: ٣٢. (٥) البقرة: ٢٣٤. (٦) أنظر سورة البقرة: ٢٤٠.

(٧) هود: ١٧.

فقال الصادق عليه السلام: إنّما أُنزل «أَفَمَنْ كٰانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شٰاهِدٌ مِنْهُ إماماً ورحمة وَمِنْ قَبْلِهِ كِتٰابُ مُوسىٰ»

وقوله تعالى: ﴿وَ قٰالُوا مٰا هِيَ إِلاّٰ حَيٰاتُنَا الدُّنْيٰا نَمُوتُ وَ نَحْيٰا﴾[1] وإنّما هي نحيا ونموت[2]، لأنّ الدهريّة لم يُقرّوا بالبعث بعد الموت، وإنّما قالوا: «نحيا ونموت» فقدّموا حرفاً على حرف.

وقوله: ﴿يٰا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرّٰاكِعِينَ﴾[3] وإنّما هو: اركعي واسجدي.

وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بٰاخِعٌ[4] نَفْسَكَ عَلىٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾[5]وإنّما هو «فلعلّك باخع نفسك على آثارهم أسفاً إن لم يؤمنوا بهذا الحديث» ومثله كثير.

(٧) وأمّا المنقطع المعطوف: فهي آيات نزلت في خبر، ثمّ انقطعت قبل تمامها، وجاءت آيات غيرها، ثمّ عُطف بعد ذلك على الخبر الأوّل، مثل قوله عزّوجلّ: ﴿وَإِبْرٰاهِيمَ إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثٰاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاٰ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[6]

ثمّ انقطع خبر إبراهيم عليه السلام فقال مخاطبة لأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمٰا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاٰغُ الْمُبِينُ * أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ -إلى قوله: - أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَحْمَتِي وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ﴾

ثمّ عطف بعد هذه الآيات على قصّة إبراهيم عليه السلام، فقال:

﴿فَمٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قٰالُوا اقْتُلُوهُ أَو حَرِّقُوهُ فَأَنْجٰاهُ اللهُ مِنَ النّٰارِ﴾[7]

---

(١) الجاثية: ٢٤. (٢) هو يحيي ويميت. (٣) آل عمران: ٤٣.

(٤) بخع نفسه: كاد أن يهلكها من غضب أو غمّ. (٥) الكهف: ٦.

(٦) العنكبوت: ١٦ و١٧. (٧) العنكبوت: ٢٤.

ومثله في قصّة لقمان، قوله: ﴿وَإِذْ قالَ لُقمانَ لابنِهِ وَهُوَ يَعِظَهُ يا بنيَّ لا تُشرِكْ باللهِ إنَّ الشِّركَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ﴾[١] ـ ثمّ انقطعت وصيّة لقمان لابنه، فقال: ـ ﴿وَوصّينا الإنسانَ بوالدَيهِ حَمَلَتهُ أُمُّهُ وَهناً على وَهنٍ ـ إلى قوله ـ فأُنبِّئكُم بِما كُنتُمْ تَعمَلُونَ﴾[٢]

ثمّ عطف على خبر لقمان، فقال: ﴿يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ ...﴾[٣] ومثله كثير.

(٨) وأمّا ما هو حرف مكان حرف: فقوله: ﴿لِئلّا يَكونَ لِلنّاسِ عَليكُم حُجَّةٌ إلَّا[٤] الَّذينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ﴾[٥] يعني ولا الّذين ظلموا منهم. وقوله: ﴿يا مُوسى لاتَخَفْ إنّي لايَخافُ لَديَّ المُرسَلُونَ * إلّا من ظلم﴾[٦] يعني ولا من ظلم،

وقوله: ﴿وَما كانَ لِمُؤمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤمِناً إلاّ خَطَأً﴾[٧] يعني ولا خطأ.

وقوله: ﴿لا يَزالُ بُنيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إلاّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾[٨] يعني حتّى تَقطّع قلوبهم، ومثله كثير.

(٩) وأمّا ما هو على خلاف ما أنزل الله: فهو قوله: ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرونَ بِالمَعرُوف وتَنهوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[٩]

قال أبو عبدالله عليه السلام لقارئ هذه الآية: ﴿خَيرَ أُمَّة﴾ يقتلون أميرالمؤمنين والحسن والحسين ابني عليّ عليهما السلام؟! فقيل له: وكيف نزلت يابن رسول الله؟

فقال: إنّما نزلت: «كنتم خير أئمّة أُخرجت للنّاس» ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية: ﴿تَأمُرونَ بِالمَعرُوف وتَنهوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾.

---

(١) لقمان: ١٣. (٢ و٣) لقمان: ١٤ و١٦

(٤) من أوجه «إلّا» أن تكون عاطفة بمنزلة الواو في التشريك في اللفظ والمعنى. ذكره الأخفش والفراء وأبو عبيدة.

(٥) البقرة: ١٥٠. (٦) النمل: ١٠ و١١. (٧) النساء: ٩٢.

(٨) التوبة: ١١٠. (٩) آل عمران: ١١٠.

ومثله أنّه قُرئ على أبي عبدالله عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً﴾[١]

فقال أبوعبدالله عليه السلام: لقد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتّقين إماماً؟!

فقيل له: يابن رسول الله! كيف نزلت هذه الآية؟

فقال: إنّما نزلت «الّذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّيّاتنا قرّة أعين واجعل لنا من المتّقين إماماً».

وقوله: «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ»[٢]

فقال أبو عبدالله عليه السلام: كيف يحفظ الشيء من أمر الله، وكيف يكون المعقّب من بين يديه؟! فقيل له: وكيف ذلك يابن رسول الله؟ فقال: إنّما نزلت:

«له معقّبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله» ومثله كثير.

(١٠) وأمّا ما هو محرّف منه: فهو قوله: ﴿لكِنِ اللهُ يشهدُ بِما أُنزلَ إليكَ ـ في عليّ، كذا نزلت ـ أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ وَالملائِكَةُ يَشهَدُونَ﴾[٣]. وقوله:

﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ـ في عليّ ـ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾[٤]

وقوله: ﴿إِنَّ الّذينَ كفرُوا وظَلَمُوا ـ آل محمّد حقّهم ـ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيغفِرَ لَهُمْ﴾[٥]

وقوله: ﴿وَسَيعلَمُ الّذين ظَلَمُوا ـ آل محمّد حقّهم ـ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٦]

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظّالِمُونَ ـ آل محمّد حقّهم ـ فِي غَمَراتِ المَوْتِ﴾[٧]

ومثله كثير نذكره في مواضعه.

(١١) وأمّا ما لفظه جمع ومعناه واحد، وهو جارٍ في الناس، فقوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) الفرقان: ٧٤. (٢) الرعد: ١١. (٣) النساء: ١٦٦.

(٤) المائدة: ٦٧. (٥) النساء: ١٦٨. (٦) الشعراء: ٢٢٧.

(٧) الأنعام: ٩٣، وفي خ «الّذين ظلموا آل محمّد».

لا تَخُونُوا اللهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾[١] نزلت في أبي لبابة بن عبدالله بن المنذر خاصّة.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[٢] نزلت في حاطب ابن أبي بلتعة. وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾[٣] نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾[٤] نزلت في عبدالله بن نفيل خاصّة، ومثله كثير نذكره في مواضعه.

(١٢) وأمّا ما لفظه واحد ومعناه جمع: فقوله: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[٥] فاسم الملك واحد ومعناه جمع.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ﴾[٦] فلفظ الشجر واحد ومعناه جمع.

(١٣) وأمّا ما لفظه ماضٍ وهو مستقبل: فقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[٧] وقوله: ﴿وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[٨] إلى آخر الآية

فهذا كلّه ممّا لم يكن بعد، وفي لفظ الآية أنّه قد كان[٩]، ومثله كثير.

---

(١) الأنفال: ٢٧. (٢) الممتحنة: ١. (٣) آل عمران: ١٧٣.

(٤) التوبة: ٦١. (٥) الفجر: ٢٢. (٦) الحجّ: ١٨.

(٧) النمل: ٨٧. (٨) الزمر: ٦٨ ـ ٧٠.

(٩) أقول: ولكن الآية مسبوقة بقوله تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ «الزمر: ٦٧» وملحوقة بالآيات إلى آخر السورة في حوادث يوم القيامة.

(١٤) وأمّا الآيات التي هي في سورة وتمامها في سورة أُخرى:

فقوله في سورة البقرة في قصّة بني إسرائيل حين عَبَر بهم موسى البحر، وأغرق الله فرعون وأصحابه، وأنزل موسى ببني إسرائيل، فأنزل الله عليهم المَنَّ والسلوى، فقالوا لموسى: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلىٰ طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَقِثّائِها وَفُومِها وَعَدَسِها وَبَصَلِها[١] ـ فقال لهم موسى: ـ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ﴾[٢] [٣].

فقالوا له: ﴿ يا مُوسىٰ إِنَّ فِيها قَوْماً جَبّارِينَ وَإِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّىٰ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ﴾[٤] فنصف الآية في سورة البقرة، ونصفها في سورة المائدة.

وقوله: ﴿اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٥].[٦] فردّ الله عليهم:

﴿وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٧]

فنصف الآية في سورة الفرقان، ونصفها في سورة القصص والعنكبوت، ومثله كثير نذكره في مواضعه إن شاء الله.

(١٥) وأمّا الآية التي نصفها منسوخة ونصفها متروكة على حالها: فقوله:

﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ وذلك أنّ المسلمين كانوا ينكحون أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويُنكحونهم، فأنزل الله على نبيّه:

﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّىٰ يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُم﴾[٨]

(١ و٢) البقرة: ٦١.

(٣) إلى هنا في سورة البقرة آية ٦١، والباقي في سورة المائدة، وهو قوله: ﴿فقالوا له يا موسى إنّ فيها﴾.

(٤) المائدة: ٢٢. (٥) الفرقان: ٥.

(٦) قوله: ﴿أساطير الأوّلين اكتتبها﴾ هو قول النضر بن الحرث بن العلقمة بن كلدة قال: أساطير الأوّلين اكتتبها محمّد فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً!. (٧) العنكبوت: ٤٨. (٨) البقرة: ٢٢١.

فنهى الله أن يَنْكِح المسلم المشركة، أو ينكح المشرك المسلمة، ثمّ نسخ قوله: ﴿وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ﴾ بقوله في سورة المائدة:

﴿اليَومَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبٰتُ وَطعامُ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالمُحْصَناتُ مِنَ المُؤْمِناتِ وَالمُحْصَناتُ مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم إذا ءَاتَيتُمُوهُنّ أُجورَهُنَّ﴾[١]

فنسخت هذه الآية قوله: ﴿وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ﴾

وترك قوله: ﴿وَلاتُنكِحُوا المُشرِكينَ حَتَّى يُؤمِنُوا﴾ لم تُنسخ، لأنّه لايحلّ للمسلم[٢] أن يُنكح المشركة، ويحِلّ له أن يتزوّج المشركة من اليهود والنصارى.

وقوله: ﴿وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصاصٌ﴾[٣] ثمّ نُسخت هذه الآية بقوله:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلىٰ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثىٰ بِالْأُنْثىٰ﴾[٤]

فنسخت قوله: ﴿النَّفْسَ بالنَّفْسِ -إلى قوله- وَالسِّنَّ بالسِّنِّ﴾

ولم ينسخ قوله: ﴿وَالجُرُوحَ قِصاصٌ﴾ فنصف الآية[٥] منسوخة ونصفها متروكة.

---

(١) المائدة: ٥.

(٢) «لا يحلّ للمسلمة أن تنكح المشرك، ويحلّ للمسلم أن ينكح المشركة من اليهود والنصارىٰ لأنّه لايحلّ للمسلمة أن تنكح المشرك، ويحلّ للمسلم أن ينكح المشركة من اليهود والنصارىٰ» خ.

(٣) المائدة: ٤٥. (٤) البقرة: ١٧٨.

(٥) أراد به الرد على العامّة حيث قالوا بعكس ذلك، قال في الكشّاف: وعنه سعيد بن المسيّب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه منسوخة بقوله: ﴿النَّفسَ بالنَّفسِ﴾ فالقصاص ثابت بين العبد والحرّ وبين الذكور والإناث، إلخ.

وأمّا أصحابنا فقد عملوا ببعض مضمون الآية لتأييده بالأخبار فقالوا: بعدم قتل الحرّ بالعبد والأمة، لكن قالوا: بقتل الحرّة بالحرّة مع ردّ فاضل الدّية، فلذا قال المصنّف بالنسخ لكن يرد عليه أنّ ثبوت النسخ موقوف على عموم النفس بالنفس وعلىٰ كون هذا الحكم ثابتاً في شرعنا لأنّه حكاية ما في التوراة وعلى كونه جارياً في شرعنا على العموم وإلّا كان تخصيصاً لا نسخاً وعلى جواز نسخ المنطوق بالمفهوم إلّا أن يقال ثبت بالأخبار حجيّة هذا المفهوم وعلىٰ تقدّم آية النفس على الأُخرىٰ لأن بينهما عموماً من وجه وليس احدهما أولى بالمنسوخية من الأُخرىٰ وبالجملة دون إثبات كلّ ما ذكرنا خرط القتاد، والله العالم.

(١٦) وأمّا ما تأويله في تنزيله: فكلّ آية نزلت في حلال أو في حرام ممّا لا يحتاج فيها إلى تأويل، مثل قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيكُم أُمَّهاتُكُمْ وَبناتُكُمْ وأَخواتُكُم وَعَمَّاتُكُمْ وَخالاتُكُمْ﴾[1] وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾[2]

ومثله كثير ممّا تأويله في تنزيله، وهو من المحكم الّذي ذكرناه.

(١٧) وأمّا ما تأويله مع تنزيله: فمثل قوله:

﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[3]

فلم يستغن الناس بتنزيل الآية، حتّى فسّر لهم الرسول صلى الله عليه وآله مَن ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾

وقوله: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصادِقِينَ﴾[4] فلم يستغن الناس الّذين سَمِعوا هذا من النبيّ صلى الله عليه وآله بتنزيل الآية، حتّى عرّفهم النبيّ صلى الله عليه وآله مَن «الصادقين».

وقوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[5]

فلم يستغنِ الناس بهذا حتّى أخبرهم النبيّ صلى الله عليه وآله كم يصومون.

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾[6]

فلم يستغنِ الناس بهذا حتّى أخبرهم النبيّ صلى الله عليه وآله كم يصلّون، وكم يزكّون.

(١٨) وأمّا ما تأويله قبل تنزيله: فالأمور الّتي حدثت في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله ممّا لم يكن عند النبيّ صلى الله عليه وآله فيها حكم، مثل: الظهار، فإنّ العرب في الجاهليّة كانوا إذا ظاهر الرجل من امرأته حُرِّمَت عليه إلى الأبد، فلمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، ظاهر رجل من امرأته، يقال له: أوس بن الصامت، فجاءت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك، فانتظر النبيّ صلى الله عليه وآله الحكم من الله؛

فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ

---

(١) النساء: ٢٣. (٢) المائدة: ٣. (٣) النساء: ٥٩.

(٤) التوبة: ١١٩. (٥) البقرة: ١٨٣. (٦) البقرة: ٤٣.

إِلَّا اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ﴾[١]. ومثله ما نزل في اللّعان وغيره، ممّا لم يكن عند النبيّ ﷺ فيه حكم، حتّى نزل عليه القرآن به من عند الله عزّ وجلّ، فكان التأويل قد تقدّم التنزيل.

(١٩) وأمّا ما تأويله بعد تنزيله: فالأمور الّتي حدثت في عصر النبيّ ﷺ وبعده من غَصْب آل محمّد عليهم السلام حقّهم، وما وعدهم الله به من النصر على أعدائهم، وما أخبر الله به نبيّه ﷺ من أخبار القائم عليه السلام وخروجه، وأخبار الرجعة والساعة، في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ﴾[٢]

وقوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[٣] نزلت في القائم من آل محمّد ﷺ.

وقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[٤] ومثله كثير ممّا تأويله بعد تنزيله.

(٢٠) وأمّا ما هو متّفق اللفظ ومختلف المعنى: فقوله: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنّا فِيها وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها﴾[٥] يعني أهل القرية وأهل العير. وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرىٰ أَهْلَكْناهُمْ لَمّا ظَلَمُوا﴾[٦] يعني أهل القرى. ومثله كثير نذكره في مواضعه.

(٢١) وأمّا الرخصة الّتي هي بعد العزيمة: فإنّ الله تبارك وتعالى فرض الوضوء والغسل بالماء، فقال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾

ثمّ رخّص لمن لم يجد الماء التيمّم بالتراب، فقال:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً

---

(١) المجادلة: ٢. (٢) الأنبياء: ١٠٥. (٣) النور: ٥٥.

(٤) القصص: ٥ و ٦. (٥) يوسف: ٨٢. (٦) الكهف: ٥٩.

فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾[١] ومثله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَ قُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾[٢] ثمّ رخّص، فقال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾[٣]

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَ قُعُوداً وَ عَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[٤]

قال العالم عليه السلام: الصحيح يصلّي قائماً، والمريض يصلّي قاعداً[٥]، فمن لم يقدر فمضطجعاً يومئ إيماءً، فهذه رخصة بعد العزيمة.[٦]

(٢٢) وأمّا الرخصة الّتي صاحبها فيها بالخيار: إن شاء فعل[٧]، وإن شاء ترك، فإنّ الله عزّ وجلّ رخّص أن يعاقِب الرجلُ الرجلَ على فعله به، فقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[٨]

فهذا بالخيار، إن شاء عاقب، وإن شاء عفا.

(٢٣) وأمّا الرُخصة الّتي ظاهرها خلاف باطنها، ويعمل بظاهرها، ولا يُدان بباطنها: فإنّ الله تبارك وتعالى نهى أن يتّخذ المؤمن الكافر وليّاً، فقال: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ﴾[٩]

ثمّ رخّص عند التقيّة أن يصلّي بصلاته، ويصوم بصيامه، ويعمل بعمله في ظاهره، و أن يدان الله في باطنه بخلاف ذلك، فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[١٠]

فهذا تفسير الرخصة، ومعنى قول الصادق عليه السلام:

إنّ الله تبارك وتعالى يحبّ أن يؤخذ برُخصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه.[١١]

(٢٤) وأمّا ما لفظه خبر ومعناه حكاية: فقوله: ﴿وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا

---

(١) المائدة: ٦. (٢ و٣) البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩. (٤) النساء: ١٠٣.

(٥) «جالساً» خ. (٦) عنه البرهان: ١٦٦/٢ ح٧. (٧) «أخذ» خ.

(٨) الشورى: ٤٠. (٩ و١٠) آل عمران: ٢٨.

(١١) البحار: ٢٩/٩٣ س٧، وفيه: عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

تِسْعاً﴾[١] وهذا حكاية عنهم، والدليل على أنّه حكاية ما ردّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢]

وقوله يحكي قول قريش: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفىٰ﴾[٣]

فهو على لفظ الخبر للنبيّ ﷺ ومعناه حكاية، ومثله كثير نذكره في مواضعه.

(٢٥) وأمّا ما هو مخاطبة للنبيّ ﷺ والمعنى لأمّته: فقوله: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[٤] فالمخاطبة للنبيّ ﷺ والمعنى لأُمّته.

وقوله: ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتُلْقىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾[٥]

ومثله كثير ممّا خاطب الله به نبيّه ﷺ والمعنى لأمّته، وهو قول الصادق عليه السلام: «إنّ الله قد بعث نبيّه ﷺ بإيّاك أعني، واسمعي يا جارة».[٦]

(٢٦) وأمّا ما هو مخاطبة لقوم ومعناه لقوم آخرين: فقوله:

﴿وَقَضَيْنا إِلىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ ـ أنتم يا معشر أُمّة محمّد ـ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾[٧] فالمخاطبة لبني إسرائيل والمعنى لأمّة محمّد ﷺ.

(٢٧) وأمّا الردّ على الزنادقة: فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾[٨] وذلك أنّ الزنادقة زعمت أنّ الإنسان إنّما يتولّد بدوران الفلك، فإذا وقعت النطفة في الرحم، تلقّتها الأشكالُ والغذاء، ومرّ عليها اللّيل والنهار [فيتربّى الإنسان] ويكبُر لذلك، فقال الله تبارك وتعالى ردّاً عليهم:

---

(١) الكهف: ٢٥. (٢) الكهف: ٢٦. (٣) الزمر: ٣.

(٤) الطلاق: ١. (٥) الإسراء: ٣٩.

(٦) عنه البحار: ٢٢٢/٩ ح١٠٨، وج٨٣/١٧ ح٧، وج٣٨١/٩٢ ح١٢، وص٣٨٢ ح١٧، عن تفسير العيّاشي: ٨٤/١ ح٤، عنه البرهان: ٥٠/١ ح٢ وح١، وعن الكافي: ٦٣٠/٢ ح١٤، عنه نور الثقلين: ٢٢٠/٤ ح٦١، وجامع الأخبار والآثار: ٢٤/١ ح١ و٢ وعن العيّاشي والقمّي.

(٧) الإسراء: ٤. (٨) يس: ٦٨.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلاٰ يَعْقِلُونَ﴾ يعني من يكبر ويعمّر [و] يرجع إلى حدّ الطفوليّة، ويأخذ في النقصان والنّكس. فلو كان هذا ـ كما زعموا ـ لوجب أن يزيد الإنسان أبداً ما دامت الأشكال قائمة، واللّيل والنهار يدوران عليه! فلمّا بطل هذا وكان من تدبير الله عزّ وجلّ، أخذ في النقصان عند منتهى عُمره.

(٢٨) وأمّا الردّ على الثنوية: فقوله تعالى:

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مٰاكٰانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمٰا خَلَقَ﴾[1] قال:

لو كان إلهين [اثنين] لطلب كلّ واحد منهما العلوّ، وإذا شاء واحد أن يخلق إنساناً، شاء الآخر أن يخالفه فيخلق بهيمة، فيكون الخلق منهما على مشيئتهما واختلاف إرادتهما [بخلق] إنساناً وبهيمة في حالة واحدة! وهذا من أعظم المحال غير موجود. فإذا بطل هذا ولم يكن بينهما إختلاف، بَطَلَ الإثنان وكان واحداً.

فهذا التدبير واتّصاله، وقوام بعضه ببعض، بالأهواء والإرادات، والمشيئات، تدلّ على صانع واحد، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمٰاكٰانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمٰا خَلَقَ وَلَعَلاٰ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ﴾[2]،

وقوله: ﴿لَوْ كٰانَ فيهِما ءَالِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا﴾.[3]

(٢٩) وأمّا الردّ على عبدة الأوثان:

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبٰادٌ أَمْثٰالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهٰا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهٰا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهٰا أَمْ لَهُمْ آذٰانٌ يَسْمَعُونَ بِهٰا قُلِ ادْعُوا شُرَكٰاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاٰ تُنْظِرُونِ﴾[4].

وقوله يحكي قول إبراهيم عليه السلام: ﴿أَفَتعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفعُكُم شَيئاً ولا يضُرُّكم * أُفٍّ

---

(١) المؤمنون: ٩١.　(٢) المؤمنون: ٩١.　(٣) الأنبياء: ٢٢.

(٤) الأعراف: ١٩٤ و ١٩٥.

لَكُم ولما تَعبُدُون مِن دُون اللهِ أفلا تعقِلُونَ﴾[١]، وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاٰ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاٰ تَحْوِيلاً﴾[٢]، وقوله: ﴿أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاٰ يَخْلُقُ أَفَلاٰ تَذَكَّرُونَ﴾[٣]. ومثله كثير ممّا هو ردّ على الزنادقة وعبدة الأوثان.

(٣٠) وأمّا الردّ على الدهريّة: فإنّ الدهريّة زعموا أنّ الدهر لم يزل ولايزال أبداً، وليس له مدبّر ولا صانع، وأنكروا البعث والنشور!

فحكى الله عزّ وجلّ قولهم، فقال: ﴿وَقالُوا ما هِيَ إلَّا حَياتُنا الدنيا نَمُوتُ وَنحْيا ـ وإنّما قالوا نحيا ونموت ـ وَمَا يُهلِكُنا إلَّا الدَّهرُ وَما لَهُم بِذلكَ مِن عِلم إن هُم إلَّا يَظنُّون﴾[٤].

فردّ الله عليهم، فقال عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إلىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّىٰ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاٰ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾[٥].

ثمّ ضرب للبعث والنشور مثلاً، فقال:

﴿وَ تَرَى الْأَرْضَ هٰامِدَةً ـ أي يابسة ميّتة ـ فَإذٰا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ـ أي حسن ـ ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتىٰ وَأَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[٦].

وقوله: ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيٰاحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشٰاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاٰلِهِ فَإذٰا أَصٰابَ بِهِ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ إذٰا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَ إنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ * فَانْظُرْ إلىٰ آثٰارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا إنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتىٰ﴾[٧].

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناهٰا وَ زَيَّنّاهٰا وَ مٰا لَهٰا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ

---

(١) الأنبياء: ٦٦ و٦٧. (٢) الإسراء: ٥٦. (٣) النحل: ١٧.

(٤) الجاثية: ٢٤. (٥ و٦) الحجّ: ٥ ـ ٧. (٧) الروم: ٤٨ ـ ٥٠.

مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * - إلى قوله - وَأحيَينا بِهِ بَلدَةً مَيتاً كذلِكَ الخُرُوجُ﴾[1].

وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[2] ومثله كثير ممّا هو ردّ على الدهريّة.

(٣١) وأمّا الردّ على من أنكر الثواب والعقاب [في القبر] فقوله:

﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ﴾[3].

وأمّا قوله: ﴿ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾ إنّما هو في الدنيا، فإذا قامت القيامة تبدّل السماوات والأرض.

وقوله: ﴿النارُ يُعرَضُونَ عَليها غُدُوّاً وَعَشيّاً﴾[4] فأمّا الغدوّ والعشيّ إنّما [يكون] في الدنيا في دار المشركين، وأمّا في يوم القيامة فلا يكون غدوّاً ولا عشيّاً.

قوله: ﴿وَلَهُم رِزقُهُم فيها بُكرةً وَعشيّاً﴾[5] يعني في جنان الدنيا الّتي تنقل إليها أرواح المؤمنين، فأمّا في جنّات الخُلد فلا يكون غُدوّاً ولا عشيّاً.

وقوله: ﴿وَمِن وَرائِهم بَرزَخٌ إلى يومِ يُبعثُونَ﴾[6]

قال الصادق عليه السلام: «البرْزَخ: القبر [وفيه] الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة».

والدليل على ذلك أيضاً قول العالم عليه السلام: «والله ما نخاف عليكم إلّا البرزخ»

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[7]

---

(١) ق: ٦ و٧ و١١. (٢) يس: ٧٨ و٧٩. (٣) هود: ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٤) غافر: ٤٦. (٥) مريم: ٦٢. (٦) المؤمنون: ١٠٠.

(٧) آل عمران: ١٦٩ و ١٧٠.

قال الصادقعليه السلام: «يستبشرون ـ والله ـ في الجنّة بمن لم يلحقوا بهم من خلفهم من المؤمنين في الدنيا».[١]

ومثله كثير ممّا هو ردّ على من أنكر [الثواب والعقاب و] عذاب القبر.

(٣٢) وأمّا الردّ على من أنكر المعراج والإسراء: فقوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٢] وقوله: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾[٣]

وقوله: ﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٤]

يعني الأنبياءعليهم السلام، وإنّما رآهم في السماء لمّا[٥] اُسري به.

(٣٣) وأمّا الردّ على من أنكر الرؤية: فقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾[٦]

قال أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم:

حدّثني أبي، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن عليّ بن موسى الرضاعليه السلام قال: قال لي: «يا أحمد! ما الخلاف بينكم وبين أصحاب هِشام بن الحكم في التوحيد؟» فقلت: جُعلت فداك، قلنا نحن بالصورة، للحديث الّذي روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربّه في صورة شابّ! وقال هشام بن الحكم بالنفي للجسم.

فقال: «يا أحمد! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا اُسري به إلى السماء وبلغ عند سدرة المنتهى، خُرق له في الحجب مثل سَمّ[٧] الإبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى، وأردتم أنتم التشبيه! دع هذا ـ يا أحمد ـ لا ينفتح عليك منه أمر عظيم».[٨]

---

(١) عنه البحار: ٢١٨/٦ ح ١٢، والبرهان: ٨٦/١.
(٢) النجم: ٧ ـ ٩.
(٣) الزخرف: ٤٥.
(٤) يونس: ٩٤.
(٥) «ليلة» البرهان.
(٦) النجم: ١١ ـ ١٥.
(٧) السَمُّ: الثقبُ، ومنه سَمُّ الخِياط. «الصحاح: ١٩٥٣/٥».
(٨) عنه البحار: ٣٠٧/٣ ح ٤٥.

(٣٤) وأمّا الرد على من أنكر خلق الجنّة والنار: فقوله: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوىٰ﴾ وسِدرة المنتهى في السماء السابعة، وجنّة المأوى عندها.

قال عليّ بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة، فرأيت قصراً من ياقوتةٍ حمراء، يُرى داخلها من خارجها، وخارجها من داخلها من ضيائها، وفيها بيتان[1] من دُرّ وزَبَرْجَد، فقلت: يا جبرئيل! لمن هذا القصر؟ فقال: هذا لمن أطاب الكلام، وأدام الصيام، وأطعم الطعام، وتهجّد باللّيل والناس نيام».

فقال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «يا رسول الله، وفي أُمّتك من يطيق هذا؟»

فقال صلى الله عليه وآله: «أُدنُ منّي يا عليّ». فدنا منه، فقال: «أتدري ما إطابة الكلام؟» قال: «الله ورسوله أعلم». قال: «من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر».

ثمّ قال: «أتدري ما إدامة الصيام»؟ قال: «الله ورسوله أعلم».

قال: «من صام شهر رمضان ولم يفطر منه يوماً».

«أو تدري ما إطعام الطعام؟» قال: «الله ورسوله أعلم».

قال: «من طلب لعياله ما يكفّ به وجوههم عن الناس.

أو تدري من يتهجّد باللّيل والناس نيام؟» قال: «الله ورسوله أعلم».

قال: «من لم ينم حتّى يصلّي العشاء الآخرة.

ويعني بالناس نيام: اليهود والنصارى، فإنّهم ينامون فيما بينهما».[2]

وبهذا الإسناد: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة،

---

(١) «بنيان» البرهان.

(٢) عنه البحار: ١٦٨/٩٣ ح ٤، والوسائل: ١٢٠٨/٤ ح ١٢، والبرهان: ٨٧/١، وج٣/٧٢٩ ح ٥، وأورده الطوسي في أماليه: ٤٥٨ ح ٣٠، عنه البحار: ٣٤٢/١٨ ح ٥٠، وج٦٩/٣٨٨ ح ٥٨، وج٨٣/٤٩ ح ٢، وج٩٦/٣٦٧ ح ٤٤، وج١٠٤/٧٠ ح ٧.

فرأيت فيها قِيعاناً[١] تَفِقُ[٢] ورأيت فيها ملائكة يبنون لَبِنَةً مـن ذهب وَلَـبِنَةً مـن فِضّةٍ، وربّما أمسكوا، فقلت لهم: ما لكم! ربّما بنيتم، وربّما أمسكتم؟ فقالوا: حتّى تجيئنا النفقة! فقلت: وما نفقتكم؟ فقالوا: قول المـؤمن فـي الدنـيا: «سـبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر» فإذا قال بنينا، وإذا أمسك أمسكنا».[٣]

وقال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا أسرى بي ربّي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل، فأدخلني الجنّة، فأجلسني على درنوك[٤] من درانيك الجنّة، فـناولني سَـفَرْجَلَةً، فانفلقت نصفين، فخرجت من بينهما حوراء، فقامت بين يديّ، فقالت:

السلام عليك يا محمّد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا رسول الله.

فقلت: وعليك السلام، من أنت؟ فقالت: أنا الراضـية المـرضيّة، خـلقني [الله الجبّار] من ثلاث أنواع: أسفلي من المِسْك، ووسطي مـن العَـنْبر، وأعـلاي مـن الكافور، وعُجنت بماء الحيوان، ثمّ قال جلّ ذكره لي: كوني فكنت[٥]. لأخيك وابن عمّك ووصيّك عليّ بن أبي طالب. صلوات الله عليه».[٦]

قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ تقبيل فاطمة عليها السلام

فغضبت من ذلك عائشة، فقالت: يا رسول الله إنّك تُكثر تقبيل فاطمة عليها السلام!

فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة! إنّه لمّا أُسري بي إلى السـماء دخـلت الجـنّة، فأدناني جبرائيل عليه السلام من شجرة طوبى، وناولني من ثمارها فأكلته، فلمّا هبطت إلى الأرض حوّل الله ذلك ماءً في ظهري، فواقعت خديجة، فحملت بفاطمة؛

(١): هي أرض سهلة لاعوج فيها.

(٢) وفي البرهان: «يفقاً» أي شديدة البياض.

(٣) عنه البحار: ٤٠٩/١٨ ح١٢٠، البرهان: ٨٨/١ و ٧٢٨/٣ ح٤.

(٤): ضرب من الثياب أو البسط له خمل قصير كخمل المناديل (لسان العرب: ٤٢٣/١٠).

(٥) هكذا موجود في العبارة لكن الاحتمال أنّ الساقط منها هو قول النبيّ ﷺ «لمن أنت؟ قالت».

(٦) عنه البحار: ٤٠٩/١٨ ح١٢١، والبرهان: ٨٨/١.

فما قبّلتها إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها»

ومثل ذلك كثير ممّا هو ردّ على من أنكر المعراج، وخَلْق الجنّة والنار.

(٣٥) وأما الردّ على المُجَبِّرة الّذين قالوا: ليس لنا صنع ونحن مُجبرون، يُحدث الله لنا الفعل عند الفعل، وإنّما الأفعال هي [الـ]منسوبة إلى الناس على المجاز لا على الحقيقة، وتأوّلوا في ذلك آيات من كتاب الله عزّ وجلّ لم يعرفوا معناها؛

مثل قوله: ﴿وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ﴾[1] وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[2]

وغير ذلك من الآيات الّتي تأويلها على خلاف معانيها، وفيما قالوه إبطال للثواب والعقاب، وإذا قالوا ذلك ثمّ أقرّوا بالثواب والعقاب، نسبوا الله تعالى إلى الجور، وأنّه يعذّب [العبد] على غير اكتساب وفعل، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً أن يعاقب أحداً على غير فعل وبغير حجّة واضحة عليه، والقرآن كلّه ردّ عليهم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا لَهٰا مٰا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهٰا﴾[3]

فقوله عزّ وجلّ: «لها وعليها» هو علىٰ الحقيقة لفعلها.

وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[4].

وقوله: ﴿كُلُّ نَفسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهينةٌ﴾[5] وقوله: ﴿ذٰلِكَ بِما قدَّمت أَيدِيكُم﴾[6].

وقوله: ﴿أَمّٰا ثَمُودُ فَهَدَيْنٰاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمىٰ عَلَى الْهُدىٰ﴾[7].

وقوله: ﴿إِنّٰا هَدَيناهُ السَّبيلَ - يعني بيّنّا له طريق الخير وطريق الشرّ - إِمّٰا شاكِراً وَإِمّٰا كَفُوراً﴾[8]

قوله: ﴿وَ عٰاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسٰاكِنِهِمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كٰانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَ قٰارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مُوسىٰ بِالْبَيِّنٰاتِ فَاسْتَكْبَرُوا

---

(١) الإنسان: ٣٠. (٢) الأنعام: ١٢٥. (٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) الزلزلة: ٧ ـ ٨. (٥) المدّثر: ٣٨. (٦) آل عمران: ١٨٢، والأنفال: ٥١.

(٧) فصلت: ١٧. (٨) الإنسان: ٣.

فِي الْأَرْضِ وَ مٰا كٰانُوا سٰابِقِينَ * فَكُلاًّ أَخَذْنٰا بِذَنْبِهِ ـ ولم يقل بفعلنا ـ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِ حٰاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنٰا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنٰا وَمٰا كٰانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].[2]

ومثله كثير نذكره، ونذكر ما احتجّت به المجبّرة من القرآن الّذي لم يعرفوا معناه وتفسيره في مواضعه إن شاء الله.

(٣٦) وأمّا الردّ على المعتزلة: فإنّ الردّ من القرآن عليهم كثير، وذلك أنّ المعتزلة قالوا: نحن نخلُق أفعالنا وليس لله فيه صنع، ولامشيئة، ولا إرادة، ويكون ما شاء إبليس ولايكون ما شاء الله! واحتجّوا على كونهم خالقين بقول الله تعالى:

﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أحسنُ الخالِقينَ﴾ فقالوا: في الخلق خالقون غير الله! فلم يعرفوا معنى الخلق، وعلى كم وجه هو، سئل الصادق عليه السلام أفوّضَ الله إلى العباد أمراً؟

فقال: «الله أجلُّ وأعظم من ذلك». فقيل: فأجبرهم على ذلك؟

فقال: «الله أعدل من أن يُجبرهم على فعلٍ ثمّ يعذّبهم عليه».

فقيل له: فهل بين هاتين المنزلتين منزلة؟ فقال: «نعم».

[فقيل: ما هي؟ فقال: «سرّ من أسرار] ما بين السماء والأرض».[3]

(٣٧) وفي حديث آخر قال: سئل هل بين الجبر والقَدَر منزلة؟ قال: «نعم».

قيل: فما هي؟ قال: «سرّ من أسرار الله تعالى».

وفي حديث آخر، أنّه قال: «هكذا خرج إلينا».[4]

قال: وحدّثني محمّد بن عيسىٰ بن عبيد، عن يونس، قال: قال الرضا عليه السلام:

«يا يونس! لاتقل بقول القَدَريّة، فإنّ القَدَريّة لم يقولوا بقول أهل الجنّة،

---

(١) العنكبوت: ٣٨ ـ ٤٠. (٢) عنه البحار: ٢٨/٥، والبرهان: ٨٩/١.

(٣) عنه البحار: ١١٦/٥ ح٤٦، والبرهان: ٨٩/١.

(٤) عنه البحار: ١١٦/٥ ح٤٧ و ٤٨، والبرهان: ٩٠/١.

ولابقول أهل النار، ولابقول إبليس، فإنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدانا لِهٰذا وَ ما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللّهُ﴾[1] [ولم يقولوا] بقول أهل النار، فإنّ أهل النار قالوا: ﴿رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَينا شِقْوَتُنا﴾[2] وقال إبليس: ﴿رَبِّ بِما أَغْوَيْتَني﴾[3] فقلت: يا سيّدي، والله ما أقول بقولهم، ولكنّي أقول: لايكون إلاّ ما شاء الله، وقضى وقدّر.

فقال له: «ليس هكذا يا يُونُس، ولكن لا يكون إلاّ ماشاء الله [وأراد] وقدّر وقضى، أتدري ما المشيئة يا يونس؟ فقلت: لا. قال: «هي الذكر الأوّل.

أتدري ما الإرادة»؟ قلت: لا. قال: «العزيمة على ما شاء الله.

وتدري ما التقدير»؟ قلت: لا. قال: «هو وضع الحدود من الآجال، والأرزاق، والبقاء، والفناء. وتدري ما القضاء»؟

قلت: لا. قال: «هو إقامة العين، ولايكون إلاّ ما شاء الله، في الذِّكر الأوّل».[4]

(٣٨) وأمّا الردّ على من أنكر الرجعة: فقوله: ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾[5]

قال: وحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾؟[6]

قلت: يقولون: إنّها في [يوم] القيامة. قال: ليس كما يقولون، إنّ ذلك في الرجعة، أيحشر الله في [يوم] القيامة من كلّ اُمّة فوجاً ويدع الباقين؟!

إنّما آية يوم القيامة، قوله: ﴿وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[7].[8]

وقوله: ﴿وَ حَرامٌ عَلىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾[9]

---

(١) الأعراف: ٤٣. (٢) المؤمنون: ١٠٦. (٣) الحجر: ٣٩.

(٤) عنه البحار: ٥/١١٦ ح٤٩، والبرهان: ١/٩٠. (٥ و٦) النمل: ٨٣.

(٧) الكهف: ٤٧.

(٨) عنه البحار: ٥٣/٦٠ ح٤٩، والرجعة للاسترآبادي: ٧٧ صدر ح٤٨، والإيقاظ من الهجعة: ٢٤٦ ح٢٢، ورواه في مختصر البصائر: ١٥٠ صدر ح١٥، بإسناده عن محمّد بن مكّي يرفعه إلى عليّ بن إبراهيم (مثله).

(٩) الأنبياء: ٩٥.

قال الصادق عليه السلام: كلّ قرية أهلك الله تعالى أهلها بالعذاب لايرجعون في الرجعة، وأمّا في القيامة فيرجعون، والّذين[١] محضوا الإيمان محضاً[٢]، وغيرهم ممّن لم يهلكوا بالعذاب، ومحضوا الكفر محضاً يرجعون.[٣]

قال: وحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ﴾[٤] قال: «ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم [إلى عيسى عليه السلام] إلّا ويرجع إلى الدنيا فينصر أميرالمؤمنين عليه السلام، وهو قوله:

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني أميرالمؤمنين عليه السلام. ومثله كثير.

وما وعد الله تبارك وتعالى الأئمّة عليهم السلام من الرجعة والنصرة، فقال: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ـ يا معشر الأئمّة ـ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[٥] فهذا ممّا يكون إذا رجعوا إلى الدنيا.

وقوله: ﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[٦] فهذا كلّه ممّا يكون في الرجعة.[٧]

قال: وحدّثني أبي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، قال: ذكر عند أبي جعفر عليه السلام جابر، فقال: «رَحِمَ الله جابراً، لقد بلغ من علمه أنّه كان يعرف تأويل هذه

(١) «ومن» خ. (٢): أي أخلصوه.

(٣) عنه البحار: ٦١/٥٣ ذح ٤٩، والبرهان: ٨٤٠/٣ ح ٢، ونور الثقلين: ٥٠١/٤ ح ١٦٧، والرجعة للاسترآبادي: ٧٧ ذح ٤٨، والإيقاظ من الهجعة: ٢٤٧ ح ٢٣، ومختصر البصائر: ١٥٠ ذح ١٥.

(٤) آل عمران: ٨١. (٥) النور: ٥٥. (٦) القصص: ٥ و٦.

(٧) عنه مختصر البصائر: ١٥١ ذح ١٦، والبحار: ٦١/٥٣ ح ٥٠، والإيقاظ من الهجعة: ٣٣٢ ح ٤٥ـ٤٧، والبرهان: ٩١/١، والرجعة للأسترآبادي: ٧٧ ح ٤٩، مختصر البصائر: ١٥٠ ح ١٦.

الآية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلىٰ مَعَادٍ﴾ يعني الرجعة.[1] ومثله كثير، نذكره في مواضعه.

(٣٩) وأمّا الردّ على من وصف الله عزّ وجلّ: فقوله: ﴿وَأَنَّ إِلى رَبِّك الْمُنْتَهىٰ﴾[2]

قال: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا وتكلّموا فيما دون العرش، ولاتكلّموا فيما فوق العرش، فإنّ قوماً تكلّموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم، حتّى أنّ الرجل كان يُنادى من بين يديه فيجيب من خلفه، وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه».[3]

وقوله عليه السلام: «إنّه من تعاطى ماثَمَّ[4] هلك»[5] فلا يوصف الله عزّوجلّ إلّا بما وصف به نفسه عزّوجلّ، ومن قول أميرالمؤمنين صلوات الله عليه في خطبه وكلامه في نفي الصفة: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه.[6]

(٤٠) وأمّا الترغيب: فمثل قوله تعالىٰ:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[7]

---

(١) عنه مختصر البصائر: ١٥١ ح١٧، والبحار: ٦١/٥٣ ح٥١، والإيقاظ من الهجعة: ٣٣٣ ح٤٨، والرجعة للأسترآبادي: ٧٩ ح٥٠، والبرهان: ٩١/١، ونور الثقلين: ٣٥٠/٥ ح١٢٥، وأورده في تأويل الآيات: ٤٢٤/١ ح٢٣، عنه البرهان: ٢٩٣/٤ ح١٠، وأخرجه في البحار: ١٢١/٥٣ ح١٥٩ و١٦٠، عن رجال الكشّي: ٤٣ ح٩١ و٩٢، عنه الإيقاظ من الهجعة: ٣٤٩ ح٩٠، و٣٥٠ ح٩١.

(٢) النجم: ٤٢.

(٣) عنه البحار: ٢٥٩/٣ ح٦، والبرهان: ٩١/١.

(٤) قال المجلسي رحمه الله: من تعاطى أي تناول بيان ماثمّ من صفاته الحقيقيّة هلك وضلّ ضلالاً بعيداً.

(٥) المحاسن: ٣٧١/١ ح٢٠٩ وفيه «يقولها مرّتين»، عنه البحار: ٢٦٤/٣ ح٢٣، والوسائل: ٤٥٤/١١ ح٩.

(٦) نهج البلاغة: ٣٩ خ١.

(٧) الإسراء: ٧٩.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾(١)

ومثل قوله تعالى: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها﴾(٢)

وقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾(٣)

وقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزىٰ إِلاّ مِثْلَها وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾(٤).

(٤٠) وأمّا الترهيب: فمثل قوله تعالى:

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾(٥) وقوله تعالىٰ:

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾(٦).

ومثله كثير في القرآن نذكره في مواضعه إن شاء الله تعالىٰ.

(٤١) وأمّا القصص: فهو ما أخبر الله تبارك وتعالى نبيّه ﷺ من أخبار الأنبياء عليهم السلام وقصصهم في قوله: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ نَبأَهُم بالحَقِّ﴾(٧).

وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾(٨). وقوله:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾(٩).

ومثله كثير، ونحن نذكر ذلك كلّه في مواضعه إن شاء الله تعالى؛

وإنّما ذكرنا من الأبواب الّتي اختصرناها من الكتاب آية واحدة، ليُستدلّ بها

---

(١) الصف: ١٠ ـ ١٢. (٢) النمل: ٨٩. (٣) الأنعام: ١٦٠.
(٤) غافر: ٤٠. (٥) الحجّ: ١. (٦) لقمان: ٣٣.
(٧) الكهف: ١٣. (٨) يوسف: ٣. (٩) غافر: ٧٨.

على غيرها، ويعرف معنى ما ذكرناه ممّا في الكتاب من العلم. وفي ذلك الّذي ذكرناه كفاية لمن شرح الله صدره وقلبه للإسلام، ومنَّ عليه بدينه الّذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه ورُسُله، وبالله نستعين، وعليه نتوكّل،

ونسأله العصمة والتوفيق والعون، على ما يُقرِّبنا منه، ويزلفنا لديه.

وأستفتح الله الفتّاح العليم الّذي من استمسك بحبله، ولجأ إلى سلطانه، وعمل بطاعته، وانتهى عن معصيته، ولزم دين أوليائه وخلفائه، نجا بحوله وقوّته، وأسأله عزّوجلّ أن يصلّي على خيرته من خلقه، محمّد وآله الأخيار الأبرار الأطهار.[1]

□ ■ □

(١) راجع في ذلك ما جمعناه من رواية النعماني بإسناده في كتابنا جامع الأخبار والآثار: ٣/٥٧ـ ٣١٦.



سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ «١»

١ ـ حدّثني أبو الفضل العبّاس بن محمّد بن القاسم بن حمزة بن موسىٰ بن جعفر عليهما السلام قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن إبراهيم، قال: حدّثني أبي رضي الله عنه، عن محمّد ابن أبي عمير، عن حمّاد [بن عيسى]، عن حريز[1]، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: وحدّثني أبي، عن حمّاد و عبدالرحمان بن أبي نجران و ابن فضّال، عن عليّ بن[2] عقبة، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: وحدّثني أبي، عن النضر بن سويد وأحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: وحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي وهشام بن سالم؛

وعن كلثوم بن الهرم[3]، عن عبدالله بن سنان وعبدالله بن مسكان؛

وعن صفوان وسيف بن عميرة وأبي حمزة الثمالي؛

وعن عبدالله بن جندب والحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

قال: وحدّثني أبي، عن حنّان وعبدالله بن ميمون القدّاح وأبان بن عثمان، عن عبدالله بن شريك العامري، عن مفضّل بن عمر وأبي بصير، عن أبي جعفر

---

(١) في المصدر: «حريث»، مصحّف، صوابه ما في المتن، راجع رجال النجاشي: ٣٧٥/١٤٤.

(٢) «عن عقبة» خ. والصواب ما في المتن راجع معجم رجال الحديث: ٩٦/١٢.

(٣) قال السيّد الخوئي: كذا في أكثر النسخ، ولكن في الطبعة الحديثة «العدم» معجم رجال الحديث: ١١٩/١٤، وقال الزنجاني في الجامع: ٦٤٣/٢: ولا بُعد أن يكون «الهرم» مصحّف «الحرّاني»، وفي البحار: ٢٢٩/٩٢ ح٨، «الهدم» مصحّف.

وأبي عبد الله عليهما السلام، قالا في تفسير ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

قال: وحدّثني أبي، عن عمرو بن إبراهيم الراشدي وصالح بن سعيد ويحيى بن أبي عمران[1] وإسماعيل بن مرّار وأبي طالب عبدالله بن الصلت، عن عليّ بن يحيى[2]، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

سألته عن تفسير ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال:

الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: ملك الله.

والله: إله كلّ شيء، والرحمن: بجميع خلقه، والرحيم: بالمؤمنين خاصّة.[3]

٢ـ وعن ابن أذينة: قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أحقّ ما أُجهر به، وهي الآية الّتي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾.[4]

﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ «٢ـ٦»

١ـ قال: وحدّثني أبي، عن محمّد بن أبي عمير، عن النضر بن سويد، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ قال: الشكر لله.

---

(١) «يحيى بن أبي عمير» خ، والصواب ما في المتن. راجع جامع الرواة: ٣٢٤/٢، ومعجم رجال الحديث: ٢٦/٢٠.

(٢) «عن أبي يحيى» راجع معجم رجال الحديث: ٢٢١/١٢.

(٣) عنه البحار: ٢٢٩/٩٢ ح٨، والبرهان: ١٠١/١ ح١.

(٤) عنه البحار: ٨٢/٨٥ ح٢٥، وج ٢٢٩/٩٢ ذح٨، والبرهان: ٩٧/١ ح١٠، ونور الثقلين: ٢٤/١ ح٣٤. ورواه العيّاشي في تفسيره: ٥٥/٣ ح٨٦، عنه البحار: ٧٤/٨٥ ضمن ح٣، والبرهان: ٥٣٩/٣ ح٤، ونور الثقلين: ١٩٤/٤ ح٢٤٩، والمستدرك: ١٨٤/٤ ذح٢ (قطعة)، التنزيل والتحريف: ٦ ح٧ (مخطوط)، عنه المستدرك: ١٨٦/٤ ح٧ (قطعة)، ورواه محمّد بن عليّ بن إبراهيم في العلل، عنه البحار: ٥١/٨٥ ح٤٣، والمستدرك: ١٨٣/٤ ح١، وأخرجه في جامع الأخبار والآثار: ٨٣/٢ ح٢١.

وفي قوله: ﴿رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ قال: خالق الخلق. ﴿الرَّحْمٰن﴾ بجميع خلقه. ﴿الرَّحِيم﴾ بالمؤمنين خاصّة. ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: يوم الحساب؛ والدليل على ذلك قوله: ﴿وقالُوا يَا ويلَنا هَذا يَومُ الدِّين﴾[1] يعني يوم الحساب. ﴿إيّاك نَعبدُ﴾ مخاطبة الله عزّ وجلّ ﴿وإيَّاكَ نَستعِينُ﴾ مثله. ﴿إهدِنا الصِّراط المُستَقِيمَ﴾ قال: الطريق ومعرفة الإمام.[2]

٢ـ قال: وحدّثني أبي، عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿الصِّراطَ المُستَقِيمَ﴾ قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته؛ والدليل على أنّه أميرالمؤمنين عليه السلام، قوله تعالىٰ: ﴿وإنّهُ في أُمِّ الكِتَاب لدَينا لَعليٌّ حَكِيمٌ﴾[3] فهو أمير المؤمنين عليه السلام في أُمّ الكتاب.[4]

٣ـ قال: وحدّثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص[5] بن غياث، قال: وصف أبو عبدالله عليه السلام ﴿الصِّراط﴾ فقال: ألف سنة صعود، وألف سنة هبوط، وألف سنة حدال[6].[7]

٤ـ وعنه، عن سعدان بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الصراط، فقال: هو أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرّ

---

(١) الصافّات: ٢٠.

(٢) عنه البحار: ٢٢٩/٩٢ ح٩، والبرهان: ١٠٧/١ ح٣، ونور الثقلين: ٣٦/١ ح٨٨، وإثبات الهداة: ٢٦٧/١ ح٢٧٠.

(٣) الزخرف: ٤.

(٤) عنه البحار: ٢٢٩/٩٢ ح٩، والبرهان: ١٠٧/١ ح٤ وج ٨٤٥/٤ ح٢، وإثبات الهداة: ٥٥٠/٣ ح٦٠٧، تأويل الآيات: ٣٤/١ ح١٢.

(٥) «جعفر بن غياث» خ، وما في المتن هو الصواب بقرينة الراوي والمروي عنه. أُنظر معجم رجال الحديث: ١٥٢/٦ و٢٥٧/٨، ومعجم رواة الحديث وثقاته: ١١٥٦/٢.

(٦) حدل: مشىٰ في ميلٍ إلى أحد جانبيه (المعجم الوسيط: ١٦١/١).

(٧) عنه البرهان: ١٠٧/١ ح٥، ونور الثقلين: ٣٧/١ ح٩٢.

عليه حبواً[١] ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً، فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً[٢].[٣]

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ * غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ «٦ـ٧»

٥ـ قال: وحدّثني أبي، عن حمّاد، عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قرأ:

«اهدنا الصّراط المستقيم * صراط من أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم وغير الضّالّين»

ثمّ قال: المغضوب عليهم: النصّاب. والضّالّين: اليهود والنصارى.[٤]

٦ـ وعنه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: **«غير المغضوب عليهم وغير الضّالّين﴾** قال:

المغضوب عليهم: النُصّاب. والضّالّين: الشُكّاك الّذين لايعرفون الإمام.[٥]

٧ـ قال: وحدّثني أبي، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ إبليس أنّ أنيناً[٦] لمّا بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله على حين فَتَرةٍ من الرُسُل، وحين أُنزلت[٧] أُمّ الكتاب.[٨]

---

(١) : مشى على أربع ، (مجمع البحرين: ٣٥٧/١). (٢) «بعضاً» البرهان.

(٣) عنه البرهان: ١٠٧/١ ح٦، ونور الثقلين: ٣٧/١ ح٩٣.

(٤) عنه البحار: ٢٠/٢٤ ح٣٤ وج٥١/٨٥ ح٤٣ وج٢٣٠/٩٢ ح٦، والبرهان: ١٠٧/١ ح٧، ونور الثقلين: ٤٠/١ ح١٠٦، وإثبات الهداة: ٢٦٧/١ ح٢٧١.

(٥) عنه البحار: ٢٠/٢٤ ح٣٥ وج٢٣٠/٩٢ ح٧، والبرهان: ١٠٨/١ ح٨، ونور الثقلين: ٤٠/١ ح١٠٧، وتأويل الآيات: ٣٦/١ ح١٦.

(٦) أي صوّت لألم وتأوّه. وفي البرهان «رنّ رنيناً» وكذا في العيّاشي. والرنين: الصياح عند البكاء.

(٧) في البرهان «نزلت».

(٨) عنه البحار: ١٧٩/٨ ح٨ و٢٣٠/٩٢ ح٨، والبرهان: ٩٧/١ ح١١، وفضائل القرآن: ٧/٢ ح٢، الخصال: ٢٦٣/١ ح١٤١ (نحوه)، عنه البحار: ٢٠٤/١١ ح١، وج٢٤٧/٦٣ ح١٠٤، ونور الثقلين: ١٨/١ ح٣، وج٢٠٨/٢ ح٩٢ (وعن الخصال)، العيّاشي: ١٠١/١ ح٨ (نحوه).



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ «١ـ٢»

١ـ قال أبوالحسن عليّ بن إبراهيم [بن هاشم]: حدّثني أبي، عن يحيى بن أبي عِمْران(١)، عن يُونُس، عن سعدان بن مسلم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ قال: ﴿الْكِتَابُ﴾: عليّ عليه السلام، لا شكّ فيه. ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: بيان(٢) لشيعتنا.(٣)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ «٣»

قال: ممّا علّمناهم ينبّؤون(٤) وممّا علّمناهم من القرآن يتلون.

وقال: ﴿الٓمٓ﴾ هو حرف من حروف اسم الله الأعظم، المقطّع في القرآن، الّذي خُوطِب به النبيّ والإمام، فإذا دعا به أُجيب.(٥)

---

(١) «موسى بن عمران» خ، مصحّف، أنظر معجم رجال الحديث: ٧٩/١٩. (٢) «تبيان» البحار.

(٣) عنه البحار: ٤٠٢/٣٥ ح١٨، والبرهان: ١٢٣/١ ح١، العيّاشي: ١٠٨/١ صدر ح٤، معاني الأخبار: ٢٣ ح٢.

(٤) «يَبُثّون» العيّاشي.

(٥) عنه البرهان: ١٢٣/١ح١، العيّاشي: ١٠٨/١ ذح٤ (قطعة)، معاني الأخبار: ٢٣ح٢، وأورد في البحار: ٣٥١/٢٤ ح٦٩، وتأويل الآيات: ٣٧/١ ح١، ما لفظه: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن المفضّل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الٓم» وكلّ حرف في القرآن مقطّعة من حروف اسم الله الأعظم الّذي يؤلّفه الرسول والإمام عليهما السلام فيدعو به فيجاب، قال: قلت: قوله: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ فقال: «الكتاب» أمير المؤمنين عليه السلام لا شكّ فيه أنّه إمام ﴿هدىً للمتّقين﴾ فالآيتان لشيعتنا وهم المتّقون ﴿الّذين يؤمنون بالغيب﴾ وهو البعث والنشور وقيام القائم والرجعة ﴿وممّا رزقناهم ينفقون﴾ قال: ممّا علّمناهم من القرآن يتلون.

والهداية في كتاب الله على وجوه أربعة: فمنها ما هو للبيان للّذين[(١)] يؤمنون بالغيب، قال: يُصدّقون بالبعث، والنشور، والوعد، والوعيد.[(٢)]

[قال عليّ بن إبراهيم:] والإيمان في كتاب الله على أربعة وجوهٍ: فمنه إقرار باللّسان، قد سمّاه الله تعالى إيماناً، ومنه تصديق بالقلب، ومنه الأداء، ومنه التأييد.

الأول: الإيمان الّذي هو إقرار باللّسان، وقد سمّاه الله تبارك وتعالى إيماناً، ونادى أهله به، لقوله[(٣)]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً * وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[(٤)]

قال الصادق عليه السلام: «لو أنّ هذه الكلمة قالها أهل المشرق وأهل المغرب، لكانوا بها خارجين من الإيمان، ولكن قد سمّاهم الله مؤمنين بإقرارهم».

وفي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[(٥)] فقد سمّاهم الله مؤمنين بإقرارهم، ثمّ قال لهم: ﴿آمِنُواْ﴾ أي صدّقوا.

الثاني: الإيمان الّذي هو التصديق بالقلب، فقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[(٦)] يعني صَدّقوا.

وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾[(٧)] أي لا نصدّقك.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ﴾ أي يا أيّها الّذين أقرّوا، صدِّقوا.

فالإيمان الخفيّ هو التصديق، وللتصديق شروط لا يتمّ التصديق إلّا بها، لقوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

---

(١) في البرهان: على وجوه فـ﴿هدى﴾ هو البيان.

(٢) عنه البحار: ٦٨/٢٧٣ صدر ح ٣٠، والبرهان: ١/١٢٩ ح ١١.

(٣) «بقوله» خ.

(٤) النساء: ٧١ ـ ٧٣.

(٥) النساء: ١٣٦.

(٦) يونس: ٦٣ ـ ٦٤.

(٧) البقرة: ٥٥.

وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١]

فمن أقام بهذه الشروط فهو مؤمن مصدِّق.

الثالث: الإيمان الّذي هو الأداء: فهو قوله تعالىٰ لمّا حوّل الله قبلة رسوله إلى الكعبة، قال أصحاب رسول الله ﷺ:

يا رسول الله! فصلواتنا إلى بيت المقدس بطلت؟! فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[٢] فسمّى الصّلاة إيماناً.

الرابع: من الإيمان: هو التأييد، الّذي جعله الله في قلوب المؤمنين، من روح الإيمان، فقال: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣]

والدليل على ذلك قوله ﷺ: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن» يفارقه روح الإيمان ما دام على بطنها، فإذا قام عاد إليه. قيل: وما الّذي يُفارقه؟ قال: الّذي يدعه في قلبه، ثمّ قال ﷺ: ما من قلبٍ إلّا وله أُذنان: على أحدهما ملك مُرشد، وعلى الأُخرى شيطان مغترّ[٤] هذا يأمُره، وهذا يزجُره.

ومن الإيمان ما قد ذكره الله في القرآن خبيث وطيب، فقال[٥]:

﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[٦]

ومنهم من يكون مؤمناً مصدّقاً، ولكنّه يلبس إيمانه بظلمٍ، وهو قوله:

---

(١) البقرة: ١٧٧. (٢) البقرة: ١٤٣. (٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) الغرّار: الخدّاع. «مُفتّن» البحار. (٥) «حيث قال» خ.

(٦) آل عمران: ١٧٩.

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[١] فمن كان مؤمناً ثمّ دخل في المعاصي الّتي نهى الله عنها فقد لبس إيمانه بظُلم، فلا ينفعه الإيمان حتّى يتوب إلى الله من الظُلم الّذي لَبَس إيمانه حتّى يُخلص لله إيمانه.

فهذه وجوه الإيمان في كتاب الله عزّ وجلّ.[٢]

قوله: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ «٤»

قال: بما اُنزل من القرآن إليك، وما اُنزل على الأنبياء من قبلك من الكتب.[٣]

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ «٦»

٢ ـ **فإنّه حدّثني أبي**، عن بكر بن صالح، عن أبي عمرو الزبيري[٤]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الكفر في كتاب الله على خمسة وجوه:

فمنه كفر الجُحود، وهو على وجهين: جحود بعلم، وجحود بغير علم؛

فأمّا الّذين جحدوا بغير علم، فهم الّذين حكى الله عنهم في قوله:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٥]

---

(١) الأنعام: ٨٢. وقال تعالى: ﴿إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أُولئك هم الصادقون﴾ «الحجرات: ١٥» ﴿والّذين آمنوا بالله ورسله أُولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم ...﴾ «الحديد: ١٩».

(٢) عنه البحار: ٢٧٣/٦٨ ح ٣٠، والبرهان: ١٢٩/١ ح ١٢. (٣) عنه البرهان: ١٣١/١ ح ١.

(٤) هو محمّد بن عمرو بن عبدالله بن مصعب بن الزبير الزبيري، أبو عمرو. اُنظر معجم: ٧٩/١٧ و ٢٥٨/٢١، وفي الكافي: ٣٨٩/٢ ح ١، بكر بن صالح، عن القاسم بن يزيد، عن أبي عمرو الزبيري.

(٥) الجاثية: ٢٤.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ فهؤلاء كفروا وجحدوا بغير علم. وأمّا الّذين كفروا وجحدوا بعلم، فهم الّذين قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانُواْ مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ﴾[١] فهؤلاء [الّذين] كفروا وجحدوا بعلم.

٣ـ قال: وحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ـ يعني التوراة والإنجيل ـ يَعْرِفُونَهُ ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ـ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ﴾[٢] لأنّ الله عزّ وجلّ قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمّد صلى الله عليه وآله، وصفة أصحابه، ومبعثه، وهجرته[٣]، وهو قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾[٤]

فهذه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه في التوراة والإنجيل، فلمّا بعثه الله عزّ وجلّ عرفه أهل الكتاب، كما قال الله جلّ جلاله: ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ﴾!

وكانت اليهود يقولون للعرب قبل مجيء[٥] النبيّ صلى الله عليه وآله: أيّها العرب هذا أوان نبيّ يخرج بمكّة، وتكون هجرته إلى المدينة، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يلبس الشملة، ويجتزي بالكسرة والتميرات! ويركب الحمار العريّ[٦] وهو الضحوك القتّال؛ يضع سيفه على عاتقه، ولايبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر، وليقتلنّكم [الله] به يا معشر العرب قتل عادٍ! فلمّا بعث الله نبيّه بهذه الصفة حسدوه، وكفروا به كما قال الله عزّ وجلّ:

---

(١) البقرة: ٨٩.
(٢) البقرة: ١٤٦.
(٣) «ومهاجره» البحار، «مهاجرته» البرهان، «بنعته ومنهاجه» خ.
(٤) الفتح: ٢٩.
(٥) «مخرج» خ.
(٦): أي بلا سرج.

﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ﴾.

ومنه كفر البراءة، وهو قوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾[1] أي يتبرّأ بعضكم من بعض.

ومنه كفر الترك لِمَا أمرهم الله تعالى، وهو قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ﴾[2] أي ترك الحجّ وهو مستطيع فقد كفر.

ومنه كفر النعم، وهو قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ﴾[3] أي ومن لم يشكر نعمة الله فقد كفر.

فهذه وجوه الكفر في كتاب الله.[4]

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ - إلى قوله - فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ «٨ـ١٥»

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فإنّها نزلت في قوم منافقين، أظهروا لرسول الله الإسلام، وكانوا إذا رأوا الكفّار، قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ وإذا لقوا المؤمنين، قالوا: نحن مؤمنون! وكانوا يقولون للكفّار: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ فردّ الله عليهم: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ والإستهزاء من الله تعالىٰ هو العذاب.[5]

﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي يدعهم.[6]

وقوله: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى...﴾ «١٦ و١٧»

والضلالة هاهنا: الحيرة. والهدى: هو البيان. فاختاروا الحيرة والضّلالة على

---

(١) العنكبوت: ٢٥. (٢) آل عمران: ٩٧. (٣) النمل: ٤٠.

(٤) عنه البحار: ٩٢/٧٢ ح ٢، إثبات الهداة: ٣٨٦/١ ح ١٢٠، ونور الثقلين: ١٢٥/١ ح٢٧٨ (قطعة) وص١٧٠ ح٤٢٢ (قطعة)، والبرهان: ٣٤٧/١ ح٢ (قطعة).

(٥ و٦) عنه البحار: ١٧٤/٩ ح٣، والبرهان: ١٣٦/١ ح٢ وص١٤٦ ح٦.

[الهُدى و] البيان، فضرب الله فيهم مثلاً، فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.[١]

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ -إلى قوله- وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ «١٨ـ٢٥»

وقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ والصمّ: الّذي لايسمع. والبُكم: الّذي يُولد من اُمّه أبكم. والعُمي: الّذي يكون بصيراً ثمّ يعمى.[٢]

قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ أي كمطر من السماء، وهو مثل للكفّار.

قوله: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ أي يُعْمي.[٣]

قوله: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ أي في شكٍّ.

وقوله: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم -يعني الّذين عبدوهم وأطاعوهم- مِّنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[٤]

قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ قال: يؤتون من فاكهة واحدة على ألوان متشابهة.[٥]

قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي لايَحِضْنَ ولا يُحْدِثْنَ.[٦]

وأمّا قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً...﴾ «٢٦ـ٢٧»

٤ـ **فإنّه قال الصادق** عليه السلام: إنّ هذا القول من الله عزّ وجلّ ردّ على من زعم أنّ الله

(١) عنه البحار: ١٧٥/٩ ذح٣، والبرهان: ١٤٧/١ ح٢. (٢) عنه البرهان: ١٤٩/١ ح٥.

(٣) عنه البرهان: ١٥١/١ح٢. (٤) عنه البحار: ٢٠٣/١٧ ح١. (٥) عنه نور الثقلين: ٦٢/١ ح٥٩.

(٦) البرهان: ١٥٧/١ ح٦ وج٢/ ١٠٠ ح٣٨، عن من لا يحضره الفقيه: ٨٩/١ح١٩٥ (مثله).

تبارك وتعالى يضلّ العباد، ثمّ يعذّبهم على ضلالتهم، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.(١)

٥ ـ **قال: وحدّثني أبي،** عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن المعلّى بن خُنَيس، عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فالبعوضة أمير المؤمنين عليه السلام، وما فوقها رسول الله صلى الله عليه وآله.

والدليل على ذلك قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾

يعني أميرالمؤمنين عليه السلام، كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الميثاق عليهم له.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ويهدي به كثيراً﴾

فردّ الله عليهم، فقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ـ في عليّ ـ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ـ يعني من صِلة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام ـ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.(٢)

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ ـ إلى قوله ـ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ «٢٨»

وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ـ أي نطفة مَيْتةً وعَلَقةً ـ فَأَحْيَاكُمْ ـ فأجرى فيكم الروح ـ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ـ بعد ـ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ـ في القيامة ـ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[قال:] والحياة في كتاب الله عزّ وجلّ على وجوه كثيرة: فمن الحياة: ابتداء خلق الإنسان في قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾(٣)

فهي الروح المخلوقة الّتي خلقها الله، وأجراها في الإنسان.

والوجه الثاني من الحياة: يعني به نبات الأرض، وهو قوله:

---

(١) عنه البحار: ٧/٥ ح٦، ونور الثقلين: ٦٣/١ ح٦٣، والبرهان: ١٦١/١ ح٤.

(٢) عنه البحار: ٣٩٣/٢٤، والبرهان: ١٥٨/١ ح١، ونور الثقلين: ٦٤/١ ح٦٤.

(٣) الحجر: ٢٩.

﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1] والأرض المَيْتَة: الّتي لانبات لها، فإحياؤها بنباتها.

ووجه آخر من الحياة: وهو دخول الجنّة [والخلود فيها] وهو قوله:

﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2] يعني [الدخول و] الخلود في الجنّة، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[3].[4]

وأمّا قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ «٣٥»

٦ـ **فإنه حدّثني أبي**، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سئل عمّا ندب الله الخلق إليه، أدخل فيه الضُّلاّل؟

قال: نعم، والكافرون دخلوا فيه، لأنّ الله تبارك وتعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، فدخل في أمره الملائكة وإبليس، فإنّ إبليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله، وكانت الملائكة تَظنّ أنّه منهم ولم يكن منهم.

فلمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد، فعلمت الملائكة عند ذلك أنّ إبليس لم يكن منهم.

فقيل له عليه السلام: فكيف وقع الأمر على إبليس، وإنّما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ فقال عليه السلام: كان إبليس منهم بالولاء، ولم يكن من جنس الملائكة، وذلك أنّ الله خلق خلقاً قبل آدم، وكان إبليس منهم[5] حاكماً في الأرض، فَعَتَوا وأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله الملائكة فقتلوهم، وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء، فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام.[6]

---

(١) الروم: ١٩. (٢) الأنفال: ٢٤. (٣) العنكبوت: ٦٤.

(٤) عنه البرهان: ١/١٦٢ ح ٢. (٥) «فيهم» البحار.

(٦) عنه البحار: ٦٣/٢٣٤ ح ٧٣ وص ٢٧٣ ح ١٦٠، والبرهان: ١/١٧٠ ح ٤، ونور الثقلين: ١/٧٥ ح ٩٣.

٧ـوحدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن ثابت الحدّاد[١]، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

إنّ الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعد ما مضى من الجنّ والنَسْناس[٢] في الأرض سبعة آلاف سنة، وكان من شأنه خلق آدم، فكشط[٣] عن أطباق السماوات وقال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض مِن خَلْقي من الجنّ والنَسْناس! فلمّا رأوا ما يعملون فيها من المعاصي، وسَفْكِ الدماء، والفساد في الأرض بغير الحقّ، عظم ذلك عليهم، فغضبوا وتأسّفوا على أهل الأرض، ولم يَمْلِكوا غضبهم، فقالوا: ربّنا إنّك أنت العزيز، القادر، الجبّار، القاهر، العظيم الشأن، وهذا خَلْقك الضعيف، الذليل، يتقلّبون في قَبْضَتك، ويعيشون بِرزْقك، ويستمتعون[٤] بعافيتك، وهم يَعْصُونك بمثل هذه الذنوب العظام، لاتأسَف عليهم، ولاتَغْضَب، ولاتنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى، وقد عظم ذلك علينا، وأكبرناه[٥] فيك! قال: فلمّا سمع ذلك من الملائكة قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يكون حجّة لي في الأرض على خلقي. فقالت الملائكة:

سبحانك! ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كما [أ]فسد بنو الجانّ، ويسفكون الدماء كما سفك بنو الجانّ، ويتحاسدون، ويتباغضون، فاجعل ذلك الخليفة منّا، فإنّا لانتحاسد ولا نتباغض، ولانَسفِك الدماء، ونُسبّح بحمدك، ونُقدّس لك.

قال جلّ وعزّ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ إنّي اُريد أن أخلق خلقاً بيدي، وأجعل من

---

(١) هو ثابت بن هرمز، أبو المقدام العجلي، والد عمرو بن أبي المقدام.

(٢) : جنس من الخلق يَثِبُ أحدهم على رِجْلٍ واحدة (الصحاح: ٩٨٣/٣). قال ابن الأثير في النهاية: (٥٠/٥) في حديث أبي هريرة: «ذهب الناس وبقي النسناس» قال: قيل: هم يأجوج ومأجوج، وقيل: خلق على صورة الناس، أشبهوهم في شيء، وخالفوهم في شيء، وليسوا من بني آدم، وقيل: هم من بني آدم.

(٣) : كشف. (٤) «ويتمتّعون» خ. (٥) أكبرت الشيء: استعظمته.

ذرّيّته أنبياء ومرسلين، وعباداً صالحين [و] أئمّة مهتدين، وأجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي، ينهونهم عن معصيتي، ويُنذرونهم من عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي، وأجعلهم لي حُجّة عليهم، [وعُذراً ونُذراً] وأُبيد[1] النسناس من أرضي، وأُطهّرها منهم، وأنقل مَرَدَة الجِنّ العصاة من بريّتي وخلقي وخيرتي، وأُسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض، فلا يجاورون نَسْل خلقي، وأجعل بين الجِنّ وبين خَلْقي حجاباً، فلا يرىٰ نَسل خَلْقي الجنّ، ولايجالسونهم ولا يخالطونهم، فمن عصاني من نَسل خَلْقي الّذين اصطفيتهم، أسكنتهم مساكن العُصاة، وأوردتهم مواردهم ولاأُبالي.

قال: فقالت الملائكة: يا ربّنا افعل ما شئت ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾. قال: فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام. قال:

فلاذوا بالعرش، وأشاروا بالأصابع، فنظر الربّ عزّ وجلّ إليهم ونزلت الرحمة، فوضع لهم البيت المعمور[2] فقال: طُوفوا به ودَعُوا العرش فإنّه لي رضاً. فطافوا به، وهو البيت الّذي يدخُله كلّ يوم سبعون ألف مَلَكٍ لايعودون إليه أبداً.

فوضع الله البيت المعمور توبة لأهل السماء، ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[3]

قال: وكان ذلك من الله تقدمةً في آدم قبل أن يخْلُقه، واحتجاجاً منه عليهم، قال: فاغترف ربّنا عزّ وجلّ غرفة بيمينه من الماء العَذْب الفُرات ـ وكِلتا يديه

---

(١) «أُبين» البرهان والبحار. أبان الشيء: فصله و أبعده.

(٢) قيل: هو في السماء حيال الكعبة ضجّ من الغرق فرفعه الله إلىٰ السماء، وبقي أُسّه يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَكٍ ثمّ لايعودون إليه. والمعمور: المأهول، وعمرانه: كثرة غاشيه من الملائكة (مجمع البحرين: ١٢٦٩/٢).

(٣) الحجر: ٢٨ ـ ٢٩.

يمين[١]- فصلصلها في كفّه حتّى جَمَدت، فقال لها: «منك أخلق النبيّين والمرسلين، وعبادي الصالحين، والأئمة المهتدين، والدُعاة إلى الجنّة وأتباعهم إلى يوم القيامة، ولا أبالي، ولا أُسأل عمّا أفعل وهم يُسألون».

ثمّ اغترف غُرفةً أخرى من الماء المالح الأجاج[٢] فصَلْصَلها في كفّه فجمدت، فقال لها: «منك أخلُقُ الجبّارين والفَراعِنة والعتاة، وإخوان الشياطين، والدُعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم ولاأُبالي، ولاأُسأل عمّا أفعل وهم يُسألون».

قال: وشرط في ذلك البَدَاء[٣] فيهم ولم يشترط في أصحاب اليمين البَداء، ثمّ

---

(١) قال المجلسيّ رحمه الله: يمكن توجيهه بوجوه ثلاثة: الأوّل: أن يكون المراد باليد القُدرة، واليمين كناية عن قُدرته علىٰ اللطف والإحسان والرحمة، والشِّمال كناية عن قُدرته علىٰ القهر والبلايا والنقمات، والمراد بكون كلّ منهما يميناً كون قهره ونقمته وبلائه أيضاً لطفاً وخيراً ورحمة. والثاني: أن يكون المراد علىٰ هذا التأويل أيضاً أنّ كلًا منهما كامل في ذاته لانقص في شيء منهما. والثالث: أن يكون المراد بيمينه يمين الملك الّذي أمره بذلك، وبكون كلتا يديه يميناً مساواة قوّة يديه وكمالهما. (بحار الأنوار: ١٠٧/١١).

وقال ابن الأثير: أي أنّ يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال، لانقص في واحدةٍ منهما، لأن الشِّمال تنقُصُ عن اليمين، وكلّ ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد والأيدي، واليمين وغير ذلك من أسماء الجوارح إلىٰ الله تعالىٰ، فإنّما هو على سبيل المجاز والاستعارة، والله منزّه عن التشبيه والتجسيم. (النهاية: ٣٠١/٥).

(٢) لا يقال أنّ هذا الخبر مؤيّد للمجبرة الّذين يقولون بعدم اختيار العباد، لأنّه يقال: إنّ الله تعالى عالم بسريرة العباد قبل خلقهم وخبير بمصيرهم إلى الحسن أو القبح بدون أن يكون لهذا العلم دخل في أفعالهم لأنّ العلم بالشيء لا يكون مؤثّراً فيه، بل المؤثّر في الأفعال إرادة الفاعل، فلمّا علم الله سبحانه وتعالى أنّ فريقاً من العباد يفعلون الخير والحسنات، وآخرين يرتكبون الفواحش والمنكرات جعل في طينة الأوّلين الماء العذب، إنعاماً عليهم واكراماً لهم ليكون أوفق لهم في مقام الطاعة وأسهل في الإنقياد، وليس هذا على حدّ الإلجاء ولا سبباً لما صدر عنهم من الأعمال الحسنة بل أنّه من الموفقات - وكذلك جعل في طينة الأشرار الماء المالح الأُجاج تخفيضاً وتحقيراً لهم وليس فيه الزام والجاء على فعل القبيح بل هو تابع لإرادتهم كما ذكر ويؤيّد ما ذكرنا قوله عليه السلام: «وشرطه في ذلك البداء» فاندفع من هذا ما يرد على الأخبار الواردة من هذا القبيل كأخبار الطينة، وأخبار السعادة والشقاوة في بطون الأُمهات ـ.

(٣) بدا له في الأمر: إذا ظهر له استصواب شيء غير الأوّل، والاسم منه البداء كسلام وهو بهذا المعنى مستحيل على ⬅

الله تعالى كما جاءت به الرواية عنهم عليهم السلام: بأن الله لم يبد له من جهل. وقوله عليه السلام: ما بدا الله في شيء إلاّ كان في علمه قبل أن يبدو له. (مجمع البحرين: ١/١٢٥).

قال السيّد الجزائري رحمه الله في زهر الربيع في معنى البداء: إنّه تكثرت الأحاديث من الفريقين في البداء مثل «ما عظم الله بمثل البداء» وقوله: «ما بعث الله نبيّاً حتّى يقرّ له بالبداء» أي يقرّ له بقضاء مجدد في كلّ يوم بحسب مصالح العباد لم يكن ظاهراً عندهم، وكان الاقرار عليهم بذلك للردّ على اليهود حيث زعموا أنّه تعالى فرغ من الأمر، يقولون أنّه تعالى عالم في الأزل بمقتضيات الأشياء فقدّر كلّ شيء على مقتضى علمه.

وقال شيخنا الطوسي رحمه الله في العدّة: وأمّا البداء فحقيقته في اللّغة الظهور، كما يقال «بدا لنا سور المدينة، وقد يستعمل في العلم بالشيء بعد أن لم يكن حاصلاً، فإذا أضيفت هذه اللفظة إلى الله تعالى فمنه ما يجوز إطلاقه عليه ومنه ما لا يجوز، فالأوّل هو ما أفاد النسخ بعينه ويكون إطلاق ذلك عليه على ضرب من التوسّع، وعلى هذا يحمل جميع ما ورد عن الصادق عليه السلام من الأخبار المتضمّنة لإضافة البداء إلى الله تعالى دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن، ويكون وجه إطلاق ذلك عليه تعالى التشبيه هو أنّه إذا كان ما يدلّ على النسخ يظهر به للمكلفين مالم يكن ظاهراً ويحصل لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلاً واطلق على ذلك لفظ «البداء».

قال: وذكر سيّدنا المرتضى وجهاً آخر في ذلك وهو أنّه قال: يمكن حمل ذلك على حقيقته بأن يقال بدا لله بمعنى أنّه ظهر له من الأمر ما لم يكن ظاهراً له، وبدا له من النهي ما لم يكن ظاهراً له، لأن قبل وجود الأمر والنهي لا يكونان ظاهرين مدركين وإنّما يعلم أنّه يأمر وينهى في المستقبل، فأمّا كونه آمراً وناهياً فلا يصحّ أن يعلمه الا إذا وجد الأمر والنهي وجرى ذلك مجرى أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى: ﴿ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم﴾ بأن نحمله على أنّ المراد به حتّى نعلم جهادكم موجوداً، لأنّ قبل وجود الجهاد لا يعلم الجهاد موجوداً وإنّما يعلم كذلك بعد حصوله فكذلك القول في البداء (إنتهى).

ويظهر ممّا أفاده الشيخ رحمه الله عدم الفرق بين البداء والنسخ ولكن يمكن أن يقال في مقام الفرق بينهما أن الأوّل يطلق على ما يتعلق بالاصول المنوطة - بالاعتقاد التي لا دخل له في العمل، والثاني مخصوص بالفروع والشرائع المتعلقة بأعمال المكلّفين، وهذا الفرق غير خفيّ على كلّ حفي، وأحسن ما يمكن التمثيل به في معنى البداء قوله تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ثم أتممناها بعشر﴾ «الأعراف: ١٤٢» فواعد الله موسى لاعطاء التوارة ثلاثين ليلة، ثمّ غيّر الوعد المذكور على الظاهر باضافة عشر ليال، ولم يكن هذا التغيير لأجل سنوح مصلحة جديدة كانت خفية عنه سابقاً بل المعنى أنّ الميعاد المقرّر عند الله لم يكن إلاّ أربعين ليلة، لكنّه بيّن أوّلاً بأنّه ثلاثون لحكمة امتحان إيمان تابعي موسى، فمنهم من ثبت عند هذا الإمتحان، ومنهم من خرج عن ربقة

خلط الماءين جميعاً في كفّه فصَلْصَلهما، ثمّ كفأهما قدّام عرشه وهما سُلالة[١] من طين، ثمّ أمر الله الملائكة الأربعة: الشمال، والجنوب، والصبا[٢]، والدّبور، أن يجولوا[٣] على هذه السلالة من الطين. فأمرأوها[٤] وأنشؤوها، ثمّ أنزوها[٥] وجزّءوها، وفصّلوها، وأجروا فيها الطبائع الأربعة:

الريح، والدم، والمرّة، والبَلْغَم.

فجالت الملائكة عليها، وهي: الشمال، والجَنُوب، والصبا، والدبُور، فأبدأوها وانشؤوها ثمّ أبرأوها وجزّأوها وفصّلوها وأجروا فيها الطبائع الأربعة:

فالريح في الطبائع الأربعة من البدن من ناحية الشمال، والبَلْغَم في الطبائع

⬅ الإيمان، وتعبّد بالعجل والأوثان، وبعد ما إنتهى هذا الإبتلاء أتمّ الميعاد بإضافة عشر ليال، والدليل على أنّ الميعاد المقرر عند الله كان أربعين ليلة لا غير قوله تعالى: ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتّخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ «البقرة: ٥١» قال البلاغي: «أربعين ليلة باعتبار مجموع العددين، الوعد الأول - وهو ثلاثون ليلة - والثاني، وهو إتمامها بعشر كما في سورة الأعراف».

فعلى هذا لا يرد على البداء من أنّه موجب لجهله تعالى عن عواقب الأمور أو موجب للتغير في علمه، أو نقصانه، لأنّ التغير في المعلوم دون العالم، وإن سلم فهو اعتباري غير قادح في وجوبه كما أشار إليه بقوله: ﴿كلّ يوم هو في شأن﴾ «الرحمن: ٢٩».

ومن هذا يظهر أيضاً دفع الإشكال الوارد على الحديث المشهور عن الصادق عليه السلام في ولده إسماعيل عند وفاته، وهو قوله عليه السلام: «ما بدا الله في كلّ شيء كما بدأله في اسماعيل» وقد بين له معان لا يسعني ذكرها فنقتصر على ما خطر في خاطري وهو أنّه: لمّا كان الغرض المهمّ من خلقه الكون خلقة الإنسان، والمهمّ في خلقهم بعث الأنبياء، والمهمّ في بعثهم نبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، والمهمّ في بقاء شريعته صلى الله عليه وآله إمامة اثنى عشرة أئمّة، فكانت النتيجة أنّ هذه الإمامة مدار الكون، فكان الإبتلاء فيها من أهمّ الابتلاءات، فكان ظهور البداء فيها من أعظم البدوات الّتي إمتحن الله بها قلوب العباد. والله العالم.

(١): ما استُلّ منه، والنطفة سلالة الإنسان (الصحاح: ١٧٣١/٥).

(٢): ريح تهبّ من مطلع الشمس تجيء من ظهرك إذا استقبلت القبلة، والدّبور عكسها وعن بعض أهل التحقيق: انّ الصبا محلّها ما بين مطلع الشمس والجدي في الاعتدال، والشمال محلّها من الجدي إلى مغرب الشمس في الإعتدال، والدّبور من سُهيل إلى المغرب، والجنَوب من مطلع الشمس إليه. (مجمع البحرين: ١٠٠٨/٢).

(٣) جال: ذهب وجاء. (٤): أي هذّبوها وطيّبوها. (٥) أنزا الشيء: تصلّب وتشدّد.

الأربعة من ناحية الصبا، والمرّة في الطبائع الأربعة من ناحية الدُبـور، والدم فـي الطبائع الأربعة من ناحية الجنوب. قال: فاستقلّت النَسْمة[1]، وكمل البدن؛

فلَزِمه من ناحية الريح: حبّ النساء، وطول الأمل، والحِرْص.

ولَزِمه من ناحية البَلْغَم: حبّ الطعام، والشراب، والبِرّ، والحِلْم، والرِفْق.

ولَزِمه من نـاحية المـرّة: [الحبّ و] الغـضب، والسَـفَه، والشـيطنة، والتـجبّر، والتمرّد، والعجَلَة.

ولَزِمه من ناحية الدم: حبّ الفساد[2]، واللذّات، ورُكوب المحارم، والشهوات.

قال أبو جعفر عليه السلام: وجدنا هذا في كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام، فخلق الله آدم عليه السلام، فبقي أربعين سنةً مُصوّراً، فكان يمرّ به إبليس اللّعين فيقول: لأمر ما خُلقت!

قال العالم عليه السلام: فقال إبليس لعنه الله: لئن أمرني الله بالسجود لهذا لأعصينّه!

قال: ثمّ نفخ فيه، فلمّا بلغت الروح فيه إلى دِماغه عطس عطسة جـلس مـنها فقال: الحمد لله. فقال الله تعالى له: «يرحمك الله».

قال الصادق عليه السلام: فسبقت له من الله الرحمة.

ثمّ قال الله تبارك وتعالى للملائكة: ﴿اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ﴾ له، فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد فأبىٰ أن يسجد، فقال الله عزّ وجلّ:

﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[3].

٨ ـ قال الصادق عليه السلام: أوّل من قاس إبليس واستكبر، والإستكبار هو أوّل معصية عُصي الله بها. قال، فقال إبليس: يا ربّ اعفني من السجود لآدم عليه السلام، وأنا أعبُدُك عبادةً لم يعبدكها مَلَك مقرّب ولا نبيّ مرسل! فقال الله تبارك وتعالى:

«لا حاجة لي إلى عبادتك، إنّما أُريد أن أُعبد من حيث أُريد لا من حيث تُريد».

---

(١) النفس والنسمة: الإنسان «مجمع البحرين: ١٧٧٩/٣».

(٢) «النساء» البحار.

(٣) الأعراف: ١٢.

فأبىٰ أن يسجُد، فقال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[١]

فقال إبليس: يا ربّ! كيف وأنت العدل الّذي لاتجور ولا تظلم، فثواب عملي بطَل؟! قال: «لا، ولكن سَلني من أمر الدنيا ماشئت ثواباً لعملك، فأعطيك».

فأوّل ما سأل البقاء إلى يوم الدين، فقال الله: «قد أعطيتك».

قال: سلّطني على ولد آدم. فقال: «قد سلّطتك».

قال: أجْرِني فيهم كمجرى الدم في العروق. فقال: «قد أجريتك».

قال: ولايُولد لهم واحد إلّا ولد لي اثنان، وأراهم ولايروني، وأتصوّر لهم في كلّ صورة شئت. فقال الله: «قد أعطيتك».

قال: يا ربّ، زدني. قال: «قد جعلت لك ولذرّيّتك في صدورهم أوطاناً».

قال: ربّ حسبي. فقال إبليس عند ذلك:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[٣].[٤]

٩ ـ قال: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أعطى الله تبارك وتعالى إبليس ما أعطاه من القوّة، قال آدم عليه السلام:

يا ربّ! سلّطت إبليس على ولدي، وأجريته فيهم مجرى الدم في العروق، وأعطيته ما أعطيته، فما لي ولولدي؟

فقال: «لك ولولدك السيّئة بواحدة، والحسنة بعشرة أمثالها».

---

(١) ص: ٧٧ و ٧٨. (٢) ص: ٨٢ و ٨٣. (٣) الأعراف: ١٧.

(٤) عنه البحار: ٢٣٧/٥ ح١٦ (قطعة)، وج ١٠٣/١١ ح١٠، وص ١٤١ ح٧ (قطعة)، وج ٢٧٣/٦٣ ح ١٦١ (مختصر)، وإثبات الهداة: ٢٦٧/١ ح ٢٧٢ (قطعة)، والبرهان: ١٧١/١ ح ٥، ونور الثقلين: ٧٦/١ ح ٩٤ (قطعة)، وج ٤٣٣/٢ ح ٢٨ (قطعة)، العيّاشي: ٤٢٦/٢ ح ٧ (نحوه)، وأورده في علل الشرائع: ١٠٤/١ ح ١ (نحوه)، عنه البحار: ٣٠١/٦١ ح ٧ (وعن القمّي)، وج ٤٤٤/٢ ح ٣٣٧ (قطعة).

قال: يا ربّ زدني. قال: «التوبة مبسوطة إلى حين[1] تبلغ النفس الحلقوم».

فقال: يا ربّ زدني. قال: «أغفر ولا أُبالي». قال: حسبي.

قال: قلت له: جعلت فداك، بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه؟

فقال: بشيء كان منه شكره الله عليه. قلت: وما كان منه، جعلت فداك؟

قال: ركعتين ركعهما في السماء في أربعة آلاف سنة.[2]

وأمّا قوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾ «٣٥»

١٠ ـ فإنّه حدّثني أبي رفعه، قال: سُئل الصادق عليه السلام عن جنّة آدم، أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟

فقال: كانت من جنان الدنيا، تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما أُخرج منها أبداً، ولم يدخلها إبليس؛

قال: أسكنه الله الجنّة وأتى جهالةً إلى الشجرة فأخرجه، لأنّه خلق خلقة لايبقى إلّا بالأمر والنهي [والغذاء] واللباس، والأكنان[3] والنكاح، ولايدرك ما ينفعه ممّا يضرّه إلّا بالأمر والنهي والتوفيق من الله.[4]

فجاءه إبليس، فقال: إنّكما إن أكلتما من هذه الشجرة الّتي نهاكما الله عنها،

---

(١) «أن» البحار.

(٢) عنه البحار: ١١/١٤٢ ح٨، وج٦٣/٢٧٥ ح١٦٢، والبرهان: ١/١٧٤ ح٦، ونور الثقلين: ٢/٤١٩ ح٣٦٦ (قطعة)، وص٤٣٤ ح٢٩، وج٨/٣٨٨ ح٨ (قطعة)، والوسائل: ٣/٢٥ ح٥، وج٤/٩٢٨ ح٨، وج١١/٣٧٠ ح٥، الجواهر السنيّة: ٦٢ (قطعة)، والمستدرك: ٤/١١١ ح٢.

(٣)) جمع كنّ، وهو ماكنّ وستر من الحرّ والبرد (مجمع البحرين: ٣/١٥٩٩).

(٤) «إلّا بالتوقيف» البحار والبرهان، والتوقيف: نصّ الشارع المتعلّق ببعض الأمور (المعجم الوسيط: ٢/١٠٥١ وقف).

صرتما ملكين وبقيتما في الجنّة أبداً، وإن لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنّة! وحلف لهما أنّه لهما ناصح كما قال الله عزّ وجلّ حكاية عنه:

﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[١]. فقبل آدم قوله!

«فأكلا من الشجرة» فكان كما حكى الله: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾[٢] وسقط عنهما ما ألبسهما الله من لباس الجنّة، وأقبلا يستتران بورق الجنّة ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٣] فقالا كما حكى الله عزّ وجلّ عنهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤]

فقال الله لهما: ﴿اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[٥] قال: إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ «٣٦»

قال: فهبط آدم على الصفا، وإنّما سمّيت الصفا لأنّ صفوة الله نزل عليها، ونزلت حوّاء على المروة، وإنّما سمّيت المروة لأنّ المرأة نزلت عليها، فبقي آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال: يا آدم ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته؟ قال: بلى.

قال: وأمرك الله أن لا تأكل من الشجرة، فلمَ عصيته؟! قال يا جبرئيل: إنّ إبليس حلف لي بالله أنّه لي ناصح، وما ظننت أنّ خلقاً يخلقه الله أن يحلف بالله كاذباً.[٦]

(١ ـ ٥) الأعراف: ٢٠ ـ ٢٤.

(٦) عنه البحار: ٢٨٥/٦ ح٣ (قطعة) وج١١/١٤٣ ح١٣ (قطعة) وص١٦١ ح٥، والبرهان: ١/١٨٠ ح٤ وج٢/٥٢٢ ح٢، ونور الثقلين: ١/٨١ ح١١٤، وأورد في علل الشرائع: ٢/٦٠٠ ح٥٥، والكافي: ٣/٢٤٧ ح٢ (قطعة مثله).

١١ـ قال: وحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ موسى عليه السلام سأل ربّه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع، فقال له موسى:

يا أبة! ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لاتأكل من الشجرة، فلمَ عصيته؟ فقال: يا موسى! بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين ألف سنة قبل أن خلق آدم. قال: فهو ذلك.

قال الصادق عليه السلام: فحجّ[1] آدم موسى عليهما السلام.[2]

وأمّا قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ «٣٧»

١٢ـ فإنه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ آدم عليه السلام بقي على الصفا أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة، وعلى خروجه من الجنّة من جوار الله عزّ وجلّ، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال:

يا آدم، مالك تبكي؟ فقال: يا جبرئيل، ما لي لا أبكي وقد أخرجني الله من الجنّة من جواره، وأهبطني إلى الدنيا؟! قال: يا آدم تب إليه. قال: وكيف أتوب؟ فأنزل الله عليه قبّة من نور في موضع البيت، فسطع نورها في جبال مكّة، وهو الحرم.

فأمر الله عزّ وجلّ جبرئيل عليه السلام أن يضع عليه الأعلام، قال: «قم يا آدم». فخرج به يوم التروية، وأمره أن يغتسل ويحرم. وأُخرج من الجنّة أوّل يوم من ذي القعدة.

فلمّا أصبح أخرجه إلى عرفات، وقد كان علّمه حين أخرجه من مكّة الإحرام وأمره بالتلبية فلمّا زالت الشمس يوم عرفة، قطع التلبية وأمره أن يغتسل.

فلمّا صلّى العصر أوقفه بعرفات، وعلّمه الكلمات الّتي تلقّاها من ربّه، وهي: «سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوءً وَظَلَمْتُ نَفْسي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبي، فَاغْفِرْ

---

(١): أي غلبه بالحجّة.

(٢) عنه البحار: ٨٩/٥ ح٨، وج١١/١٦٣ ح٦، والبرهان: ١/١٨١ ح٥، ونور الثقلين: ١/٨١ ح١١٥.

لي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوءً وَظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوءً وَظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

فبقي آدم عليه السلام إلى أن غابت الشمس رافعاً يديه إلى السماء يتضرّع ويبكي إلى الله، فلمّا غابت الشمس ردّه إلى المشعر فبات بها، فلمّا أصبح قام على المشعر الحرام، فدعا الله تعالى بكلمات فتاب عليه.

ثمّ أفضى[1] إلى منى، وأمره جبرئيل عليه السلام أن يحلق الشعر الّذي عليه، فحلقه.

ثمّ ردّه إلى مكّة، فأتى به عند الجمرة الأُولى، فعرض له إبليس عندها، فقال: يا آدم أين تريد؟ فأمره جبرئيل عليه السلام أن يرميه بسبع حصيات فرمى، وأن يكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة. ففعل آدم عليه السلام. ثمّ ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثانية، فأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى، وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة.

ثمّ ذهب[2] فعرض له إبليس عند الجمرة الثالثة، فأمره أن يرميه بسبع حصيات، ويكبّر عند كلّ حصاة تكبيرة، [فرمى وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة] فذهب إبليس لعنه الله، وقال له جبرئيل عليه السلام: إنّك لن تراه بعد هذا اليوم أبداً.

فانطلق به إلى البيت الحرام، وأمره أن يطوف به سبع مرّات ففعل.

فقال له: إنّ الله قد قبل توبتك، وحلّت لك زوجتك.

قال: فلمّا قضى آدم حجّه لقيته الملائكة بالأبطح[3]، فقالوا:

يا آدم برّ حجّك، أما إنّا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفي عام.[4]

---

(١) «أفاض» البرهان. (٢) «مضى به» البحار.

(٣) يضاف إلى مكّه وإلى منىٰ، لأنّ المسافة بينه وبينهما واحدة، وربّما كان إلىٰ منى أقرب وهو المحصَّب، وذكر بعضهم أنّه إنّما سمّي أبطح لأنّ آدم عليه السلام بطح فيه «معجم البلدان: ٧٤/١».

(٤) عنه البحار: ١٧٨/١١ ح٢٥، وج٣٥/٩٩ ح١٤، والوسائل: ١٦٩/٨ ح٣٤، والمستدرك: ٣٢٩/٩ ح١، والبرهان: ١٩٢/١ ح٣.

١٣ـ قال: وحدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عمر آدم عليه السلام من يوم خلقه الله إلى قبضه تسعمائة وثلاثين سنة، ودفن بمكّة، ونفخ فيه يوم الجمعة بعد الزوال، ثمّ برأ زوجته من أسفل أضلاعه، وأسكنه جنّته من يومه ذلك، فما استقرّ فيها إلّا ستّ ساعات من يومه ذلك حتّى عصى الله، وأخرجهما من الجنّة بعد غروب الشمس، وما بات فيها.[1]

وأمّا قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ «٣١ و٣٢»

قال: أسماء الجبال، والبحار، والأودية، والنبات، والحيوان، ثمّ قال الله عزّ وجلّ للملائكة: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

فقالوا كما حكى الله سبحانه: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

فقال الله: ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فأقبل آدم يخبرهم ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾

قال الله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فجعل آدم عليه السلام حجّة عليهم.[2]

وأمّا قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ «٤٠»

١٤ـ فإنه حدّثني أبي، عن محمّد بن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال له رجل: جعلت فداك إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] وإنّا ندعو فلا يستجاب لنا! قال: لأنّكم لا تفون الله بعهده، وإنّ الله تعالىٰ يقول:

---

(١) عنه البرهان: ١/١٩٣ ح ٤.

(٢) عنه البحار: ١١/٩٩ ح ١ (قطعة)، و١٤٦ ح ١٦، وص١٤٧ ح ١٨، العيّاشي: ١/١١٨ ح ١٤ عن أبي العبّاس، عن أبي عبدالله عليه السلام (نحوه)، عنه البرهان: ١/١٦٨ ح ١٠، ونور الثقلين: ١/٧٥ ح ٩٢.

(٣) غافر: ٦٠.

﴿أَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ والله لو وفيتم لله لوفىٰ الله لكم.[١]

وأمّا قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ «٤٤»

قال: نزلت في القصّاص والخطّاب، وهو قول أميرالمؤمنين عليه السلام:

وعلى كلّ منبر منهم خطيب مصقع[٢]، يكذب على الله وعلى رسوله، وعلى كتابه. وقال الكميت في ذلك شعراً:

مصيب على الأعواد يوم ركوبها   لما قال فيها مخطىء حين ينزلُ

ولغيره في هذا المعنى:

وغير تقيّ يأمر الناس بالتقى   طبيب يداوي الناس وهو عليلُ[٣]

وقوله جلّ ذكره: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ «٤٥»

قال: الصبر: الصوم[٤]. [وقوله:] ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يعني الصلاة.[٥]

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ «٤٦»

قال: الظنّ في كتاب الله على وجهين: فمنه ظنّ يقين، ومنه ظنّ شكّ؛ ففي هذا الموضع الظنّ يقين، وإنّما الشكّ قوله تعالى:

﴿إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[٦] وقوله: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾[٧].[٨]

---

(١) عنه البحار: ٣٦٨/٩٣ ح٣، البرهان: ٢٠٠/١ ح٤، ونور الثقلين: ٩٣/١ ح١٦٢، و٣٤٣/٦ ح٧١.

(٢) أي بليغ.

(٣) عنه البحار: ٢٢٣/٧٢، البرهان: ٢٠٧/١ ح٤.

(٤) الكافي: ٦٣/٤ ح٧ عن عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سليمان، عمّن ذكره، عن الصادق عليه السلام (مثله)، عنه البرهان: ٢٠٨/١ ح٣، ونور الثقلين: ٩٧/١ ح١٨٢، العيّاشي: ١٣٣/١ ح٤٣ عن عبدالله بن طلحة، عن أبي عبدالله عليه السلام (مثله)، عنه البحار: ٢٥٤/٩٦ ح٣٠، والبرهان: ٢٠٩/١ ح٥، والوسائل: ٢٩٨/٧ ح٣، ومجمع الأنوار: ٢٣٤ ح٦.

(٥) عنه البرهان: ٢٠٩/١ ح١١.

(٦) الجاثية: ٣٢.

(٧) الفتح: ١٢.

(٨) عنه البحار: ٤٤/٧ ح٢٣.

وأمّا قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ «٤٧»

قال: [فإنّ] لفظ العالمين عامّ، ومعناه خاصّ، وإنّما فضّلهم على عالمي زمانهم بأشياء خصّهم بها، مثل المنّ والسلوى، والحجر الّذي انفجر منه اثنتا عشرة عيناً.

وقوله: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ «٤٨»

وهو قوله عليه السلام: والله لو أنّ كلّ ملك مقرّب، أو نبيّ[1] مرسل، شفعوا في ناصبٍ ما شُفّعوا.[2] [﴿وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي فداء.]

وقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ «٤٩»

فإنّ فرعون لمّا بلغه أنّ بني إسرائيل يقولون: يولد فينا رجل يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده، كان يقتل أولادهم الذكور ويدع الإناث.[3]

وأمّا قوله: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً...﴾ «٥١»

فإنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: إنّي أُنزل عليكم التوراة وفيها الأحكام الّتي يحتاج إليها إلى أربعين يوماً، وهو ذو القعدة وعشرة من ذي الحجّة. فقال موسى عليه السلام لأصحابه: إنّ الله قد وعدني أن ينزّل عليّ التوراة والألواح إلى

---

(١) «وكلّ نبيّ» خ. (٢) عنه نور الثقلين: ٩٨/١ ح ١٨٤.

(٣) عنه البحار: ١٠٦/١٣ ح ١.

ثلاثين يوماً، فأمره الله أن لايقول لهم إلى أربعين يوماً فتضيق صدورهم...[١]
ونكتب خبره في سورة طه.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾ «٥٤»

فإنّ موسى عليه السلام لمّا خرج إلى الميقات ورجع إلى قومه وقد عبدوا العجل، قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾

فقالوا: وكيف نقتل أنفسنا؟ فقال لهم موسى عليه السلام: اغدوا ـ كلّ واحد منكم ـ إلى بيت المقدس ومعه سكّين، أو حديدة، أو سيف، فإذا صعدت أنا منبر بني إسرائيل فكونوا أنتم ملثّمين لايعرف أحد صاحبه، فاقتلوا بعضكم بعضاً.

فاجتمع سبعون ألف رجل ممّن كانوا عبدوا العجل إلى بيت المقدس، فلمّا صلّى بهم موسى عليه السلام وصعد المنبر، أقبل بعضهم يقتل بعضاً حتّى نزل جبرائيل عليه السلام، فقال: قل لهم يا موسى: ارفعوا القتل، فقد تاب الله عليكم. فقتل عشرة آلاف؛ وأنزل الله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.[٢]

وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً...﴾ «٥٥»

فهم السبعون الّذين اختارهم موسى ليسمعوا كلام الله، فلمّا سمعوا الكلام، قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ـ يا موسى ـ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾

فبعث الله عليهم صاعقة فاحترقوا، ثمّ أحياهم الله بعد ذلك وبعثهم أنبياء؛

فهذا دليل على الرجعة في اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله فإنّه قال صلى الله عليه وآله: لم يكن في بني إسرائيل شيء إلّا وفي اُمّتي مثله.[٣]

---

(١) عنه البحار: ٢١٣/١٣ ح٧.
(٢) عنه البحار: ٢٢٢/١٣ صدر ح١٥، والبرهان: ٢١٨/١ ح٢.
(٣) عنه البحار: ٢٢٢/١٣ ذح ١٥، ونور الثقلين: ١٠٣/١ ح٢٠٣، الإيقاظ من الهجعة: ١٧٣ ح٢٠.

وقوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى

ـإلى قوله ـ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ «٥٧ـ٦٢»

فإنّ بني إسرائيل لمّا عبر موسى بهم البحر نزلوا في مفازة، فقالوا: يا موسى! أهلكتنا وقتلتنا، وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظلّ ولا شجر ولا ماء!

فكانت تجيء بالنهار غمامة تظلّهم من الشمس، وينزل عليهم باللّيل المنّ، فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلون، وبالعشيّ يأتيهم طائر مشويّ فيقع على موائدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار ومرّ، وكان مع موسى حجر يضعه في وسط العسكر، ثمّ يضربه بعصاه فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً كما حكى الله، فيذهب كلّ سبط في رحله، وكانوا اثني عشر سبطاً.

فلمّا طال عليهم الأمد، قالوا: ﴿يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ والفوم: الحنطة.

فقال لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ فقالوا: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[1] فنصف الآية في سورة البقرة، وتمامها وجوابها لموسى في سورة المائدة.

وقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أي حطّ عنّا ذنوبنا، فبدّلوا ذلك، وقالوا: حنطة، وقال الله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ـ آل محمّد ﷺ حقّهم ـ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.[2]

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ قال: الصابئون: قوم لا مجوس ولا يهود ولا نصارى ولا مسلمين وهم قوم يعبدون الكواكب والنجوم.[3]

---

(١) المائدة: ٢٢.

(٢) عنه البحار: ١٣/١٧٤ ح ٢، والبرهان: ١/٢٢٤ ح ٧ (قطعة).

(٣) عنه البرهان: ١/٢٣٠ ح ١١، ونور الثقلين: ١/١٠٧ ح ٢٢٢.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ «٦٣»

فإنّ موسى عليه السلام لمّا رجع إلى بني إسرائيل ومعه التوراة لم يقبلوا منه؛

فرفع الله جبل طور سيناء عليهم، وقال لهم موسى: لئن لم تقبلوا ليقعنّ الجبل عليكم وليقتلنّكم! فنكّسوا رؤوسهم، فقالوا: نقبله.[١]

وأمّا قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً...﴾ «٦٧ـ٧٣»

١٥ـ قال: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له[٢] وخطبها ابن عمّ لذلك الرجل وكان فاسقاً رديّاً، فلم ينعموا له، فحسد ابن عمّه الّذي أنعموا له، فقعد له فقتله غيلة! ثمّ حمله إلى موسى عليه السلام فقال: يا نبيّ الله هذا ابن عمّي قد قتل! قال موسى: من قتله؟ قال: لا أدري. وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جدّاً، فعظم ذلك على موسى، فاجتمع إليه بنو إسرائيل، فقالوا:

ما ترى يا نبيّ الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة، وكان له ابن بارّ، وكان عند ابنه سلعة، فجاء قوم يطلبون سلعته، وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه، وكان نائماً، فكره ابنه أن ينبّهه وينغص عليه نومه، فانصرف القوم ولم يشتروا سلعته فلمّا انتبه أبوه، قال له: يا بنيّ! ماذا صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها لأنّ المفتاح كان تحت رأسك، فكرهت أن أُنبّهك، وأُنغّص عليك نومك.

فقال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عمّا فاتك من ربح سلعتك.

وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه، وأمر موسىٰ بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلمّا اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجّوا، قال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ

---

(١) عنه البحار: ١٣/٢٠٨ ح١.

(٢) أي قالت له: نعم.

أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ـ فتعجّبوا ـ قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ إنّا نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة! فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فعلموا أنّهم قد أخطأوا،

﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ﴾

والفارض: الّتي قد ضربها الفحل ولم تحمل، والبكر: الّتي لم يضربها الفحل.

﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ـ أي شديدة الصفرة ـ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ ـ أي لم تذلل ـ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ ـ أي لا تسقي الزرع ـ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا ـ أي لا نقط فيها إلّا الصفرة ـ قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ هي بقرة فلان، فذهبوا ليشتروها، فقال: لا أبيعها إلّا بملءِ جلدها ذهباً!

فرجعوا إلى موسى فأخبروه، فقال لهم موسى: لابدّ لكم من ذبحها بعينها. فاشتروها بملء جلدها ذهباً. فذبحوها، ثمّ قالوا: ما تأمرنا يا نبيّ الله؟

فأوحى الله تبارك وتعالى إليه، قل لهم: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ وقولوا: من قتلك؟

فأخذوا الذنب فضربوه به، وقالوا: من قتلك يا فلان؟

فقال: فلان بن فلان، ابن عمّي! الّذي جاء به، وهو قوله:

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[1]

وقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ...﴾ «٧٥ـ٧٩»

فإنّما نزلت في جماعة من اليهود، وقدكانوا أظهروا الإسلام وكانوا منافقين، وكانوا إذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله، قالوا: إنّا معكم! وإذا لقوا اليهود، قالوا: إنّا معكم! وكانوا يخبرون المسلمين بما في التوراة من صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، فقال

---

(١) عنه البحار: ١٣/٢٥٩ ح١، والبرهان: ١/٢٤٤ ح٣، ونور الثقلين: ١/١١٢ ح٢٤٠، والإيقاظ من الهجعة: ١٣٧.

لهم كبراؤهم وعلماؤهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ . فردّ الله عليهم، فقال: ﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .[١]

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ـ أي من اليهود ـ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾

وكان قوم منهم يحرّفون التوراة وأحكامه، ثمّ يدّعون أنّه من عند الله، فأنزل الله فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ .

وقوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً...﴾ «٨٠ـ٨٣»

[قال:] قال بنو إسرائيل: لن تمسّنا النار، ولن نعذّب إلّا الأيّام المعدودات الّتي عبدنا فيها العجل! فردّ الله عليهم، فقال: قل يا محمّد لهم:

﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ .

وقوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ نزلت في اليهود، ثمّ نسخت بقوله:

﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٢] [٣].

وأمّا قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ «٨٤ـ٨٦»

فإنّها نزلت في أبي ذرّ رحمه الله وعثمان بن عفّان[٤]، وكان سبب ذلك لمّا أمر عثمان

---

(١) عنه البحار: ١٧٩/٩ صدر ح٧، والبرهان: ٢٥٦/١ ح٣.
(٢) التوبة: ٥.
(٣) عنه البحار: ١٧٩/٩ ذح٧، ونور الثقلين: ١١٨/١ ح٢٥٧ (قطعة).
(٤) إنّ قضيّة عثمان وأبي ذرّ نالت من الشهرة ما لايكاد يخفى على من له أدنى اطلاع بالتاريخ، فمن شاء فليراجع: مروج الذهب: ٣٣٩/٢، انساب البلاذري: ٥٣/٥، تاريخ اليعقوبي: ١٤٨/٢، طبقات ابن سعد: ١٦٨/٤، صحيح البخاري كتاب الزكاة: عمدة القاري: ٢٩١/٤، شرح نهج البلاغة لمحمّد عبدة: ١٧/٢، كتاب أبي ذرّ الغفاري لعبد الحميد جودة السحار: ص ١٤٤.

بنفي أبي ذرّ رضي الله عنه إلى الربذة[1] دخل عليه أبوذرّ وكان عليلاً متوكّئاً على عصاه، وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النواحي، وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسّمها فيهم، فقال أبوذرّ لعثمان: ما هذا المال؟

فقال عثمان: مائة ألف درهم حملت إليّ من بعض النواحي أُريد أن أضمّ إليها مثلها ثمّ أرى فيها رأيي!

فقال أبو ذرّ: يا عثمان أيّما أكثر مائة ألف درهم، أو أربعة دنانير؟

فقال عثمان: بل مائة ألف درهم. فقال: أما تذكر أنا وأنت وقد دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله عشيّاً فرأيناه كئيباً حزيناً، فسلّمنا عليه فلم يردّ علينا السلام[2] فلمّا أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً، فقلنا له: بآبائنا أنت وأُمّهاتنا دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً، ثمّ عدنا إليك اليوم فرأيناك فرحاً مستبشراً!

فقال: نعم، كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسّمتها، وخفت أن يدركني الموت وهي عندي، وقد قسّمتها اليوم فاسترحت منها.

فنظر عثمان إلى كعب الأحبار، وقال له: يا أبا إسحاق! ما تقول في رجل أدّى زكاة ماله المفروضة، هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيئاً؟ فقال: لا، ولو اتّخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضّة ما وجب عليه شيء! فرفع أبو ذرّ عصاه فضرب بها رأس كعب، ثمّ قال له: يابن اليهوديّة الكافرة ما أنت والنظر في أحكام المسلمين، قول الله أصدق من قولك حيث قال: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.[3]

---

(١) : من قرى المدينة على ثلاثة أيّام، قريبة من ذات عِرْق، وبهذا الموضع قبر أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه (معجم البلدان: ٣/٢٤).

(٢) كذا، والظاهر أنّ هذه الواقعة كانت قبل نزول آية التحيّة.

(٣) التوبة: ٣٤ و ٣٥.

فقال عثمان: يا أباذرّ! إنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، ولولا صحبتك لرسول الله ﷺ لقتلتك. فقال: كذبت يا عثمان، أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ فقال: «لايفتنونك يا أباذر، ولا يقتلونك»، وأمّا عقلي فقد بقي منه ما أحفظه حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فيك وفي قومك.

فقال: وما سمعت من رسول الله ﷺ فيّ وفي قومي؟

قال: سمعته يقول: «إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثون رجلاً صيّروا مال الله دولا، وكتاب الله دغلاً، وعباد الله خولا، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً».

فقال عثمان: يا معشر أصحاب محمّد! هل سمع أحد منكم هذا من رسول الله ﷺ؟ فقالوا: لا، ما سمعنا هذا من رسول الله ﷺ! فقال عثمان: ادع عليّاً. فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان:

يا أبا الحسن، انظر ما يقول هذا الشيخ الكذّاب! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: مه يا عثمان! لا تقل كذّاب! فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ».

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: صدق عليّ فقد سمعنا هذا من رسول الله ﷺ فبكى أبوذرّ عند ذلك، فقال: ويلكم! كلّكم قد مدّ عنقه[1] إلى هذا المال، ظننتم أنّي أكذب على رسول الله ﷺ؟! ثمّ نظر إليهم، فقال: من خيركم؟ قالوا: من خيرنا؟ فقال: أنا. فقالوا: أنت تقول: إنّك خيرنا.

قال: نعم، خَلَفت حبيبي رسول الله ﷺ في هذه الجبّة، وهي عليَّ بعدُ، وهو عنّي راضٍ، وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة، والله سائلكم عن ذلك ولايسألني. فقال عثمان: يا أباذرّ! أسألك بحقّ رسول الله ﷺ إلّا ما أخبرتني عن شيء أسألك عنه.

فقال أبوذرّ: والله لولم تسألني بحقّ محمّد رسول الله ﷺ أيضاً لأخبرتك.

---

(١) «مددتكم عنقكم» خ.

فقال: أيّ البلاد أحبّ إليك أن تكون فيها؟ فقال: مكّة حرم الله و حرم رسول الله ﷺ أعبد الله فيها حتّى يأتيني الموت. قال: لا، ولا كرامة لك! قال: المدينة حرم رسول الله ﷺ. قال: لا، ولا كرامة لك! فسكت أبوذرّ.

فقال عثمان: أيّ البلاد أبغض إليك أن تكون فيها. قال: الربذة الّتي كنت فيها على غير دين الإسلام. فقال عثمان: سر إليها! فقال أبو ذرّ: قد سألتني فصدقتك وأنا أسألك فأصدقني. قال: نعم. فقال أبوذرّ: أخبرني لو بعثتني في بعث من أصحابك إلى المشركين فأسّروني، فقالوا: لا نفديه إلّا بثلث ما تملك؟ قال: كنت أفديك. قال: فإن قالوا: لانفديه إلّا بنصف ما تملك؟ قال: كنت أفديك.

قال: فإن قالوا: لانفديه إلّا بكلّ ما تملك؟ قال: كنت أفديك.

قال أبوذرّ: الله أكبر، قال لي حبيبي رسول الله ﷺ يوماً: يا أباذر، كيف أنت إذا قيل لك: أيّ البلاد أحبّ إليك أن تكون فيها؟ فتقول:

مكّة حرم الله وحرم رسوله، أعبد الله فيها حتّى يأتيني الموت، فيقال لك: لا، ولاكرامة لك، فتقول: فالمدينة حرم رسول‌الله ﷺ، فيقال لك: لا، ولاكرامة لك،

ثمّ يقال لك: فأيّ البلاد أبغض إليك أن تكون فيها، فتقول: الربذة الّتي كنت فيها على غير دين الإسلام، فيقال لك: سر إليها؟ فقلت: وإنّ هذا لكائن [يا رسول الله]؟ فقال: إي والّذي نفسي بيده إنّه لكائن. فقلت: يا رسول الله أفلا أضع سيفي هذا على عاتقي فأضرب به قدماً قدماً؟ قال: لا، اسمع واسكت، ولو لعبد حبشي، وقد أنزل الله فيك وفي [خصمك] عثمان آية.

فقلت: وماهي يا رسول الله؟ فقال: قوله تبارك وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ

وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.(١) (٢)

وأمّا قوله: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ «٩٣»

أي أحبّوا العجل حتّى عبدوه، ثمّ قالوا: نحن أولياء الله! فقال الله عزّ وجلّ: إن كنتم أولياء الله كما تقولون: ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ لأنّ في التوراة مكتوب أنّ أولياء الله يتمنّون الموت ولايرهبونه.(٣)

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ «٩٧و٩٨»

١٦ ـ فإنّما(٤) نزلت في اليهود الّذين قالوا لرسول الله ﷺ: إنّ لنا في(٥) الملائكة أصدقاء وأعداء. فقال رسول الله ﷺ: من صديقكم ومن عدوّكم؟

فقالوا: جبرئيل عدوّنا، لأنّه يأتي بالعذاب، ولو كان الّذي ينزّل عليك القرآن ميكائيل لآمنّا بك، فإنّ ميكائيل صديقنا، وجبرئيل ملك الفظاظة والعذاب، وميكائيل ملك الرحمة! فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾.(٦)

---

(١) البقرة: ٨٤و٨٥.

(٢) عنه البحار: ٤٢٦/٢٢ ح٣٦، ونور الثقلين: ١٢١/١ ح٢٧١ وج٣١٥/٧ ح٢٤ (قطعة)، والبرهان: ٢٦٩/١ ح٣، ومستدرك الوسائل: ٣٦/٧ ح٥ (قطعة)، وج٢٦١/١٢ ح٤ (قطعة)، قصص الراوندي: ٣٠٠ ح٢٨، الإيقاظ من الهجعة: ١٤٢ ح٥٧٤.

(٣) عنه البحار: ١٨٦/٩ صدر ح١٥ وج٢٠٨/١٣ ح١ (قطعة).

(٤) «فإنّها» البحار.

(٥) «من» البحار.

(٦) عنه البحار: ١٨٦/٩ ذح١٥.

وقوله: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ـ إلى قوله ـ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ «١٠٢-١٠٣»

١٧ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: إنّ سليمان بن داود عليه‌السلام أمر الجنّ والإنس فبنوا له بيتاً من قوارير، قال: فبينما هو متّكىء على عصاه ينظر إلى الشياطين كيف يعملون وينظرون إليه، إذ حانت منه إلتفاتة، فإذا هو برجل معه في القبّة، ففزع منه، وقال: من أنت؟

قال: أنا الّذي لا أقبل الرشا، ولا أهاب الملوك، أنا ملك الموت!

فقبضه وهو متّكىء على عصاه، فمكثوا سنة يبنون وينظرون إليه ويدانون[1] له ويعملون، حتّى بعث الله الأرضة فأكلت منسأته ـ وهي العصا ـ فلمّا خرّ تبيّنت الإنس أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب ما لبثوا سنةً في العذاب المهين، فالجنّ تشكر الأرضة بما عملت بعصا سليمان!

[قال:] فلا تكاد تراها في مكان إلّا وجد عندها ماء وطين.

فلمّا هلك سليمان وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب، ثمّ طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضعه آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، ثمّ دفنه تحت السرير.

ثمّ إستثاره[2] لهم، فقرأه، فقال الكافرون: ما كان سليمان عليه‌السلام يغلبنا إلّا بهذا!

وقال المؤمنون: بل هو عبد الله ونبيّه. فقال الله جلّ ذكره:

﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ

---

(١) «ويدأبون» البحار. (٢) «استبانه» العيّاشي.

النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ـ إلى قوله ـ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾.[١]

١٨ـ فإنّه حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله عطاء ـ ونحن بمكّة ـ عن هاروت وماروت،

فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الملائكة كانوا ينزلون من السماء إلى الأرض، في كلّ يوم وليلة يحفظون [أعمال] أوساط أهل الأرض من ولد آدم والجنّ، ويكتبون أعمالهم ويعرجون بها إلى السماء، قال: فضجّ أهل السماء من معاصي أهل [أوساط] الأرض فتآمروا[٢] فيما بينهم ممّا يسمعون ويرون من افترائهم[٣] الكذب على الله تبارك وتعالى وجرأتهم عليه، ونزّهوا الله ممّا يقول فيه خلقه ويصفون؛

فقالت طائفة من الملائكة: يا ربّنا ما تغضب ممّا يعمل خلقك في أرضك وممّا يصفون فيك الكذب، ويقولون الزور ويرتكبون المعاصي، وقد نهيتهم عنها، ثمّ أنت تحلم عنهم وهم في قبضتك وقدرتك، وخلال[٤] عافيتك!

قال أبو جعفر عليه السلام: فأحبّ الله أن يري الملائكة قدرته، ونافذ أمره في جميع خلقه، ويعرّف الملائكة ما منَّ به عليهم وممّا عدله عنهم من صنع خلقه، وما طبعهم عليه من الطاعة، وعصمهم من الذنوب، قال:

فأوحى الله إلى الملائكة أن انتخبوا[٥] منكم ملكين حتّى أهبطهما إلى الأرض، ثمّ أجعل فيهما من طبائع المطعم، والمشرب، والشهوة، والحرص، والأمل، مثل ما جعلته في ولد آدم، ثمّ أختبرهما في الطاعة لي. فندبوا إلى ذلك هاروت وماروت،

---

(١) عنه البحار: ٢٧٩/٦٣ ح١٦٧، والبرهان: ٢٩٦/١ ح٣، ونور الثقلين: ١٣٨/١ ح٣٠٣، علل الشرائع: ٧٤ ح٣ (مثله)، عنه البحار: ١٣٨/١٤ ح٣، والبرهان: ٥١١/٤ ح٣، العيّاشي: ١٤٥/١ ح٧٨ (قطعة مثله)، عنه مستدرك الوسائل: ١٠٥/١٣ ح١.

(٢) «أي تشاوروا».

(٣) «اقترافهم» خ.

(٤) «وجلال» خ.

(٥) «انتدبوا» البحار.

وكانا من أشدّ الملائكة قولا في العيب لولد آدم، واستثار غضب الله عليهم. قال: فأوحى الله إليهما أن اهبطا إلى الأرض، فقد جعلت فيكما من طبائع الطعام والشراب، والشهوة، والحرص، والأمل، مثل ما جعلته في ولد آدم.

قال: ثمّ أوحى الله إليهما: أنظرا أن لاتشركا بي شيئاً، ولاتقتلا النفس الّتي حرّم الله، ولاتزنيا، ولاتشربا الخمر. قال: ثمّ كشط عن السماوات السبع ليريهما قدرته، ثمّ أهبطهما إلى الأرض في صورة البشر ولباسهم.

فهبطا ناحية بابل، فوقع لهما بناء مشرق، فأقبلا نحوه، فإذا بحضرته امرأة جميلة حسناء، متزيّنة عطرة، مقبلة مسفرة نحوهما!

قال: فلمّا نظرا إليها، وناطقاها وتأمّلاها، وقعت في قلوبهما موقعاً شديداً، لموقع الشهوة الّتي جعلت فيهما، فرجعا إليها رجوع فتنة وخذلان، وراوداها عن نفسهما، فقالت لهما: إنّ لي ديناً أدين به، وليس أقدر في ديني على أن أجيبكما إلى ما تريدان إلّا أن تدخلا في ديني الّذي أدين به.

فقالا لها: وما دينك؟ قالت: لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل إلى أن أُجيبه إلى كلّ ما سألني. فقالا لها: وما إلهك؟ قالت: إلٰهي هذا الصنم.

قال: فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقال: هاتان خصلتان ممّا نُهينا عنهما: الشرك والزنا، لأنّا إن سجدنا لهذا الصنم وعبدناه أشركنا بالله، وإنّما نشرك بالله لنصل إلى الزنا، وهو ذا، نحن نطلب الزنا وليس نخطأ[1] إلّا بالشرك.

فائتمرا بينهما، فغلبتهما الشهوة الّتي جعلت فيهما، فقالا لها: فإنّا نجيبك إلىٰ ما سألت! فقالت: فدونكما فاشربا هذا الخمر فإنّه قربان لكما عنده، وبه تصلان إلى ما تريدان. فائتمرا بينهما، فقالا: هذه ثلاث خصال ممّا نهانا ربّنا عنها: الشرك، والزنا، وشرب الخمر، وإنّما ندخل في شرب الخمر والشرك حتّى نصل إلى الزنا!

---

(١) «فليس نعطى» البحار.

فائتمرا بينهما، فقالا: ما أعظم بليّتنا[١] بك! قد أجبناك إلى ما سألت!

قالت: فدونكما، فاشربا من هذا الخمر، واعبدا هذا الصنم واسجدا له.

فشربا الخمر، وعبدا الصنم، ثمّ راوداها من نفسها، فلمّا تهيّأت لهما وتهيّئا لها دخل عليهما سائل يسأل، فلمّا رآهما ورأياه ذعرا منه، فقال لهما:

ويلكما! إنّكما لمريبان[٢] ذعران، قدخلوتما بهذه المرأة العطرة الحسناء، إنّكما لرجلا سوء! وخرج عنهما.

فقالت لهما: [لا] وإلهي، لاتصلان الآن إليّ وقد اطّلع هذا الرجل على حالكما، وعرف مكانكما، ويخرج الآن ويخبر بخبركما، ولكن بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما ويفضحني، ثمّ دونكما فاقضيا حاجتكما وأنتما مطمئنّان آمنان!

قال: فقاما إلى الرجل فأدركاه فقتلاه، ثمّ رجعا إليها فلم يرياها، وبدت لهما سوءاتهما، ونزع عنهما رياشهما، وسُقطا في أيديهما.

قال: فأوحى الله إليهما: إنّما أهبطتكما [إلى الأرض] مع خلقي ساعة من النهار، فعصيتماني بأربع من المعاصي! كلّها قد نهيتكما عنها، وتقدّمت إليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحيا منّي! وقد كنتما أشدّ من نقم على أهل الأرض بالمعاصي واستجرّ أسفي وغضبي عليهم لما جعلت فيكما من طبع خلقي وعصمتي إيّاكما من المعاصي، فكيف رأيتما موضع خذلاني فيكما؟! اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة. فقال أحدهما لصاحبه: نتمتّع من شهوات الدنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة! فقال الآخر: إنّ عذاب الدنيا له مدّة وإنقطاع، وعذاب الآخرة قائم لا انقضاء[٣] له، فلسنا نختار عذاب الآخرة الدائم الشديد على[٤] عذاب الدنيا

(١) «البلية» البحار.

(٢) «لإمرئان» خ، وفي النسخة الحجريّة «لمريدان» وفي البحار: «إنّكما نابان».

(٣) «دائم لا انقطاع» البحار. (٤) «ونترك» خ.

المنقطع الفاني. قال: فاختارا عذاب الدنيا، وكانا يعلّمان الناس السحر في أرض بابل، ثمّ لمّا علّما الناس السحر رفعا من الأرض إلى الهواء، فهما معذّبان منكّسان، معلّقان في الهواء إلى يوم القيامة[1].[2]

وأمّا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا﴾ «١٠٤»

أي لا تقولوا تخليطاً، وقولوا: أفهمنا.

وأمّا قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ «١٠٦»

فقوله: ﴿ننسها﴾، أي نتركها ونترك حكمها، فسمّي الترك بالنسيان في هذه الآية. وقوله: ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ فهي زيادة، إنّما نزل «نأت بخير منها[3]»

وأمّا قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ «١١٤»

فإنّها[4] نزلت في قريش حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله دخول مكّة.[5]

---

(١) أقول: إنّ الحديث يتضمّن حال الملك وتحوّله في الأرض عن شأنه السماويّ بتقدير القادر الربّانيّ، وهذا غريب في بادي النظر، وإنّما يرتهن بحثه وتحقيقه بمحلّه، وذلك واضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وأمّا هؤلاء ما قدروا الله حقّ قدره، يقولون كيف يمكن هذا؟!!
ألا يعلموا أنّ الله الّذي خلق كلّ شيء بكلّ خلق عليم، وأنّه على كلّ شيء قدير،
أولا ينظرون في آيات القرآن الكريم و ما فيه من أنّ الملك كيف تمثّل لإبراهيم ومريم عليهما السلام بشراً سويّاً وتكلّم معهما، وأنّ عصا موسى عليه السلام كيف تحوّلت إلى ثعبان ثمّ عادت إلى سيرتها الأُولى، وفي آيات البعث والحشر وإحياء الموتى، بل لاعجب من الله الّذي يقول للشيء كن فيكون.
قال المجلسي رحمه الله: يمكن حمل الخبر على التقيّة بقرينة كون السائل من علماء العامّة.

(٢) عنه البحار: ٣١٦/٥٩ ح ٢، ونور الثقلين: ١٣٨/١ ح ٣٠٤، وعن تفسير العيّاشي: ١٤٥/١ ح ٧٩، تفسير الصافي: ١٧٤/١.

(٣) «مثلها» خ.

(٤) «فإنّما» خ.

(٥) عنه البحار: ٣٤٠/٨٣ س ٧ (قطعة).

وقوله: ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾ «١١٥»

١٩ـ قال العالم عليه السلام: فإنّها نزلت في صلاة النافلة، فصلّها[١] حيث توجّهت إذ كنت في سفر، وأمّا الفرائض، فقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[٢] يعني الفرائض لا تصلّيها إلّا إلى القبلة.[٣]

وأمّا قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ «١٢٤»

قال: هو ما ابتلاه الله به ممّا أراه في نومه بذبح ولده، فأتمّها إبراهيم عليه السلام وعزم عليها وسلّم، فلمّا عزم وعمل بما أمره الله، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ قال إبراهيم:

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يكون بعهدي إمام ظالم.[٤]

ثمّ أنزل الله تعالى علىٰ إبراهيم عليه السلام الحنيفيّة وهي الطهارة، وهي عشرة أشياء: خمسة في الرأس وخمسة في البدن، فأمّا الّتي في الرأس، فأخذ[٥] الشارب، وإعفاء اللحى، وطمّ الشعر، والسواك، والخلال. وأمّا الّتي في البدن، فحلق الشعر من البدن، والختان، وقلم الأظفار، والغسل من الجنابة، والطهور بالماء، فهذه خمسة في البدن وهي الحنيفيّة الطاهرة الّتي جاء بها إبراهيم عليه السلام، فلم تُنسخْ ولن تنسخ إلى يوم القيامة، وهو قوله: ﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[٦].[٧]

---

(١) «تصلّيها» خ. (٢) البقرة: ١٤٤، ١٥٠.

(٣) عنه البحار: ٨٤/٤٧ ح١، والبرهان: ١/٣١٣ ح١، النهاية للطوسي: ٦٤، عنه الوسائل: ٣/٢٤٢ ح١٩.

(٤) عنه البحار: ١٢/٥٩ ح١، وص ٦٠ ح٤، والوسائل: ١/٤٢٣ ح٥، ومجمع البيان: ١/٤٥٣.

(٥) «فالأخذ من» خ. (٦) النساء: ١٢٥.

(٧) عنه البحار: ٧٦/٦٨ ح٣، والبرهان: ١/٣٣٦ ح٣، والوسائل: ١/٤٢٣ ح٥، ومجمع البيان: ١/٤٥٣.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ـ إلى قوله ـ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ «١٢٥ ـ ١٢٦»

وأمّا قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ فالمثابة: العود إليه.(١)

وقوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

٢٠ ـ قال الصادق عليه السلام: يعني نَحِّيا عنه المشركين، وقال: لمّا بنى إبراهيم عليه السلام البيت وحجّ الناس، شكت الكعبة إلى الله تبارك وتعالى ما تلقاه من أيدي المشركين وأنفاسهم فأوحى الله تعالىٰ إليها: قرّي كعبتي، فإنّي أبعث في آخر الزمان قوماً يتنظّفون بقضبان الشجر ويتخلّلون.(٢)

قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فإنّه دعا إبراهيم ربّه أن يرزق من آمن منهم، فقال الله: يا إبراهيم ﴿وَمَن كَفَرَ ـ أيضاً أرزقه ـ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.(٣)

وأمّا قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...﴾ «١٢٧ـ١٢٩»

٢١ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن هشام [بن سالم] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام، فلمّا ولد له من هاجر إسماعيل عليه السلام، اغتمّت سارة من ذلك غمّاً شديداً لأنّه لم يكن له منها ولد، فكانت تؤذي إبراهيم عليه السلام في هاجر وتغمّه، فشكا إبراهيم عليه السلام ذلك إلى الله عزّ وجلّ،

---

(١) عنه البرهان: ٣٢٦/١ ح١.

(٢) عنه البحار: ٩٢/١٢ ح١، و١٣٠/٧٦ ح١٦ (قطعة)، والبرهان: ٣٢٧/١ ح١، ونور الثقلين: ١٥٣/١ ح٣٥٥، ورواه الكليني رحمه الله في الكافي: ٥٤٦/٤ ح٣٢، وأورده الصدوق رحمه الله في الفقيه: ٥٥/١ ح١٢٥، وأخرجه البرقي رحمه الله في المحاسن: ٣٧٦/٢ ح٩٥٥ (مثله)، عنها الوسائل: ٣٤٨/١ ح١٣.

(٣) عنه البرهان: ٣٣٠/١ ح٢.

فأوحى الله إليه: إنّما مثل المرأة مثل الضلع العوجاء، إن تركتها استمتعت بها، وإن أقمتها كسرتها.

ثمّ أمره أن يخرج إسماعيل عليه السلام وأُمّه عنها، فقال: يا ربّ إلى أيّ مكان؟

قال: إلى حرمي وأمني وأوّل بقعة خلقتها من الأرض، وهي مكّة. فأنزل الله عليه جبرئيل بالبراق، فحمل هاجر وإسماعيل و إبراهيم عليه السلام، وكان إبراهيم عليه السلام لا يمرّ بموضع حسن فيه شجر، ونخل، وزرع، إلّا وقال: يا جبرئيل إلى ههنا إلى ههنا!

فيقول جبرئيل: لا، امض، امض! حتّى وافى مكّة، فوضعه في موضع البيت، وقد كان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة أن لاينزل حتّى يرجع إليها، فلمّا نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساءً كان معها، فاستظلّوا تحته. فلمّا سرّحهم إبراهيم ووضعهم وأراد الإنصراف عنهم إلى سارة، قالت له هاجر: يا إبراهيم! لِمَ تدعنا في موضع ليس فيه أنيس، ولاماء، ولا زرع؟! فقال إبراهيم: الله الّذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو يكفيكم[١]، ثمّ انصرف عنهم، فلمّا بلغ كداء[٢] ـ وهو جبل بذي طوى ـ التفت إليهم[٣] إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٤]

ثمّ مضى وبقيت هاجر، فلمّا ارتفع النهار عطش إسماعيل وطلب الماء، فقامت هاجر في الوادي في موضع السعي[٥] فنادت هل في الوادي من أنيس؟

فغاب عنها إسماعيل عليه السلام فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي، فظنّت أنّه ماء، فنزلت في بطن الوادي، فلمّا بلغت المسعى غاب عنها إسماعيل عليه السلام، ثمّ لمَع لها السراب في ناحية الصفا، فهبطت إلى الوادي تطلب

---

(١) «حاضر عليكم» البحار. (٢) «كرى» خ. (٣) «نحوهما» خ.
(٤) إبراهيم: ٣٧. (٥) «المسعى» البحار.

الماء، فلمّا غاب عنها إسماعيل عليه السلام عادت حتّى بلغت الصفا، فنظرت حتّى فعلت ذلك سبع مرّات. فلمّا كانت في الشوط السابع وهي على المروة، نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه، فعادت[١] حتّى جمعت حوله رملاً، فإنّه كان سائلاً، فزمّته[٢] بما جعلته حوله، فلذلك سمّيت زمزم.

وكانت جُرهُم[٣] نازلة بذي المجاز[٤] وعرفات، فلمّا ظهر الماء بمكّة عكفت الطير والوحش على الماء، فنظرت جُرهُم إلى تعكّف الطير والوحش على ذلك المكان، فاتّبعتها حتّى نظروا إلى امرأة وصبيّ نازلين في ذلك الموضع قد استظلاّ بشجرة وقد ظهر الماء لهما، فقالوا لهاجر: من أنت؟ وما شأنك وشأن هذا الصبيّ؟ فقالت: أنا أمّ ولد إبراهيم خليل الرحمن، وهذا ابنه، أمره الله أن ينزلنا هاهنا. فقالوا لها: أيّتها المباركة أفتأذني لنا أن نكون بالقرب منكما؟

فقالت لهم: حتّىٰ يأتي إبراهيم عليه السلام. فلمّا زارهما إبراهيم عليه السلام في اليوم الثالث قالت هاجر: يا خليل الله، إنّ هاهنا قوماً من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتّى يكونوا بالقرب منّا، أفتأذن لهم في ذلك؟ فقال إبراهيم: نعم. فأذنت هاجر لجرهم، فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم، فأنِسَت هاجر وإسماعيل بهم.

فلمّا زارهم إبراهيم في المرّة الثانية، نظر إلى كثرة الناس حولهم فسرّ بذلك سروراً شديداً، فلمّا ترعرع إسماعيل عليه السلام وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كلّ واحد منهم شاة أو شاتين، فكانت هاجر وإسماعيل يعيشان [بها].

فلمّا بلغ إسماعيل عليه السلام مبلغ الرجال، أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت؛

فقال: يا ربّ في أيّ بقعة؟ قال: في البقعة الّتي أنزلت على آدم القبّة فأضاء لها الحرم. فلم تزل القبّة الّتي أنزلها الله على آدم عليه السلام قائمة حتّى كان أيّام الطوفان أيّام

---

(١) «قعدت» البحار.

(٢): شدّته وحجزته بما جعلت حوله من الرمل.

(٣): حيّ من اليمن.

(٤): موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب. «معجم البلدان ٥/٥٥».

نوح عليه السلام، فلمّا غرقت الدنيا رفع الله تلك القبّة وغرقت الدنيا إلّا موضع البيت، فسمّيت البيت العتيق لأنّه أُعتق من الغرق.

فلمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت، لم يدر في أيّ مكان يبنيه، فبعث الله عزّ وجلّ جبرئيل عليه السلام فخطّ له موضع البيت، فأنزل الله عليه القواعد من الجنّة، وكان الحجر الّذي أنزله الله على آدم عليه السلام أشدّ بياضاً من الثلج!

فلمّا مسّته أيدي الكفّار اسودّ! فبنى إبراهيم عليه السلام البيت، ونقل إسماعيل عليه السلام الحجر من ذي طُوى، فرفعه إلى السماء تسعة أذرع، ثمّ دلّه على موضع الحجر.

فاستخرجه إبراهيم عليه السلام ووضعه في موضعه الّذي هو فيه الآن، وجعل له بابين، باباً إلى المشرق وباباً إلى المغرب؛

والباب الّذي إلى المغرب يسمّى المستجار، ثمّ ألقى عليه الشجر والاذخر، وعلّقت[1] هاجر على بابه كساءً كان معها، وكانوا يكنّون تحته.

فلمّا بناه وفرغ منه، حجّ إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام، ونزل عليهما جبرئيل عليه السلام يوم التروية لثمان من ذي الحجّة، فقال: يا إبراهيم! قم فارتو من الماء. لأنّه لم يكن بمنى وعرفات ماء، فسمّيت التروية لذلك.

ثمّ أخرجه إلى منى فبات بها، ففعل به ما فعل بآدم عليه السلام.

فقال إبراهيم لمّا فرغ من بناء البيت والحجّ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ قال:

من ثمرات القلوب، أي حبّبهم إلى الناس لينتابوا[2] إليهم ويعودوا إليهم.[3]

---

(١) «وألقت» خ.

(٢) انتاب الرجل القوم إنتياباً: قصدهم وأتاهم مرّة بعد مرّة. (لسان العرب: ١/٧٧٥).

(٣) عنه البحار: ١٢/٩٧ ح٦، و١١٦ ح ٥٠ (قطعة) وج٩٩/٣٦ ح ١٥، والبرهان: ١/٣٣٠ ح٤ و٣/٣١٢ ح١، ونور الثقلين: ١/١٥٤ ح٣٥٩، ومستدرك الوسائل: ٩/٣٢٣ ح٣، وأورده الكليني رحمه الله في الكافي: ٥/٥١٣ ح٢ (نحوه)، عنها الوسائل: ١٤/١٢٤ ذح٣.

وأمّا قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ فإنّه يعني من ولد إسماعيل عليه السلام،

فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام.(١)

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ «١٣٧»

أي(٢) في كفر.(٣)

وقوله: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ «١٣٨»

يعني به الإسلام.

وقوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ «١٤٢»

فإنّ هذه الآية متقدّمة على قوله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ لأنّه نزل أوّلاً: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء﴾ ثمّ نزل:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾.

وذلك أنّ اليهود كانوا يعيّرون رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقولون له: أنت تابع لنا تصلّي إلى قبلتنا! فاغتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك غمّاً شديداً، وخرج في جوف اللّيل ينظر في آفاق السماء، [و] ينتظر أمر الله تبارك وتعالى في ذلك.

فلمّا أصبح وحضرت صلاة الظهر، كان في مسجد بني سالم قد صلّى بهم الظهر ركعتين، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فأخذ بعضديه فحوّله إلى الكعبة، فأنزل الله عليه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾

---

(١) عنه البحار: ٩٢/١٢ ذح١، والبرهان: ٣٣٤/١ ح١٣، نور الثقلين: ١٦٠/١ ح٣٨١، واللّوامع النورانيّة: ص٢٨ السطر الأخير.

(٢) «يعني» خ.

(٣) عنه البرهان: ٣٣٨/١ ح ٤.

فصلّى ركعتين [إلى بيت المقدس، وركعتين] إلى الكعبة، فقالت اليهود والسفهاء: ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ وتحوّلت القبلة إلى الكعبة بعد ما صلّى رسول الله ﷺ بمكّة ثلاثة عشر سنة إلى بيت المقدس، وبعد مهاجرته إلى المدينة صلّى إلى بيت المقدس سبعة أشهر.

ثمّ حوّل الله عزّ وجلّ القبلة إلى البيت الحرام، ثمّ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ يعني ولا الّذين ظلموا منهم، و«إلّا» في موضع «ولا» وليست هي استثناء.[1]

وأمّا قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ «١٤٣»

يعني أئمّة وسطاً، أي عدلاً وواسطة بين الرسول والناس، والدليل على أنّ هذا مخاطبة للأئمّة عليهم السلام قوله في سورة الحجّ: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ ـ يا معشر الأئمّة ـ وَتَكُونُوا ـ أنتم ـ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ـ وإنّما نزلت ـ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾.[2]

وأمّا قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ «١٥٨»

قال: فإنّ قريشاً كانت وضعت أصنامها بين الصفا والمروة، وكانوا يتمسّحون[3] بها إذا سعوا، فلمّا كان من أمر رسول الله ﷺ ما كان في غزوة الحُديبيّة، وصدّوه عن البيت، وشرطوا له أن يخلوا له البيت في عام قابل حتّى يقضي عمرته ثلاثة أيّام ثمّ يخرج عنها، فلمّا كان عمرة القضاء في سنة سبع من الهجرة دخل مكّة، وقال

---

(١) عنه البحار: ٦١/٨٤ ح١٣، والمستدرك: ١٧٠/٣ ح٤، ومجمع البيان: ٧/١، عنه البرهان: ٣٤٠/١ ح٢.

(٢) وقد فصّلنا القول في مثل هذه الكلمات في مقدّمتنا ص٢٨، وجامع الأخبار: ١٣٥/٣.

(٣) «يستمتعون» خ.

لقريش: ارفعوا أصنامكم من بين الصفا والمروة حتّى أسعى. فرفعوا، فسعى رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة وقد رفعت الأصنام، وبقي رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ لم يطف.

فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من الطواف ردّت قريش الأصنام بين الصفا والمروة، فجاء الرجل الّذي لم يسع إلى رسول الله ﷺ فقال: قد ردّت قريش الأصنام بين الصفا والمروة ولم أسع! فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ والأصنام فيهما.[١]

وأمّا قوله: ﴿أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ «١٥٩»

قال: كلّ من قد لعنه الله من الجنّ والأنس يلعنهم.[٢]

وقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا﴾ «١٦٦-١٦٧»

قال: إذا كان يوم القيامة يتبرّأ كلّ إمام ظالم من شيعته، و تبرّأت كلّ شيعة من إمامها الظالم، فيقول الّذين اتّبعوهم ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا﴾.

وقوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ...﴾ «١٧١-١٧٧»

فإنّ البهائم إذا زجرها صاحبها فإنّها تسمع الصوت ولاتدري ما يريد، وكذلك

---

(١) عنه البحار: ٢٣٥/٩٩ ح٩، والبرهان: ٣٦٣/١ ح٦، ومستدرك الوسائل: ٤٣٥/٩ ح١.

(٢) عنه البرهان: ٣٦٦/١ ح٩.

الكفّار إذا قرأت عليهم وعرضت عليهم الإيمان لايعلمون مثل البهائم.[١]

وقوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ فالباغي من يخرج في غير طاعة الله، والعادي الّذي يعتدي على الناس ويقطع الطريق.

وقوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ يعني ما أجرأهم.[٢]

وقوله: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فهي شروط الإيمان الّذي هو التصديق [بالملائكة والكتاب والنبيّين].[٣]

وأمّا قوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء﴾ قال:

في الجوع، والعطش، والخوف، والمرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ قال: عند القتل.[٤]

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ -إلى قوله- حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ «١٧٨-١٨٠»

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾ فهي ناسخة لقوله: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[٥]

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِي الأَلْبَابِ﴾ قال:

يعني لولا القصاص لقتل بعضكم بعضاً.[٦]

وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ فإنّها منسوخة بقوله:

﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[٧]

---

(١) عنه البحار: ١٨٧/٩ ح١٧، والبرهان: ٣٧٢/١ ح٢.

(٢) عنه مجمع البيان: ٨٨/١، والبحار: ٣١٤/٧٣، والبرهان: ٣٧٤/١ ح٣.

(٣) عنه البرهان: ٣٧٥/١ ح١.

(٤) عنه البرهان: ٣٧٦/١ ح١، ومجمع الأنوار: ٢٤٣ ح١٧.

(٥) المائدة: ٤٥.

(٦) عنه البرهان: ٣٧٩/١ ح٢.

(٧) النساء: ١١.

﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ـ إلى قوله ـ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ «١٨١ـ١٨٢»

وقوله: ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني بذلك بعد الوصيّة، ثمّ رخّص، فقال:

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾

٢٢ـ قال الصادق عليه السلام: إذا أوصى الرجل بوصيّة، فلا يحلّ للوصي أن يغيّر وصيّته، بل يمضيها على ما أوصى، إلّا أن يوصي بغير ما أمر الله، فيعصي في الوصيّة ويظلم، فالموصى إليه جائز له أن يردّه إلى الحقّ، مثل رجل يكون له ورثة، فيجعل ماله كلّه لبعض ورثته ويحرم بعضاً، فالوصيّ جائز له أن يردّه إلى الحقّ، وهو قوله: ﴿جَنَفاً أَوْ إِثْماً﴾ فالجَنَف: الميل إلى بعض ورثته دون بعض، والإثم أن يأمر بعمارة بيوت النيران واتّخاذ المسكر، فيحلّ للوصيّ أن لا يعمل بشيء من ذلك.[١]

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ «١٨٣»

فإنّه قال[٢]: أوّل ما فرض الله الصوم، فرضه[٣] في شهر رمضان على الأنبياء، ولم يفرضه على الأمم، فلمّا بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله خصّه بفضل شهر رمضان هو وأُمّته، وكان الصوم قبل أن ينزل شهر رمضان يصوم الناس أيّاماً.

ثمّ نزل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.[٤]

٢٣ـ قال: وسئل الصادق عليه السلام عن قوله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ كيف كان

---

(١) عنه البحار: ١٠٣/٢٠١ ح١، والبرهان: ١/٣٨٤ ح١٥، والوسائل: ١٣/٤٢٠ ح٤.

(٢) أي الصادق عليه السلام كما هو الظاهر.

(٣) «لم يفرضه» خ، وفي المستدرك: لم يفرضه في شهر رمضان إلّا على الأنبياء.

(٤) عنه البرهان: ١/٣٩٢ ح١٤، والمستدرك: ٧/٣٩٨ ح١٠، جامع الأحاديث: ١٠/٢٨٦ ح٢.

وإنّما أُنزل القرآن في طول عشرين سنة بين أوّله وآخره؟ فقال [أبو عبدالله عليه السلام]: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل[1] من البيت المعمور إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة.[2]

وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ «١٨٤»

قال: من مرض في شهر رمضان فأفطر، ثمّ صحّ فلم يقض ما فاته حتّى جاء شهر رمضان آخر، فعليه أن يقضي ويتصدّق لكلّ[3] يوم بمدّ من الطعام.

وقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ـ إلى قوله ـ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ...﴾ «١٨٧»

٢٤ـ فإنّه حدّثني أبي ـ رفعه ـ قال: قال الصادق عليه السلام: كان النكاح والأكل محرّمين في شهر رمضان باللّيل بعد النوم، يعني كلّ من صلّى العشاء ونام ولم يفطر، ثمّ انتبه، حرّم عليه الإفطار، وكان النكاح حراماً في اللّيل والنهار في شهر رمضان،

وكان رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله يقال له: خوّات بن جبير الأنصاري أخو عبدالله بن جبير، الّذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وكّله بفَم الشِّعْب في يوم أُحد في خمسين من الرماة، ففارقه أصحابه وبقي في اثني عشر رجلاً، فقتل على باب الشعب، وكان أخوه هذا خوّات بن جبير شيخاً كبيراً ضعيفاً، وكان صائماً مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الخندق، فجاء إلى أهله حين أمسى، فقال: عندكم طعام؟

---

(١) «ثمّ نزل منه في هذه المدة» خ.

(٢) البحار: ٢٥/٩٧ ح ٦١، عن العيّاشي: ١٨٥/١ ح ١٨٩ (نحوه)، الوسائل: ٢٢٩/٧ ح ٢٥، عن فضائل شهر رمضان: ٨٧ ح ٦٧، ورواه في الكافي: ٦٢٨/٢ ح ٦، عنه البرهان: ٣٩١/١ ح ١٠ وعن العيّاشي، أمالي الصدوق: ١١٩ ح ٥، عنه البحار: ١١/٩٧ ح ١٤.

(٣) «عن كلّ» خ.

فقالوا: لاتنم حتّى نصنع لك طعاماً! فأبطأت عليه أهله بالطعام، فنام قبل أن يفطر، فلمّا انتبه قال لأهله: قد حرّم الله عليّ الأكل في هذه اللّيلة!

فبات على تلك الحالة، فلمّا أصبح حضر حفر الخندق فأُغمي عليه، فرآه رسول الله ﷺ فرقّ له، وكان قوم من الشباب ينكحون باللّيل سرّاً في شهر رمضان!

فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ﴾ فأحلّ الله تبارك وتعالى النكاح باللّيل في شهر رمضان، والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر، لقوله: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ قال: هو بياض النهار من سواد اللّيل.(١)

وأمّا قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ «١٨٦»

٢٥ـ فإنّه حدّثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن حمّاد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أشغل نفسي بالدعاء لإخواني ولأهل الولاية، فماترى في ذلك؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى يستجيب دعاء غائب لغائب، ومن دعا للمؤمنين والمؤمنات ولأهل مودّتنا، ردّ الله عليه من آدم إلى أن تقوم الساعة لكلّ مؤمن حسنة. ثمّ قال: إنّ الله تبارك وتعالى فرض الصلوات في أفضل الساعات، فعليكم بالدعاء في أدبار الصلوات. [قال:] ثمّ دعا لي ولمن حضره.(٢)

---

(١) عنه البحار: ٢٠/٢٤١ ح٥، وج٩٦/٢٨٦ ح١، والوسائل: ٧/٨١ ح٥ (قطعة)، والبرهان: ١/٣٩٩ ح٧، ونور الثقلين: ١/٢١١ ح٥٩٨، تفسير النعماني: ١٣ (نحوه).

(٢) عنه البرهان: ١/٣٩٥ ح١، والوسائل: ٤/١٠١٥ ح٦ (قطعة)، وص١١٤٨ ح١٤، عن الخصال: ٢٧٨ ح٢٣ (قطعة مثله)، وعنه البحار: ٨٥/٣٢٠ ح٦.

وقوله: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ...﴾ «١٨٨»

٢٦ـ فإنه قال العالم عليه السلام: قد علم الله أنّه يكون حكّاماً يحكمون بغير الحقّ، فنهى أن يتحاكم إليهم، لأنّهم لا يحكمون بالحقّ فتبطل الأموال.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ «١٨٩»

فإنّ المواقيت منها معروفة مشهورة في أوقات معروفة، ومنها مبهمة:

فأمّا المواقيت المعروفة المشهورة فأربعة: الأشهر الحرم الّتي ذكرها الله في كتابه وهي قوله تعالى: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[1] والإثنا عشر شهراً الّتي خلقها الله تعرف بالهلال، أوّلها المحرّم، وآخرها ذو الحجّة. والأربعة الحرم: رجب مفرد، وذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم، متّصلة، حرّم الله فيها القتال، وتضاعف فيها الذنوب، وكذلك الحسنات، وأشهر السياحة معروفة، وهي عشرون من شهر ذي الحجّة والمحرّم، وصفر، وشهر ربيع الأوّل، وعشر[2] من شهر ربيع الآخر، وهي الّتي أحلّ الله فيها قتال المشركين في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[3]

وأشهر الحجّ معروفة، وهي شوّال، وذوالقعدة، وذوالحجّة.

وإنّما صارت أشهر الحجّ، لأنّه من اعتمر في هذه الأشهر، في شوّال، أو في ذي القعدة، [أو في ذي الحجّة] ونوى أن يقيم بمكّة حتّى يحجّ، فقد تمتّع بالعمرة إلى الحجّ، ومن اعتمر في غير هذه الأشهر [الثلاثة]، ثمّ نوى أن يقيم إلى الحجّ، أو لم ينو، فليس هو ممّن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ، لأنّه لم يدخل مكّة في أشهر الحجّ، فسمّيت هذه الأشهر: أشهر الحجّ.

فقال الله تبارك وتعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ وشهر رمضان معروف.

---

(١) التوبة: ٣٦.   (٢) «عشرين» خ.   (٣) التوبة: ٢.

وأمّا المواقيت المبهمة، [فهي] الّتي إذا حدث الأمر وجب فيها إنتظار تلك الأشهر فعدّة النساء في الطلاق، والمتوفّى عنها زوجها، فإذا طلّقها، فإن كانت تحيض تعتدّ بالأقراء[١] الّتي قال الله عزّ وجلّ، وإن كانت لاتحيض فعدّتها[٢] ثلاثة أشهر بيض لادم فيها، وعِدّة المتوفّى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، وعدّة المطلّقة الحبلى أن تضع ما في بطنها، وعدّة الإيلاء[٣] أربعة أشهر.

وكذلك في الديون إلى الأجل الّذي يكون بينهم، وصيام شهرين متتابعين في الظهار[٤] وشهرين متتابعين في كفّارة قتل الخطأ، وعشرة أيّام للصوم في الحجّ لمن لم يجد الهدي، وصيام ثلاثة أيّام في كفّارة اليمين واجب.

فهذه المواقيت المعروفة والمبهمة الّتي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾.[٥]

وأمّا قوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ قال: إنّها نزلت في [حقّ] أمير المؤمنين عليه‌السلام لقول رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله:

«أنا مدينة العلم وعليّ عليه‌السلام بابها ولا تأتوا[٦] المدينة إلّا من بابها».[٧]

وقوله: ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...﴾ «١٩٦»

فإنّه إذا عقد الرجل الإحرام بالتمتّع بالعمرة إلى الحجّ وأحرم، ثمّ أصابته علّة في

---

(١): جمع قُرء، وهو الطهر عند أهل الحجاز، والحيض عند أهل العراق، وقيل: القُرء: الوقت، ومنه قوله تعالى: ﴿ثلاثة قروء﴾ البقرة: ٢/٢٢٨ (مجمع البحرين: ٣/١٤٥٧).

(٢) «تعتد» خ.

(٣): الحلف على ترك وطئ الزوجة الدائمة المدخول بها أبداً أو مطلقاً.

(٤): تحريم الزوجة كتحريم ظهر الأُمّ (مجمع البحرين: ٢/١١٤٥).

(٥) عنه البرهان: ١/٤٠٤ ح ٤، والبحار: ١٠٠/٥٣ ح ٣ (قطعة)، والمستدرك: ١١/٤٨ ح ٢ (قطعة).

(٦) «تدخلوا» خ.

(٧) عنه البرهان: ١/٤٠٩ ح ١١.

طريقه قبل أن يبلغ إلى مكّة، ولايستطيع أن يمضي، فإنّه يقيم في مكانه الّذي أُحصر فيه، ويبعث من عنده هدياً: إن كان غنيّاً فبدنة، وإن كان بين ذلك فبقرة، وإن كان فقيراً فشاة، لابدّ منها، ولايزال مقيماً على إحرامه، وإن كان في رأسه وجع أو قروح، حلق شعره وأحلّ، ولبس ثيابه ويفدي، وإمّا أن يصوم ستّة أيّام، أو يتصدّق على عشرة مساكين، أو نسك، وهو الدم، يعني ذبح شاة.(١)

فمن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ، فعليه أن يشترط عند الإحرام، فيقول:

اَللّٰهُمَّ إِنّي أُرِيدُ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ عَلىٰ كِتابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ، فَإِنْ عاقَنِي عائِقٌ أَوْ حَبَسَنِي حابِسٌ، فَحَلَّنِي حَيْثُ حَبَسْتَنِي، بِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَّرْتَ عَلَيَّ.

[اَللّٰهُمَّ إِنْ لَمْ تَكُنْ حَجَّةٌ، فَعُمْرَةٌ أُحْرِمُ لَكَ شَعْرِي وَبَشَرِي وَلَحْمِي وَ دَمِي وَعِظامِي وَمُخّي، وَعَصَبِي مِنَ النِّساءِ وَ الثِّيابِ وَالطِّيبِ، أَبْتَغي بِذٰلِكَ وَجْهَكَ وَالدّارَ الآخِرَةَ].

ثمّ يلبّي من الميقات الّذي وقّته رسول الله ﷺ فيلبّي فيقول:

لَبَّيْكَ اَللّٰهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَ النِّعْمَةَ لَكَ وَ الْمُلْك، لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ بحجّة وعمرة تمامها وبلاغها عليك.

فإذا دخل مكّة ونظر إلى أبيات مكّة، قطع التلبية وطاف بالبيت سبعة أشواط، وصلّى عند مقام إبراهيم ركعتين، وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ثمّ يحلّ ويتمتّع بالثياب والنساء والطيب، وهو مقيم على الحجّ إلى يوم التروية.

فإذا كان يوم التروية، أحرم عند زوال الشمس من عند المقام بالحجّ.

فإذا زالت الشمس يوم عرفة قطع التلبية، ويقف بعرفات في الدعاء والتكبير والتهليل والتحميد والتمجيد، فإذا غابت الشمس رجع إلى المزدلفة، فبات بها.

فإذا أصبح قام بالمشعر الحرام، ودعا، وهلّل الله، وسبّحه، وكبّره، ثمّ ازدلف منها إلى منى، ورمى الجمار، وذبح، وحلق، إن كان غنيّاً فعليه بدنة، وإن كان بين ذلك

---

(١) عنه البحار: ٣٢٧/٩٩ ح٢، والمستدرك: ٣١٥/٩ ح٢.

فعليه بقرة، وإن كان فقيراً فعليه شاة، فمن لم يجد ذلك فعليه أن يصوم بمكّة ثلاثة أيّام، فإذا رجع إلى منزله صام سبعة أيّام، فتقوم هذه الأيّام العشرة مقام الهدي الّذي كان عليه، وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ وذلك لمن ليس هو مقيم بمكّة ولا من أهل مكّة.

وأمّا أهل مكّة ومن كان حول مكّة على ثمانية وأربعين ميلاً، فليست لهم متعة، وإنّما يفردون الحجّ، لقوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.[1]

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ـ إلى قوله ـ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ «١٩٧ـ٢٠٣»

وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فالرفث: الجماع. والفسوق: الكذب. والجدال: الخصومة، وهي قول: «لا والله» و«بلى والله».

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾

قال: كانت العرب إذا وقفوا بالمشعر وقضوا مناسكهم، يتفاخرون بآبائهم، فيقولون: لا وأبيك! لا وأبي! فأمرهم الله أن يقولوا: لا والله، بلى والله.[2]

وقوله تعالىٰ: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾

٢٧ـ فإنّه حدّثني أبي، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن سفيان بن عيينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل رجل من أبي عبدالله عليه السلام[3] بعد منصرفه من الموقف، فقال: أترى يجيب الله هذا الخلق كلّهم؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: ما وقف بهذا الموقف أحد من الناس مؤمن ولا كافر إلّا غفر الله له، إلّا أنّهم في مغفرتهم على ثلاث منازل: مؤمن غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأعتقه من النار، وذلك قوله تعالىٰ:

---

(١) عنه البحار: ٩٣/٩٩ ح١٦، والمستدرك: ١٠/١٠ ح٣ (قطعة).

(٢) عنه نور الثقلين: ٢٤١/١ ح٧٢٣.

(٣) «سأل رجل أبي» البرهان.

﴿ وِمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾.

ومؤمن غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، وقيل له: أحسن فيما بقي من عُمُرك، وذلك[١]، قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ[٢] وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ الكبائر، وأمّا العامّة فإنّهم يقولون:

فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخّر فلا إثم عليه لمن اتّقى الصيد!

أفترى أنّ الله تبارك وتعالى حرّم الصيد بعد ما أحلّه، لقوله:

﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ ﴾[٣]؟! وفي تفسير العامّة معناه: فإذا حللتم فاتّقوا الصيد!

وكافر وقف هذا الموقف، يريد زينة الحياة الدنيا، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه إن تاب من الشرك فيما بَقي من عُمُره، وإن لم يتب وفّاه الله أجره في الدنيا ولم يحرمه ثواب هذا الموقف، وهو قوله تعالى:

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٤].[٥]

وقوله: ﴿ وَاذْكُرُواْ اللهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾

قال: أيّام التشريق الثلاثة، والأيّام المعلومات العشرة من ذي الحجّة.[٦]

---

(١) «فذلك» خ.

(٢): أي تعجّل في الذهاب إلى وطنه. عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ العبد المؤمن حين يخرج من بيته حاجّاً لا يخطو خطوة، ولا تخطو به راحلته إلّا كتب الله له بها حسنة، ومحا عنه سيّئة، ورفع له بها درجة، فإذا وقف بعرفات فلو كانت له ذنوب عدد الثرىٰ رجع كما ولدته أُمّه ويقال له: استأنف العمل، يقول الله: ﴿فمن تعجّل في يومين فلا إثمّ عليه﴾ البقرة: ٢٠٣/٢، العيّاشي: ٢١٠/١ ح٣٨٧، عنه البحار: ٣١٥/٩٩ ح٦.

(٣) المائدة: ٢.

(٤) هود: ١٥ـ١٦.

(٥) عنه البحار: ٢٤٩/٩٩ ح٢، الكافي: ٥٢١/٤ ح١٠ (مثله)، عنه البرهان: ٤٣٤/١ ح٣، وج٩٠/٣ ح٢، ونور الثقلين: ٢٤٢/١ ح٧٢٩ و٢٤٤ ح٧٤٠، والوسائل: ٢٢/١٠ ذح١.

(٦) عنه البحار: ٣٠٧/٩٩ ح١٢، والمستدرك: ١٥٧/١٠ ح٥.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ـإلى قوله ـوَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ «٢٠٤ـ٢١٦»

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ قال: الحرث في هذا الموضع: الدين. والنسل: الناس. نزلت في الثاني، ويقال: في معاوية.(١)

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾

قال: ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، ومعني «يشري نفسه» أي يبذلها.(٢)

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾

قال: في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.(٣)

وقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال: قبل نوح على مذهب واحد، فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.(٤)

وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾.

نزلت بالمدينة، ونسخت قوله: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾(٥) الّتي نزلت بمكّة.

وأمّا قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ «٢١٧»

فإنّه كان سبب نزولها أنّه لمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، بعث السرايا إلى

---

(١) عنه البحار: ١٨٩/٩ ح ٢١، والبرهان: ٤٤١/١ ح ٩ (قطعة).

(٢) عنه البحار: ٤٠/٣٦ ح ١، والبرهان: ٤٤٥/١ ح ١١.

(٣) عنه البحار: ٣٤٢/٣٥ ح ١٢، ونور الثقلين: ٢٤٩/١ ح ٧٦٥.

(٤) عنه البحار: ٢٤/١١ ح ١، ونور الثقلين: ٢٥٤/١ ح ٧٨٥.

(٥) النساء: ٧٧.

الطرقات الّتي تدخل مكّة، تتعرّض لعير قريش، حتّى بعث «عبد الله بن جحش»[١] في نفر من أصحابه إلى نخلة ـ وهي بستان بني عامر ـ ليأخذوا عير قريش حين أقبلت من الطائف، عليها الزبيب والأدم والطعام، فوافوها وقد نزلت العير وفيها «عمر[و] بن عبدالله الحضرميّ» وكان حليفاً لعُتبة بن ربيعة. فلمّا نظر الحضرميّ إلى عبد الله بن جحش وأصحابه فزعوا، وتهيّأوا للحرب وقالوا: هؤلاء أصحاب محمّد! فأمر عبدالله بن جحش أصحابه أن ينزلوا ويحلقوا رؤوسهم! فنزلوا وحلقوا رؤوسهم. فقال ابن الحضرمي: هؤلاء قوم عبّاد ليس علينا منهم بأس! فلمّا اطمأنّوا ووضعوا السلاح، حمل عليهم عبدالله بن جحش فقتل ابن الحضرميّ وأفلت[٢] أصحابه، وأخذوا العير بما فيها وساقوها إلى المدينة.

وكان ذلك في أوّل يوم من رجب من الأشهر الحرم، فعزلوا العير وما كان عليها، ولم ينالوا منها شيئاً، فكتبت قريش إلى رسول الله ﷺ إنّك استحللت الشهر الحرام وسفكت فيه الدم وأخذت المال! وكثر القول في هذا. وجاء أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله أيحلّ القتل في الشهر الحرام؟ فأنزل الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ...إلخ﴾ قال الله تبارك وتعالىٰ: القتال في الشهر الحرام عظيم، ولكنّ الّذي فعلت قريش بك يا محمّد من الصدّ عن المسجد الحرام، والكفر بالله، وإخراجك منه، هو أكبر عندالله، والفتنة ـ يعني الكفر بالله ـ أكبر من القتل، ثمّ أُنزلت عليه: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.[٣]

---

(١) عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي: صحابي قديم الإسلام هاجر إلى بلاد الحبشة ثمّ إلى المدينة وكان من أُمراء السرايا، وهو صِهر الرسول ﷺ وابن عمّته، أخو زينب أُمّ المؤمنين قتل يوم أُحد شهيداً، فدفن هو والحمزة عليه السلام في قبر واحد. (حلية الأولياء ١٠٨/١ ح١٣، الإصابة ٢٨٦/٢ ح٤٥٨٣).

(٢) «وقتل» البرهان.

(٣) عنه البحار: ١٩١/١٩ ح٤٥، والبرهان: ٤٥٣/١ ح١، والمستدرك: ٤٨/١١ ح٣، إعلام الورى: ١٦٦/١.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ...﴾ «٢١٩»

قال: لا إقتار ولا إسراف.[١]

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّين﴾ «٢٢٠»

٢٨ـ فإنّه حدّثني أبي، عن صفوان، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه لمّا [أُ]نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[٢] أخرج كلّ من كان عنده يتيم، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله في إخراجهم، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى...إلخ﴾.[٣]

٢٩ ـ وقال الصادق عليه السلام: لابأس أن تخلط طعامك بطعام اليتيم، فإنّ الصغير يوشك أن يأكل كما يأكل الكبير معه، وأمّا الكسوة وغيرها فيحسب على كلّ رأس صغير وكبير كما يحتاج إليه.[٤]

وأمّا قوله: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾ «٢٢١»

فقوله: ﴿وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾ منسوخ بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.[٥]

وقوله: ﴿وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾ على حاله لم ينسخ.

---

(١) عنه نور الثقلين: ٢٥٦/١ ح٧٩٦. (٢) النساء: ١٠.

(٣) عنه نور الثقلين: ٢٥٦/١ ح٧٩٨ صدره وج ٢٦/٢ ح٧٨، والبرهان: ٤٥٩/١ ح٥، والوسائل: ١٨٩/١٢ ح٥.

(٤) عنه البرهان: ٤٥٩/١ ح٦، ونور الثقلين: ٢٥٦/١ ذح٧٩٨، والوسائل: ١٨٩/١٢ ح٦.

(٥) المائدة: ٥.

وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ «٢٢٢»

يعني النساء لا تأتوهنّ في الفرج حتّى يغتسلن، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ـ أي اغتسلن ـ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾.

وقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ «٢٢٣»

أي متى شئتم.

وتأوّلت العامّة في قوله: ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي حيث شئتم في القبل، والدبر.

٣٠ ـ وقال الصادق عليه السلام: ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي متىٰ شئتم في الفرج.[1]

والدليل على قوله في الفرج، قوله تعالى:

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ فالحرث الزرع، والزرع في الفرج في موضع الولد.

٣١ ـ وقال الصادق عليه السلام: من أتى امرأته في الفرج في أوّل أيّام حيضها فعليه أن يتصدّق بدينار، وعليه ربع حدّ الزنا خمسة وعشرون جلدة، وإن أتاها في آخر أيّام حيضها فعليه أن يتصدّق بنصف دينار، ويضرب اثني عشر جلدة ونصفاً[2].[3]

وقوله: ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ «٢٢٤»

قال: هو قول الرجل في كلّ حالة: لا والله! وبلى والله!.[4]

---

(١) عنه البرهان: ٤٦٢/١ ح٦، والوسائل: ١٠١/١٤ ح٦.

(٢) بأن يؤخذ نصف السوط باليد ويضرب به.

(٣) عنه البحار: ٨٦/٧٩ ح١ (قطعة) وج١٠٣/٢٨٨ ح ٢٤، والوسائل: ٥٧٥/٢ ح٦ (قطعة).

(٤) عنه نور الثقلين: ٢٦٥/١ ح٨٣٢.

وأمّا قوله: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاؤُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢٢٦»

٣٢ ـ فإنه حدّثني أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: الإيلاء هو أن يحلف الرجل على امرأته ألّا يجامعها، فإن صبرت عليه فلها أن تصبر، وإن رفعته إلى الإمام، أنظره أربعة أشهر، ثمّ يقول له بعد ذلك: إمّا أن ترجع إلى المناكحة وإمّا أن تطلّق، وإلّا حبستك أبداً.[1]

٣٣ ـ وروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام: أنّه بنى حظيرة من قصب، وجعل فيها رجلاً آلى من امرأته بعد أربعة أشهر، وقال له: إمّا أن ترجع إلى المناكحة، وإمّا أن تطلّق وإلّا أحرقت عليك الحظيرة.[2]

وقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ...﴾ «٢٢٨»

قال: والمطلّقة تعتدّ ثلاثة قروء إن كانت تحيض.

قوله: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾

قال: لا يحلّ للمرأة أن تكتم حملها، أو حيضها، أو طهرها، وقد فرض الله على النساء ثلاثة أشياء: الطهر، والحيض، والحبل.[3]

وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

قال: حقّ الرجال على النساء أفضل من حقّ النساء على الرجال.[4]

---

(١) عنه البحار: ١٦٩/١٠٤ ح١، والوسائل: ٥٤١/١٥ ح٦، والبرهان: ٤٧٠/١ ح٧.

(٢) عنه البحار: ١٦٩/١٠٤ ح٢، والوسائل: ٥٤٦/١٥ ح٦، والبرهان: ٤٧٠/١ ح٨.

(٣) عنه نور الثقلين: ٢٦٩/١ ح٨٥٢.

(٤) عنه البرهان: ٤٧٥/١ ح٢.

وقوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...﴾ «٢٢٩»

قال: في الثالثة وهو طلاق السنّة.(١)

٣٤ـ فإنه حدّثني أبي، عن إسماعيل بن مرّار، عن يونس، رفعه، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن طلاق السنّة؟

قال: هو أن يطلّق الرجل المرأة على طهر من غير جماع بشهادة شاهدين عدلين، ثمّ يتركها حتّى تعتدّ ثلاثة قروء، فإذا مضت ثلاثة قروء فقد بانت منه بواحدة، وحلّت للأزواج، وكان زوجها خاطباً من الخطّاب، إن شاءت تزوّجته، وإن شاءت لم تفعل.

فإن تزوّجها بمهر جديد، كانت عنده بثنتين باقيتين ومضت بواحدة، فإن هو طلّقها واحدة على طهر بشهود، ثمّ راجعها وواقعها، ثمّ انتظر بها حتّى إذا حاضت وطهرت طلّقها طلقة أُخرى بشهادة شاهدين عدلين، ثمّ تركها حتّى تمضي أقراؤها الثلاثة [فإذا مضت أقراؤها الثلاثة] قبل أن يراجعها، فقد بانت منه بثنتين، وقد ملكت أمرها وحلّت للأزواج، وكان زوجها خاطباً من الخطّاب.

فإن شاءت تزوّجته، وإن شاءت لم تفعل، فإن هو تزوّجها تزويجاً جديداً بمهر جديد، كانت عنده باقية بواحدة وقد مضت ثنتان، فإذا أراد أن يطلّقها طلاقاً، لاتحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره تركها، حتّى إذا حاضت وطهرت أشهد على طلاقها تطليقة واحدة، ولاتحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره.

وأمّا طلاق الرجعة، فإنّه يدعها حتّى تحيض وتطهر، ثمّ يطلّقها بشهادة شاهدين [عدلين] ثمّ يراجعها ويواقعها، ثمّ ينتظر بها الطهر، فإن حاضت وطهرت أشهد شاهدين على تطليقة أُخرى، ثمّ يراجعها ويواقعها، ثمّ ينتظر بها الطهر، فإن

---

(١) عنه نور الثقلين: ١/٢٧١ ح٧٥٩.

حاضت وطهرت أشهد شاهدين على التطليقة الثالثة، كلّ تطليقة على طهر بمراجعة، فلا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره، وعليها أن تعتدّ ثلاثة قروء من يوم طلّقها التطليقة الثالثة لدنس النكاح، وهما يتوارثان ما دامت في العدّة.

فإن طلّقها واحدة على طهر بشهود، ثمّ انتظر بها حتّى تحيض وتطهر، ثمّ طلّقها قبل أن يراجعها، لم يكن طلاقه الثاني طلاقاً جائزاً لأنّه طلّق طالقاً، لأنّه إذا كانت المرأة مطلّقة من زوجها، كانت خارجة من ملكه حتّى يراجعها، فإذا راجعها صارت في ملكه ما لم يطلّق التطليقة الثالثة، فإذا طلّقها التطليقة الثالثة، فقد خرج ملك الرجعة من يده، فإن طلّقها على طهر بشهود، ثمّ راجعها وانتظر بها الطهر من غير مواقعة، فحاضت وطهرت وهي عنده، ثم طلّقها قبل أن يدنّسها بمواقعة بعد الرجعة، لم يكن طلاقه لها طلاقاً، لأنّه طلّقها التطليقة الثانية في الطهر الأوّل.

ولاينقض الطهر إلّا بمواقعة بعد الرجعة، وكذلك لا تكون التطليقة الثالثة إلّا بمراجعة ومواقعة بعد المراجعة، ثمّ حيض وطهر بعد الحيض ثمّ طلاق بشهود، حتّى يكون لكلّ تطليقة طهر من تدنيس مواقعة بشهود.(١)

قوله: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾

فإنّ هذه الآية نزلت في الخلع.(٢)

٣٥ـ حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

الخلع لايكون إلّا أن تقول المرأة لزوجها: لا أبرّ لك قسماً، ولأخرجنّ بغير إذنك، ولأوطينّ فراشك غيرك، ولا أغتسل لك من جنابة! أو تقول: لاأُطيع لك أمراً أو تطلّقني! فإذا قالت ذلك، فقد حلّ له أن يأخذ منها جميع ما أعطاها، وكلّ ما قدر

---

(١) عنه البحار: ١٤٥/١٠٤ ح٢٦، الكافي: ٦٦/٦ ح٤ (نحوه)، الإستبصار: ٢٦٨/٣ ح١، والتهذيب: ٢٧/٨ ح٣ (نحوه).

(٢) عنه البرهان: ٤٧٧/١ ح١.

عليه ممّا تعطيه من مالها، فإذا تراضيا على ذلك طلّقها على طهر بشهود، فقد بانت منه بواحدة، وهو خاطب من الخطّاب، فإن شاءت زوّجته نفسها[١]، وإن شاءت لم تفعل، فإن تزوّجها فهي عنده على اثنتين باقيتين، وينبغي له أن يشترط عليها كما [لو] اشترط صاحب المباراة، إن ارتجعت في شيء ممّا أعطيتني فأنا أملك ببضعك، وقال: لاخلع، ولا مباراة، ولاتخيير إلّا على طهر من غير جماع بشهادة شاهدين عدلين، والمختلعة إذا تزوّجت زوجاً آخر، ثمّ طلّقها، تحل للأوّل أن يتزوّج بها، وقال: لارجعة للزوج على المختلعة، ولا على المباراة[٢] إلّا أن يبدو للمرأة فيردّ عليها ما أخذ منها.[٣]

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ -إلى قوله- إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ «٢٣٠-٢٣٢»

وقوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ يعني الطلاق الثالث،

وقوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا -يعني في الطلاق الأوّل والثاني- إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

وقوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَّتَعْتَدُواْ...﴾ قال: إذا طلّقها لم يجز له أن يراجعها إن لم يردّها، فيضرّ بها.[٤]

وهو قوله: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَّتَعْتَدُواْ﴾. وأمّا قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ [أي لاتحبسوهنّ] أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾

يعني إذا رضيت المرأة بالتزويج الحلال.[٥]

---

(١) «تزوّجته» خ. (٢): صالحها على الفراق (لسان العرب: ١/٣٣).

(٣) عنه البحار: ١٠٤/١٦٢ ح١، والبرهان: ١/٤٧٧ ح٢، والوسائل: ١٥/٤٩٩ ح٤.

(٤) عنه البرهان: ١/٤٨٢ ح٣. (٥) عنه البرهان: ١/٤٨٣ ح١.

وقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ «٢٣٣»

يعني إذا مات الرجل وترك ولداً رضيعاً، لاينبغي للوارث أن يضرّ بنفقة المولود الرضيع، وعلى الوليّ للمولود[١] أن يجري عليه بالمعروف.[٢]

وقوله: ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾

٣٦ـ فإنّه حدّثني أبي، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكنانيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: لاينبغي للرجل أن يمتنع من جماع المرأة، فيضارّ بها إذا كان لها ولد مرضع، ويقول لها: لا أقربك، فإنّي أخاف عليك الحبل، فتقتلي ولدي! وكذلك المرأة لايحلّ لها أن تمتنع على الرجل، فتقول: إنّي أخاف أن أحبل فأعيل[٣] ولدي، فهذه المضارّة في الجماع على الرجل والمرأة.[٤]

وقوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِك﴾ قال: لاتضارّ المرأة الّتي لها ولد وقد توفّي زوجها، فلا يحلّ للوارث أن يضارّ أمّ الولد في النفقة فيضيّق عليها.[٥]

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾

يعني إذا اصطلحت الأمّ والوارث، فيقول: خذي الولد واذهبي به حيث شئت.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً...﴾ «٢٣٤»

فهي ناسخة لقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَّزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى

---

(١) في المصدر: «بل ينبغي له».
(٢) عنه البرهان: ٤٨٥/١ ح٨.
(٣) «فأقتل» البرهان.
(٤) عنه البحار: ٥٨/١٠٤ ح٦، والبرهان: ٤٨٥/١ ح٦، والوسائل: ١٨٠/١٥ ح٢.
(٥) عنه نور الثقلين: ٢٧٧/١ ح٨٨٨، والبرهان: ٤٨٥/١ ح٧.

الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[1] فقد قدّمت الناسخة على المنسوخة في التأليف.

وقوله: ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ...﴾ «٢٣٥»

فهو أن يقول الرجل للمرأة في العدّة إذا توفّي عنها زوجها: لاتحدثي حدثاً! ولايصرّح لها النكاح والتزويج، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك والسرّ في النكاح، فقال: ﴿وَلَـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ وقال:

من السرّ أيضاً أن يقول الرجل ـ في عدّة المرأة ـ للمرأة:

موعدك بيت فلان. وقال الأعشى في ذلك:

فلا تنكحن جارة إنّ سرّها عليك حرام فانكحن أو تأبّدا[2]

وأمّا قوله: ﴿وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾

أي تعتد وتبلغ الّذي في الكتاب أجله أربعة أشهر وعشراً.

وأمّا قوله: ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً...﴾ «٢٣٦ـ٢٣٧»

فهو أن يطلّق الرجل المرأة الّتي قد تزوّجها ولم يدخل بها، ولم يسمّ لها صداقاً، فعليه إن طلّقها أن يمتّعها على قدر حاله كما قال الله عزّ وجلّ:

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ...﴾ الآية، فالموسع يمتّع الأمة بالدراهم والثوب على قدر سعته، والمقتر يمتّع بالخمار، وما يقدر عليه.

وإن تزوّج بها وقد سمّى لها الصداق، ولم يدخل بها، فعليه نصف المهر.

قوله: ﴿إِلاَّ أَنْ يعفُونَ أو يعفُوا الّذي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾

---

(١) البقرة: ٢٤٠. (٢) عنه نور الثقلين: ١/ ٢٨٠ ح ٩٠١.

وهو الوليّ والأب، ولا يعفوان إلّا بأمرها، وهو قوله: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وتتزوّج من ساعتها ولا عدّة عليها.

والعدّة على اثنتين وعشرين وجهاً: فالمطلّقة تعتدّ ثلاثة قروء ـ والقرء: هو اجتماع الدم في الرحم.

والعدّة الثانية إذا لم [تكن] تحض فثلاثة أشهر بيض.

وإذا كانت تحيض في الشهر و الأقلّ والأكثر وطلّقت، ثمّ حاضت قبل أن يأتي لها ثلاثة أشهر حيضة واحدة، فلا تبين من زوجها إلّا بالحيض.

وإن مضى ثلاثة أشهر لها ولم تحض، فإنّها تبين بالأشهر البيض.

وإن حاضت قبل أن يمضي لها ثلاثة أشهر فإنّها تبين بالدم [الثالث].

والمطلّقة الّتي ليس للزوج عليها رجعة، فلا تبين حتّى تطهر من الدم الثالث.

والمطلّقة الحامل لاتبين حتّى تضع ما في بطنها، فإن طلّقها اليوم ووضعت في الغد فقد بانت.

والمتوفّى عنها زوجها [وهي الحامل] تعتدّ بأبعد الأجلين، فإن وضعت قبل أن يمضي لها أربعة أشهر وعشراً فلتتمّ أربعة أشهر وعشراً، فإن مضى لها أربعة أشهر وعشراً فلم تضع، فعدّتها إلى أن تضع.

والمطلّقة وزوجها غائب عنها تعتدّ من يوم طلّقها إذا شهد عندها شاهدان عدلان أنّه طلّقها في يوم معروف، تعتدّ من ذلك اليوم، فإن لم يشهد عندها أحد ولم تعلم أيّ يوم طلّقها تعتدّ من يوم يبلغها.

والمتوفّى عنها زوجها وهو غائب تعتدّ من يوم يبلغها.

والّتي لم يدخل بها زوجها، ثمّ طلّقها فلا عدّة عليها. وإن مات عنها ولم يدخل بها، تعتدّ أربعة أشهر وعشراً.

والعدّة على الرجال أيضاً: إذا كان له أربعة نسوة وطلّق إحداهنّ، لم يحلّ له أن يتزوّج حتّى تعتدّ الّتي طلّقها. فإذا أراد أن يتزوّج بأُخت امرأته، لم تحلّ له حتّى يطلّق امرأته وتعتدّ، ثمّ يتزوّج أُختها.

والمتوفّى عنها زوجها تعتدّ حيث شاءت،

والمطلّقة الّتي ليس للزوج عليها رجعة، تعتدّ حيث شاءت، ولاتبيت عن بيتها.

والّتي للزوج عليها رجعة، لاتعتدّ إلّا في بيت زوجها، وتراه ويراها ما دامت في العدّة.

وعدّة الأمة إذا كانت تحت الحرّ شهران وخمسة أيّام.

وعدّة المتعة خمسة وأربعون يوماً، وعدّة السبي إستبراء الرحم.

فهذه وجوه العدّة.[1]

وأمّا المراة الّتي لا تحلّ لزوجها أبداً، فهي الّتي طلّقها زوجها ثلاث تطليقات للعدّة على طهر من غير جماع بشهادة شاهدين عدلين، وتتزوّج زوجاً غيره، فيطلّقها ويتزوّج بها الأوّل، الّذي كان طلّقها ثلاث تطليقات،

ثمّ يطلّقها أيضاً ثلاثة تطليقات للعدّة، على طهر من غير جماع بشهادة عدلين وتتزوّج زوجاً آخر، ثمّ يطلّقها فيتزوجها الأوّل الّذي قد طلّقها ستّ تطليقات على طهر، وتزوّجت زوجين غير زوجها الأوّل، ثمّ طلّقها الزوج الأوّل ثلاث تطليقات للعدّة على طهر [واحد] من غير جماع، بشهادة [شاهدين] عدلين؛

فهذه الّتي لاتحلّ لزوجها الأوّل أبداً، لأنّه قد طلّقها تسع تطليقات، وتزوّج بها تسع مرّات، وتزوّجت ثلاثة أزواج، فلاتحلّ للزوج الأوّل أبداً.

ومن طلّق امرأته من غير أن تحيض، أو كانت في دم الحيض، أو نفساء من قبل أن تطهر، فطلاقه باطل.

---

(١) عنه البحار: ١٠٤/١٨٢ ح٢، والمستدرك: ١٥/٣٧٥ ح١.

وقوله: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ «٢٣٨»

٣٧ـ فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قرأ: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى ـ صلاة العصر ـ وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾

فقوله: ﴿وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ قال: إقبال الرجل على صلاته ومحافظته [على وقتها] حتّى لا يلهيه ولا يشغله عنها شيء.(١)

وقوله: ﴿فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾ «٢٣٩»

فهي رخصة بعد العزيمة للخائف أن يصلّي راكباً أو راجلاً، وصلاة الخوف على ثلاثة وجوه: قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذىً مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾(٢) فهذا وجه.

والوجه الثاني من صلاة الخوف، فهو الّذي يخاف اللصوص والسباع في السفر، فإنّه يتوجّه إلى القبلة، ويفتتح الصلاة، ويمرّ على وجهه الّذي هو فيه، فإذا فرغ من القراءة وأراد أن يركع ويسجد ولّى وجهه إلى القبلة إن قدر عليه، وإن لم يقدر عليه ركع وسجد حيث ما توجّه، وإن كان راكباً يومئ إيماءً برأسه.

و [**الوجه الثالث** من صلاة الخوف] صلاة المجادلة، وهي المضاربة في الحرب، إذا لم يقدر أن ينزل، فيصلّي ويكبّر [و] لكلّ ركعة تكبيرة، ويصلّي وهو راكب، فإنّ

---

(١) عنه البحار: ٨٢/٢٨٦ ح ٤، والبرهان: ١/٤٩٧ ح ٣ (صدره) و٤٩٧ ح ٧ (ذيله)، ونور الثقلين: ١/٢٨٧ ح ٩٣٥، ورواه العيّاشي في تفسيره: ١/٢٤٥ ح ٤٢٠ وفيه: «الصلاة الوسطى الظهر»، عنه الوسائل: ٣/١٥ ح ٥.

(٢) النساء: ١٠٢.

أمير المؤمنين عليه السلام صلّى وأصحابه خمس صلوات بصفّين على ظهور الدوابّ، لكلّ ركعة تكبيرة، وصلّى وهو راكب حيث ما توجّهوا.[١]

ومنها صلاة الحيرة على ثلاثة وجوه: فوجه منها هو أنّ الرجل يكون في مفازة ولا يعرف القبلة، فيصلّي إلىٰ أربعة جهات.[٢]

والوجه الثاني، من فاتته صلاة ولم يعرف أيّ صلاة هي، فإنّه يجب أن يصلّي ثلاث ركعات، وأربع ركعات، وركعتين، فإن كانت المغرب فقد قضاها، وإن فاتته العتمة فقد قضاها، وإن كانت الفجر فقد قضاها، وإن كانت الظهر والعصر فقد قامت الأربعة مقامها.

والوجه الثالث، من كان عليه ثوبان فأصاب أحدهما بول، أو قذر، أو جنابة، ولم يدر أيّ الثوبين أصابه القذر، فإنّه يصلّي في هذا وفي هذا، فإذا وجد الماء غسلهما جميعاً.[٣]

وأمّا قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ «٢٤٣»

فإنّه كان وقع الطاعون بالشام في بعض الكور[٤] فخرج منهم خلق كثير كما حكى الله تعالى هرباً من الطاعون، فصاروا إلى مفازة، فماتوا في ليلة واحدة كلّهم، فبقوا حتّى كانت عظامهم يمرّ بها المارّ فينحّيها برجله عن الطريق، ثمّ أحياهم الله وردّهم إلى منازلهم، فبقوا دهراً طويلاً، ثمّ ماتوا وتدافنوا.[٥]

---

(١) عنه البحار: ١٠٩/٨٩ ح٢، ومستدرك الوسائل: ٥٢٠/٦ ح٣ (قطعة).

(٢) «جوانب» البحار.

(٣) عنه البحار: ٦٥/٨٤ ح١٩ (قطعة) وج ٢٩٩/٨٨ ح٧، والمستدرك: ١٨٢/٣ ح١ وج٦/٤٣٧ ح١.

(٤): مفردها كورة، وهي المدينة أو الناحية (مجمع البحرين: ١٦٠٣/٣).

(٥) عنه البحار: ١٢٣/٦ ح٨ (باختلاف يسير)، وج٣٨١/١٣ ح١، والإيقاظ من الهجعة: ١٣٨ ح٣١.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ -إلى قوله- وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ «٢٤٦»

٣٨- قال: حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ بني إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام عملوا بالمعاصي، وغيّروا دين الله، وعتوا عن أمر ربّهم، وكان فيهم نبيّ يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه، وروي أنّه أرميا النبيّ، فسلّط الله عليهم جالوت، وهو من القبط، فأذلّهم وقتل رجالهم، وأخرجهم من ديارهم وأموالهم، واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيّهم، فقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله. وكانت النبوّة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر، لم يجمع الله لهم النبوّة و الملك في بيت واحد، فمن ذلك ﴿قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً...إلخ﴾

فقال لهم نبيّهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا -وكان كما قال الله تبارك و تعالى:- فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ -إلى قوله- فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ «٢٤٧-٢٤٨»

وقوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً -فغضبوا من ذلك و- قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ وكانت النبوّة في ولد لاوي، والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد ابن يامين[1] أخي يوسف لأمّه وأبيه ولم يكن من بيت النبوّة ولامن بيت المملكة؛

فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ

---

(١) «من ولد بنيامين» البرهان.

يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وكان أعظمهم جسماً، وكان شجاعاً قويّاً وكان أعلمهم، إلّا أنّه كان فقيراً فعابوه بالفقر، فقالوا: لم يؤت سعة من المال!

﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ﴾ وكان التابوت ـ الّذي أنزله الله على موسى عليه السلام، فوضعته فيه اُمّه وألقته في اليمّ ـ في بني إسرائيل معظّماً يتبرّكون به، فلمّا حضرت موسى الوفاة، وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوّة، وأودعه يوشع وصيّه، فلم يزل التابوت بينهم حتّى استخفّوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ وشرف ما دام التابوت عندهم، فلمّا عملوا بالمعاصي واستخفّوا بالتابوت، رفعه الله عزّ وجلّ عنهم، فلمّا سألوا النبيّ، بعث الله طالوت إليهم[١] يقاتل معهم، ردّ الله عليهم التابوت، كما قال الله تعالى:

﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ﴾ قال: البقيّة ذرّيّة الأنبياء عليهم السلام.[٢]

وقوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ فإنّ التابوت كان يوضع بين يدي العدوّ وبين المسلمين، فتخرج منه ريح طيّبة لها وجه كوجه الإنسان.[٣]

٣٩ـ حدّثني أبي، عن الحسين[٤] بن خالد، عن الرضا عليه السلام أنّه قال:

السكينة: ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، فكان إذا وضع التابوت بين

---

(١) «عليهم» البرهان.

(٢) عنه البحار: ١٣/٤٣٨ صدر ح ٤، والبرهان: ١/٥٠٥ ح ٢، ونور الثقلين: ١/٢٩٧ ح ٩٧٥ و٩٧٦.

(٣) عنه البحار: ١٣/٤٤٠ ضمن ح ٤، والبرهان: ١/٥٠٦ ح ٣.

(٤) قال السيّد الخوئي: وعن بعض نسخ الرجال الحسن بن خالد بدل الحسين بن خالد، وقال أيضاً: إذا صحّت نسخة الحسن في رجال الشيخ فالظاهر أنّه الحسن بن خالد بن محمّد المتقدّم. وإذا صحّت نسخة الحسين المؤيّدة بالروايات فهو مردّد بين الخفّاف والصيرفي وظاهر الميرزا والقبهائي وغيرهما اتحاده مع الحسين بن خالد الصيرفي والله العالم. اُنظر معجم رجال الحديث: ٤/٣١٧ و٥/٢٢٧.

يدي المسلمين والكفّار، فإن تقدّم التابوت رَجُل لايرجع حتّى يُقتل أو يـغلب! ومن رجع عن التابوت كفر، وقتله الإمام!

فأوحى الله إلى نبيّهم، أنّ جالوت يقتله من تستوي عليه درع موسى عليه السلام، وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام اسمه «داود بن آسي» وكان آسي راعياً، وكان له عشرة بنين أصغرهم داود، فلمّا بعث طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحـرب جالوت، بعث إلى آسي أن [احضر و] أحضر ولدك. فلمّا حـضروا، دعـا واحـداً واحداً من ولده فألبسه الدرع، درع موسى عليه السلام، فمنهم من طالت عليه، ومنهم من قصرت عنه، فقال لآسي: هل خلّفت من ولدك أحداً؟ قال: نعم، أصغرهم، تركته في الغنم يرعاها. فبعث إلى ابنه، فجاء به، [فلمّا دعي أقبل] ومعه مقلاع[1].

قال: فنادته ثلاث صخرات في طريقه، فقالت: يا داود! خُـذنا. فـأخذها فـي مخلاته، وكان شديد البطش، قويّاً في بدنه، شجاعاً. فلمّا جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى، فاستوت عليه، ففصل طالوت بالجنود.

وقال لهم نبيّهم: يا بني إسرائيل ﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ في هذه المفازة فمن شرب منه فليس من حزب الله، ومن لم يشرب منه فإنّه من حزب الله، إلّا من اغترف غرفة بيده. فلمّا وردوا النهر، أطلق الله لهم أن يغترف كل واحد منهم غرفة بيده، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ فالّذين شربوا منه كانوا ستّين ألفاً، وهذا امتحان امتُحِنوا به كما قال الله تعالى.[2]

٤٠ ـ وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ القليل الّـذين لم يشـربوا ولم يـغترفوا ثلاثمائة وثلاثة عشـر رجـلاً، فـلمّا جـاوزوا النـهر ونـظروا إلى جـنود جـالوت،

---

(١) : الّذي يُرمىٰ به الحجر. «الصحاح: ١٢٧١/٣».

(٢) عنه البرهان: ٥٠٦/١ ح ٤، ونور الثقلين: ٢٩٩/١ ح ٩٨١، والبحار: ٤٤٠/١٣ ذح ٤، مسند الإمـام الرضـا عليه السلام: ٣١٤/١ ح ٢٤ (قطعة).

قال الّذين شربوا منه: ﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ﴾ وقال الّذين لم يشربوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

فجاء داود عليه السلام حتّى وقف بحِذاء جالوت، وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج، وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها، وجنوده بين يديه.

فأخذ داود من تلك الأحجار حجراً فرمى به في ميمنة جالوت، فمرّ في الهواء فوقع عليهم فانهزموا، وأخذ حجراً آخر فرمىٰ به في ميسرة جالوت فوقع عليهم فانهزموا، ورمىٰ جالوت بحجر [ثالث] فصكّ الياقوتة في جبهته، ووصل إلى دماغه، ووقع إلى الأرض ميّتاً، وهو قوله:

﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾.[١]

وأمّا قوله: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ «٢٥١»

٤١ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

إنّ الله يدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لايصلّي من شيعتنا، ولو اجتمعوا[٢] على ترك الصلاة لهلكوا جميعاً، وإنّ الله ليدفع بمن يزكّي من شيعتنا عمّن لايزكّي من شيعتنا، ولو اجتمعوا[٣] على ترك الزكاة لهلكوا، وإنّ الله ليدفع بمن يحجّ من شيعتنا عمّن لايحجّ من شيعتنا، ولو اجتمعوا[٤] على ترك الحجّ لهلكوا؛

وهو قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ...إلخ﴾.[٥]

---

(١) عنه البحار: ٤٤١/١٣ ذح ٤، البرهان: ٥٠٧/١ ح ٥، ونور الثقلين: ٣٠٠/١ ح ٩٨٢.

(٢ ـ ٤) «اجمعوا» خ.

(٥) عنه نور الثقلين: ٣٠٦/١ ح ١٠٠٦، والبرهان: ٥١٢/١ ح ١، والوسائل: ١٨/١ ح ٣٦، العيّاشي: ٢٥٥/١ ح ٤٤٩ (بإسناده عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله)، عنه البحار: ٣٨٢/٧٣ ح ٦.

وأمّا قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ «٢٥٣»

٤٢ ـ **فإنّه جاء رجل** إلى أميرالمؤمنين عليه السلام يوم الجمل، فقال: يا عليّ! علامَ تقاتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله؟

فقال عليّ عليه السلام: [على] آية في كتاب الله أباحت لي قتالهم. فقال: وما هي؟

قال: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [فنحن الّذين آمنّا، وهم الّذين كفروا].

فقال الرجل: كفر ـ والله ـ القوم. ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتِل رحمه الله.(١)

قوله: ﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾ «٢٥٤»

أي صداقة.(٢)

﴿اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ـ إلى قوله ـ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ «٢٥٥ـ٢٥٧»

٤٣ ـ **وأمّا آية الكرسيّ**، فإنّه حدّثني أبي، عن الحسين بن خالد، أنّه قرأ أبو الحسن الرضا عليه السلام: ﴿اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ـ أي نُعاس ـ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ـ وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ـ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

---

(١) عنه البحار: ٤٢٦/٢٩ ح١١، والبرهان: ٥١٥/١ ح٥، ومجمع البيان: ٢٩١/١، وغاية المرام: ٣١٠/٤ ح٣.

(٢) عنه البرهان: ٥١٥/١ ح١.

قال: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ـ فأُمور الأنبياء وماكان ـ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما لم يكن بعد.

قوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَاء ـ أي بما يوحي إليهم ـ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يثقل عليه حفظ ما في السماوات وما في الأرض.[١]

وقوله: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي لا يكره أحد على دينه، إلّا بعد أن قد تبيّن له[٢] الرشد من الغيّ.[٣]

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ وهم الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم. وقوله:

﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ ـ يعني الولاية ـ لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ أي حبل لا انقطاع له. يعني أمير المؤمنين والأئمّة بعده عليهم السلام.

﴿اللهُ وَلِيُّ الّذينَ آمنوا﴾ وهم الّذين اتّبعوا آل محمّد عليهم السلام.

﴿يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم الظالمون آل محمّد.

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ وهم الّذين اتّبعوا من غصبهم.

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ والحمد لله ربّ العالمين، هكذا أُنزلت.[٤]

٤٤ـ حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ سألته أيّما أوسع، الكرسي أو السماوات والأرض؟ قال: لا، بل الكرسيّ وسع السماوات والأرض، وكلّ شيء خلقه الله في الكرسيّ.[٥]

---

(١) عنه البرهان: ٥١٦/١ ح ١، والبحار: ٢٦٣/٩٢ صدر ح ٦، ونور الثقلين: ٣١٤/١ ح ١٠٤٣ وص ٣١٥ صدر ح ١٠٤٥.

(٢) «إلاّ بعد أن يتبيّن له» خ.

(٣) عنه البحار: ٢٦٣/٩٢ ضمن ح ٦، والبرهان: ٥٢٢/١ ح ١، ونور الثقلين: ٣١٥/١ ضمن ح ١٠٤٥.

(٤) عنه البحار: ٢٣/٦٧ (قطعة)، وج ٢٦٣/٩٢ ذح ٦، ونور الثقلين: ٣١٥/١ ذح ١٠٤٥.

(٥) عنه البحار: ٢٢/٥٨ ح ٣٩، ونور الثقلين: ٣١٥/١ ح ١٠٤٦، العياشي: ٢٥٧/١ ح ٤٥٦ (قطعة مثله)، عنه البرهان: ٥١٧/١ ح ٩.

٤٥ـ **حدّثني أبي**، عن إسحاق بن الهيثم، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة أنّ عليّاً عليه السلام سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فقال:

السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسيّ؛

وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله:

فأمّا الملك الأوّل: ففي صورة الآدميّين، وهو أكرم الصور على الله[1] وهو يدعو الله ويتضرّع إليه، ويطلب الشفاعة[2] والرزق لبني آدم.

والملك الثاني: في صورة الثّور، وهو سيّد البهائم، وهو يدعو الله ويطلب الرزق من الله، ويتضرّع إليه، ويطلب الشفاعة والرزق لجميع البهائم.

والملك الثالث: في صورة النسر، وهو سيّد الطير، وهو يطلب إلى الله، ويتضرّع إليه، ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطير.

والملك الرابع: في صورة الأسد، وهو سيّد السِّباع، وهو يرغب إلى الله، [ويتضرّع إليه] ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع.

ولم يكن في هذه الصور أحسن من الثور، ولا أشدّ انتصاباً منه، حتّى اتّخذ الملأ من بني إسرائيل العجل إلهاً، فلمّا عكفوا عليه وعبدوه من دون الله، خفض الملك الّذي في صورة الثور رأسه، إستحياءً من الله أن عُبِدَ من دون الله شيئاً يشبهه، وتخوّف أن ينزل به العذاب.

ثمّ قال عليه السلام: إنّ الشجر لم يزل حصيداً كلّه حتّى دُعِيَ للرحمن ولداً، عزّ الرحمن وجلّ أن يكون له ولد ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[3] فعند ذلك اقشعرّ الشجر، وصار له شوك[4] حذراً أن ينزل به العذاب، فما بال قوم غيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعَدَلوا عن وصيّته في حقّ عليّ والأئمّة ولا يخافون أن

---

(١) «أشرف الصور وأكرمها» خ.
(٢) «السّعة» خ، وكذا ما يأتي.
(٣) مريم: ٩٠.
(٤) «وصار بلا ورق» خ.

ينزل بهم العذاب؟! ثمّ تلا هذه الآية: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾(١)

ثمّ قال: نحن ـ والله ـ نعمة الله الّتي أنعم الله بها على عباده، وبنا فاز من فاز.(٢)

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ...﴾ «٢٥٨ـ٢٥٩»

فإنّه لمّا ألقى نمرود إبراهيم عليه السلام في النار، وجعلها الله عليه برداً وسلاماً، قال نمرود: يا إبراهيم من ربّك؟ قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ﴾.

قال لهُ نمرود: ﴿أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ﴾! فقال له إبراهيم عليه السلام: كيف تُحيي وَتُميت؟

قال: أعمِد إلى رجُلين ممّن قد وجب عليهما القَتْل، فأُطلق عن واحد، وأقتل واحداً فأكون قد أحيَيْتُ وأمتُّ!

قال إبراهيم عليه السلام: إن كنت صادقاً فأحي الّذي قتلته! ثمّ قال: دع هذا، فإنّ ربّـي يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب! فكان كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي انقطع، وذلك أنّه علم أنّ الشمس أقدم منه.(٣)

وأمّا قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَـلَى عُـرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِـي هَـٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ «٢٥٩»

٤٦ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن هـارون بـن

---

(١) إبراهيم: ٢٨ و ٢٩.

(٢) عنه البحار: ٢١/٥٨ ح٣٨، وج٦٤/١٤٠ ح٤٣ (قطعة)، وج٦٦/١١٢ ح٦ (قطعة)، والبـرهان: ١/٥١٧ ح١٠، ونور الثقلين: ١/٣١٦ ح١٠٤٧، وج٣/١٠٤ ح١٠٦ (قطعة).

(٣) عنه البحار: ١٢/٣٤ ح٩، والبرهان: ١/٥٢٨ ح٤.

خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا عملت بنو إسرائيل المعاصي وعتوا عن أمر ربّهم، أراد الله أن يسلّط عليهم من يذلّهم ويقتلهم.

فأوحى الله تعالى إلى إرميا: يا إرميا ما بلد انتخبته من بين البلدان، وغرست فيه من كرائم الشجر، فأخلف فأنبت[١] خرنوباً[٢]؟ فأخبر إرميا خيار علماء بني إسرائيل[٣]، فقالوا له: راجع ربّك ليخبرنا ما معنى هذا المثل؟ فصام إرميا سبعاً؛

فأوحىٰ الله إليه: «يا إرميا، أمّا البلد فبيت المقدس، [وأمّا الغرس فإسرائيل وكرام ولده] وأمّا ما أنبت فيها فبنو إسرائيل الّذين أسكنتهم فيها، فعملوا بالمعاصي وغيّروا ديني وبدّلوا نعمتي كفراً، فبي حلفت لأمتحننّهم بفتنة يظلّ الحكيم[٤] فيها حيراناً وجلاً، ولأسلّطنّ عليهم شرّ عبادي ولادة، وأشرّهم طعاماً، فليسلطنّ عليهم بالجبريّة، فيقتل مقاتليهم، ويسبي حريمهم، ويخرّب ديارهم الّتي يغترّون بها، ويلقي حجرهم الّذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة».

فأخبر إرميا أحبار بني إسرائيل، فقالوا له: راجع ربّك، فقل له:

ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟ فصام إرميا سبعاً ثمّ أكل أكلة، فلم يوح إليه شيء! ثمّ صام سبعاً وأكل أكلة، ولم يوح إليه شيء! ثمّ صام سبعاً؛

فأوحى الله تعالىٰ إليه: «يا إرميا، لتكُفّنّ عن هذا، أو لأردّنّ وجهك إلى قفاك».

قال: ثمّ أوحى الله تعالى إليه «قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه».

فقال إرميا: ربّ أعلمني من هو حتّى آتيه فآخذ لنفسي وأهل بيتي منه أماناً. فقال: «إئت موضع كذا وكذا، فانظر إلى غلام أشدّهم زِمانةً[٥] وأخبثهم ولادة، وأضعفهم جسماً، وأشرّهم غذاء، فهو ذلك».

---

(١) «فأنبتت» خ.

(٢) الخُرنُوب ـ بالضم والفتح ـ: شجرةٍ برّية ذات شوك وحمل كالتفّاح لكنّه بشِع (القاموس المحيط: ٦٣/١).

(٣) «أحبار بني اسرائيل» خ. (٤) «الحليم» البرهان.

(٥) الزّمانة: مرض يدوم. والزمِن: المريض. (مجمع البحرين: ٧٨٢/٢).

فأتى إرميا ذلك البلد، فإذا هو بغلام ـ في خان ـ زَمن، ملقى على مزبلة وسط الخان، وإذا له أُمّ ترمي بالكسر، وتفتُ الكسر في القصعة، وتحلب عليه لبن خنزيرة لها، ثمّ تدنيه من ذاك الغلام فيأكُله.

فقال إرميا: إن كان في الدنيا الّذي وصفه الله، فهو هذا. فدنا منه، فقال له:

ما اسمك؟ قال: «بُخت نَصَّر». فعرف أنّه هو، فعالجه حتّى برئ، ثمّ قال له: أتعرفُني؟ فقال: لا، أنت رجل صالح.

قال: أنا إرميا نبيّ بني إسرائيل، أخبرني الله أنّه سيسلّطك على بني إسرائيل فتقتل رجالهم وتفعل بهم كذا وكذا. قال: فتاه[1] [الغلام] في نفسه في ذلك الوقت، ثمّ قال إرميا: اكتب لي كتاباً بأمان منك. فكتب له كتاباً، وكان يخرج إلى الجبل ويحتطب، ويدخل المدينة ويبيعه.

فدعا إلى حرب بني إسرائيل فأجابوه، وكان مسكنهم في بيت المَقْدِس، وأقبل «بُخت نَصَّر» ومن[2] أجابه نحو بيت المقدس، وقد اجتمع إليه بشر كثير.

فلمّا بلغ إرميا إقباله نحو بيت المقدس، استقبله على حمار له ومعه الأمان الّذي كتبه له بخت نَصَّر، فلم يصل إليه إرميا من كثرة جنوده وأصحابه، فصيّر الأمان على قصبةٍ أو خشبة ورفعها، فقال: من أنت؟

فقال: أنا إرميا النبيّ الّذي بشّرتك بأنّك سيسلّطك الله على بني إسرائيل، وهذا أمانك لي! فقال: أمّا أنت فقد أمنتك، وأمّا أهل بيتك فإنّي أرمي من ها هنا إلى بيت المقدس، فإن وصلت رميتي إلى بيت المَقْدِس فلا أمان لهم عندي، وإن لم تصل فهم آمنون! فانتزع قوسه ورمى نحو بيت المقدس، فحملت الريح النشّابة حتّى علّقتها في بيت المقدس، فقال: لا أمان لهم عندي!

فلمّا وافى، نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة، وإذا دمٌ يغلي وسطه، كلّما

---

(١) تاه: تحيّر أو تكبّر. (٢) «فيمن» البحار.

أُلقي عليه التراب خرج وهو يغلي، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا دم نبيّ كان لله، فقتله ملوك بني إسرائيل، فدمه يغلي، وكلّما ألقينا عليه التراب خرج يغلي!

فقال بُخت نَصَّر: لأقتلنّ بني إسرائيل أبداً حتّى يسكن هذا الدم. وكان ذلك الدم دم «يحيى بن زكريّا» عليهما السلام وكان في زمانه ملك جبّار يزني بنساء بني إسرائيل، وكان يمرّ بيحيىٰ بن زكريّا، فقال له يحيى: اتّق الله ـ أيّها الملك ـ لايحلّ لك هذا.

فقالت له امرأةٌ من اللواتي كان يزني بهنّ حين [يـ]سكـر: أيّـها المـلك اقـتل يحيىٰ! فأمر أن يؤتى برأسه، فأُتي برأس يحيى عليه السلام في طست، وكان الرأس يكلّمه ويقول له: يا هذا اتّق الله، لا يحلّ لك هذا! ثمّ غلى الدم في الطست حتّى فاض إلى[1] الأرض، فخرج يغلي ولايسكن! وكان بين قتل «يحيى» وبين خروج «بُخْت نَصَّر» مائة سنة، ولم يزل بخت نَصَّر يقتلهم، وكان يدخل قرية قرية، فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكلّ حيوان، والدم يغلي ولايسكن حتّى أفناهم، فقال: [أ]بقي أحد في هذه البلاد؟ فقالوا: عجوز في موضع كذا وكذا.

فبعث إليها فضرب عنقها على الدم، فسكن! وكانت آخر من بقي.

ثمّ أتى بابل فبنى بها مدينة، وأقام وحفر بئراً، فألقى فيها دانيال وألقى معه اللبوة، فجعلت اللبوة تأكل من طين البئر، ويشرب دانيال من لبنها!

فلبث بذلك زماناً، فأوحى الله تعالى إلى النبيّ الّذي كان في بيت المقدس: أن اذهب بهذا الطعام والشراب إلى دانيال وأقرِئه منّي السلام.

قال: وأين دانيال يا ربّ؟ [فـ]قال: في بئر ببابل في موضع كذا وكذا.

قال: فأتاه فاطّلع في البئر، فقال: يا دانيال. فقال: لبّيك صوت غريب!

قال: إنّ ربّك يُقرِئك السلام، وقد بعث إليك بالطعام والشراب. فأدلاه إليه؛ فقال دانيال: «الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ، الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي لا يَنْسىٰ مَنْ ذَكَرَهُ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي

---

(١) «على» خ.

لا يُخَيِّبُ مَنْ دَعٰاهُ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي مَنْ وَثَقَ بِهِ لَمْ يَكِلْهُ إِلىٰ غَيْرِهُ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي يُجْزي بِالْإِحْسٰانِ إِحْسٰاناً، الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي يُجْزي بِالصَّبْرِ نَجٰاةً، [وَ] الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي يَكْشِفُ ضُرَّنٰا عِنْدَ كَرْبِنٰا، [وَ] الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي هُوَ ثِقَتُنٰا حينَ تَنْقَطِعُ الْحِيَلُ مِنّٰا، الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي هُوَ رَجٰاؤُنٰا حينَ سٰاءَ ظَنُّنٰا بِأَعْمٰالِنٰا».

وقال: فرأى[١] بخت نَصَّر في نومه كأنّ رأسه من حديد، ورجليه من نحاس، وصدره من ذهب، قال: فدعا المنجّمين، فقال لهم: ما رأيت في المنام؟ قالوا: ماندري، ولكن قصّ علينا ما رأيت. فقال لهم: أنا أجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا ولاتدرون ما رأيت في المنام؟! فأمر بهم فقتلوا!

قال: فقال له بعض من كان عنده: إن كان عند أحد شيئاً فعند صاحب الجبّ، فإنّ اللبوة لم تتعرّض له، وهي تأكل الطين وترضعه! فبعث إلى دانيال وأحضره [عنده] فقال: ما رأيت في المنام؟ [فـ]قال: رأيت كأنّ رأسك من حديد، ورجليك من نحاس، وصدرك من ذهب! [فـ]قال: هكذا رأيت، فما ذاك؟ قال:

قد ذهب ملكك وأنت مقتول إلى ثلاثة أيّام، يقتلك رجل من ولد فارس.

قال: فقال له: إنّ عليَّ سبع مدائن، على باب كلّ مدينة حرس، وما رضيت بذلك حتّى وضعت بطّة من نحاس على باب كلّ مدينة، لايدخل غريب إلّا صاحت عليه، حتّى يؤخذ!

قال: فقال له: إنّ الأمر كما قلت لك. قال: فبثّ الخيل، وقال: لا تلقون أحداً من الخلق إلّا قتلتموه كائناً من كان. وكان دانيال جالساً عنده، وقال:

لا تفارقني هذه الثلاثة أيّام، فإن مضت هذه الثلاثةُ أيّام وأنا سالمٌ قتلتك!

فلمّا كان في اليوم الثالث ممسياً، أخذه الغمّ، فخرج فتلقّاه غلام كان يخدم ابناً له من أهل فارس[٢]، وهو لايعلم أنّه من أهل فارس، فدفع إليه سيفه، وقال له:

---

(١) «فأريَ» البحار.

(٢) «فلقاه غلام كان بُخت نصّر قد اتخذه ولداً وكان من أهل فارس» خ.

يا غلام لاتلقَ أحداً من الخلق إلّا وقتلته، وإن لقيتني أنا فاقتلني!

فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت نَصَّر ضربة فقتله[١]!

فخرج إرْمِيا على حماره ومعه تينٌ قد تزوّده، وشيء من عصير، فنظر إلى سباع البرّ، وسباع البحر، وسباع الجوّ تأكل تلك الجيف، ففكّر في نفسه ساعة، ثمّ قال:

﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وقد أكلتهُم السباع؟! فأماته الله مكانه!

وهو قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أي أحياه.

فلمّا رَحِمَ الله بني إسرائيل وأهلك «بُخْت نَصَّر» ردّ بني إسرائيل إلىٰ الدنيا، وكان «عُزَيْر» لمّا سلّط الله «بُخت نَصَّر» على بني إسرائيل هرب، ودخل في عينٍ وغاب فيها، وبقي إرْمِيا ميّتاً مائة سنة، ثمّ أحياه الله تعالى، فأوّل ما أحيا منه عينيه في مثل غِرْقِئ[٢] البيض، فنظر! فأوحى الله تعالى إليه:

﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً ـ ثمّ نظر إلى الشمس وقد ارتفعت، فقال: ـ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

فقال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ـ أي لم يتغيّر ـ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾ فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفطّرة تجتمع إليه! وإلى اللحم الّذي قد أكلته السباع يتألّف إلى العظام من هاهنا وهاهنا ويلتزق بها! حتّى قام وقام حماره، فقال:

﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[٣]

---

(١) «أطار رأسه من جسده» خ.

(٢) الغِرْقِئ: القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيض، أو البياض الّذي يؤكل (مجمع البحرين: ١٣١٦/٢).

(٣) عنه البحار: ٣٤/٧ ح٣ (قطعة)، و٣٥٦/١٤ ح١، و١٨٨/٩٥ ح١٢ (قطعة)، والبرهان: ٥٢٩/١ ح١، ونور الثقلين: ٣٢٦/١ ح١٠٨٥، والإيقاظ من الهجعة: ١٥٤ ح٥٦.

وأمّا قوله: ﴿وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتىٰ قٰالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قٰالَ بَلىٰ وَ لٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قٰالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَ اعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللّٰهُ يُضٰاعِفُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢٦٠-٢٦١»

٤٧ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ إبراهيم عليه السلام نظر إلى جِيفةٍ على ساحل البَحْر تأكلُها سِباع البرّ وسباع البحر، ثمّ تحمل السِباع بعضها على بعض، فيأكل بعضُها بعضاً، فتعجّب إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتىٰ قٰالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قٰالَ بَلىٰ وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قٰالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فأخذ إبراهيم عليه السلام الطاووس، والديك، والحمام، والغراب؛ فقال الله عزّوجلّ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي قطّعهنّ، ثمّ اخلط لحمهنّ وفرِّقهنّ على عشرة جبال، ثمّ خذ مناقيرهنّ، وادعهنّ ﴿يأتينك سعياً﴾ ففعل إبراهيم ذلك، وفرّقهنّ على عشرة جبال، ثمّ دعاهنّ، فقال: أجيبيني بإذن الله تعالى. فكانت يجتمع ويتألّف لحم كلّ واحدٍ وعظمه إلى رأسه، وطارت إلى إبراهيم!

فعند ذلك قال إبراهيم عليه السلام: إنّ الله عزيز حكيم.(١)

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ثُمَّ لاٰ يُتْبِعُونَ مٰا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لاٰ أَذىً...﴾ «٢٦٢-٢٦٦»

فإنّه قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أسدى إلى مؤمن معروفاً، ثمّ آذاه

(١) عنه البحار: ٣٦/٧ ح ٤، وج ٦٥/١٢ ح ١١، والبرهان: ٥٣٦/١ ح ٣، الإيقاظ من الهجعة: ١٣٨ ح ٣٢.

بالكلام أو منّ عليه، فقد أبطل الله صدقته. ثمّ ضرب الله فيه مثلاً، فقال: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مٰالَهُ رِئٰاءَ النّٰاسِ وَ لاٰ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوٰانٍ عَلَيْهِ تُرٰابٌ فَأَصٰابَهُ وٰابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاٰ يَقْدِرُونَ عَلىٰ شَيْءٍ مِمّٰا كَسَبُوا وَ اللهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰافِرِينَ﴾

وقال: من أكثر منّه[١] وأذاه لمن يتصدّق عليه، بطلت صدقته كما يبطل التراب الّذي يكون على الصفوان ـ والصفوان: هي الصخرة الكبيرة الّتي تكون في المفازة[٢] ـ فيجيء المطر فيغسل التراب عنها، ويذهب به، فضرب الله هذا المثل لمن اصطنع معروفاً، ثمّ أتبعه بالمنّ والأذى.[٣]

٤٨ـ وقال الصادق عليه السلام: ما من شيء أحبّ إليّ من رجل سلَفَتْ منّي إليه يد أتبعتها أُختها وأحسنت بها له، لأنّي رأيت مَنْعَ الأواخِر يقطع لسان شُكرِ الأوائل.

ثمّ ضرب مثل المؤمنين الّذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله، وتثبيتاً من أنفسهم عن المنّ والأذىٰ، فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصٰابَهٰا وٰابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهٰا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهٰا وٰابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قال: ﴿مَثَلَهم كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي بستان في موضع مرتفع ﴿أَصٰابَهٰا وٰابِلٌ﴾ ـ أي مطر ـ ﴿فَآتَتْ أُكُلَهٰا ضِعْفَيْنِ﴾ أي يتضاعف ثمرها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ﴿ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللهِ﴾ والطلّ: ما يقع باللّيل على الشجر والنبات.[٤]

٤٩ـ وقال أبو عبدالله عليه السلام: ﴿وَاللهُ يُضٰاعِفُ لِمَنْ يَشٰاءُ﴾ لمن أنفق ماله ابتغاء مرضات الله. قال: فمن أنفق ماله ابتغاء مرضات الله ثمّ امتنّ على من تصدّق عليه، كان كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنٰابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ لَهُ فِيهٰا مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰاتِ وَأَصٰابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفٰاءُ فَأَصٰابَهٰا إِعْصٰارٌ فِيهِ نٰارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ قال: الإعصار:

---

(١) «امتنانه» البحار والبرهان. (٢) في المصدر: «على مفازة».

(٣) عنه البرهان: ١/٥٤٢ ح ١، والبحار: ٩٦/١٤١ ح٨، والوسائل: ٦/٣١٧ ح ٩، ونور الثقلين: ١/٣٣٩ ح ١١١٣، ومستدرك الوسائل: ٧/٢٣٣ ح ٥.

(٤) عنه البحار: ٧٤/٤٠٨ ح ٤ (قطعة)، البرهان: ١/٥٤٣ ح ٢، ونور الثقلين: ١/٣٤٠ ح ١١١٧.

الرياح، فمن امتنّ على من تصدّق عليه، كان كَمَن له جنّة كثيرة الثِمار، وهو شيخ ضعيف وله أولاد صغار ضعفاء، فتجيء ريح أو نار فتُحرق ماله كلّه.[1]

وأمّا قوله: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا كَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلاٰ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ «٢٦٧»

فإنّه كان سبب نزولها أنّ قوماً كانوا إذا صرموا النخل، عمدوا إلى أرذل تمورهم فيتصدّقون بها، فنهاهم الله عن ذلك، فقال: ﴿وَ لاٰ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ أي أنتم لو دفع ذلك إليكم لم تأخذوه.[2]

وأمّا قوله: ﴿الشَّيْطٰانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشٰاءِ﴾ «٢٦٨»

فإنّ الشيطان يقول: لا تنفق فإنّك تفتقر[3]: ﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾ - أي يغفر لكم إن أنفقتم لله - ﴿وَفَضْلاً﴾، قال: يخلف عليكم.[4]

وقوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشٰاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ «٢٦٩»

قال: الخير الكثير، معرفة أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام.[5]

وقوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقٰاتِ فَنِعِمّٰا هِيَ﴾ «٢٧١»

قال: الزكاة المفروضة تخرج علانيَة وتدفع علانيَة، وبعد ذلك غير الزكـاة إن دفعته سرّاً فهو أفضل.

---

(١) عنه البرهان: ٥٤٣/١ ح٣، ونور الثقلين: ٣٤١/١ ح١١٢٠.

(٢) عنه البحار: ١٤٣/٩٦ ح٩، والمستدرك: ٩٥/٧ ح١.

(٣) «لا تنفق مالك» نور الثقلين.

(٤) عنه البرهان: ٥٤٧/١ ح٢، ونور الثقلين: ٣٤٣/١ ح١١٢٨.

(٥) عنه البرهان: ٥٤٩/١ ح٨، ونور الثقلين: ٣٤٤/١ ح١١٣٣.

وقوله: ﴿لِلْفُقَرٰاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجٰاهِلُ أَغْنِيٰاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمٰاهُمْ لاٰ يَسْئَلُونَ النّٰاسَ إِلْحٰافاً﴾ «٢٧٣»

[فـ]هم الّذين لايسألون الناس إلحافاً من الراضين والمتجمّلين في الّذين فالّذين لايسألون الناس إلحافاً، ولايقدرون أن يضربوا في الأرض فيكْسِبوا، فيحْسبُهم الجاهل أغنياء من التعفّف عن السؤال.(١)

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰا لاٰيَقُومُونَ إِلاّٰكَمٰا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ «٢٧٥»

٥٠ ـ **فإنه حدّثني أبي**، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي إلى السماء، رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه! فقلت: من هؤلاء يا جَبْرَئيل؟ قال: هؤلاء ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰا لاٰيَقُومُونَ إِلاّٰكَمٰا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ وإذا هم بسبيل آل فرعون، يعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً، يقولون: ربّنا متى تقوم الساعة.(٢)

وقوله: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبٰا وَيُرْبِي الصَّدَقٰاتِ﴾ «٢٧٦ـ٢٧٩»

٥١ ـ **قال**: قيل للصادق عليه السلام: قد نرى الرجل يربي وماله يكثر! فقال: يمحق الله دينه، وإن كان ماله يكثر.(٣)

وقوله: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ ذَرُوا مٰا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

---

(١) عنه البرهان: ١/ ٥٥٠ ح١، ونور الثقلين: ١/ ٣٤٧ ح١١٤٨ (قطعة).

(٢) عنه البحار: ١٠٣/ ١١٦ ح١١، والبرهان: ١/ ٥٥٣ ح١، ونور الثقلين: ١/ ٣٤٩ ح١١٥٧، والوسائل: ١٢/ ٤٢٧ ذح١٦.

(٣) عنه البحار: ١٠٣/ ١١٧ ح١٢، والمستدرك: ١٣/ ٣٣٣ ح٢١.

فإنّه كان سبب نزولها أنّه لمّا أنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰا لاٰ يَقُومُونَ إِلاّٰ كَمٰا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ الآية، قام خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ربا أبي في ثقيف وقد أوصاني عند موته بأخذه!

فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مٰا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾

فقال: من أخذ الربا وجب عليه القتل، وكلّ من أربى وجب عليه القتل.[١]

٥٢ ـ أخبرني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

درهم من ربا أعظم عند الله من سبعين زنية بذات محرم في بيت الله الحرام. وقال: إنّ الربا سبعين جزءاً، أيسره مثل أن ينكح الرجل اُمّه في بيت الله الحرام.[٢]

وأمّا قوله: ﴿وَإِنْ كٰانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ «٢٨٠»

٥٣ ـ فإنه حدّثني أبي، عن السكوني، عن مالك بن المغيرة، عن حمّاد بن سلمة[٣] عن عليّ بن زيد بن جُذعان[٤] عن سعيد بن المُسيّب، عن عائشة، أنّها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من غريم ذهب بغريمه إلى وال من ولاة المسلمين واستبان للوالي عُسرَته إلّا برئ هذا المُعْسِر من دَينه، وصار دَينُه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين.

وقال عليه السلام: ومن كان له على رجُل مال أخذه ولم يُنفِقْه في إسراف أو في معصية،

---

(١) عنه البحار: ١١٨/١٠٣ ح١٨، والبرهان: ٥٥٧/١ ح٥، ونور الثقلين: ٣٥٢/١ ح١١٧٦، ومستدرك الوسائل: ٣٣٤/١٣ ح١.

(٢) عنه البحار: ١١٧/١٠٣ ح١٣، والبرهان: ٥٥٧/١ ح٦، ونور الثقلين: ٣٥٣/١ ح١١٧٧، والوسائل: ٤٢٧/١٢ ح١٩، وعن مجمع البيان: ٣٩٠/٢، روضة الواعظين: ٥٣٦.

(٣) «مسلمة» خ. اشتباه، وما في المتن هو الصواب، اُنظر تهذيب الكمال: ١٧٦/٥.

(٤) «عن جُذعان» البحار. والصواب ما أثبتناه، تهذيب الكمال: ٢٥٥/٧ و٦٩/١١، وتهذيب التهذيب: ٣٢٢/٧.

فعَسِر عليه أن يقْضيه، فعلى مَن له المال أن ينظره حتّى يرزُقَه الله فيقْضِيه: وإن كان الإمام العادل قائماً، فعليه أن يقضي عنه دَيْنَه، لقول رسول الله ﷺ:

من ترك مالاً فلِوَرَثته، ومن ترك دَيناً أو ضِياعاً فعلى الإمام ما ضَمِنه الرسول، وإن كان صاحِبُ المال مُوسِراً، وتصدّق بما له عليه أو تركه فهو خير له، لقوله: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.(١)

وأمّا قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ..﴾ «٢٨٢»

فقد روي في الخبر أنّ في سورة البقرة خمسمائة حكم، وفي هذه الآية خمسة عشر حُكماً، وهو قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللهُ ـ ثلاثة أحكام ـ فَلْيَكْتُبْ ـ أربعة أحكام ـ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ـ خمسة أحكام، وهو إقراره إذا أملاه ـ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ ولا يخونهُ، ستّة أحكام.

﴿فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ ـ أي لا يُحسِن أن يُمِلّ ـ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ يعني وليّ المال، سبعة أحكام.

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ﴾ ثمانية أحكام.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الأُخْرىٰ﴾ يعني أن تَنْسى إحداهما فتذكّر إحداهُما الأُخرىٰ، تسعة أحكام.

﴿وَلا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا﴾ عشرة أحكام. ﴿وَلا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلىٰ أَجَلِهِ﴾ أي لا تضجروا أن تكتُبوه صغير السنّ، أو كبيره أحد عشر حُكماً.

---

(١) عنه البحار: ١٠٣/١٤٨ ح١، والبرهان: ١/٥٥٨ ح٣، ونور الثقلين: ١/٣٥٥ ح١١٨٤، ومستدرك الوسائل: ١٣/٤٠٠ ح٧.

﴿ذٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهٰادَةِ وَ أَدْنىٰ أَلاّٰ تَرْتٰابُوا - أي لا تشكّوا - إِلاّٰ أَنْ تَكُونَ تِجٰارَةً حٰاضِرَةً تُدِيرُونَهٰا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَلاّٰ تَكْتُبُوهٰا﴾ إثنا عشر حُكماً. ﴿وَأَشْهِدُوا إِذٰا تَبٰايَعْتُمْ﴾ ثلاثة عشر حكماً. ﴿وَلاٰ يُضَارَّ كٰاتِبٌ وَلاٰ شَهِيدٌ﴾ أربعة عشر حكماً. ﴿وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ خمسة عشر حُكماً.

﴿وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[1]

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلىٰ سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كٰاتِباً فَرِهٰانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمٰانَتَهُ﴾ «٢٨٣»

أي يأخذ منه رهناً، فإن أمنه ولم يأخذ منه رهناً، ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ الّذي أخذ المال، وقوله: ﴿وَلاٰ تَكْتُمُوا الشَّهٰادَةَ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجٰالِكُمْ﴾

وأمّا قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ...﴾ «٢٨٥-٢٨٦»

٥٤ - فإنه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ هذه الآية مشافهة الله تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله ليلة أُسري به إلى السماء، قال النبيّ صلى الله عليه وآله:

لمّا انتهيتُ إلى مَحلّ سِدْرة المنتهى، فإذا الوَرقة منها تُظِلّ أُمّةً من الأمم، فكنت من ربّي كـ﴿قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ﴾[2] كما حكى الله عزّ وجلّ؛

فناداني ربّي تبارك وتعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾.

فقلت أنا مُجيب عنّي وعن أُمّتي[3]: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقٰالُوا سَمِعْنٰا وَأَطَعْنٰا غُفْرٰانَكَ رَبَّنٰا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

فقال الله تعالىٰ: ﴿لاٰ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا لَهٰا مٰا كَسَبَتْ وَعَلَيْهٰا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

---

(١) عنه البرهان: ٥٦١/١ ح ١.

(٢) النجم: ٩.

(٣) «أنّي مجيب عن أُمّتي أيضاً» خ.

فقلت: ﴿رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا﴾. فقال الله: لا أُوٰخِذُك.

فقلت: ﴿رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾. فقال الله: لا أُحمّلك.

فقلت: ﴿رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾. فقال الله تعالى: قد أعطيتك ذلك لك ولأُمّتك.

فقال الصادق عليه السلام: ما وَفَد إلى الله تبارك وتعالى أحَدٌ أكرم من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث سأل لأُمّته هذه الخصال.[1]

■ □ ■ □

---

(١) عنه البحار: ١٨/٣٢٨ـ٣٢٩ ضمن ح ٣٤ (قطعة)، والبرهان: ١/٥٧٠ ح ٢، ونور الثقلين: ١/٣٦٤ ح ١٢١٨.



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ * اللهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ - إلى قوله - هُدًى لِّلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقٰانَ﴾ «١-٤»

١ـ فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سُويد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى:

﴿الٓمٓ * اللهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْرٰاةَ وَ الْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنّٰاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقٰانَ﴾؟ قال: الفرقان، هو كلّ أمرٍ مُحْكمٍ. والكتاب: هو جُمْلة القُرآن الّذي يُصدّقه مَن كان قبله من الأنبياء.(١)

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحٰامِ كَيْفَ يَشٰاءُ﴾ «٦»

يعني ذكراً وأُنثى وأسود وأبيض وأحمر وصحيحاً وسقيماً.(٢)

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ مِنْهُ آيٰاتٌ مُحْكَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتٰابِ وَأُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ ...﴾ «٧»

فأمّا المحكم من القرآن، فهو ما تأويله في تنزيله، مثل قوله تعالىٰ:

﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرٰافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(٣) ومثل قوله:

---

(١) عنه البحار: ٩٢/١٦ ح١٣، والبرهان: ٥٩٥/١ ح٢، ونورالثقلين: ٣٧٠/١ ح٤، العيّاشي: ٢٩١/١ ح٢، مجمع البيان: ٤٠٧/٢.
(٢) «وصحيح وسقيم» ب.
(٣) المائدة: ٦.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَبَناتُكُمْ وَأَخَواتُكُمْ وَعَمّاتُكُمْ وَخالاتُكُمْ﴾[١] إلى آخر الآية.

ومثله كثير محكم ممّا تأويله في تنزيله.

وأمّا المتشابه، فما كان في القرآن ممّا لفظه واحد ومعانيه مختلفة ممّا ذكرنا من الكفر الّذي هو على خمسة أوجه، والإيمان الّذي على أربعة وجوه، ومثل الفتنة والضلال الّذي هو على وجوه.[٢]

وتفسير كلّ آية نذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

وأمّا قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي شكّ.[٣]

وقوله: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

٢ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عُمير، عن عُمر بن أُذينة، عن بُريد بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أفضَلُ الراسخين في العِلم، فقد عَلِمَ جميع ما أنزل الله عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يُعلّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يَعلَمونه كلّه. قال: قلت: جُعِلتُ فداك، إنّ أبا الخطّاب كان يقول فيكم قولاً عظيماً! قال: وماكان يقول؟

قلت: إنّه يقول: إنّكم تعلَمون عِلْمَ الحلال والحرام والقُرآن. قال: إنّ علم الحلال والحرام والقُرآن يَسيرٌ في جَنْبِ العِلم الّذي يَحْدُث في اللّيل والنهار.[٤]

﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا ـ إلى قوله ـ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ﴾ «٨ـ١٣»

وقوله: ﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا﴾ أي لانشُكّ.[٥]

---

(١) النساء: ٢٣. (٢) عنه جامع الأخبار والآثار: ٩٠/٣.

(٣) عنه البرهان: ٦٠٠/١ ح١٦.

(٤) عنه البحار: ١٩٢/٢٣ ح١٥، وج٩٢/٨٠ ح٨، والبرهان: ٥٩٨/١ ح٨، ونور الثقلين: ٣٧٧/١ ح٣٠، والمستدرك: ٣٣٦/١٧ ح٣٣ (صدره)، وفضائل القرآن: ٥٠٢/١ ح١١.

(٥) عنه البرهان: ٦٠٠/١ ح١.

وقوله: ﴿وَأُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النّارِ﴾ يعني حَطب النار.

وقوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي فِعْل الِ فِرعون.

وقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهادُ﴾

فإنّها نزلت بعد بَدْرٍ، لمّا رجع رسول الله ﷺ مِن بَدْرٍ، أتى بني قَيْنقاع[1] وهم يناديهم، وكان بها سوق يُسمّى: سوق النبط[2]، فأتاهم رسول الله ﷺ فقال:

يا مَعشر اليهود! قد عَلِمتم ما نزل بقُريش وهم أكثر عدداً وسلاحاً وكِراعاً منكم، فادخُلوا في الإسلام. فقالوا: يا محمّد! إنّك تَحْسَب حربنا مثل حرب قَومِك! والله لو [قد] لَقيتنا لَلَقِيت رجالاً! فنزل عليه جَبْرَئيل عليه السلام فقال: يا محمّد!

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ * قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرىٰ كافِرَةٌ ـ يعني فئة المسلمين وفئة الكـفّار ـ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ـ أي كانوا مثلي المسلمين ـ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ ـ يعني رسول الله ﷺ يوم بَدْرٍ ـ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ﴾.[3]

وقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعامِ وَالْحَرْثِ﴾ «١٤»

قال: ﴿الْقَناطِيرِ﴾ جُلود الثِيران مَملوءة ذهباً ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ يعني الراعية ﴿والأنْعامِ وَالْحَرْثِ﴾ يعني الزرع ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ أي حُسن المرجع إليه.[4]

---

(١): بفتح القاف وسكون النون، حيّ من اليهود كانوا بالمدينة.

(٢) النبط والنبيط: جيل معروف، كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين. (النهاية: ٩/٥).

(٣) عنه البحار: ٢٠٣/١٧ ح ٢، وج ٦/٢٠ ح ٢، والبرهان: ٦٠٠/١ ح ١.

(٤) عنه البرهان: ٦٠١/١ ح ٣.

ثمّ قال: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا...﴾ «١٥ـ١٧»

ثمّ أخبر أنّ هذا للّذين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنٰا إِنَّنٰا آمَنّٰا فَاغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا وَقِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ * الصّٰابِرِينَ وَالصّٰادِقِينَ وَالْقٰانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحٰارِ﴾ ثمّ أخبر أنّ هؤلاء هم ﴿الصّٰابِرِينَ وَالصّٰادِقِينَ وَالْقٰانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحٰارِ﴾ وهم الدعّاءون.[1]

وأمّا قوله: ﴿وَ أَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ قال: في الجنّة لايَحِضْنَ ولايُحْدِثْنَ.[2]

٣ـ حدّثني أبي، عن إسماعيل بن أبان، عن عمر بن عبدالله الثقفي، قال:

أخرج هشام بن عبدالملك أبا جعفر محمّد بن عليّ زين العابدين عليهما السلام من المدينة إلى الشام، وكان ينزله معه، فكان يقعد مع الناس في مجالسهم.

فبينما هو قاعد وعنده جماعة من الناس يسألونه، إذ نظر إلى النصارى يدخلون في جبل هناك، فقال: ما لهؤلاء القوم! ألهم عيد اليوم؟

قالوا: لا يابن رسول الله، ولكنّهم يأتون عالماً لهم في هذا الجبل في كلّ سنة في [مثل] هذا اليوم، فيخرجونه ويسألونه عمّا يريدون، وعمّا يكون في عامهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: وله علم؟ فقالوا: [هو] من أعلم الناس، قد أدرك أصحاب الحواريّين من أصحاب عيسى عليه السلام.

قال لهم[3]: نذهب إليه. فقالوا: ذاك إليك يابن رسول الله.

قال: فقنّع أبو جعفر عليه السلام رأسه بثوبه، ومضى هو وأصحابه، فاختلطوا بالناس حتّى أتوا الجبل، قال: فقعد أبو جعفر عليه السلام وسط النصارى هو وأصحابه.

فأخرج النصارى بساطاً، ثمّ وضعوا الوسائد، ثمّ دخلوا فأخرجوه، ثمّ ربطوا[4] عينيه، فقلب عينيه كأنّهما عينا أفعى، ثمّ قصد أبا جعفر عليه السلام فقال [له]: أمنّا أنت، أم

---

(١) عنه البرهان: ١/٦٠٢ ح ٢.
(٢) عنه نور الثقلين: ١/٣٨٣ ح ٥٧.
(٣) «فهلّم» البحار.
(٤) «قد شدّ حاجبيه بحريرة صفراء» خ.

من الأمّة المرحومة؟ فقال [أبو جعفر عليه السلام]: من الأمّة المرحومة. قال: [أ]فمن علمائهم أنت، أم من جهالهم؟

قال: لست من جهالهم. قال النصرانيّ: أسألك، أو تسألني؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: سلني. فقال: يا معشر النصارى، رجل من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله يقول: اسألني، إنّ هذا لعالم بالمسائل! ثمّ قال: يا عبدالله!

أخبرني عن ساعة ما هي من اللّيل ولاهي من النهار، أيّ ساعة هي؟

قال أبو جعفر عليه السلام: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. قال النصرانيّ: فإذا لم تكن من ساعات الليل ولامن ساعات النهار! فمن أيّ الساعات هي؟

فقال أبوجعفر عليه السلام: من ساعات الجنّة، وفيها يفيق[1] مرضانا.

فقال النصرانيّ: أصبت، فأسألك، أو تسألني؟ قال أبو جعفر عليه السلام: سلني[2].

قال: يا معشر النصارى إنّ هذا لمليء بالمسائل! أخبرني عن أهل الجنّة كيف صاروا يأكلون ولايتغوّطون؟ أعطني مثله في الدنيا. فقال أبو جعفر عليه السلام:

هذا هو الجنين في بطن أمّه، يأكل ممّا تأكل أمّه ولا يتغوّط.

قال النصرانيّ: أصبت، ألم تقل ما أنا من علمائهم!؟

قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما قلت لك: ما أنا من جهالهم!

قال النصرانيّ: فأسألك، أو تسألني؟ قال أبو جعفر عليه السلام: سلني.

قال: يا معشر النصارى [والله] لأسألنّه مسألة يرتطم فيها كما يرتطم الحمار في الوحل! فقال له: سل. قال: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت منه بابنين، حملتهما جميعاً في ساعة واحدة، ووضعتهما في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة، في قبر واحد، عاش أحدهما خمسين ومائة سنة، وعاش الآخر خمسين سنة. مَن هما؟

---

(١) «تفيق» البحار. (٢) «أسألني» خ.

قال أبو جعفر عليه السلام: هما عُزير وعَزرَة، كان حمل اُمّهما على ما وصفت، ووضعتهما على ما وصفت، فعاش عزرة وعزير ثلاثين سنة، ثمّ أمات الله عزيراً مائة سنة وبقي عزرة حيّاً، ثمّ بعث الله عزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة، وماتا جميعاً في ساعة واحدة، فدفنا في قبر واحد.

قال النصراني: يا معشر النصارى ما رأيت أحداً قطّ أعلم من هذا الرجل، لاتسألوني عن حرف وهذا بالشام، ردّوني إلى كهفي!

فردّوه إلى كهفه، ورجع النصارى مع أبي جعفر عليه السلام.[1]

وقوله: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلاٰئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ...﴾ «١٨ ـ١٩»

قال: ﴿قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ معطوف على قوله: ﴿شَهِدَ اللهُ﴾ والقسط: العدل.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلاٰمُ﴾ قال:

التسليم لله ولأوليائه، وهو التصديق، وقد سمّى الله الإيمان تصديقاً.

٤ ـ حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله فضّل الإيمان على الإسلام بدرجةٍ كما فضّل الكعبة على المسجد الحرام بدرجة.[2]

٥ ـ قال: وحدّثني [أبي، عن] محمّد بن يحيى[3] البغداديّ، رفع الحديث إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: لأنسبنّ الإسلام نِسبة لم ينسبها أحدٌ قبلي، ولا ينسبها

---

(١) عنه البحار: ١٤٩/١٠ ح١، وج٣٧٨/١٤ ح٢٢ (قطعة)، وج٣١٣/٤٦ ح٢، وج١٠٧/٨٣ ح٤ (قطعة)، ومستدرك الوسائل: ١٦٥/٣ ح٥ (قطعة)، الكافي: ١٢٢/٨ ح٩٤ (مثله)، عنه البحار: ٤/٥٩ ح٩ (قطعة)، والوافي: ٧٨٣/٣ ح٧.

(٢) عنه البحار: ٢٦٤/٦٨ ح٢٢، البرهان: ٦٠٥/١ ح٤.

(٣) «عليّ» البحار، وما في المتن هو الصواب لأنّ محمّد بن يحيى البغدادي يروي عنه إبراهيم بن هاشم كما في معجم رجال الحديث: ٣٢١/١.

أحدٌ بعدي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل. [و]المؤمن من أخذ دينَه عن ربّه، إنّ المؤمن يُعرَف إيمانُه في عمله[١] وإنّ الكافر يُعرَف كُفرُه بإنكاره.

يا أيّها الناس، دينَكم دينَكم، فإنّ السيّئةَ[٢] فيه خيرٌ من الحَسنةِ في غيره، وإنّ السيّئة فيه تُغفَر، وإنّ الحسنة في غيره لاتُقبَل.[٣]

وقوله: ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ «٢٨»

فإنّ هذه الآية رُخْصَة، ظاهِرُها خِلافُ باطِنها، يُدان بظاهِرها ولايُدان بباطنها[٤] إلّا عند التقيّة، لأنّ التقيّة رُخْصَة للمؤمن أن يدين بدين الكافر، ويصلّي بصلاته ويصوم بصيامه إذا اتّقاه في الظاهر، وفي الباطن يدين الله بخلاف ذلك.[٥]

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ «٣١»

فحبّ الله للعباد رحمة منه لهم، وحبّ العباد لله طاعتهم له.[٦]

وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ «٣٣»

فلفظ الآية عامّ ومعناه خاصّ، وإنّما فضّلهم، على عالمي زمانهم.

---

(١) «بعلمه، بعمله» خ.

(٢) «الحسنة» البحار.

(٣) عنه البحار: ٦٨/٣١١ ح٣، والبرهان: ١/٦٠٥ ح٥.

(٤) «يُدان بباطنها ولايُدان بظاهرها» خ.

(٥) عنه البرهان: ١/٦٠٧ ح٢.

(٦) قالَ صادقُ آل محمّد عليهم السلام: ما أحبَّ اللهَ من عصاه، ثمَّ تمثّلَ فقال:

تَعصي الإلهَ وأنتَ تُظهر حبّه ... هذا محالٌ في الفعالِ بديعُ!

لو كانَ حُبُّكَ صادقاً لأَطَعْتَهُ ... إنَّ المحبَّ لمن أحبَّ مطيعُ

٦- وقال العالم عليه السلام نزل: ﴿آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ - وآل محمّد - عَلَى الْعٰالَمِينَ﴾ فأسقطوا آل محمّد من الكتاب.(١)

وقوله: ﴿إِذْ قٰالَتِ امْرَأَتُ عِمْرٰانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مٰا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ...﴾ «٣٥-٤٢»

فإنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً، يُبرىء الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى بإذن الله. فبشّر عمران زوجته بذلك فحملت، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مٰا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾ للمحراب، وكانوا إذا نذروا نذراً [محرّراً] جعلوا ولدهم للمحراب ﴿فَلَمّٰا وَضَعَتْهٰا قٰالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهٰا أُنْثىٰ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثىٰ﴾ وأنت وعدتني ذكراً ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهٰا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهٰا بِكَ وَذُرِّيَّتَهٰا مِنَ الشَّيْطٰانِ الرَّجِيمِ﴾ فوهب الله لمريم عيسى عليه السلام.(٢)

٧- قال: حدّثني أبي، عن الحسن بن مَحبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن قلنا لكم في الرجُل منّا قولاً فلم يكن فيه، فكان في وُلده أو وُلدِ وُلدِه، فلا تُنكِروا ذلك، إنّ الله أوحى إلى عِمران أنّي واهب لك ذَكَراً مبارَكاً يُبرئ الأكمَهَ والأبرص، ويُحيي الموتى بإذني، وجاعِلُه رسولاً إلى بني إسرائيل.

فحدّث امرأته «حنّة» بذلك وهي أمّ مريم،

فلمّا حَمَلت بها كان حَمْلُها عند نفسها غلاماً [ذكراً] ﴿فَلَمّٰا وَضَعَتْهٰا - أنثى - قٰالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهٰا أُنْثىٰ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثىٰ﴾

لأنّ البنت لاتكون رسولاً، يقول الله: ﴿وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا وَضَعَتْ﴾.

فلمّا وهب الله لمريم عيسى عليه السلام كان هو الّذي بشّر الله به عِمران ووعده إيّاه،

---

(١) عنه البحار: ١١/٢٤ ح٢، و٢٣/٢٢٢ ح٢٥، والبرهان: ١/٦١٢ ح٢، ونور الثقلين: ١/٣٩٤ ح١٠٤، وغاية المرام: ٣/٢٧٠ ح١، عن أمالي الطوسي: ٣٠٠ ح٥٩٢ (باختلاف السند، مثله).

(٢) عنه البحار: ١٤/١٩٩ صدر ح٨.

فإذا قلنا لكم في الرجل منّا شيئاً فكان في وُلدِه أو وُلدِ وُلدِه فلا تُنكِروا ذلك.

فلمّا بلغَتْ مريم صارت في المِحْراب، وأرخَت على نفْسِها سِتراً، وكان لا يراها أحد، وكان يدخل عليها زكريّا المحراب فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشِتاء في الصيف، فكان يقول لها: ﴿أَنّٰى لَكِ هٰذٰا﴾ ؟

فتقول: ـ ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ * هُنٰالِكَ دَعٰا زَكَرِيّٰا رَبَّهُ قٰالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعٰاءِ * فَنٰادَتْهُ الْمَلاٰئِكَةُ وَهُوَ قٰائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرٰابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصّٰالِحِينَ﴾ والحَصُور: الّذي لا يأتي النساء ﴿قٰالَ رَبِّ أَنّٰى يَكُونُ لِي غُلاٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عٰاقِرٌ﴾ والعاقر: الّتي قد يئِست من المَحيض ﴿قٰالَ كَذٰلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مٰا يَشٰاءُ﴾

قال زكريّا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قٰالَ آيَتُكَ أَلاّٰ تُكَلِّمَ النّٰاسَ ثَلاٰثَةَ أَيّٰامٍ إِلاّٰ رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكٰارِ﴾ وذلك أنّ زكريّا ظنّ أنّ الّذينَ بشّروه هم الشياطين!

فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قٰالَ آيَتُكَ أَلاّٰ تُكَلِّمَ النّٰاسَ ثَلاٰثَةَ أَيّٰامٍ إِلاّٰ رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكٰارِ﴾ فخرِس ثلاثة أيّام.(١)

وقوله: ﴿وَإِذْ قٰالَتِ الْمَلاٰئِكَةُ يٰا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفٰاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفٰاكِ عَلىٰ نِسٰاءِ الْعٰالَمِينَ﴾

قال: اصطفاها مرّتين: أمّا الأُولى: فاصطَفاها أي اختارها.

وأمّا الثانية: فإنّها حَمَلت من غير فَحْلٍ، فاصطَفاها بذلك على نساء العالمين.(٢)

وقوله: ﴿يٰا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرّٰاكِعِينَ ...﴾ «٤٣ ـ ٤٤»

فإنّما هو: واركَعي واسجُدي، ثمّ قال الله لنبيّه ﷺ: ﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبٰاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ

---

(١) عنه البحار: ١٦٨/١٤ ح١٠ وص١٩٩ ح٨ (قطعة)، وج٢٢٥/٢٦ ح٤، والبرهان: ٦١٧/١ ح٢، الكافي: ٥٣٥/١ ح١ (نحوه)، عنه البحار: ١١٩/٥٢ ح٤٩، العيّاشي: ٣٠٦/١ ح٤٦ (نحوه)، عنه البحار: ١٨٥/١٤ ح٣٤.

(٢) عنه البرهان: ٦١٨/١ ح٤، ونور الثقلين: ٤٠٢/١ ح١٢٨.

ـ يا محمّد ـ ﴿وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.[1]

قال: لمّا وُلِدَت [مريم] اختَصم[2] آل عمران فيها، فكلّهم قالوا: نحن نكْفُلُها. فخرجوا وضربوا بالسهام بينهم، فخرج سهم زكريّا فكفلها زكريّا.[3]

[وقوله:] ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ «٤٥»

أي ذا وجهٍ وجاهٍ.[4]

ونكتب مولده وخبره في سورة مريم.

وقوله: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ...﴾ «٤٩ ـ ٥٠»

أي أقدر، وهو خلق تقدير.[5]

٨ ـ حدّثنا أحمد بن محمّد الهمداني، قال: حدّثني جعفر بن عبدالله، قال: حدّثنا كثير ابن عيّاش، عن زياد بن المنذر، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾

فإنّ عيسى عليه السلام كان يقول لبني إسرائيل: إنّي رسول الله إليكم ﴿وَأَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْـرَص﴾، و الأكمه هو الأعمى. قالوا: ما نرى الّذي تصنع إلّا سحراً، فأرنا آية نعلم أنّك صادق!

قال: أرأيتم إن أخبرتكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم،

يقول: ما أكلتم في بيوتكم قبل أن تخرجوا، وما ادّخرتم إلى اللّيل، تعلمون أنّي

---

(١) عنه البرهان: ١/ ٦٢٠ ح ١، والبحار: ١٤/ ٢٠٠ ضمن ح ٨.
(٢) «اختصموا» خ.
(٣) عنه البرهان: ١/ ٦٢٠ ح ٢، والبحار: ١٤/ ٢٠٠ ضمن ح ٨، ونور الثقلين: ١/ ٤٠٤ ح ١٣٨.
(٤) عنه البحار: ١٤/ ٢٠٠ ذح ٨، والبرهان: ١/ ٦٢٤ ح ١.
(٥) عنه البرهان: ١/ ٦٢٥ ح ١.

صادق؟ قالوا: نعم. فكان يقول للرجل: [أنت] أكلت كذا وكذا! وشربت كذا وكذا! ورفعت كذا وكذا! فمنهم من يقبل منه فيؤمن، ومنهم من ينكر فيكفر! فكان لهم في ذلك آية إن كانوا مؤمنين.(١)

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله تعالىٰ: **﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾** وهو السبت والشحوم والطير الّذي حرّمه الله على بني إسرائيل.(٢)

٩ـ قال: وروى ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: **﴿فَلَمّا أَحَسَّ عِيسىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾** أي لمّا سمع ورأى أنّهم يكفرون.

والحواسّ الخمس الّتي قدّرها الله في الناس: السمع للصوت، والبصر للألوان وتمييزها، والشمّ لمعرفة الروائح الطيّبة والخبيثة(٣) والذوق للطعوم وتمييزها، واللّمس لمعرفة الحارّ والبارد، واللّيّن والخشن.(٤)

وأمّا قوله: **﴿إِذْ قالَ اللهُ يا عِيسىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَـيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّـذِينَ اتَّـبَعُوكَ فَـوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾** «٥٥»

١٠ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عُمير، عن جميل بن صالح، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: إنّ عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه، فاجتمعوا إليه عند(٥) المساء وهم اثنا عشر رجلاً، فأدخلهم بيتاً، ثمّ خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال:

---

(١) عنه البحار: ٢٤٦/١٤ ح٢٥، والبرهان: ٦٢٥/١ ح٢، ونور الثقلين: ٤١٠/١ ح١٥٠.

(٢) عنه البحار: ٢٤٦/١٤ ذح٢٥، والبرهان: ٦٢٥/١ ح٣.

(٣) «المنتنة» البحار، «والنتنة» البرهان.

(٤) عنه البحار: ٢٧٢/١٤ ح١، والبرهان: ٦٢٥/١ ح٤، ونور الثقلين: ٤١١/١ ح١٥٢ **(قطعة)**.

(٥) «وقت» خ.

إنّ الله أوحى إليّ أنّه رافعي إليه الساعة ومطهّري من اليهود، فأيّكم يُلقى عليه شبحي فيُقْتل ويُصْلب ويكون معي في درجتي؟

فقال شابّ منهم: أنا يا روح الله. قال: فأنت هُوَ ذا. فقال لهم عيسى عليه السلام: أما إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة. فقال له رجل منهم: أنا هُوَ يا نبيّ الله. فقال له عيسى عليه السلام: أتحسّ بذلك في نفسك فلتكن هو.

ثمّ قال لهم عيسى عليه السلام: أما إنّكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق: فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتّبع شمعون صادقة على الله في الجنّة.

ثمّ رفع الله تعالىٰ عيسى عليه السلام إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى عليه السلام من ليلتهم، فأخذوا الرجل الّذي قال له عيسى عليه السلام: «إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة» وأخذوا الشابّ الّذي أُلقي عليه شبح عيسى عليه السلام، فقُتِل وصُلِب! وكفر الّذي قال له عيسى عليه السلام: تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة.[1]

وأمّا قوله: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ «٥٩ ـ ٦١»

١١ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن ابن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ نصارى نجران لمّا وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان سيّدهم الأهتم، والعاقب، والسيّد، وحضرت صلاتهم، فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلّوا!

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، هذا في مسجدك؟! فقال: دعوهم.

فلمّا فرغوا دنوا من رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له: إلى ما تدعونا؟ فقال: إلى شهادة أن

---

(١) عنه البحار: ١٤/٣٣٦ ح٦، والبرهان: ١/٦٢٧ ح١، ونور الثقلين: ١/٤١٢ ح١٥٤ و٢/١٦٩ ح٦٥٣، وبحر العرفان: ١٦/٣٢.

لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله، وأنّ عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويُحدِث.

قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله ﷺ فقال: قل لهم:

ما تقولون في آدم عليه السلام: أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويُحدِث ويَنكَح؟ فسألهم النبيّ ﷺ فقالوا: نعم. فقال: فمن أبوه؟ فبهتوا فبقوا ساكتين، فأنزل الله:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ـ إلىٰ قوله ـ فَنَجْعَلْ لَعنَةَ اللهِ عَلى الكاذِبين﴾. فقال رسول الله ﷺ: فباهلوني، فإن كنت صادقاً أُنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً أُنزلت عليّ.

فقالوا: أنصفت. فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم، قال رؤساؤهم ـ السيّد، والعاقب، والأهتم ـ: إن باهَلَنا بقومه باهَلْناه، فإنّه ليس بنبيّ، وإن باهَلَنا بأهل بيته خاصّة فلا نباهله، فإنّه لايقدم على أهل بيته، إلّا وهو صادق.

فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ومعه أميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) فقال النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم:

هذا ابن عمّه ووصيّه وختنه «عليّ بن أبي طالب عليه السلام» وهذه ابنته «فاطمة» وهذان ابناه «الحسن والحسين» عليهما السلام، ففرقوا[1] وقالوا لرسول الله ﷺ: نعطيك الرضا! فاعفنا من المباهلة. فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا.[2]

وقوله: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ وَما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ...﴾ «٦٥ـ٧٢»

ثمّ قال: ﴿ها أَنْتُمْ هٰؤُلاءِ ـ أي أنتم يا هؤلاء ـ حَاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ـ يعني بما في التوراة

---

(١) «فعرفوا» خ.

(٢) عنه البحار: ٢١/ ٣٤٠ ح٦، والبرهان: ١/ ٦٢٩ ح١، ونور الثقلين: ١/ ٤١٤ ح١٥٧، وغاية المرام: ٣/ ٢١٩ ح١٦ (نحوه)، والفصول المهمّة: ٥.

والإنجيل ـ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ـ يعني بما في صحف إبراهيم عليه السلام ـ وَ اللهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ثمّ قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَ لٰكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[1]

ثمّ وصف الله عزّ وجلّ من أولى الناس بإبراهيم وأن يحتجّ به، فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

١٢ـقال: حدّثني أبي، عن ابن أبي عُمير، عن منصور بن يونس، عن عمر بن يزيد، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أنتم ـ والله ـ من آل محمّد.

فقلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ قال: نعم ـ والله ـ من أنفسهم، ثلاثاً.

ثمّ نظر إليّ ونظرت إليه، فقال: يا عمر، إنّ الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[2]

وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعلمون ما في التوراة من صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وتكتمونه.[3]

وقوله: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال: نزلت في قوم من اليهود. قالوا: آمنّا بالّذي جاء به محمّد بالغداة، وكفروا به بالعشيّ![4]

١٣ـوفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: في قوله: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قدم المدينة وهو يصلّي نحو بيت المَقْدِس، أعجب ذلك

---

(١) عنه البحار: ٩/١٩٠ صدر ح٢٧، وج١٢/١٤ ح٤٢، والبرهان: ١/٦٣٩ ح١.

(٢) عنه البرهان: ١/٦٤٠ ح١، والبحار: ٦٨/٨٤ ح١، ونور الثقلين: ١/٤٢٠ ح٦٨٤، تفسير العيّاشي: ١/٣١٢ ح١١، مجمع البيان: ٢/٤٥٨، تأويل الآيات: ١/١١٤ ح٣٤.

(٣) عنه البرهان: ١/٦٤١ ح١٠.

(٤) عنه البحار: ٩/١٩٠ ضمن ح٢٧، ونور الثقلين: ١/٤٢٢ ح١٨٩.

اليهود، فلمّا صرفه الله عن بيت المَقْدِس إلى بيت الله الحرام، وجدت[١] اليهود من ذلك، وكان صرف القبلة صلاة الظهر، فقالوا: صلّى محمّد الغداة واستقبل قبلتنا، فآمِنوا بالّذي أُنزل على محمّد وجه النهار، واكفروا آخره، يعنون القبلة حين استقبل رسول الله ﷺ المسجد الحرام! ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى قبلتنا.[٢]

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ «٧٥»

فإنّ اليهود قالوا: يحلّ لنا أن نأخذ مال الأُميّين، والأُمّيّون: الّذين ليس معهم كتاب، فردّ الله عليهم، فقال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[٣]

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ «٧٧»

قال: يتقرّبون إلى الناس بأنّهم مسلمون، فيأخذون منهم ويخونونهم، وما هم بمسلمين على الحقيقة.[٤]

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ «٧٨ ـ ٧٩»

قال: كان اليهود يقرأون شيئاً ليس في التوراة، ويقولون: هو في التوراة! فكذّبهم الله.[٥]

---

(١): غضبت (لسان العرب: ٣/٤٤٦).

(٢) عنه البحار: ٩/١٩٠ ذح٢٧، وج٨٣/٩٧ (قطعة)، وج٨٤/٦٢ ح١٣ (قطعة)، والبرهان: ١/٦٤٢ ح١١، ونور الثقلين: ١/٤٢٢ ح١٩٠.

(٣) عنه البرهان: ١/٦٤٢ ح١، والبحار: ٩/١٩٠ صدر ح٢٨.

(٤) عنه البحار: ٩/١٩١ ضمن ح٢٨، ونور الثقلين: ١/٤٢٣ ح١٩٢.

(٥) عنه البحار: ٩/١٩١ ضمن ح٢٨، والبرهان: ١/٦٤٥ ح١، ونور الثقلين: ١/٤٢٦ ح٢٠٨.

وقوله: ﴿ماكانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَ لٰكِنْ كُونُوا رَبّانِيِّينَ﴾ أي أنّ عيسى عليه‌السلام لم يقل للناس: إنّي خلقتكم، فكونوا عباداً لي من دون الله، ولكن قال لهم: كونوا ربّانيّين أي علماء.[1]

وقوله: ﴿وَ لا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْباباً﴾ «٨٠»

قال: كان قوم يعبدون الملائكة، وقوم من النصارى زعموا أنّ عيسى ربّ، واليهود قالوا: عُزير ابن الله فقال الله: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْباباً﴾.[2]

وأمّا قوله: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ﴾ «٨١»

فإنّ الله أخذ ميثاق نبيّه محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه، ويخبروا أممهم بخبره.[3]

١٤ـ حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: مابعث الله نبيّاً من لدن آدم عليه‌السلام فهلمّ جرّاً إلّا ويرجع إلى الدنيا وينصر أميرالمؤمنين عليه‌السلام، وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ـ يعني [بـ] رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ـ يعني أمير المؤمنين عليه‌السلام، ثمّ قال لهم في الذرّ: ـ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي ـ أي عهدي ـ قالُوا أَقْرَرْنا ـ قال الله للملائكة ـ: فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾

وهذه مع الآية الّتي في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[4] والآية الّتي في سورة الأعراف [في] قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ

---

(١) عنه البحار: ١٩١/٩ ضمن ح٢٨ وج ٢٥/١١ صدر ح٣، والبرهان: ٦٤٥/١ ح٢.

(٢) عنه البحار: ١٩١/٩ ذح٢٨ وج ٢٥/١١ ذح٣، والبرهان: ٦٤٥/١ ح١، ونور الثقلين: ٤٢٧/١ ح٢١٠.

(٣) عنه البحار: ٢٥/١١ صدر ح٤، والبرهان: ٦٤٦/١ ح١.

(٤) الأحزاب: ٧.

مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[١] قد كُتِبَت هذه الثلاثة آيات في ثلاث سُورٍ.[٢]

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ ـ إلى قوله ـ وَمٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ﴾ «٨٣ ـ ٩١»

ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ﴾

قال: أغير هذا الدين قلت لكم أن تُقِرّوا بمحمّد ووصيّه ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ أي فَرَقاً من السيف.

ثمّ أمر نبيّه ﷺ بالإقرار بالأنبياء والرسل والكتب، فقال: ﴿قُلْ ـ يا محمّد ـ آمَنّٰا بِاللهِ وَمٰا أُنْزِلَ عَلَيْنٰا وَمٰا أُنْزِلَ عَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَإِسْمٰاعِيلَ وَإِسْحٰاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبٰاطِ وَمٰا أُوتِيَ مُوسىٰ وَعِيسىٰ وَ ـ ما أُوتي ـ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[٣]

وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰاسِرِينَ﴾ فإنّه محكم.

ثمّ ذكر الله عزّ وجلّ ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾ في أميرالمؤمنين عليه السلام، وكفروا بعد رسول الله ﷺ فقال: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمٰانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجٰاءَهُمُ الْبَيِّنٰاتُ وَاللهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ * أُولٰئِكَ جَزٰاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلاٰئِكَةِ وَالنّٰاسِ أَجْمَعِينَ * خٰالِدِينَ فِيهٰا لاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَلاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ * ـ إلى قوله ـ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمٰاتُوا وَهُمْ كُفّٰارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدىٰ بِهِ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ وَمٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ﴾ فهذه كلّها في أعداء آل محمّد ﷺ.[٤]

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) عنه البحار: ٢٥/١١ ذح ٤، وج٥٣/ ٥٠ ح٢٣ (قطعة) وص٦١ ح ٥٠ (قطعة)، والبرهان: ٦٤٦/١ ح٢، ونور الثقلين: ٤٢٩/١ ح٢١٨ (قطعة)، ومدينة المعاجز: ١٠٤/٣ ح٧٦٧.

(٣) عنه البحار: ١٩١/٩ ح٢٩ (صدره)، والبرهان: ٦٥١/١ ح٩، ونور الثقلين: ٤٢٩/١ ح٢١٩ (قطعة).

(٤) عنه البرهان: ٦٥٢/١ ح١١.

ثمّ قال: ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ﴾ «٩٢»

أي لن تنالوا الثواب حتّى تردّوا على[1] آل محمّد ﷺ حقّهم من الخُمس والأنفال والفيء.[2]

وأمّا قوله: ﴿كُلُّ الطَّعامِ كٰانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلاّٰ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ﴾ «٩٣»

قال: إنّ يعقوب كان يُصيبه عِرْق النسا، فحرّم على نفسِه لَحْمَ الجَمَل، فقالت اليهود: إنّ لحم الجمل مُحرّم [على بني إسرائيل] في التوراة!

فقال [الله] عزّوجلّ لهم: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾

إنّما حرّم هذا إسرائيل على نفسه ولم يُحرّمه على الناس.

وهذا حكاية عن اليهود، ولفظه لفظ الخبر.[3]

وقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ...﴾ «٩٦-٩٧»

قال: معنى «بكّة» أنّ الناس يبكّ[4] بعضهم بعضاً من الزحام.

وقوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً﴾

١٥ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبدالله عليه السلام في الرجل يجني الجناية في غير الحرم، ثم يلجأ إلى الحرم، قال: لايقام عليه الحدّ، ولايكلّم، ولايُسقىٰ ولا يطعم، ولا يباع منه، فإذا فُعِل ذلك به يوشك أن يخرج فيقام عليه الحدّ، وإذا جنى في الحرم جناية أُقيم عليه الحدّ

---

(١) «إلى» البرهان. (٢) عنه البحار: ٢٤/٢٧٨ ح٣، والبرهان: ١/٦٥٣ ح٦.

(٣) عنه البحار: ٩/١٩١ ح٣٠، والبرهان: ١/٦٥٤ ح١، ونور الثقلين: ١/٤٣٤ ح٢٤١.

(٤) أي يزاحم ويدافع (مجمع البحرين: ١/١٧٨).

في الحرم، لأنّه لم ير[١] للحرم حرمة.[٢]

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي من ترك الحجّ وهو مستطيع فقد كفر، والإستطاعة هي القوّة والزاد والراحلة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ ـ إلى قوله ـ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ «١٠٣»

وقوله: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ فإنّه منسوخ بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.[٣]

وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾ قال: التوحيد والولاية.[٤]

١٦ ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ قال: إنّ الله تبارك وتعالى عَلِمَ أنّهم سيفترِقون بعد نبيّهم ويختلفون، فنهاهُم عن التفرّق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمّد عليهم السلام ولا يتفرّقوا.[٥]

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم﴾ فإنّها نزلت في الأوس والخزرج، كانت الحرب بينهم مائة سنة، لا يضعون السلاح لا باللّيل ولا بالنهار، حتّى وُلِدَ عليه الأولاد، فلمّا بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله أصلح بينهم، فدخلوا في الإسلام، وذهبت العداوة من قلوبهم برسول الله صلى الله عليه وآله وصاروا إخواناً.[٦]

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾ «١٠٤»

١٧ ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ

---

(١) «يدع» خ، «يرع» البحار.

(٢) عنه البحار: ٧٤/٩٩ ح ١٠ وعن علل الشرائع، والبرهان: ٦٥٧/١ ح ١٥، علل الشرائع: ٤٤٤ ح ١ (مثله)، عنه الوسائل: ٣٣٧/٩ ح ٥.

(٣) التغابن: ١٦.

(٤) عنه البرهان: ٦٦٨/١ ح ١، ونور الثقلين: ٤٤٩/١ ح ٣٠٧، والبحار: ٨٥/٢٤ صدر ح ٦.

(٥) عنه البحار: ٨٥/٢٤ ذح ٦، وج ٢٠/٣٦ ح ١٤، وج ٦٨/٢٣٣ س ١١، والبرهان: ٦٧٢/١ ح ١١، ونور الثقلين: ٤٤٩/١ ح ٣٠٨، وغاية المرام: ٣٧/٣ ح ٦.

(٦) عنه البرهان: ٦٧٣/١ ح ١٢.

إِلَى الْخَيْرِ ـ فهذه الآية لآل محمّد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومن تابعهم ـ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.[1]

[و] قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

ـ إلى قوله ـ فَفِي رَحْمَتِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ «١٠٦ـ١٠٧»

١٨ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن صفوان بن يحيى، عن أبي الجارود، عن عمران بن هيثم، عن مالك بن ضمرة، عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: تَرِد عليّ اُمّتي يوم القيامة على خمس رايات:

فراية مع عِجل هذه الأمّة، فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر، فحرّفناه ونبَذْناه وراء ظُهورِنا! وأمّا الأصغر، فعاديناه وأبغَضْناه وظلَمْناه!

فأقول: رِدوا إلى النار ظِماءً مُظمئين، مُسوَدّة وجوهكم.

ثمّ تَرِد عليّ راية مع فِرعَون هذه الأمّة، فأقول لهم: ما فعلتُم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر، فحرّفناه ومزّقناه وخالَفْناه! وأمّا الأصغر، فعادَيناه وقاتَلْناه! فأقول: رِدُوا إلى النار ظِماءً مُظمئين، مُسوَدّة وجوهكم.

ثمّ تَرِد عليّ راية مع سامِريّ هذه الأُمّة، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر، فعَصَيْناه وتركناه! وأمّا الأصغر، فخذَلْناه وضيّعناه وصنعنا به كلّ قبيح! فأقول: رِدوا إلى النار ظِماءً مُظمئين، مُسوَدّة وجوهكم.

ثمّ تَرِد عليّ راية ذي الثديّة مع أوّل الخوارج وآخرهم، فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر، فمزّقناه وبَرِئنا منه! وأمّا الأصغر، فقاتَلْناه وقتَلْناه! فأقول: رِدُوا إلى النار ظِماءً مُظمئين، مُسوَدّة وجوهكم،

ثمّ تَرِد عليّ راية مع إمام المتّقين وسيّد الوصيّين[2] وقائد الغُرّ المُحَجّلين، ووصيّ

(١) عنه البحار: ١٥٣/٢٤ ح ٤، والبرهان: ٦٧٣/١ ح ١، ونور الثقلين: ٤٥٢/١ ح ٣١٨.

(٢) «المسلمين» خ.

رسول ربِّ العالمين، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر، فاتّبعناه وأطَعْناه. وأمّا الأصغر، فأحْبَبْناه ووالَيناه ووازَرْناه ونصَرْناه حتّى أُهرِيقَت فيهم دماؤنا.

فأقول: رِدوا إلى الجنّة رِواءً مَرويّين، مُبيضّةً وجوهكم. ثمّ تلا رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[1]

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ - إلى قوله - عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ «١١٠ - ١١٩»

١٩ - حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سِنان، قال: قُرِئَت عند أبي عبدالله عليه السلام: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فقال أبو عبدالله عليه السلام: خير أُمّةٍ يقتُلون أميرالمؤمنين، والحسن والحسين عليهما السلام؟! فقال القارئ: جُعِلتُ فداك، كيف نزلت؟

قال: نزلت: «كُنْتُمْ خَيْرَ - أئمّة - أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ - ألا ترى مَدْح الله لهم [بأن قال:] - تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وتَنهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللهِ».[2]

وقوله تعالى: ﴿ضُرِبَت عَلَيهِمُ الذِلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبلٍ مِنَ اللهِ وَحَبلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ يعني بعهد من الله وعقد من رسول الله ﷺ

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ المَسكَنَةُ﴾ أي الجوع.[3]

وقوله تعالى: ﴿وَما يَفعَلُوا مِن خَيرٍ فلن يُكفَرُوهُ﴾ أي لن يجحدوه. ثمّ ضرب للكفّار

---

(١) عنه البحار: ٣٤٦/٣٧ ح٣، والبرهان: ٦٧٥/١ ح١، ونور الثقلين: ٤٥٣/١ ح٣٢٤، وإثبات الهداة: ٥٥١/٣ ح٦٠٨، وغاية المرام: ٣٤٦/٢ ح٣٨، تأويل الآيات: ١١٩/١ ح٣٥، اللوامع: ٥٨.

(٢) عنه البحار: ١٥٤/٢٤ ح٦، والبرهان: ٦٧٦/١ ح١، ونور الثقلين: ٤٥٥/١ ح٣٢٧، وتأويل الآيات: ١٢١/١ ح٣٧، اللوامع: ٦١.

(٣) عنه البرهان: ٦٧٦/١ ح٥.

ومن أنفق ماله في غير طاعة الله مثلاً، فقال: ﴿مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ ـ أي بَرْد ـ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ـ أي زرعهم ـ وَما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. وقوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ نزلت في اليهود.

[وقوله:] ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً﴾ أي عداوة.

وقوله تعالىٰ: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ قال: أطراف الأصابع.(١)

وقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «١٢١»

٢٠ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سبب نزول هذه الآية أنّ قُريشاً خرجت من مكّة تريد حرب رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج [رسول الله صلى الله عليه وآله] يبتغي موضعاً للقتال.(٢)

وقوله: ﴿إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا...﴾ «١٢٢ـ١٢٣»

نزلت في عبدالله بن أُبَيّ، وقوم من أصحابه اتّبعوا رأيه في ترك الخُروج، والقعود عن نُصْرَة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: وكان سبب غزوة أُحُد، أنّ قريشاً لمّا رجعت من بدر إلى مكّة، وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسْرِ، لأنّه قُتل منهم سبعون وأُسِرَ منهم سبعون؛ فلمّا رجعوا إلى مكّة، قال أبو سفيان: يا معشر قريش، لا تدعوا نساءكم تبكي على قتلاكم، فإنّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحُزْن، والحرقة، والعداوة لمحمّد، ويشمت بنا محمّد وأصحابه.

فلمّا غزوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أُحُد، أذِنوا لنِسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح.

---

(١) عنه البرهان: ٦٧٧/١ ح٣، ونور الثقلين: ٤٥٧/١ ح٣٣٦ (صدره).

(٢) عنه البحار: ٤٧/٢٠ صدر ح٣، والبرهان: ٦٧٧/١ ح٣، ونور الثقلين: ٤٥٧/١ ح٣٣٦ (صدره).

فلمّا أرادوا أن يغزوا رسول الله ﷺ إلى أُحُد، ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكّة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجلٍ، وأخرجوا معهم النساء يذكّرنهم ويحثّنهم على حرب رسول الله ﷺ، وأخرج أبوسفيان «هِند بنت عُتبة» وخرجت معهم «عمرة بنت علقمة الحارثيّة».

فلمّا بلغ رسول الله ﷺ ذلك جمع أصحابه، وأخبرهم أنّ الله قد أخبره أنّ قُريشاً قد تجمّعت تريد المدينة، وحثّ أصحابه على الجهاد والخروج.

فقال عبدالله بن أُبيّ وقومه: يا رسول الله! لاتخرج من المدينة حتّى نقاتل في أزقّتها، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة، والعبد والأمة على أفواه السكك، وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قطّ فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا إلى أعدائنا قطّ إلّا كان الظَّفر لهم علينا! فقام سعد بن معاذ‌رضي الله عنه وغيره من الأوس، فقالوا: يا رسول الله! ما طمع أحد فينا من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا؟! لا، حتّى نخرج إليهم ونقاتلهم، فمن قُتل منّا كان شهيداً، ومن نجا منّا كان قد جاهد في سبيل الله. فقبل رسول الله ﷺ قوله، وخرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضعاً للقتال، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ -إلى قوله- إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاٰ﴾ يعني عبدالله بن أُبَيّ وأصحابه.

فضرب رسول الله ﷺ معسكره ممّا يلي من طريق العراق، وقعد عنه عبدالله بن أُبَيّ وجماعة من الخزرج [الّذين] اتّبعوا رأيه، ووافت قريش إلى اُحد، وكان رسول الله ﷺ عدّ أصحابه وكانوا سبعمائة رجلاً، فوضع «عبدالله بن جبير» في خمسين من الرماة على باب الشِّعب، وأشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان،

فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن جبير وأصحابه: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتّى أدخلناهم مكّة فلا تبرحوا[1] من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتّى

---

(١) «تخرجوا» البرهان.

أدخلونا المدينة فلا تبرحوا، والزموا مراكزكم. ووضع أبوسفيان خالد بن الوليد عليهما اللعنة في مائتي فارس كميناً، وقال لهم: إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشِّعب حتّى تكونوا من ورائهم. فلمّا أقبلت الخيل واصطفّوا وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه، دفع الراية إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فحملت الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم، وانحطّ خالد بن الوليد في مائتي فارس، فلقي عبدالله بن جبير، فاستقبلوهم بالسهام فرجعوا.

ونظر أصحاب عبدالله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ﷺ ينهبون سواد القوم، فقالوا لعبد الله بن جبير: تقيمنا هاهنا وقد غنم أصحابنا، ونبقى نحن بلاغنيمة!

فقال لهم عبدالله: اتّقوا الله، فإنّ رسول الله ﷺ قد تقدّم إلينا أن لا نبرح!

فلم يقبلوا منه، وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتّى أخلوا مراكزهم، وبقي عبدالله بن جبير في اثني عشر رجلاً، وقد كانت راية قريش مع «طلحة بن أبي طلحة العبدريّ» من بني عبد الدار، فبرز ونادى:

يا محمّد! تزعمون أنّكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونُجهِزكم بأسيافنا إلى الجنّة، فمن شاء أن يلحق بجنّته فليبرز إليَّ! فبرز إليه أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يقول:

يا طلح إن كنت كما تقولُ — لكم خيول ولنا نصولُ[1]

فاثبت لننظر أيُّنا المقتولُ — وأيّنا أولى بما تقولُ

فقد أتاك الأسد الصؤولُ — بصارم ليس به فلولُ[2]

يَنْصُرُه[3] القاهِرُ[4] والرسولُ

---

(١) النَّصل: حديدة السَّهم والرمح والسكّين والسيف ما لم يكن له مقبض. (مجمع البحرين: ٥/٤٨٤).

(٢) فُلول السيف: هي كُسور في حدّه. «مجمع البحرين: ٥/٥٤٤».

(٣) «ينظره» خ.

(٤) «الناصر» خ.

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب. قال:

قد علمت يا قضيم[١] أنّه لايجسر عليّ أحد غيرك. فشدّ عليه طلحة فضربه، فاتّقاه أميرالمؤمنين عليه السلام بالجَحَفة[٢] ثمّ ضربه [عليّ] أميرالمؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره، وسقطت الراية، فذهب عليّ عليه السلام ليجهز عليه فحلّفه بالرحم! فانصرف عنه، فقال المسلمون:

ألا أجْهَزْتَ عليه؟! قال عليه السلام: قد ضربته ضربة لايعيش منها أبداً.

[ثمّ أخذ] الراية «أبو سعيد[٣] بن أبي طلحة» فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلىٰ الأرض، فأخذها «عثمان بن أبي طلحة» فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها «مسافع بن أبي طلحة» فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها «الحارث بن أبي طلحة» فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها «أبو عزيز[٤] بن عثمان» فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها «عبدالله ابن أبي[٥] جميلة بن زهير» فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض. فقتل أميرالمؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبدالدار، وهو «أرطاة بن شُرَحْبيل» مبارزة وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها مولاهم صؤاب[٦] فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض؛

فأخذها بشماله، فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثمّ قال: يا بني عبد الدار!

---

(١) الّذي يقضم الناس فيهلكهم «النهاية: ٧٨/٤».

(٢) الجَحَفة ـ بالتحريك ـ: الترس، إذا كانت من جُلود وليس فيها خشب (مجمع البحرين: ٣٥/٥).

(٣) «سعد» طبقات ابن سعد: ٤١/٢، سيرة ابن هشام: ١٥٩/٣ والظاهر كونه هو الصواب.

(٤) «غذير» خ، وفي السيرة لابن هشام (١٥٩/٣) أبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

(٥) في سيرة ابن هشام (عبدالله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد)، وفي البحار: (عبدالله بن جميلة).

(٦) كذا، وفي مجمع البيان: ٨٥٢/٢ «ثواب».

هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذتها «عمرة بنت علقمة الحارثيّة» فقبضتها.[١]

وانحطّ خالد بن الوليد على عبدالله بن جبير، وقد فرّ أصحابه وبقي في نفر قليل فقتلوهم على باب الشِّعب، واستعقبوا المسلمين، فوضعوا فيهم السيف، ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها.

وأقبل خالد بن الوليد من وراء المسلمين يقتلهم،

فانهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة قبيحة[٢] وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلّ وجه، فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه، وقال: إليّ أنا رسول الله! إلى أين تفرّون عن الله وعن رسوله!.[٣]

٢١ـ[و]حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سُئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لمّا بارزه عليّ عليه السلام: «يا قضيم»!.

قال عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان بمكّة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، فأغْرَوا به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يرمونه بالحجارة والتراب، فشكى ذلك إلى عليّ عليه السلام، فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني معك. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أميرالمؤمنين عليه السلام؛

فتعرّض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله كعادتهم، فحمل عليهم أميرالمؤمنين صلوات الله عليه وكان يَقْضِمُهم في وُجوههم، وآنافِهم، وآذانهم، فكان الصبيان يَرجِعون باكين إلى آبائهم، ويقولون: قضمنا عليّ، قَضَمَنا عليّ، فسُمّي لذلك القضيم.[٤]

---

(١) «فنصبتها» البحار. (٢) «منكرة» خ.

(٣) عنه البحار: ٤٧/٢٠ ضمن ح٣، البرهان: ٦٧٨/١ ح١ (قطعة) وص٦٧٩ ح٥، عنه نور الثقلين: ٤٥٧/١ ح٣٣٧، مجمع البيان: ٤٩٥/٢.

(٤) عنه البرهان: ٦٨١/١ ح٦، والبحار: ٥٢/٢٠ ضمن ح٣.

٢٢ـ وروي عن أبي وائل[١] شقيق بن سلمة، قال: كنت أُماشي عمر بن الخطّاب إذ سمعت منه هَمْهَمة، فقلت له: مَهْ، يا عمر؟ فقال: ويحَك! أما ترى الهِزَبْر[٢] القثم بن القثم[٣]، والضارب بالبُهَم[٤]، الشديد على من طغى وبغى بالسيفين والراية؟! فالتفتّ فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقلت له: يا عمر، هو عليّ بن أبي طالب. فقال: اُدن منّي حتّىٰ أُحدّثك عن شجاعته وبطولته: بايعنا النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحُد على أن لانفرَّ، ومن فرّ منّا فهو ضالّ، ومن قُتل منّا فهو شهيد، والنبيّ زعيمه، إذ حمل علينا مائة صنديد تحت كلّ صنديد مائة رجل أو يزيدون، فأزعجونا عن طحونتنا[٥] فرأيت عليّاً عليه السلام كالليث يتّقي الذرّ، وإذ قد حمل كفّاً من حصى، فرمى به في وجوهنا! ثمّ قال: شاهَتِ الوُجوه، وقُطّت[٦]، وبُطّت[٧]، ولُطّت[٨]، إلى أين تفرّون؟! إلى النار؟! فلم نرجع، ثمّ كرّ علينا الثانية وبيده صَفيحة[٩] يقطر منها الموت، فقال: بايعتم ثمّ نكثتم! فوالله لأنتم أولى بالقتل ممّن أقتل! فنظرت إلى عينيه كأنّهما سَلِيطان[١٠] يتوقّدان ناراً، أو كالقدحين المملوّين دماً، فما ظننت إلّا ويأتي علينا كلّنا، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي، فقلت: يا أبا الحسن الله الله! فإنّ العرب تكرّ وتفرّ، وإنّ الكرّة تنفي الفرّة. فكأنّه استَحْيي فولّى بوجهه عنّي، فما زلت أُسكّن رَوْعة[١١] فؤادي، فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتّى الساعة.

---

(١) «أبو وائلة» خ والبحار. وهو اشتباه والصواب ما أثبتناه كما في أُسد الغابة: ٣/٣، وتقريب التهذيب: ٤٨٦/٢ وغيرها. (٢): من أسماء الأسد. (لسان العرب: ٢٦٣/٥). (٣) «القُضَيم بن القُضَيم» البرهان.

(٤) قال المجلسي في البحار: ٦٧/٢٠: البُهَم. جمع البُهْمَة، وهي الحيلة الشديدة، والشُجاع الّذي لايُدرى من أين يُؤتى، والصخرة والجيش، والأنسب هنا الأوّل والآخر.

(٥) الطاحونة استعيرت هنا لمجتمع القوم ومستقرّهم، وفي القاموس: الطحون كصبور: الكتيبة العظيمة، والحرب. (البحار). (٦): قُطِعت عرضاً. (٧): شُقّت.

(٨): مُنِعت حقّها. (٩): السيف العريض، (مجمع البحرين: ١٠٣٤/٢).

(١٠) السليط: الزيت ومنه خبر ابن عبّاس رأيت عليّاً وكأنّ عينيه سراجاً سليط (مجمع البحرين: ٨٦٥/٢).

(١١) الروع: الفزع والخوف والرعب.

ولم يَبْقَ مع رسول الله ﷺ إلّا «أبو دُجانة الأنصاريّ» و«سِماك بن خَرَشَة»، وأمير المؤمنين عليه السلام، فكلّما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم أميرالمؤمنين عليه السلام فيدفعهم عن رسول الله ﷺ ويقتُلهم حتّى انقطع سيفُه، وبقِيتْ مع رسول الله ﷺ «نُسَيْبة بنت كَعْب المازنيّة» وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ في غَزَواته تُداوي الجَرحى، وكان ابنها معها، فأراد أن يَنهزِمَ ويتراجع، فحملت عليه، فقالت: يا بُنيّ إلى أين تفرّ عن الله وعن رسوله؟! فردّته، فحمل عليه رجُل فقتله، فأخذَتْ سيف ابنها، فحملت على الرجُل فضربتهُ على فَخِذِه فقَتلَتهُ.

فقال رسول الله ﷺ: بارك الله فيك يا نُسَيْبة. وكانت تقي رسول الله ﷺ بيديها وصدرها، حتّى أصابتها جراحات كثيرة.

وحمل «ابن قميئة»[١] على رسول الله ﷺ، فقال: أروني محمّداً، لانَجَوتُ إن نَجا محمّد! فضربه على حَبْل عاتِقه، ونادى: قتلتُ محمّداً واللّاتِ والعُزّى! ونظر رسول الله ﷺ إلى رجُل من المهاجرين قد ألقى تُرْسه خلف ظهره وهو في الهزيمة، فناداه: يا صاحب الترس، ألقِ تُرْسك ومُرّ[٢] إلى النار! فرمى بِتُرْسه.

فقال رسول الله ﷺ: يا نُسَيْبة خُذي التُرْس.

فأخَذَتِ الترس، وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله ﷺ: لَمقام نُسَيْبة أفضل من مقام «فلان» و«فلان» و«فلان»!

فلمّا انقطع سيف أميرالمؤمنين عليه السلام، جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال:

يا رسول الله، إنّ الرجُل يُقاتِل بالسِلاح، وقد انقطع سيفي!

فدفع إليه رسول الله ﷺ سيفه «ذاالفقار» فقال: قاتِلْ بهذا. ولم يكن يَحْمِل على رسول الله ﷺ أحد إلّا ويستقبله أميرالمؤمنين عليه السلام، فإذا رأوه رجَعوا، فانحاز[٣]

---

(١) هو عبدالله بن قميئة الحارثي، مذموم. (طبقات: ٤٢/٢ و٤٩). (٢) «وسر» البحار.

(٣) انحاز عنه: عدل، وانحاز القوم: تركوا مراكزهم.

رسول الله ﷺ إلى ناحية أُحُد فوقف، وكان القتال من وَجْهٍ واحد وقد انهزم أصحابه، فلم يزل أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام يقاتلهم حتّى أصابته في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جِراحة، فتحاموه[١] وسمعوا منادياً يُنادي[٢] من السماء:

لاسيف إلّا ذوالفقار ولا فَتىٰ إلّا علي

فنزل جَبْرَئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: هذه ـ والله ـ المُواساة يا محمّد.

فقال رسول الله ﷺ: لأنّي منه وهو منّي. فقال جَبْرَئيل عليه السلام: وأنا منكما.

وكانت «هِند بنت عُتبة» في وسط العسكر، فكلّما[٣] انهزم رجل من قريش دفعت إليه مِيلاً ومُكْحُلَةً، وقالت له: إنّما أنت امرأة فاكتَحِل بهذا!

وكان حمزة بن عبدالمطّلب يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا، ولم يثبت له أحد، وكانت هِند بنت عُتبة[٤] قد أعطت: «وحشيّاً» عهداً لئن قتلت محمّداً أو عليّاً، أو حمزة لأُعطينّك رِضاك[٥]. وكان «وحشيّ» عبداً لجُبَير بن مُطْعِم حبشيّاً،

فقال وحشيّ: أمّا محمّد فلا أقدر عليه، وأمّا عليّ فرأيته رجُلاً حِذراً كثير الإلتِفات، فلم أطمع فيه، قال: فكَمَنتُ لحمزة؛

فرأيته يهُدّ الناس هَدّاً، فمرّ بي فوطئ على جُرف نَهرٍ فسقط، فأخذتُ حربتي فهزَزْتُها ورميتُه، فوقعت في خاصِرَتِه وخرجت من مثانَتِه مغمسة بالدم، فسقط، فأتيتُه فشققتُ بطنَه وأخذتُ كَبِدَه! وجئت بها إلى هِند، فقلتُ لها: هذه كَبد حمزة. فأخذَتْها في فيها فَلاكَتْها[٦] فجعلها الله في فيها مثل الداغصة فلفَظَتْها ورمت بها، فبعث الله مَلَكاً فحملها وردّها إلى موضِعها.

---

(١): توقّوه واجتنبوه. (٢) «وسمعوا دوّيا» خ. (٣) «وكلّما» خ.

(٤) ««أمّ معاوية عليها اللعنة» خ.

(٥) زاد في خ «ولأعطيتك كلّما تريد ـ ولأُعطينّك كذا وكذا» خ.

(٦) اللوك: أهون المضغ (القاموس المحيط: ٣١٨/٣).

قال أبو عبدالله عليه السلام: أبى الله أن يُدخِلَ شيئاً من بدَنِ حمزة النار. فجاءت إليه هِند، فقطَعَت مَذاكيرَه، وقَطَعت أُذُنيه وجعَلَتهُما خُرْصَين[1] وشدّتهُما في عنُقُها! وقطعت يديه ورِجْليه! وتراجع الناس فصارت قريش على الجبل،

فقال أبوسفيان وهو على الجبل: أعلُ هُبَل!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: قل له: الله أعلىٰ وأجلّ.

فقال: يا عليّ، إنّه قد أنعم علينا.[2] فقال عليّ عليه السلام: بل الله أنعم علينا.

ثمّ قال أبوسفيان: يا عليّ أسألك باللّاتِ والعُزّى، هل قُتِل محمّد؟

فقال له [أميرالمؤمنين عليه السلام:] لعنك الله ولعن الله اللّات والعُزّى معك، والله ما قُتل محمّد صلى الله عليه وآله وهو يسمع كلامك.

فقال: أنت أصدق، لعن الله ابن قميئة زعم أنّه قتل محمّداً.

وكان **«عمرو بن قيس»**[3] قد تأخّر إسلامه، فلمّا بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في الحرب أخذ سيفه وتُرْسه وأقبل كاللّيث العادي يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله. ثمّ خالط القومَ فاستُشْهِد، فمرّ به رجُل من الأنصار فرآه صَريعاً بين القتلى، فقال: يا عَمرو أنت على دينك الأوّل؟

فقال: لا[4] والله، إنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله. ثمّ مات، فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنّ عَمرو بن قيس قد أسلم وقُتل، أهو شهيد؟ فقال: إي والله إنّه شهيد، ما رجُل لم يُصلِّ لله ركعة ودخل الجنّة غيره.

---

(١) الخرص: حلقة من الذهب والفضّة. (لسان العرب: ٢٢/٧).

(٢) كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمرٍ، عَمَدَ إلى سَهْمَين، فكتب على أحدهما: نعم، وعلىٰ الآخر: لا، ثمّ يتقدّم إلىٰ الصنم ويُجيل سِهامه، فإن خرج سَهْم «نعم» أقدم، وإن خرج سهم «لا» امتنع! وكان أبوسُفيان لمّا أراد الخُروج إلىٰ أُحُد استفتىٰ هُبَل، فخرج له سهم الإنعام «النهاية: ٢٩٤/٣» ولعلّه المراد بقوله: أنعم علينا.

(٣) كذا، والصواب «عمرو بن ثابت بن وقش بن زغبة الأسى الأشهلي» أخو سلمة بن ثابت، استشهد يوم أُحد. «أُسد الغابة: ١٠٠/١، قاموس الرجال: ١٢٧/٧».

(٤) «معاذ الله» خ.

وكان «**حنظلة بن أبي عامر**» رجُل من الخزرج، قد تزّوج في تلك اللّيلة الّتي كانت في صبيحتها حرب أُحُد، بنت عبدالله بن أبي سَلُول، ودخل بها في تلك اللّيلة، واستأذن رسول الله ﷺ أن يقيم عندها، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[1] فأذِن له رسول الله ﷺ. وهذه الآية في سورة النور، وأخبار أُحُد في سورة آل عمران!

فهذا دليل على أنّ التأليف على خِلاف ما أنزل الله.

فدخل حنظلة بأهله وواقع عليها، فأصبح وخرج وهو جُنُب، فحضر القتال، فبعثت امرأتُه إلى أربعة نفر من الأنصار، لمّا أراد حنظلة أن يخرُج من عندِها، وأشهَدَتْ عليه أنّه قد واقعَها! فقيل لها: لمَ فعلت ذلك؟

قالت: رأيتُ في هذه اللّيلة في نَومي كأنّ السماء قد انفرجت فوقع[2] فيها حنظلة، ثمّ انضمّت، فعَلِمْتُ أنّها الشهادة، فكَرِهتُ أن لا أُشهِدَ عليه. فحملت منه، فلمّا حضر حَنظَلَة القِتال نظر إلى أبي سُفيان على فرس يجُول بين العسكرين، فحمل عليه فضرب عُرْقُوب فرسه، فاكتَسَعتِ[3] الفرس، وسقَط أبوسُفيان إلى الأرض، وصاح: يا معشر قريش! أنا أبوسُفيان وهذا حَنظَلَة يُريد قتلي. وعَدا أبو سُفيان، ومرّ حَنظَلَة في طلبه، فعرض له رجُل من المُشرِكين فطعنه، فمشى إلى المُشرِك في طَعنَتِهِ فضربه فقتله، وسقط حَنظَلَة إلى الأرض بين حمزة وبين عَمرو بن الجُموح وعبدالله بن حِزام وجماعة من الأنصار.

فقال رسول الله ﷺ: رأيتُ الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المُزن في صحائف من ذهب، فكان يُسمّى غسيل الملائكة.[4]

---

(١) النور: ٦٢. (٢) «فرفع» خ.

(٣): أي سقطت من ناحية مؤخّرها ورمت به. «النهاية: ١٧٣/٤».

(٤) عنه البرهان: ٦٨٢/١ ح٧، والبحار: ٥٢/٢٠ ضمن ح٣.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ...﴾ «١٤٢»

وروي أنّ «مغيرة بن العاص» كان رجلاً أعسر، فحمل في طريقه [إلى أُحد] ثلاثة أحجار، فقال: بهذه أقتُل محمّداً! فلمّا حضَر القتال نظر إلى رسول الله ﷺ وبيده السيف، فرماه بحجر، فأصاب به رسول الله ﷺ، فسقط السيف من يده؛

فقال: قتلته واللّات والعزّى! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كذبت، لعنك الله.[1]

فرماه بحجر آخر فأصاب جبهته، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ حيّره». فلمّا انكشف الناس تحيّر، فلحقه عمّار بن ياسر فقتله.

وسلّط الله على ابن قميئة الشّجر، فكان يمرّ بالشجرة فيقع وسطها فتأخذ من لحمه، فلم يزل كذلك حتّى صار مثل الصر[2] ومات لعنه الله.

ورجع المنهزمون من أصحاب رسول ﷺ، فأنزل الله على رسوله:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِنْ قَبْلِكُم﴾

يعني ولمّا ير، لأنّه عزّ وجلّ قد علم قبل ذلك من يجاهد ومن لا يُجاهد، فأقام العلم مقام الرؤية لأنّه يعاقب الناس بفعلهم لا بعلمه.[3]

قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ «١٤٣»

٢٤ - [و]في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله:

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ الآية، فإنّ المؤمنين لمّا أخبرهم الله بالّذي

---

(١) «كذب لعنه الله» خ.

(٢): السنبل بعد ما يقصّب. (لسان العرب: ٤٥٢/٤). والصّرّ: طائر كالعصفور أصفر. (القاموس المحيط: ٦٩/٢).

(٣) عنه البحار: ٥٨/٢٠ ضمن ح٣، البرهان: ٦٩٦/١ ح٢.

فعل بشهدائهم يوم بدر ومنازلهم من الجنّة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللّهمّ أرنا قتالاً نستشهد فيه. فأراهم الله إيّاه في يوم أُحد، فلم يثبتوا إلّا من شاء الله منهم، فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾.[١]

وأمّا قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...﴾ «١٤٤»

فإنّ رسول الله ﷺ لمّا خرج يوم أُحُد، وعهد العاهد به على تلك الحال، فجعل الرجل يقول لمن لقيه: إنّ رسول الله ﷺ قد قُتل النَّجاء النَّجاء[٢].

فلمّا رجعوا إلى المدينة أنـزل الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ـ إلى قوله ـ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ يقول[٣]: إلى الكفر.[٤]

وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ـ إلى قوله تعالى ـ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ...﴾ «١٤٦ـ١٤٧»

يقول: كأيّن من نبيّ قبل محمّد ﷺ قاتل معه ربّيون كثير، والربّيون: الجموع الكثيرة، والربوة[٥] الواحدة عشرة آلاف.[٦]

[و] يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ من قبل نبيّهم ﴿وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ـ يعنون خطاياهم ـ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.[٧]

---

(١) عنه البحار: ٥٩/٢٠ ضمن ح٣، والبرهان: ٦٩٧/١ ح١، ونور الثقلين: ٤٧٠/١ ح٣٧٧.

(٢) : أي أنجو بأنفسكم، وهو مصدر منصوب بفعل مضمر: أي أنجو النجاء، وتكراره للتأكيد، والنجاء: السرعة (النهاية: ٢٥/٥).

(٣) «يعني» خ.

(٤) عنه البحار: ٥٩/٢٠ ضمن ح٣، والبرهان: ٦٩٨/١ ح١.

(٥) في البحار «الربّة».

(٦) عنه البحار: ٥٩/٢٠ ضمن ح٣، والبرهان: ٧٠١/١ ح٣.

(٧) عنه البحار: ٥٩/٢٠ ضمن ح٣.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا ـ إلى قوله ـ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ «١٤٩ ـ ١٥٤»

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ـ يعني عبدالله ابن أُبيّ حيث خرج مع رسول الله ﷺ ثمّ رجع يُجَبِّن أصحابه ـ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ قال للمؤمنين يومُ أُحد يومُ الهزيمة: إرجعوا إلى دينكم، عن عليّ عليه السلام ﴿بَلِ اللهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ـ يعني قريش ـ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ﴾.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ ـ يعني أن ينصركم الله عليهم ـ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ـ إذ[1] تقتلونهم بإذن الله ـ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ـ أي ما كانوا أحبّوا وسألوا من الشهادة ـ مِنكُم مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ يعني أصحاب «عبدالله بن جبير» الّذين تركوا مراكزهم وفرّوا[2] للغنيمة.

وقوله: ﴿وَمِنكُم مَّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ـ يعني عبد الله بن جبير وأصحابه الّذين بقوا حتّى قتلوا[3] ـ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ـ أي يختبركم ـ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

ثمّ ذكر المنهزمين من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال:

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ ـ إلى قوله ـ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[4]

٢٥ ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَأَثَابَكُمْ غُمًّا بِغَمٍّ﴾:

فأمّا الغمّ الأوّل فالهزيمة والقتل، و [أمّا] الغمّ الآخر فإشراف خالد بن الوليد عليهم، يقول: ﴿لِكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ـ من الغنيمة ـ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ ـ يعني قتل إخوانهم ـ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾ قال: يعني الهزيمة.[5]

قال عليّ بن ابراهيم: وتراجع أصحاب رسول الله ﷺ المجروحون وغيرهم، فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ فأحبَّ الله أن يُعرّف رسوله ﷺ من الصادق

---

(١) «أي» خ. (٢) «مرّوا» البحار. (٣) «لم يبرحوا حتىٰ استشهدوا معه» خ.

(٤) عنه البحار: ٢٠/٥٩ ضمن ح٣، والبرهان: ١/٧٠٢ ح١ و٣، ونور الثقلين: ١/٤٧٨ ح٣٩٨.

(٥) عنه البحار: ٢٠/٦٠ ضمن ح٣، والبرهان: ١/٧٠٣ ح٤، ونور الثقلين: ١/٤٧٨ ح٣٩٩.

منهم ومن الكاذب، فأنزل الله عليهم النعاس في تلك الحالة حتّى كانوا يسقطون إلى الأرض، وكان المنافقون الّذين يكذّبون لا يستقرّون، قد طارت عقولهم وهم يتكلّمون بكلام لا يفهم عنهم، فأنزل الله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ - يعني المؤمنين - وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾

قال الله لمحمّد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ يقولون: لو كنّا في بيوتنا ما أصابنا القتل! قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فأخبر الله تعالىٰ رسوله ما في قلوب القوم، ومن كان منهم مؤمناً، ومن كان منهم منافقاً كاذباً بالنعاس؛

فأنزل الله عليه: ﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[١] يعني المنافق الكاذب من المؤمن الصادق بالنعاس الّذي ميّز بينهم.[٢]

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ - إلى قوله - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ «١٥٥ - ١٦٧»

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ - أي خدعهم حتّى طلبوا الغنيمة - بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ - قال: بذنوبهم - وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ﴾

ثمّ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ - يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابه الّذين قعدوا عن الحرب - وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.[٣]

ثمّ قال لنبيّه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾

---

(١) آل عمران: ١٧٩.
(٢) عنه البحار: ٢٠/٦٠ ضمن ح٣، والبرهان: ١/٧٠٣ ح٥.
(٣) عنه البحار: ٢٠/٦١ ضمن ح٣، والبرهان: ١/٧٠٤ ح٤، ونور الثقلين: ١/٤٧٩ ح٤٠١.

أي انهزموا[١] ولم يقيموا معك. ثمّ قال تأديباً لرسوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.[٢]

٢٦ ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ ـ فصدق الله، لم يكن الله ليجعل نبيّاً غالاًّ[٣] ـ ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

ومن غلّ شيئاً رآه يوم القيامة في النار، ثمّ يكلّف أن يدخل إليه فيخرجه من النار ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.[٤]

وأمّا قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾

فهذه الآية لآل محمد صلى الله عليه وآله.[٥]

و[أمّا] قوله: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ ـ يقول: بمعصيتكم أصابكم ما أصابكم ـ ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ فهم ثلاثمائة منافق رجعوا مع «عبد الله بن أبي سَلُول»

فقال لهم جابر بن عبد الله: أُنشدكم الله في نبيّكم ودينكم ودياركم. فقالوا: والله لا يكون قتال اليوم، ولو نعلم أنّه يكون قتال لاتّبعناكم! يقول الله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.[٦]

وفي رواية عليّ بن إبراهيم في قوله: ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذّبهم فإنّهم ظالمون.

---

(١) «هربوا» خ.
(٢) عنه البحار: ٢٠/٦١ ضمن ح٣، والبرهان: ١/٧٠٧ ح١.
(٣) أي وما صحّ لنبيّ أن يخون في الغنائم، فإنّ النبوّة تنافي الخيانة (مجمع البحرين: ٢/١٣٣٠).
(٤) عنه البحار: ٢٠/٦١ ضمن ح٣، والبرهان: ١/٧١٠ ح٣.
(٥) عنه البحار: ٢٠/٦١ ضمن ح٣، وج٢٣/٣٥٤ ح٣، والبرهان: ١/٧١١ ح٤.
(٦) عنه البحار: ٢٠/٦٢ ضمن ح٣، والبرهان: ١/٧١١ ح٥.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ «١٢٣»

٢٧ ـ قال أبو عبدالله عليه السلام: ما كانوا أذلّة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّما نزل: «لقد نصركم ببدر وأنتم ضعفاء».(١)

فلمّا سكن القتال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من له علم بسعد بن الربيع؟ فقال رجل: أنا أطلبه. فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع، فقال: اطلبه هناك، فإنّي قد رأيته في ذلك الموضع قد شرعت حوله اثنا عشر رمحاً! قال: فأتيت ذلك الموضع فإذا هو صريع بين القتلى، فقلت: يا سعد! فلم يجبني، ثمّ قلت:

يا سعد(٢)، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد سأل عنك.

فرفع رأسه فانتعش كما ينتعش الفرخ، ثمّ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لحيّ؟ قلت: إي والله إنّه لحيّ، وقد أخبرني أنّه رأى حولك اثني عشر رمحاً. فقال:

الحمد لله، صدق رسول الله صلى الله عليه وآله، لقد طعنت اثني عشر طعنة كلّها قد جأفتني(٣)، أبلغ قومي الأنصار السلام، وقل لهم: والله ما لكم عند الله عذر أن تشوك رسول الله شوكةٌ وفيكم عين تطرف! ثمّ تنفّس فخرج منه مثل دم الجزور، وقد كان احتقن في جوفه، وقضى نحبه رحمه الله، ثمّ جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته، فقال:

رحم الله سعداً، نصرنا حيّاً، وأوصى بنا ميّتاً.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من له علم بعمّي حمزة؟ فقال [له] الحارث بن الصمّة(٤): أنا أعرف موضعه. فجاء حتّى وقف على حمزة، فكره أن يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ، اطلب عمّك. فجاء عليّ عليه السلام فوقف على حمزة، فكره أن يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء

---

(١) عنه البرهان: ٦٧٩/١ ح١، ونور الثقلين: ٤٦٠/١ ح٣٣٨، والبحار: ٢٤٣/١٩ ح١.

(٢) «فقلت:» البحار.

(٣) جأفه جأفاً واجتأفه: صرعه. (لسان العرب: ٢٠/٩).

(٤) «سميّة» خ، والصواب ما في المتن، أنظر معجم رجال الحديث: ١٩٥/٤.

رسول الله ﷺ حتّى وقف عليه، فلمّا رأى ما فعل[1] به بكى، ثمّ قال: والله ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن [أ]مكنني الله من قريش لأُمثّلنّ بسبعين رجلاً منهم! فنزل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾[2] واصبر. فقال رسول الله ﷺ: بل أصبر. فهذه الآية في سورة النحل، وكان يجب أن تكون في هذه السورة الّتي فيها أخبار أُحد.

فألقى رسول الله ﷺ على حمزة بردة كانت عليه، فكانت إذا مدّها على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدّها على رجليه بدا رأسه، فمدّها على رأسه وألقى على رجليه الحشيش[3] وقال: لو لا أنّي أحذر[4] نساء بني عبد المطّلب لتركته للعادية[5] والسباع حتّى يحشر يوم القيامة من بطون السباع والطير.

وأمر رسول الله ﷺ بالقتلى فجمعوا، فصلّى عليهم ودفنهم في مضاجعهم، وكبّر على حمزة سبعين تكبيرة.

قال: وصاح إبليس لعنه الله بالمدينة: قتل محمّد! فلم يبق أحد من نساء المهاجرين والأنصار إلّا خرج، وخرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تعدو على قدميها حتّى وافت رسول الله ﷺ وقعدت بين يديه، فكان إذا بكى رسول الله ﷺ بكت لبكائه، وإذا انتحب انتحبت.

ونادى أبو سفيان: موعدنا وموعدكم في عام قابل، فنقتتل!

فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: قل: نعم. وارتحل رسول الله ﷺ، ودخل المدينة واستقبلته النساء يُولولن ويبكين، فاستقبلته «زينب بنت جحش»

فقال لها رسول الله ﷺ: احتسبي. فقالت: من يا رسول الله؟ قال: أخاك. قالت:

---

(١) «حلّ» خ. (٢) النحل: ١٢٦.

(٣) «الخيش» خ. ثياب في نسجها رقّة وخيوطها غلاظ من مشاقة الكتان أو من أغلظ العصب. (القاموس المحيط: ٢٧٣/٢).

(٤) «أحزن» خ. (٥) «للعقبان» البحار.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون هنيئاً له الشهادة. ثمّ قال لها: احتسبي.

[فـ]قالت: من يا رسول الله؟ قال: حمزة بن عبد المطّلب. قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هنيئاً له الشهادة. ثمّ قال لها: احتسبي. [فـ]قالت: من يا رسول الله؟ قال: زوجك مصعب بن عمير. قالت: واحزناه.

فقال رسول الله ﷺ: إنّ للزوج عند المرأة لحدّ ما لأحد مثله.

فقيل لها: لم قلت ذلك في زوجك؟ قالت: ذكرت يتم ولده.(١)

قال: وتآمرت قريش على أن يرجعوا [ويُغيروا] على المدينة، فقال رسول الله ﷺ: أيّ رجل يأتينا بخبر القوم؟ فلم يجبه أحد! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا آتيكم بخبرهم. قال: اذهب، فإن كانوا ركبوا الخيل وجنّبوا الإبل فهم يريدون المدينة، والله لئن أرادوا المدينة لأُنازلنّ(٢) الله فيهم، وإن كانوا ركبوا الإبل وجنّبوا الخيل فإنّهم يريدون مكّة. فمضى أمير المؤمنين عليه السلام على ما به من الألم والجراحات حتّى كان قريباً من القوم، فرآهم قد ركبوا الإبل وجنّبوا الخيل، فرجع أمير المؤمنين إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: أرادوا مكّة. فلمّا دخل رسول الله ﷺ المدينة، نزل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال: «يا محمّد، إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولايخرج معك إلّا من به جراحة» فأمر رسول‌الله ﷺ منادياً ينادي: يا معشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم. فأقبلوا يضمّدون(٣) جراحاتهم ويداوونها.

فأنزل الله على نبيّه: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾(٤) وهذه الآية في سورة النساء ويجب أن تكون في

(١) عنه البحار: ٢٠/٦٤ ضمن ح٣، ونور الثقلين: ١/٤٧١ ح٣٧٩. (٢) «لا يأذن» خ.

(٣) أصل الضمد الشدّ، يقال ضمّد رأسه وجُرحه إذا شدّه بالضماد، وهي خرقة يشدّ بها العضو المؤُوف. ثمّ قيل لوضع الدواء على الجرح وغيره وإن لم يشدّ (النهاية: ٣/٩٩). (٤) النساء: ١٠٤.

هذه السورة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾[1]

فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح، فلمّا بلغ رسول الله ﷺ بحمراء الأسد[2]، وقريش قد نزلت «الروحاء» قال عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وعمرو بن عاص، وخالد بن الوليد: نرجع فنغير على المدينة، فقد قتلنا سراتهم[3] وكبشهم[4]، يعنون حمزة! فوافاهم رجل خرج من المدينة فسألوه الخبر، فقال: تركت محمّداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم أجدّ الطلب!

فقال أبو سفيان: هذا النكد والبغي قد ظفرنا بالقوم وبغينا، والله ما أفلح قوم قطّ بغوا. فوافاهم نعيم بن مسعود الأشجعي، فقال أبو سفيان: أين تريد؟

قال: المدينة لأمتار لأهلي طعاماً. قال: هل لك أن تمرّ بحمراء الأسد وتلقى أصحاب محمّد، وتعلمهم أنّ حلفاءنا ومَوالينا قد وافونا من الأحابيش[5] حتّى يرجعوا عنّا، ولك عندي عشرة قلائص[6] أملؤها تمراً وزبيباً؟ قال: نعم.

فوافا من غد ذلك اليوم حمراء الأسد، فقال لأصحاب رسول الله ﷺ[7]: أين تريدون؟ قالوا: قريش. قال: ارجعوا، فإنّ قريشاً قد أجتمعت[8] إليهم حلفاؤهم ومن كان تخلّف عنهم، وما أظنّ إلّا وأوائل خيلهم يطلعون[9] عليكم الساعة.

فقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [ما نبالي]

ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: «ارجع يا محمّد، فإنّ الله قد

---

(١) آل عمران: ١٤٠.
(٢) موضع على ثمانية أميال من المدينة. (معجم البلدان: ٢/٣٠١).
(٣) أي اشرافهم «النهاية: ٢/٣٦٣».
(٤) الكبش: سيّد القوم وقائدهم.
(٥) الأحابيش: قيل: هم الجماعة أيّاً كانوا لأنّهم إذا تجمّعوا أسودّوا. وقيل: أحياء من القارة انضمّوا إلى بني ليث في الحرب الّتي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام(لسان العرب: ٦/٢٧٨).
(٦) القلوص: الناقة الشابّة (مجمع البحرين: ٣/١٥٠٨).
(٧) «رسول الله» خ.
(٨) «اجنحت» خ.
(٩) «القوم قد طلعوا» خ.

أرهب[١] قريشاً، ومرّوا لا يلوون على شيء» ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأنزل الله : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ يعني نعيم بن مسعود، فهذا اللفظ عامّ ومعناه خاصّ.

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

فلمّا دخلوا المدينة، قال أصحاب رسول الله ﷺ: ما هذا الّذي أصابنا [و] قد كنت تعدنا النصر؟! فأنزل الله: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ وذلك لأنّ يوم بدر قُتل من قريش سبعون، وأُسر منهم سبعون، وكان الحكم في الأُسارى القتل، فقامت الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا:

يا رسول الله، هبهم لنا ولا تقتلهم حتّى نفاديهم. فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: «إنّ الله قد أباح لهم الفداء أن يأخذوا من هؤلاء ويطلقوهم، على أن يستشهد منهم في عام قابل بقدر من يأخذوا منه الفداء من هؤلاء». فأخبرهم رسول الله ﷺ بهذا الشرط، فقالوا: قد رضينا به، نأخذ العام الفداء من هؤلاء نتقوّى به، ويُقْتل منّا في عام قابل بعدد ما نأخذ منهم الفداء وندخل الجنّة. فأخذوا منهم الفداء وأطلقوهم. فلمّا كان في هذا اليوم وهو «يوم أُحد» قُتِل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون، فقالوا: يا رسول الله: ما هذا الّذي أصابنا وقد كنت تعدنا بالنصر؟ فأنزل الله: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بما اشترطتم يوم بدر.[٢]

وأمّا قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ «١٦١»

فإنّ هذه نزلت في حرب بدر، وهي مع الآيات الّتي في «الأنفال» في أخبار

---

(١) «أرعب» البحار والبرهان.

(٢) عنه البحار: ٦٢/٢٠ ـ ٦٦ ذح٣، ونور الثقلين: ٤٦٩/١ ح٣٧٣ وص٤٨٥ ح٤٢٥ وص٤٨٨ ح٤٣٦ وج١١٣/٤ ح٢٧٥ وص٢٩٣ ح١١٠، ومستدرك الوسائل: ٢٦٥/٢ ح١٥، والبرهان: ٦٩٤/١ ح١.

بدر، وقد كتبت في هذه السورة مع أخبار اُحد، وكان سبب نزولها أنّه كان في الغنيمة الّتي أصابوها يوم بدر قطيفة حمراء ففقدت،

فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: ما لنا لانرى القطيفة؟! ما أظنّ إلّا أنّ رسول الله ﷺ أخذها!

فأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ـ إلى قوله ـ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.

فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنّ فلاناً غلّ قطيفة فأخبأها هنالك.

فأمر رسول الله ﷺ بحفر ذلك الموضع، فأخرج القطيفة.(١)

وأمّا قوله: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ «١٦٩ ـ ١٧٠»

٢٨ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هم ـ والله ـ شيعتنا، إذا دخلوا الجنّة واستقبلوا الكرامة من الله استبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من المؤمنين في الدنيا ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهو ردّ على من يبطل الثواب والعقاب بعد الموت.(٢)

وأمّا قوله: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ... سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ «١٨٠»

قال: من بخل ولم ينفق ماله في طاعة الله تعالىٰ، صار ذلك يوم القيامة طوقاً من نار في عنقه، وهو قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

---

(١) عنه البحار: ١٩/ ٢٦٨ ح ٧، ونور الثقلين: ١/ ٤٨٣ ح ٤١٨.

(٢) عنه البحار: ٦/ ٢١٤ ح ١ وج ٦٨/ ١٠ ح ٨، والبرهان: ١/ ٧١١ ح ١، ونور الثقلين: ١/ ٤٨٧ ح ٤٣٤.

وأمّا قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ «١٨١»

قال: والله ما رأوا الله تعالى فيعلمون أنّه فقير، ولكنّهم رأوا أولياء الله فقراء، فقالوا: لو كان الله غنيّاً لأغنى أولياءه! فافتخروا على الله بالغنى.[١]

وأمّا قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ...﴾ «١٨٣ ـ ١٨٤»

فإنّ قوماً من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: لن نؤمن لك حتّى تأتينا بقربان تأكله النار! وكان عند بني إسرائيل طست كانوا يقرّبون القربان فيضعونه في الطست فتجيء نار فتقع فيه فتحرقه، فقالوا لرسول الله ﷺ: لن نؤمن لك حتّى تأتينا بقربان تأكله النار كما كان لبني إسرائيل! فقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ ـ لهم يا محمّد: ـ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.[٢]

٢٩ ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ ـ هي الآيات ـ وَالزُّبُرِ ـ وهو كتب الأنبياء بالنبوّة ـ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ الحلال والحرام.[٣]

قال عليّ بن إبراهيم: وأمّا قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ[٤] عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ـ أي نجا من النار ـ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ «١٨٥»

٣٠ ـ حدّثني أبي، عن سليمان الديلميّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

---

(١) عنه البحار: ١٩٢/٩ صدر ح ٣٤، البرهان: ٧١٧/١ ح ١، ونور الثقلين: ٤٩٤/١ ح ٤٥٥.

(٢) عنه البحار: ١٩٢/٩ ضمن ح ٣٤، والبرهان: ٧١٧/١ ح ١.

(٣) عنه البحار: ١٩٢/٩ ذح ٢٤، وج ٦٥/١١ ح ٩، والبرهان: ٧١٩/١ ح ١.

(٤) زحزحه: أي نحّاه عن مكانه وباعده منه (النهاية: ٢٩٧/٢).

إذا كان يوم القيامة يدعى محمّد ﷺ فيكسى حلّة ورديّة، ثمّ يقام على يمين العرش، ثمّ يدعى بإبراهيم عليه السلام فيكسى حلّة بيضاء، فيقام على يسار العرش، ثمّ يدعى بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام فيكسى حلّة ورديّة، فيقام على يمين النبيّ ﷺ

ثمّ يدعى بإسماعيل عليه السلام، فيكسى حلّة بيضاء، فيقام على يسار إبراهيم عليه السلام.

ثمّ يدعى بالحسن عليه السلام، فيكسى حلّة ورديّة، فيقام على يمين أمير المؤمنين عليه السلام

ثمّ يدعى بالحسين عليه السلام، فيكسى حلّة ورديّة، فيقام على يمين الحسن عليه السلام.

ثمّ يدعى بالأئمّة فيكسون حللاً ورديّة، فيقام كلّ واحد على يمين صاحبه.

ثمّ يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم، ثمّ يدعى بفاطمة عليها السلام ونسائها من ذرّيتها وشيعتها، فيدخلون الجنّة بغير حساب.

ثمّ ينادي مناد من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة والأفق الأعلى: نعم الأب أبوك يا «محمّد» وهو «إبراهيم» ونعم الأخ أخوك وهو «عليّ بن أبي طالب عليه السلام»

ونعم السبطان سبطاك وهما «الحسن والحسين» ونعم الجنين جنينك، وهو «محسن» ونعم الأئمّة الراشدون من ذرّيّتك وهم «فلان وفلان» [إلى آخرهم] ونعم الشيعة شيعتك، ألا إنّ محمّداً ووصيّه وسبطيه والأئمّة من ذرّيّته هم الفائزون. ثمّ يؤمر بهم إلى الجنّة، وذلك قوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.[1]

﴿وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ ـ إلى قوله ـ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ «١٨٧ ـ ١٨٨»

٣١ ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾: وذلك أنّ الله أخذ ميثاق الّذين اُوتوا الكتاب في

---

(١) عنه البحار: ٣٢٨/٧ ح٣، وج١٢/٦ ح١٤، وج١٣٠/٢٣ ح٦٣، والبرهان: ٧١٩/١ ح١، ونور الثقلين: ٤٩٩/١ ح٤٧١، وإثبات الهداة: ٥٥/٣ ح٧٢٥ (مختصر).

محمّد ﷺ ليبيّننّه للناس إذا خرج ولا يكتمونه ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يقول: نبذوا عهد الله وراء ظهورهم ﴿وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ نزلت في المنافقين الّذين يحبّون أن يحمدوا على غير فعل.[١]

٣٢ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ يقول: ببعيد[٢] من العذاب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٣]

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً ـ إلى قوله ـ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلهِ﴾ «١٩١ـ١٩٩»

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ يعني الصحيح يصلّي قائماً، والمريض يصلّي قاعداً[٤]، ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ يعني مضطجعاً يؤمي إيماءً[٥]، إلى قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ فهو محكم.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ يعني رسول الله ﷺ ينادي للإيمان، إلى قوله: ﴿إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

ثمّ ذكر أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه المؤمنين، فقال: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام، وسلمان، وأباذرّ حين [أخرج وعمّار، الّذين أوذوا في سبيل الله كقوله]: ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّنْ عِندِ اللهِ وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾. ثمّ قال لنبيّه ﷺ: ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

---

(١) عنه البحار: ١٩٢/٩ ح ٣٥، والبرهان: ٧٢٣/١ ح ١، ونور الثقلين: ٥٠٠/١ ح ٤٧٦.

(٢) «ببعد» البرهان.

(٣) عنه البرهان: ٧٢٣/١ ح ٢، ونور الثقلين: ٥٠١/١ ح ٤٧٩.

(٤) «جالساً» خ.

(٥) عنه البحار: ٣٣٢/٨٤ سطر آخر، وج ١٠٤/٨٩ سطر ٣.

وأمّا قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلهِ﴾ فهم قوم من اليهود والنصارى. دخلوا في الإسلام، منهم النجاشي وأصحابه.(١)

وأمّا قوله: ﴿اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ...﴾ «٢٠٠»

٣٣ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: اصبروا على المصائب، وصابروا على الفرائض، ورابطوا على الأئمّة عليهم السلام.(٢)

٣٤ـ [و]حدّثني أبي، عن الحسين(٣) بن خالد، عن الرضا عليه السلام، قال:

إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ: أين الصابرون؟ فيقوم فئام(٤) من الناس.

ثمّ ينادي: أين المتصبّرون؟ فيقوم فئام من الناس.

قلت: جعلت فداك، وما الصابرون؟ قال: على أداء الفرائض.

[قلت:] والمتصبّرون؟ قال: على اجتناب المحارم.(٥)

■ □ ■ □

(١) عنه البحار: ٢٢/٦٤ ح٢ (قطعة)، والبرهان: ١/٧٢٩ ح١٥، ونور الثقلين: ١/٥٠٥ ح٤٩٢ (قطعة).

(٢) عنه البحار: ٢٤/٢٢٠ ح٢٠، والبرهان: ١/٧٣١ ح٦، وإثبات الهداة: ٣/٥٥ ح٧٢٦، ونور الثقلين: ١/٥٠٧ ح٤٩٩، الإختصاص: ١٤٢ (نحوه).

(٣) «الحسن» قال السيّد الخوئي: كذا في بعض النسخ فإذا صحّت نسخة الحسن في رجال الشيخ فالظاهر أنّه الحسن بن خالد بن محمّد بن عليّ البرقي، وإذا صحّت نسخة الحسين المؤيّدة بالروايات فهو مردّد بين الخفّاف والصيرفي، راجع معجم رجال الحديث: ٤/٣١٧ و٥/٢٢٧.

(٤) الفئام: الجماعة الكثيرة من الناس لا واحد له من لفظه (مجمع البحرين: ٣/١٣٥٥).

(٥) عنه البحار: ٧١/٨٣ ح٢٥ مع اختلاف السند، والبرهان: ١/٧٣١ ح٧، ونور الثقلين: ١/٥٠٧ ح٥٠٠، مسند الإمام الرضا عليه السلام: ١/٣٢٤ ح٤٠.



سورة النساء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ «١»

يعني آدم عليه السلام. ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حوّاء، برأها الله من أسفل أضلاعه.[١]

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾، قال: تساءلون يوم القيامة عن التقوى، هل اتّقيتم؟ وعن الأرحام، هل وصلْتموها؟.[٢]

وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ أي كفيلاً.

١ ـ **وفي رواية أبي الجارود،** عن أبي جعفر عليه السلام: الرقيب: الحفيظ.[٣]

﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ «٢»

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ يعني لا تأكلوا مال اليتيم ظلماً فتسرفوا، وتُبدّلوا الخبيث بالطيّب، والطيّب ما قال الله [سبحانه وتعالىٰ]: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٤]

﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ـ يعني مال اليتيم ـ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ أي إثماً عظيماً.[٥]

---

(١) عنه البحار: ١١/١٠٠ ح ٢.

(٢) عنه البرهان: ٢/١٥ ح ١٠.

(٣) عنه البرهان: ٢/١٥ ح ١١، ونور الثقلين: ٢/١٣ ح ٢٤.

(٤) النساء: ٦.

(٥) عنه البرهان: ٢/١٦ ح ١.

وأمّا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ...﴾ «٣»

قال: نزلت مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[1] ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ فنصف الآية في أوّل السورة، ونصفها على رأس المائة وعشرين آية، وذلك أنّهم كانوا لا يستحلّون أن يتزوّجوا يتيمة قد ربّوها، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء ـ إلى قوله: ـ مَثْنىٰ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُواْ﴾ أي لا تتزوّجوا ما لا تقدرون أن تعولوا.[2]

﴿وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ـ أي هبة ـ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾ «٤»

يعني ما يهبه لها من مهرها إن ردّته عليه، فهو هنيء مريء.

﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ «٥»

٢ـوفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ﴾ فالسفهاء: النساء والولد. إذا عَلِم الرجل أنّ امرأته سفيهة مفسدة، وولده سفيه مفسد، لا ينبغي[3] له أن يُسلّط واحداً منهما على ماله الّذي جعله الله له ﴿قِيَاماً

(١) النساء: ١٢٧.

(٢) عنه البرهان: ٢/١٧ ح ١ وص ١٧٩ ح ١، ونور الثقلين: ٢/١٥ ح ٣٥.

(٣) «لم ينبغ» البرهان والبحار.

ـ يقول: معاشاً، قال: ـ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ والمعروف العدّة.[١]

٣ ـ قال عليّ بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شارِبُ الخمر لا تُصدِّقوه إذا حدَّث، ولا تزوّجوه إذا خَطَب، ولا تعودوه إذا مرض، ولا تحضروه إذا مات، ولا تأتمنوه على أمانة، فمن ائتمنه على أمانة فاستهلكها فليس له على الله تعالى أن يخلفه عليه، ولا أن يأجره عليها، لأنّ الله يقول: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ﴾.

وأيّ سفيه أسفه من شارب الخمر؟!.[٢]

وأمّا قوله: ﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُواْ...﴾ «٦»

قال: من كان في يده مال بعض اليتامى، فلا يجوز له أن يعطيه[٣] حتّى يبلُغ النكاح ويحتلم، فإذا احتلم وجب عليه الحدود وإقامة الفرائض، ولا يكون مضيّعاً ولا شارب خمر ولا زانياً، فإذا أنس منه الرشد، دفع إليه المال وأشهد عليه، وإن كانوا لا يعلمون أنّه قد بلغ، فإنّه يمتحن بريح إبطه أو نبت عانته، فإذا كان ذلك فقد بلغ، فيدفع إليه ماله إذا كان رشيداً، ولا يجوز أن يحبس عنه ماله، ويُعتلّ عليه أنّه لم يكبر بعد. وقوله: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُواْ﴾:

فإنّ من كان في يده مال يتيم وهو غنيّ، فلا يحلّ له أن يأكل من مال اليتيم، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيراً ـ قد حبس نفسه عن[٤] ماله، فله أن يأكل ـ بِالْمَعْرُوفِ﴾.[٥]

---

(١) عنه البحار: ١٠٣/١٦٣ صدر ح ١٠، والبرهان: ٢/٢١ ح ١، ونور الثقلين: ٢/٢١ صدر ح ٥٩، ومستدرك الوسائل: ١٣/٤٢٧ ح ٢ وج ١٤/١٨ ح ٧.

(٢) عنه البحار: ٧٩/١٢٧ ح ٧، والبرهان: ٢/٢١ ح ٢، ونور الثقلين: ٢/٢٠ ح ٥٧، والوسائل: ١٧/٢٥٠ ح ٩.

(٣) «يؤتيه» البحار.

(٤) «على» البحار.

(٥) عنه البحار: ١٠٣/١٦٣ ذح ١٠، والبرهان: ٢/٢٤ ح ١، ونور الثقلين: ٢/٢١ ذح ٥٩، ومستدرك الوسائل: ١٣/٤٢٨ ح ١، وج ١٤/١٢٤ ح ١.

ومعنى قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ «٧»

فهي منسوخة بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾[1].[2]

وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ «٨»

منسوخة بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾.

وأمّا قوله: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً﴾ «٩»

فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: لا تظلموا اليتامى، فيُصيب أولادكم مثل ما فعلتم باليتامى، وإنّ الله تبارك وتعالى يقول: إذا ظلم الرجل اليتيم وكان مستحلاً له لم يحفظ ولده ووكلهم إلى أبيهم، فإن كان صالحاً، حفظ ولده في صلاح أبيهم

والدليل على ذلك، قوله تبارك تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ـ إلى قوله ـ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ﴾[3]

لأنّ الله [سبحانه وتعالى] لا يظلم اليتامى لفساد أبيهم، ولكن يكل الولد إلى أبيه، فإن كان صالحاً حفظ ولده بصلاحه[4].[5]

وأمّا قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً الآية﴾ «١٠»

٤ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام

---

(١) النساء: ١١. (٢) عنه البرهان: ٢/٢٨ ح١. (٣) الكهف: ٨٢.

(٤) «لصلاحه» خ. (٥) عنه البحار: ٧٩/٢٦٧ صدر ح٢.

قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا أسري بي إلى السماء، رأيت قوماً تُقذفُ في أجوافهم النار وتخرج من أدبارهم! فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: هؤلاء الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً.[١]

وقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا ... وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ...﴾ «١١و١٢»

قال: إذا مات الرجل وترك بنين وبنات، فللذكر مثل حظّ الأُنثيين.[٢]

وقوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾

يعني إذا مات الرجل وترك أبوين وابنتين، فللأبوين السدسان، وللابنتين الثلثان، وإن كانت البنت واحدة، فلها النصف، ولأبويه لكلّ واحد منهما السدس، وبقي سهم يقسّم على خمسة أسهم، فما أصاب ثلاثة أسهم فللبنت، وما أصاب اثنتين فللأبوين.[٣]

وقوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ ـ يعني إذا ترك أبوين، فللأمّ الثلث، وللأب الثلثان ـ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أي لا تكون الوصيّة على المضارة[٤] يعني بولده.

ثمّ قال للرجال: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ فإذا ماتت المرأة، فلزوجها النصف إذا لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد فلزوجها الربع، وللمرأة إذا مات زوجها ولم يكن له ولد فلها الربع، وإن كان له ولد فلها الثمن.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾

---

(١) عنه البحار: ٣٢٤/١٨ ضمن ح ٣٤ (قطعة)، وج٧٩/٢٦٧ ذح ٢، والبرهان: ٣٠/٢ ح ٥، ونور الثقلين: ٢٦/٢ ح ٧٩، والوسائل: ١٨٢/١٢ ح ٨ (قطعة).

(٢) عنه البحار: ٣٣٩/١٠٤ صدر ح ٣، والبرهان: ٣٣/٢ ح ١.

(٣) عنه البحار: ٣٣٩/١٠٤ ح ٣.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿غير مضارٍّ﴾ النساء: ١٢.

فهذه كلالة الأُمّ، وهي الإخوة والأخوات من الأُمّ، فإن كانوا أكثر من ذلك، فهم يأخذون الثلث، فيقسمونه فيما بينهم بالسويّة، الذكر والأنثىٰ فيه سواء.[١]

فإن كان للميّت إخوة وأخوات من قبل الأب والأُمّ، أو من قبل الأب وحده، فلأُمّه السدس، وللأب خمسة أسداس، فإنّ الإخوة والأخوات من قبل الأب هم في عيال الأب ويلزمه مؤونتهم، فهم يحجبون الأُمّ عن الثلث ولا يرثون.[٢]

وأمّا قوله: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِنْ شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ «١٥»

فإنّه في الجاهليّة كان إذا زنى الرجل بالمرأة كانت تحبس في بيت إلى أن تموت، ثمّ نسخ ذلك بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾[٣].[٤]

وقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ «١٧»

فإنّه محكم.

وقوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ «١٨»

٥ ـ **فإنّه حدّثني أبي،** عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

---

(١) عنه البحار: ١٠٤/٣٤١ ح٣. (٢) عنه البحار: ١٠٤/٣٤١ ح٣ (قطعة).

(٣) النور: ٢.

(٤) عنه الوسائل: ١٨/٣٥١ ح١٩ وعن المحكم والمتشابه (نحوه)، وعن تفسير النعماني في جامع الأخبار والآثار: ٣/٧٤، عنه البحار: ٧٩/٥٩ ح٥٦ (نحوه).

نزلت في القرآن أنّ «زعلان»[١] تاب حيث لم تنفعه التوبة، ولم تقبل منه.[٢]

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ....﴾ «١٩»

قال: لا يحلّ للرجل إذا نكح امرأةً ولم يردها وكرهها أن لا يطلّقها إذا لم يجبر عليها، ويعضلها أي يحبسها، ويقول لها: حتّى تؤدّي ما أخذت منّي! فنهى الله عن ذلك ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ وهو ما وصفناه في الخلع.

فإن قالت له ما تقول المختلعة، يجوز له أن يأخذ منها ما أعطاها وما فضل.[٣]

٦ـوفي رواية أبي الجارود[٤] عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهاً﴾ فإنّه كان في الجاهليّة في أوّل ما أسلموا من قبائل العرب، إذا مات حميم الرجل وله امرأة، ألقى الرجل ثوبه عليها فورث نكاحها بصداق حميمه الّذي كان أصدقها، فكان يرث نكاحها كما يرث ماله.

فلمّا مات «أبو قيس بن الأسلت»[٥] ألقى «محصن بن أبي قيس» ثوبه على امرأة أبيه، وهي «كبيشة بنت معمّر بن معبد» فورث نكاحها، ثمّ تركها لا يدخل بها ولا ينفق عليها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: يا رسول الله مات أبو قيس بن الأسلت فورث ابنه محصن نكاحي، فلايدخل عليّ ولا ينفق عليّ، ولا يخلّي سبيلي فألحق بأهلي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ارجعي إلى بيتك، فإن يحدث الله تعالى في

---

(١) قال المجلسي رحمه الله: كناية عن عثمان لموافقة الوزن، كما يعبّر عنه بفعلان.

(٢) عنه البحار: ١٧٦/٣٠ ح٣٥، والبرهان: ٤٥/٢ ح١١، ونور الثقلين: ٣٨/٢ ح١٣٣.

(٣) عنه البرهان: ٤٧/٢ ح٣، ونور الثقلين: ٣٩/٢ ح١٣٦.

(٤) لا يخفى أنّ الروايات الّتي صُدِّرت بذكر أبي الجارود، ليست من عبارة تفسير القمّي، بل أنّها مضافات أبي الفضل العبّاس تلميذ المصنّف الّتي أضافها إلى أصل التفسير لمناسبتها للمقام.

(٥) هو صيفي بن الأسلت، أبو قيس.

شأنك شيئاً أعلمتك. فنزل: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاء سَبِيلاً﴾ فلحقت بأهلها.

وكانت نساء في المدينة قد ورث نكاحهنّ كما ورث نكاح كبيشة، غير أنّه ورثهنّ من[1] الأبناء، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهاً﴾.[2]

وقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ يعني الرجل يكره أهله، فإمّا أن يمسكها فيعطفه الله عليها، وإمّا أن يخلّي سبيلها فيتزوّجها غيره، فيرزقها الله الودّ والولد، ففي ذلك قد جعل الله خيراً كثيراً.[3]

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ ـ إلى قوله ـ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ «٢٠ـ٢٣»

قال: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ... مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ وذلك إذا كان الرجل هو الكاره للمرأة، فنهى الله أن يسيء إليها حتّى تفتدي منه، يقول الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ والإفضاء: المباشرة.

يقول الله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ فالميثاق الغليظ الّذي اشترطه الله للنساء على الرجال: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.[4]

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فإنّ العرب كانوا ينكحون نساء آبائهم، فكان إذا كان للرجل أولاد كثيرة وله أهل، ولم تكن أُمّهم، ادّعى كلّ واحد فيها، فحرّم الله تعالىٰ مناكحتهم.

---

(١) «عن غير» الوسائل.

(٢) عنه البرهان: ٤٧/٢ ح ٤، والوسائل: ٣٩٧/١٤ ح ١، ونور الثقلين: ٣٩/٢ ح ١٣٧.

(٣) عنه البرهان: ٤٨/٢ ح ٨.

(٤) عنه البرهان: ٤٨/٢ ح ١.

ثمّ قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ﴾ الآية.[١]

فإنّ هذه المحرّمات بنفسها هي محرّمة وما فوقها إلى أقصاها، وكذلك البنت والأُخت. وأمّا الّتي هي محرّمة بنفسها وبنتها حلال فالعمّة والخالة، هي محرّمة بنفسها وبنتها حلال، وأُمّهات النساء فإنّها محرّمة وبنتها حلال، إذا ماتت ابنتها الأولى الّتي هي امرأته أو طلّقها.[٢]

وأمّا قوله: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾ فإنّ الخوارج زعمت أنّ الرجل إذا كانت لأهله بنت ولم يربّها، ولم تكن في حجره، حلّت له لقول الله تعالى: ﴿اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾ قال الصادق عليه السلام: لا تحلّ له.[٣]

﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ يعني امرأة الولد.

وقوله: ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ...﴾ «٢٤»

يعني أمة الرجل إذا كان قد زوّجها من عبده، ثمّ أراد نكاحها فرّق بينهما واستبرأ رحمها بحيضة أو حيضتين، فإذا استبرأ رحمها حلّ له أن ينكحها.

وقوله: ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ ـ يعني حجّة الله عليكم فيما يقول ـ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ يعني يتزوّج بمحصنة غير زانية مسافحة.[٤]

قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾.

قال الصادق عليه السلام: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ ـ إلىٰ أجل مسمّى ـ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾

قال الصادق عليه السلام: فهذه الآية دليل على المتعة.[٥]

---

(١) عنه البرهان: ٢/٤٩ ح١. (٢) عنه البحار: ١٠٣/٣٦٨ ح٣، والمستدرك: ١٤/٣٧٦ ح٢.

(٣) عنه البرهان: ٢/٥٤ ح٢٠، ونور الثقلين: ٢/٤٦ ح١٦٢. (٤) عنه البرهان: ١/٥٧ ح٨.

(٥) عنه البحار: ١٠٣/ ٣١٤ ح١٣، والوسائل: ١٤/٤٣٩ ح١٩.

وقوله: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ...﴾ «٢٥»

قال: ومن لم يستطع أن ينكح الحرّة فالإماء بإذن أصحابهنّ

﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ قال: غير خديعة ولا فسق ولا فجور.[١]

وقوله: ﴿وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أي لا يتّخذها صديقة.[٢]

وقوله: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ ـ مبيّنة ـ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني به العبيد والإماء إذا زنيا ضُربا نصف الحدّ، فمن عاد فمثل ذلك؛

فإن عادا فمثل ذلك حتّى يفعلوا ذلك ثمان مرّات، ففي الثامنة يقتلون.

٨ـ قال الصادق عليه السلام: وإنّما صار يقتل في الثامنة، لأنّ الله تعالىٰ رحمه أن يجمع عليه ربق الرقّ وحدّ الحرّ.[٣]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...﴾ «٢٩»

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ـ يعني الربا ـ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ يعني الشراء والبيع الحلال. (وقوله:) ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾

قال: كان الرجل إذا خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الغزو، يحمل على العدوّ وحده من غير أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وآله!

فنهى الله تعالىٰ أن يقتل نفسه من غير أمر رسول الله صلى الله عليه وآله.[٤]

---

(١) عنه نور الثقلين: ٢/٥١ ح ١٨٤.

(٢) عنه البرهان: ٢/٦٤ ح ٢٣، ونور الثقلين: ٢/٥٢ صدر ح ١٨٩.

(٣) عنه البحار: ٧٩/٨١ ح ١، والبرهان: ٢/٦٤ ح ٢٢ (قطعة)، ونور الثقلين: ٢/٥٢ ذ ح ١٨٩.

(٤) عنه البرهان: ٢/٦٦ ح ١٢، ونور الثقلين: ٢/٥٤ ح ١٩٩.

وقوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ «٣١»

قال: هي سبعة: الكفر، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، والتعرّب بعد الهجرة، وكلّ ما وعد الله في القرآن عليه النار، فهو من الكبائر.[١]

ثمّ قال: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾.

وقوله: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ «٣٢»

قال: لايجوز للرجل أن يتمنّى امرأة رجل مسلم أو ماله؛ ولكن يسأل الله من فضله ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.[٢]

قوله: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ «٣٣»

وكان المواريث في الجاهليّة على الأُخوّة لا على الرحم، وكانوا[٣] يورّثون الحليف والموالي الّذين أعتقوهم، ثمّ نزل بعد ذلك:

﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[٤] نسخت هذه.[٥]

قوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ «٣٤»

يعني فرض الله على الرجال أن ينفقوا على النساء، ثمّ مدح الله النساء، فقال: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾

---

(١) عنه البحار: ٤/٧٩ ح ٢. (٢) عنه البرهان: ٧٢/٢ ح ٨. (٣) «وكانت العرب» خ.
(٤) الأنفال: ٧٥. (٥) عنه نور الثقلين: ٥٩/٢ ح ٢٢٤ (قطعة).

يعني تحفظ نفسها إذا غاب عنها زوجها.[١]

٩ـوفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿قَانِتَاتٌ﴾ أي: مطيعات.[٢]

وقوله: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً... ﴾ «٣٤»

وذلك إن نشزت المرأة عن فراش زوجها، قال زوجها: اتّقي الله وارجعي إلى فراشك. فهذه الموعظة، فإن أطاعته فسبيله ذلك، وإلّا سبّها[٣] وهو الهَجْر، فإن رجعت إلى فراشها فذلك، وإلّا ضربها ضرباً غير مُبرّح، فإن رجعت وأطاعته فضاجعته، يقول الله: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ يقول:

لا تكلّفوهنّ الحُبّ فإنّما جعل الله الموعظة والسبّ والضرب لهنّ في المضجع ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِياًّ كَبِيراً﴾.[٤]

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ «٣٥»

وقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا ـ فما حكم به الحكمان فهو جائز، يقول الله: ـ إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾ يعني الحكمين.

فإذا كان الحكمان عدلين دخل حَكَم المرأة على المرأة، فيقول: أخبريني ما في نفسك، فإنّي لا اُحبّ أن أقطع شيئاً دونك. فإن كانت هي الناشزة، قالت: أعطِهِ من مالي ما شاء وفرّق بيني وبينه. وإن لم تكن ناشزة قالت: اُنشدك الله أن لا تفرّق بيني

---

(١) عنه البحار: ٢٤٧/١٠٣ صدر ح٢٦، والبرهان: ٧٤/٢ ح٤، ومستدرك الوسائل: ٢١٨/١٥ ح٦.

(٢) عنه البحار: ٢٤٧/١٠٣ ذح٢٦، والبرهان: ٧٤/٢ ح٥، ونور الثقلين: ٦٠/٢ ح ٢٢٩.

(٣) «سيسبّها» خ. وسبّه يسبّه: قطعه. والتساب: التقاطع. (مجمع البحرين: ٨٠٢/٢).

(٤) عنه البحار: ٥٥/١٠٤ ح١ (صدره)، والبرهان: ٧٤/٢ ح١.

وبينه، ولكن استزد لي في نفقتي فإنّه إليّ مسيء. ويخلو حَكَم الرجل بالرجل، فيقول: حدّثني[١] بما في نفسك، فإنّي لا أُحبّ أن أقطع شيئاً دونك. فإن كان هو الناشز قال: خذ لي منها ما استطعت، وفرّق بيني وبينها، فلا حاجة لي فيها. وإن لم يكن ناشزاً قال: أُنشدك الله أن لا تفرّق بيني وبينها، فإنّها أحبّ الناس إليّ فأرضها من مالي بما شئت.

ثمّ يلتقي الحكمان وقد علم كلّ واحد منهما ما أفضى[٢] به إليه صاحبه، فأخذ كلّ واحد منهما على صاحبه عهد الله وميثاقه لتصدقنّي ولأُصدقنّك، وذلك حين يريد الله أن يوفّق بينهما، فإذا فعلا وحدّث كلّ واحد منهما صاحبه بما أفضى إليه عرفا من الناشز، فإن كانت المرأة هي الناشزة، قالا:

أنت عدوّة الله الناشزة العاصية لزوجك، ليس لك عليه نفقة ولا كرامة لك، وهو أحقّ أن يبغضك أبداً حتّى ترجعي إلى أمر الله. وإن كان الرجل هو الناشز، قالا له: يا عدوّ الله، أنت العاصي لأمر الله، المبغض لإمرأتك[٣] فعليك نفقتها، ولا تدخل لها بيتاً، ولا ترى لها وجهاً أبداً، حتّى ترجع إلى أمر الله وكتابه.

١٠ـ قال: وأتى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه رجل وامرأته[٤] على هذه الحال، فبعث حكماً من أهله وحكماً من أهلها، وقال للحكمين:

هل تدريان ما تحكمان؟ إن شئتما فرّقتما، وإن شئتما جمعتما.

فقال الزوج: لا أرضى بحكم فرقة ولا أُطلّقها! فأوجب أمير المؤمنين عليه السلام عليه نفقتها، ومنعه أن يدخل عليها. وإن مات على ذلك الحال الزوج ورثته،

وإن ماتت لم يرثها إذا رضيت منه بحكم الحكمين وكره الزوج، فإن رضي الزوج وكرهت المرأة أُنزلت [بـ]هذه المنزلة، وإن كرهت لم يكن لها عليه نفقة،

---

(١) «أخبرني» البحار والمستدرك.
(٢) «أوصى» البحار.
(٣) «لامرأته» البحار.
(٤) «وامرأة» البحار.

وإن مات لم ترثه، وإن ماتت ورثها، حتّى ترجع إلى حكم الحكمين.[١]

﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ ـ إلى قوله ـ وَكَانَ اللهُ بِهِم عَلِيمًا﴾ «٣٦ ـ ٣٩»

قال عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ ـ يعني صاحبك في السفر ـ وَابْنِ السَّبِيلِ ـ يعني أبناء الطريق الّذين يستعينون بك في طريقهم ـ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ـ يعني الأهل والخادم ـ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ فسمّى الله البخيل كافراً: ثمّ ذكر المنافقين، فقال: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قِرِيناً ـ ثمّ قال: ـ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِم عَلِيماً﴾ قال: أنفقوا في طاعة الله.[٢]

وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ـ إلى قوله ـ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا﴾ «٤٠ ـ ٤١»

معطوفة على قوله: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾

وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ـ يعني [من] الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين ـ وَجِئْنَا بِكَ ـ يا محمّد ـ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً﴾ يعني على الأئمّة، فرسول الله ﷺ شهيد على الأئمّة عليهم السلام وهم شهداء على الناس.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾ «٤٢»

قال: يتمنّى الّذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام أن تكون الأرض ابتلعتهم في

---

(١) عنه البحار: ١٠٤/٥٥ ذح ١، ونور الثقلين: ٦٢/٢ ح ٢٣٨ (قطعة)، ومستدرك الوسائل: ١٠٨/١٥ ح ٢.

(٢) عنه البرهان: ٧٨/٢ ح ٩، ونور الثقلين: ٦٥/٢ ح ٢٥٣ (قطعة).

اليوم الّذي اجتمعوا فيه على غصبه، وأن لم يكتموا ما قاله رسول الله ﷺ فيه.[١]

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ـ قال: من النوم ـ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ﴾ «٤٣»

١١ـ فإنّه سُئل الصادق عليه السلام عن الحائض والجنب يدخلان المسجد أم لا؟ فقال: الحائض والجنب لايدخلان المسجد إلّا مجتازين، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ﴾ ويضعان فيه الشيء ولا يأخذان منه.[٢]

فقلت: ما بالهما يضعان فيه[٣] ولا يأخذان منه؟

فقال: لأنّهما يقدران على وضع الشيء فيه من غير دخول، ولا يقدران على أخذ ما فيه حتّى يدخلا.[٤] فأوجب الغسل والوضوء من الجنابة بالماء.

ثمّ رخّص لمن لم يجد الماء التيمّم بالتراب، فقال: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ﴾[٥] ﴿وَإِنْ كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ .

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾ «٤٤»

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ ـ يعني ضلّوا في

---

(١) عنه البرهان: ٨٠/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٦٧/٢ ح ٢٥٨.

(٢) روى الكليني رحمه الله الحديث بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الجنب والحائض يتناولان من المسجد المتاع يكون فيه؟ قال: نعم ولكن لايضعان في المسجد شيئاً. (الكافي: ٥١/٣ ح ٨، والتهذيب: ١٢٥/١ ح ٣٣٩).

(٣) «الشيء» خ.

(٤) عنه البحار: ٤٤/٨١ ح ٩، وعن العلل: ٢٨٨/١ ح ١ (بإسناده عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن يعقوب بن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة و محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، باختلاف يسير)، ونور الثقلين: ٦٩/٢ ح ٢٦٧، والوسائل: ٤٩١/١ ح ٣.

(٥) المائدة: ٦.

أمير المؤمنين عليه السلام ـ ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾ يعني أخرجوا الناس من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الصراط المستقيم.[١]

قوله: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً * مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ «٤٥ـ٤٦»

قال: نزلت في اليهود.[٢]

وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ «٤٨»

١٢ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: دخلت الكبائر في الإستثناء؟ قال: نعم.[٣]

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاء ـ إلى قوله ـ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾ «٤٩ ـ ٥٠»

قال: هم الّذين سمّوا أنفسهم بالصدّيق والفاروق وذي النورين.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ قال: القشرة الّتي تكون على النواة، ثمّ كنّى عنهم فقال: ﴿انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾ وهم غاصبوا آل محمّد حقّهم.[٤][٥]

---

(١) عنه البحار: ١٤٧/٣٦ ح ١٢١، والبرهان: ٨٥/٢ ح ٢٠، ونور الثقلين: ٧٠/٢ صدر ح ٢٧٦.

(٢) عنه البرهان: ٨٦/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٧١/٢ ذ ح ٢٧٦.

(٣) عنه البرهان: ٩٠/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٧٣/٢ ح ٢٨٥، والوسائل: ٢٦٧/١١ ح ١٤.

(٤) «هؤلاء الثلاثة».

(٥) عنه البحار: ١٩٣/٩ صدر ح ٣٧، والبرهان: ٩١/١ ح ١، ونور الثقلين: ٧٥/٢ صدر ح ٢٩٧.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً -إلى قوله- وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيمًا﴾ «٥١-٥٤»

قال: نزلت في اليهود حين سألهم مشركوا العرب، فقالوا: أديننا أفضل أم دين محمّد؟ قالوا: بل دينكم أفضل.

وقد روي فيه أيضاً أنّها نزلت في الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم، وحسدوا منزلتهم. فقال الله تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ يعني النقطة في ظهر النواة.

ثمّ قال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يعني بالناس هاهنا أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾ وهي الخلافة بعد النبوّة، وهم الأئمّة عليهم السلام.[1]

١٣ـ حدّثنا عليّ بن الحسين، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن يونس، عن أبي جعفر الأحول، عن حنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت:

قوله: ﴿فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾ قال: النبوّة. قلت: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾؟ قال: الفهم والقضاء. قلت: ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيمًا﴾؟ قال: الطاعة المفروضة.[2]

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ...
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ «٥٥-٥٩»

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ -يعني أمير المؤمنين عليه السلام، وهم: سلمان،

---

(١) عنه البحار: ١٩٣/٩ ضمن ح٣٧ وج٢٢/٦٤ ح٣ (قطعة) وج٢٣/٣٧٠ ح٤٥، ونور الثقلين: ١٧٥/٢ ح٢٩٧.

(٢) عنه البحار: ١٩٤/٩ ذح٣٧، وج٢٣/٢٨٥ ح١، والبرهان: ٩٤/٢ ح١٠، ونور الثقلين: ٧٦/٢ ح٢٩٨، وغاية المرام: ١١٩/٣ ح١٠.

وأبو ذرّ، والمقداد، وعمّار رضي الله عنهم ـ وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ ـ وهم غاصبو آل محمّد عليهم السلام حقّهم ومن تبعهم، قال: فيهم نزلت ـ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾.

ثمّ ذكر عزّ وجلّ ما قد أعدّه لهؤلاء الّذين قد تقدّم ذكرهم وغصبهم؛ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً﴾ قال: الآيات أميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام.[1]

وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيمًا﴾

١٤ ـ قيل لأبي عبد الله عليه السلام: كيف تُبدّل جلوداً[2] غيرها؟

فقال: أرأيت لو أخذت لبنة، فكسرتها وصيّرتها تراباً، ثمّ ضربتها في القالب، أهي الّتي كانت؟ إنّما هي ذلك، وحدث تغيير آخر والأصل واحد.[3]

ثمّ ذكر المؤمنين المقرّين بولاية آل محمّد عليهم السلام فقال:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً﴾[4]

ثمّ خاطب الأئمّة عليهم السلام فقال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّواْ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ قال: فرض الله على الإمام أن يؤدّي الأمانة إلى الّذي أمره الله من بعده، ثمّ فرض على الإمام أن يحكم بين الناس بالعدل، فقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾.[5]

ثمّ فرض على الناس طاعتهم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام.

١٥ ـ حدّثني أبي، عن حمّاد، عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: نزلت: «فإن تنازعتم في شيء فارجعوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أُولي الأمر منكم».[6]

---

(١) عنه البرهان: ٢/٩٩ ح ٣٢ و٣٣، ونور الثقلين: ٢/٨٠ صدر ح ٣١٣.

(٢) «جلودهم» البحار.

(٣) عنه البحار: ٨/٢٨٨ ح ٢٠، والبرهان: ٢/١٠٠ ح ٣٦، ونور الثقلين: ٢/٨٠ ضمن ح ٣١٣.

(٤) عنه البرهان: ٢/١٠٠ ح ٣٧.

(٥) عنه البحار: ٢٣/٢٧٩ ح ١٨.

(٦) عنه البحار: ٢٣/٢٨٥ ح ٢، والبرهان: ٢/١٠٨ ح ١٢، وغاية المرام: ٣/١١٢ ح ٩.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَنْ يَكْفُرُواْ بِهِ﴾ «٦٠»

فإنّها نزلت في «الزبير بن العوّام» فإنّه نازع رجلاً من اليهود في حديقة، فقال الزبير: ترضى بإبن شيبة اليهوديّ؟ فقال اليهوديّ: ترضى[(١)] بمحمّد؟ فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَنْ يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً﴾ «٦١»

وهم أعداء آل محمّد كلّهم جرت فيهم هذه الآية.[(٢)]

وأمّا قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ ـ إلى قوله ـ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ «٦٢ـ٦٣»

فهذا ممّا تأويله بعد تنزيله، في القيامة، إذا بعثهم الله حلفوا لرسول الله، إنّما أردنا بما فعلنا من إزالة الخلافة عن موضعها إلّا إحساناً وتوفيقاً!

١٦ـ **والدليل على أنّ ذلك** في القيامة ما حدّثني به أبي، عن ابن أبي عمير، عن منصور، عن أبي عبدالله عليه السلام، وعن أبي جعفر عليه السلام قالا:

المصيبة هي الخسف ـ والله ـ بالمنافقين[(٣)] عند الحوض، قول الله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾.[(٤)]

---

(١) «نرضى» البحار.

(٢) عنه البحار: ١٩٤/٩ ح٣٨، وج٢٢/٩٣ ح٤٥، والبرهان: ١١٥/٢ ح١ وص١١٧ ح١، ونور الثقلين: ٩٦/٢ ح٣٦٦.

(٣) «بالفاسقين» البحار.

(٤) عنه البحار: ١٩٤/٩ ح٣٩، والبرهان: ١١٧/٢ ح١، ونور الثقلين: ٩٧/٢ ح٣٦٧ (قطعة).

ثمّ قال الله: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ـ يعني من العداوة لعليّ عليه السلام في الدنيا ـ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ أي أبلغهم في الحجّة عليهم، وأخّر أمرهم إلى يوم القيامة.(١)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ ـ إلى قوله تعالى ـ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ «٦٤ـ٦٨»

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ أي بأمر الله.(٢)

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ﴾

١٧ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ ـ يا عليّ ـ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّاباً رَّحِيمًا﴾، هكذا نزلت. ثمّ قال: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ ـ يا عليّ ـ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ـ يعني فيما تعاهدوا وتعاقدوا عليه بينهم من خلافك وغصبك ـ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ـ عليهم يا محمّد على لسانك من ولايته ـ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ لعليّ عليه السلام.(٣) ثمّ قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ـ إلى قوله ـ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ فإنّه محكم.

وأمّا قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾ «٦٩»

قال: ﴿النَّبِيِّينَ ـ رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وَالصِّدِّيقِينَ ـ عليّ عليه السلام ـ وَالشُّهَدَاء ـ الحسن والحسين عليهما السلام ـ وَالصَّالِحِينَ ـ الأئمة عليهم السلام ـ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ـ القائم من آل محمّد عليه السلام ـ﴾.(٤)

---

(١) عنه البرهان: ١١٧/٢ ح٢. (٢) عنه البرهان: ١١٨/٢ ح١.

(٣) عنه البحار: ٥٧٥/٣١ ح٤، وج٩٢/٣٦ ح١٩، والبرهان: ١١٨/٢ ح٢، ونور الثقلين: ٩٨/٢ ح٣٧٠ (قطعة).

(٤) عنه البحار: ٣١/٢٤ ح١، وج١٩٢/٦٧ س١٩، وج٤/٦٨ س١، والبرهان: ١٢٧/٢ ح٩، ونور الثقلين: ١٠٥/٢ ح٣٩٥، وتأويل الآيات: ١٣٩/١ ح١٧، إلزام الناصب: ٥٥/١، المحجّة: ٥٩.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً * وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ شَهِيداً﴾ «٧١ـ٧٢»

١٨ـ قال الصادق عليه السلام: والله لو قال هذه الكلمة أهل الشرق وأهل الغرب، لكانوا بها خارجين من الإيمان[١] ولكن الله قد سمّاهم مؤمنين بإقرارهم.[٢]

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ -إلى قوله تعالى- وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا)«٧٤ـ٧٦»

وقوله: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ أي يشترون.

وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ ـ بمكّة معذّبين، فقاتلوا حتّى يتخلّصوا، وهم يقولون: ـ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ـ يعنى المؤمنين من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ـ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ وهم مشركو قريش، يقاتلون على الأصنام.[٣]

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ «٧٧»

فإنّها نزلت بمكّة قبل الهجرة، فلمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وكتب الله

---

(١) لأنّ قائل هذه الكلمة قد أظهر عدم وفائه لرسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين حيث أظهر فرحه على عدم إصابته المصيبة معه صلى الله عليه وآله مع أنّه من شأن المؤمن أن يشارك النبيّ صلى الله عليه وآله في المصائب حيث أمكن، ومع عدم الإمكان يتمنّى المشاركة ويظهر حزنه على حزنه.

(٢) عنه البحار: ٢٧٣/٦٨ ضمن ح ٣٠، والبرهان: ١٢٨/٢ ح ٥، ونور الثقلين: ١٠٥/٢ ح ٣٩٩.

(٣) عنه البرهان: ١٢٩/٢ ح ٤.

عليهم القتال، نسخ هذا، فجزع أصحابه من هذا، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ ـ بمكّة ـ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ﴾ لأنّهم سألوا رسول الله ﷺ بمكّة أن يأذن لهم في محاربتهم، فأنزل الله: ﴿كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ـ فلمّا كتب عليهم القتال بالمدينة ـ قَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ـ فقال الله: قل لهم يا محمّد: ـ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ الفتيل: القشر الّذي في النواة.

ثمّ قال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ «٧٨»

يعني الظلمات الثلاث الّتي ذكرها الله، وهي: المشيمة، والرحم، والبطن.[١]

وقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ ـ يا محمّد ـ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ﴾ يعني الحسنات والسيّئات، ثمّ قال في آخر الآية:

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ «٧٩»

وقد اشتبه هذا على عدّة من العلماء، فقالوا: يقول الله:

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ﴾ الحسنة والسيّئة، ثمّ قال في آخر الآية: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، فكيف هذا؟ وما معنى القولين؟

١٩ـ فالجواب في ذلك، أنّ معنى[٢] القولين جميعاً عن الصادقين عليهما السلام أنّهم قالوا[٣]: الحسنات في كتاب الله تعالىٰ على وجهين، والسيّئات على وجهين:

فمن الحسنات الّتي ذكرها الله، الصحّة والسلامة، والأمن، والسعة في الرزق، وقد سمّاها الله حسنات ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني بالسيّئة هاهنا المرض، والخوف،

---

(١) عنه البرهان: ١٣١/٢ ح٩، والبحار: ٢٩٩/٧١ س١٩ (قطعة).
(٢) «من معنىٰ» البحار.
(٣) «أنّهما قالا:».

والجوع، والشدّة وهو ما ذكرناه في قوله:﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ﴾[1] أي يتشاءموا به.

والوجه الثاني من الحسنات، يعني به أفعال العباد، وهو قوله: ﴿مَنْ جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2] ومثله كثير. وكذلك السيّئات على وجهين: فمن السيّئات الخوف، والجوع، والشدّة، وهو ما ذكرناه في قوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ﴾ وعقوبات الذنوب [فـ]قد سمّاها الله السيّئات.

والوجه الثاني من السيّئات يعني بها أفعال العباد الّتي يعاقبون عليها، وهو قوله: ﴿وَمَنْ جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾.[3]

وقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾:

يعني ما عملت من ذنوب فعوقبت عليها في الدنيا والآخرة فمن نفسك بأعمالك، لأنّ السارق يقطع، والزاني يُجلد ويُرجم، والقاتل يُقتل، فقد سمّى الله تعالى العلل، والخوف، والشدّة، وعقوبات الذنوب كلّها سيّئات، فقال:

﴿مَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ بأعمالك. وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ﴾ يعني الصحّة، والعافية، والسعة، والسيّئات الّتي هي عقوبات الذنوب من عند الله.[4]

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ -إلى قوله تعالى- وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ «٨١-٨٣»

قوله عزّ وجلّ يحكي قول المنافقين، فقال: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ -أي يبدّلون- فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾.[5]

---

(١) الاعراف: ١٣١. (٢) الأنعام: ١٦٠. (٣) النمل: ٩٠.

(٤) عنه البحار: ٥/٢٠١ ح٢٧، والبرهان: ٢/١٣٢ ح٣، ونور الثقلين: ٢/١٠٩ ح٤١٦.

(٥) عنه البرهان: ٢/١٣٤ ح٤.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ـ أي أخبروا به ـ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، أي الّذين يعلمون منهم.(١)

وقوله: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ـ قال: الفضل: رسول الله صلى الله عليه وآله. والرحمة: أمير المؤمنين عليه السلام ـ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾.(١)

وقوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ـ إلى قوله ـ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ «٨٥ـ٩٠»

وقوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ قال: يكون كفيل ذلك الظلم الّذي يظلم صاحب الشفاعة.(٢)

وقوله: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً﴾ أي مقتدراً.(٣)

وقوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ـ يعني البرّ والإحسان ـ أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ قال: السلام وغيره من البرّ.(٤)

وقوله: ﴿اللهُ لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ـ إلى قوله ـ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ فإنّه محكم.

وقوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً ـ إلى قوله ـ فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ـ إلى قوله ـ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ فإنّها نزلت في أشجع وبني ضمرة، وهما قبيلتان، وكان من خبرهما أنّه لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غزاة الحديبيّة، مرّ قريباً من بلادهم، وقد كان

---

(١) عنه البرهان: ٢/١٣٥ ح١، وغاية المرام: ٤/٣٢٠ ح١.

(١) عنه البحار: ٩/١٩٤ ح٤٠.

(٢) عنه البرهان: ٢/١٣٩ ح١، ونور الثقلين: ٢/١١٥ ح٤٣٩.

(٣) عنه البرهان: ٢/١٤٠ ح١.

(٤) عنه البحار: ٧٦/٧ ح٢٧، وج ٨٤/٢٧٣ س٩، والبرهان: ٢/١٤٠ ح١، ونور الثقلين: ٢/١١٥ ح٤٤١، ومستدرك الوسائل: ٨/٣٥٩ ح٥.

رسول الله ﷺ هادن بني ضمرة ووادعهم[١] قبل ذلك، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله هذه بنو ضمرة قريباً منّا، ونخاف أن يخالفونا إلى المدينة، أو يعينوا علينا قريشاً، فلو بدأنا بهم؟ فقال رسول الله ﷺ:

كلّا، إنّهم أبرّ العرب بالوالدين، وأوصلهم للرحم، وأوفاهم بالعهد.

وكانت أشجع بلادهم قريباً من بلاد بني ضمرة، وهم بطن من كنانة، وكانت أشجع بينهم وبين بني ضمرة حلف بالمراعاة والأمان، فأجدبت بلاد أشجع وأخصبت بلاد بني ضمرة، فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة، فلمّا بلغ رسول الله ﷺ مسيرهم إلى بني ضمرة تهيّأ للمسير إلى أشجع ليغزوهم، للموادعة الّتي كانت بينه وبين بني ضمرة.

فأنزل الله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ ...إلخ﴾ الآية، ثمّ استثنىٰ بأشجع، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُونَكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾.

وكانت أشجع محالّها البيضاء والجبل[٢] والمستباح، وقد كانوا قربوا من رسول الله ﷺ فهابوا لقربهم من رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم، وكان رسول الله ﷺ قد خافهم أن يصيبوا من أطرافه شيئاً، فهمَّ بالمسير إليهم، فبينما هو على ذلك إذ جاءت أشجع ورئيسها «مسعود بن رخيلة»[٣] وهم سبعمائة، فنزلوا شعب سلع، وذلك في شهر ربيع الأوّل[٤] سنة ستّ من الهجرة.

فدعا رسول الله ﷺ «أسيد بن حصين» فقال له: اذهب في نفر من أصحابك

---

(١) وادع بني فلان أي صالحهم وسالمهم على ترك الأذى والحرب، (النهاية: ١٦٧/٥).

(٢) «والحلّ» البحار.

(٣) «رجيلة، رجله، رحله» خ. هو مسعود بن رخيلة بن عائذ الأشجعي. (طبقات ابن سعد: ٣٠٦/١، الإستيعاب: ٤٥١/٣).

(٤) «الآخر» البحار.

حتّى تنظر ما أقدم أشجع. فخرج أُسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فوقف عليهم، فقال: ما أقدمكم؟ فقام إليه مسعود بن رخيلة وهو رئيس أشجع، فسلّم على أُسيد وعلى أصحابه، وقالوا: جئنا لنوادع محمّداً. فرجع أُسيد إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: خاف القوم أن أغزوهم، فأرادوا الصلح بيني وبينهم.

ثمّ بعث إليهم بعشرة أحمال[1] تمر فقدّمها أمامه، ثمّ قال: نعم الشيء الهديّة أمام الحاجة. ثمّ أتاهم، فقال: يا معشر أشجع ما أقدمكم؟ قالوا: قربت دارنا منك، وليس في قومنا أقلّ عدداً منّا، فضقنا بحربك لقرب دارنا منك، وضقنا بحرب قومنا لقلّتنا فيهم، فجئنا لنوادعك.

فقبل النبيّ ﷺ ذلك منهم ووادعهم، فأقاموا يومهم، ثمّ رجعوا إلى بلادهم؛ وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ -إلى قوله- فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ الآية.[2]

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ -إلى قوله- * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً -إلى قوله- وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ «٩١ و٩٣»

وقوله: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ نزلت في عيينة بن حصين الفزاري، أجدبت بلادهم، فجاء إلى رسول الله ﷺ ووادعه على أن يُقيم ببطن نخل، ولا يتعرّض له، وكان منافقاً ملعوناً، وهو الّذي سمّاه رسول الله ﷺ: الأحمق المطاع في قومه[3].

---

(١) «أجمال» خ.

(٢) عنه البحار: ٣٠٥/٢٠ ح٦، والبرهان: ١٤٤/٢ ح٢، ونور الثقلين: ١٢٠/٢ ح٤٦٥.

(٣) عنه البحار: ٢٠٤/١٧ ح٣ و٦٤/٢٢ ح٤، والبرهان: ١٤٦/٢ ح١، ونور الثقلين: ١٢٢/٢ ح٤٧٠، مجمع البيان: ٨٩/٣ (عن الصادق عليه السلام).

ثمّ قال: ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً ـ أي لا عمداً ولا خطأً، و «إلّا» في موضع[1] «لا» وليست باستثناء[2] ـ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ـ لمن قتل مؤمناً خطأ ـ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ـ يعني يعفو، ثمّ قال: ـ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ وليست له دية، يعني إذا قتل رجل من المؤمنين وهو نازل في دار الحرب، فلا دية للمقتول، وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة، لقول رسول الله ﷺ [لـ]من نزل دار الحرب [فقتل]، فقد برئت [منه] الذمّة، ثمّ قال:

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ـ يعني إن كان المؤمن نازلاً في دار الحرب، وبين أهل الشرك، وبين الرسول أو الإمام عهد ومدّة، ثمّ قتل ذلك المؤمن وهو بينهم، فعلى القاتل ديةٌ مسلّمةٌ إلى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة ـ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.[3]

[و] قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ «٩٣»

قال: من قتل مؤمناً على دينه لم تقبل توبته، ومن قتل نبيّاً أو وصيّ نبيّ فلا توبة له، لأنّه لا يكون مثله فيقاد[4] به. وقد يكون الرجل بين المشركين واليهود والنصارى يقتل رجلاً من المسلمين على أنّه مسلم، فإذا دخل في الإسلام محاه الله عنه، لقول رسول الله ﷺ: «الإسلام يجبُّ ما كان قبله» أي يمحو، لأنّ أعظم الذنوب عند الله هو الشرك بالله، فإذا قبلت توبته في الشرك قبلت فيما سواه.

---

(١) «معنى» البرهان.

(٢) عنه البرهان: ٢/١٤٧ ح ١.

(٣) عنه مستدرك الوسائل: ١٨/٣٠٨ ح ١.

(٤) من القَوَد، وهو القصاص، (النهاية: ٤/١١٩).

٢٠ـ وأمّا قول الصادق عليه السلام: ليست له توبة، فإنّه عنى من قتل نبيّاً أو وصيّاً فليست له توبة، فإنّه لا يقاد أحد بالأنبياء إلّا الأنبياء، وبالأوصياء إلّا الأوصياء، والأنبياء والأوصياء لا يقتل بعضهم بعضاً، وغير النبيّ والوصيّ لا يكون مثل النبيّ والوصيّ فيقاد به، وقاتلهما لا يوفّق للتوبة.[١]

ووقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ -إلى قوله- عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ «٩٤»

فإنّها نزلت لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة خيبر، وبعث «أُسامة بن زيد» في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجل من اليهود يقال له: «مرداس بن نهيك الفدكي» في بعض القرى، فلمّا أحسّ بخيل رسول الله صلى الله عليه وآله جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل[٢]، فأقبل يقول: «أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله» فمرّ به أُسامة بن زيد فطعنه فقتله! فلمّا رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك،

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله؟!

فقال: يا رسول الله! إنّما قالها تعوّذاً من القتل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: [أ]فلا شققت[٣] الغطاء عن قلبه؟! [و] لا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في نفسه علمت! فحلف أُسامة بعد ذلك أنّه لا يقتل أحداً[٤] شهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله فتخلّف عن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه، وأنزل الله في ذلك:

---

(١) عنه البحار: ٢٢/٦ ح ٢٤ وج ٣٧١/١٠٤ ح ٧، ونور الثقلين: ١٢٦/٢ ح ٤٩٢ (قطعة)، ومستدرك الوسائل: ٣٦٥/١١ ح ٧، وج ٢٢٠/١٨ ح ٣.

(٢) «الخيل» خ.

(٣) «كشفت» البرهان.

(٤) «لا يقاتل رجلاً، لا يقاتل أحداً» خ.

﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.

ثمّ ذكر فضل المجاهدين على القاعدين، فقال:

﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ - يعني الزَّمنى[١]، كما ليس على الأعمى حرج - وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية.[٢]

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ - إلى قوله - وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ «٩٧-٩٨»

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ - قال: نزلت فيمن اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام ولم يُقاتل معه، فقالت الملائكة لهم عند الموت: - فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ - أي لم نعلم مع من الحقّ، فقال الله تعالى: - أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا - أي دين الله وكتاب الله واسع[٣] فتنظروا فيه [فترشدوا وتهتدوا منه سبل الحقّ] - فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾ ثمّ استثنى فقال: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾.

٢١- حدّثني أبي، عن يحيى بن أبي عمران[٤]، عن يونس، عن حمّاد، عن ابن الطيّار[٥]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن المستضعف، فقال:

هو الّذي لا يستطيع حيلة الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان [فيؤمن]، لا يستطيع أن يؤمن ولا يستطيع أن يكفر، فهم الصبيان، ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان من رُفِعَ عنه القلم.[٦]

---

(١) جمع زَمِن، وصف من الزَّمانة، وهو مرض يدوم (مجمع البحرين: ٧٨٢/٢). وفي خ «الزمن».

(٢) عنه البحار: ١١/٢١ ح٦، وج٢٢/٩٢ ح٤٤، وج٦٨/٢٣٤، والبرهان: ١٥٤/٢ ح٢، ونور الثقلين: ١٢٨/٢ ح٤٩٧.

(٣) «واضح» خ.

(٤) هكذا في البحار، وفي المصدر المطبوع: عن يحيى بن يحيى، عن ابن أبي عمير، والصواب ما أثبتناه، أُنظر معجم رجال الحديث: ٢٦/٢٠ و٢٧ و٧٣.

(٥) «أبي الطيّار، ابن ظبيان» خ، وما اثبتناه هو الصواب، (أُنظر معجم رجال الحديث: ١٩٣/٢٢).

(٦) عنه البحار: ١٥٧/٧٢ ح١.

قوله: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً...﴾ «١٠٠»

أي يجد خيراً [كثيراً] إذا جاهد مع الإمام.[١]

وقوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ قال: إذا خرج إلىٰ الإمام، ثمّ مات قبل أن يبلغه.

قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «١٠١»

٢٢ـ فإنّه حدّثني أبي، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ستّة لايقصرون الصلاة: الجباة الّذين يدورون في جبايتهم، والتاجر الّذي يدور في تجارته من سوق إلى سوق، والأمير الّذي يدور في إمارته، والراعي الّذي يطلب مواضع[٢] القطر ومنبت الشجر، والرجل يخرج في طلب الصيد يريد لهواً للدنيا، والمحارب الّذي يقطع الطريق.[٣]

وأمّا قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ...﴾ «١٠٢»

فإنّها نزلت لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحديبيّة يريد مكّة، فلمّا وقع الخبر إلى قريش، بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، ليستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله [فكان يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله] على الجبال، فلمّا كان في بعض الطريق حضرت صلاة الظهر، فأذّن بلال، وصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس؛

---

(١) عنه البرهان: ١٦١/٢ ح ١. (٢) «مواقع» خ.

(٣) عنه البحار: ١٨/٨٩ ح ٥، والبرهان: ١٦٣/٢ ح ٥، والوسائل: ٥١٦/٥ ح ٩.

فقال خالد بن الوليد: لو كنّا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصبناهم، فإنّهم لا يقطعون صلاتهم، ولكن تجيء لهم الآن صلاة أُخرى هي أحبّ إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا فيها حملنا عليهم! فنزل جبرئيل عليه السلام بصلاة الخوف بهذه الآية: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ ففرّق رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه فرقتين: فوقف بعضهم تجاه العدوّ، وقد أخذوا سلاحهم، وفرقة صلّوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قياماً، ومرّوا فوقفوا مواقف أصحابهم، وجاء أُولئك الّذين لم يصلّوا، فصلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله الركعة الثانية، [وهي لهم الأُولى] وقعد وتشهّد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقام أصحابه فصلّوا هم الركعة الثانية، وسلّم عليهم.(١)

قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ...﴾ «١٠٣»

قال: الصحيح يصلّي قائماً، والعليل يصلّي قاعداً(٢)، فمن لم يقدر فمضطجعاً يومئ إيماءً.(٣)

قوله: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ أي موجوبة.(٤)

قوله: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ﴾ «١٠٤»

فإنّه معطوف على قوله في سورة آل عمران: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾(٥).(٦)

---

(١) عنه البحار: ٨٩/١١٠ ح٤، والبرهان: ٢/١٦٥ ح٣، والمستدرك: ٦/٥١٧ ح٥، ونور الثقلين: ٢/١٣٨ ح٥٣٥.

(٢) «جالساً» البرهان. (٣) عنه البرهان: ٢/١٦٦ ح٧، ونور الثقلين: ٢/١٣٩ ح٥٣٨.

(٤) الكافي: ٣/٢٧٢ ح٤ (مثله)، عنه الوسائل: ٣/٣ ح١، والبرهان: ٢/١٦٧ ح٩.

(٥) آل عمران: ١٤٠. (٦) عنه البرهان: ٢/١٦٨ ح١.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ـ إلى قوله ـ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ «١٠٥ـ١١٥»

فإنّه كان سبب نزولها أنّ قوماً من الأنصار من «بني أُبيرق»[1] إخوة ثلاثة كانوا منافقين: بشير وبشر ومبشّر، فنقبوا على عمّ قتادة بن النعمان[2] ـ وكان قتادة بدريّاً ـ وأخرجوا طعاماً كان أعدّه لعياله وسيفاً ودرعاً!

فشكى قتادة ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ قوماً نقبوا على عمّي، وأخذوا طعاماً كان أعدّه لعياله، ودرعاً وسيفاً، وهم أهل بيت سوء. وكان معهم في الرأي رجل مؤمن يُقال له: «لبيد بن سهل» فقال بنو أُبيرق لقتادة: هذا عمل لبيد بن سهل! فبلغ ذلك لبيداً، فأخذ سيفه وخرج عليهم، فقال: يا بني أُبيرق أترمونني بالسرقة وأنتم أولى بها منّي، وأنتم المنافقون تهجون رسول الله ﷺ وتنسبونه إلى قريش، لتبيّننّ ذلك أو لأملأنّ سيفي منكم. فداروه، فقالوا له:

إرجع يرحمك الله فإنّك بريء من ذلك. فمشى بنو أُبيرق إلى رجل من رهطهم يقال له: «أُسيد بن عروة» وكان منطيقاً بليغاً، فمشى إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله، إنّ قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت منّا أهل شرف وحسب ونسب فرماهم بالسرقة، واتّهمهم بما ليس فيهم! فاغتمّ رسول الله ﷺ لذلك وجاء إليه قتادة، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال له: عمدت إلى أهل بيت شرف وحسب ونسب فرميتهم بالسرقة! وعاتبه عتاباً شديداً، فاغتمّ قتادة من ذلك ورجع إلى عمّه، وقال: يا ليتني متّ ولم أُكلّم رسول الله ﷺ فقد كلّمني بما كرهته.

فقال عمّه: الله المستعان. فأنزل الله في ذلك على نبيّه ﷺ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

---

(١) بطن من الأنصار، من الأزد، من القحطانيّة.

(٢) ابن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر، بدري، عقبيّ، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمّه (سير أعلام النبلاء: ٢/٣٣١).

بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً * وَاسْتَغْفِرِ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيماً * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعني الفعل، فوقع القول مقام الفعل. ثمّ قال: ﴿هَا أَنتُمْ هَـؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً * وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيماً * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ـ يعني لبيد بن سهل ـ فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.(١)

٢٣ـوفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أُناساً من رهط بشير الأدنين إنطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: نكلّمه في صاحبنا ونُعذّره، فإنّ صاحبنا بريء، فلمّا أنزل الله ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ـإلى قوله ـ وَكِيلاً﴾ فأقبلت رهط بشير، فقال: يا بشير، استغفر الله وتب إليه من الذنب. فقال: والّذي أحلف به ما سرقها إلّا لبيد، فنزلت:

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ ثمّ إنّ بشيراً كفر ولحق بمكّة وأنزل الله في النفر الّذين أعذروا بشيراً وأتوا النبيّ ليعذروه.

قوله: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ ـإلى قوله ـ * لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّـنْ نَّجْوَاهُمْ ـإلى قوله ـ * وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾.(٢)

قوله: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ـ ونزلت في بشير وهو بمكّة ـ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾.(٣)

---

(١) عنه البحار: ٧٨/١٧ صدر ح١، وج٢٢/٧٤ صدر ح٢٦، ونور الثقلين: ١٤٢/٢ ح٥٥٠.

(٢) عنه البحار: ٧٩/١٧ ضمن ح١، وج٢٢/٧٥ ضمن ح٢٦، والبرهان: ١٧٠/٢ ح٤، ونور الثقلين: ١٤٣/٢ ح٥٥١.

(٣) عنه البحار: ٨٠/١٧ ذح١، وج٢٢/٧٥ ذح٢٦، والبرهان: ١٧٤/٢ صدر ح٣، ونور الثقلين: ١٤٣/٢ ذح٥٥١.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ ـ قال: لا خير في كثيرٍ من كلام الناس ومحاوراتهم ومحادثاتهم ـ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

٢٤ـ حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد[1]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله فرض التمحّل[2] في القرآن. قلت: وما التمحّل جُعلت فداك؟ قال: أن يكون وجهك أعرض من وجه أخيك فتمحّل له، وهو قوله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾.[3]

٢٥ـ وحدّثني أبي، عن بعض رجاله رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم، كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم[4].[5]

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ـ إلى قوله ـ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ «١١٥ـ١٢٥»

قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ـ أي يخالفه ـ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.[6] قوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً ـ قال: قالت قريش: إنّ الملائكة هم بنات الله ـ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾ قال: كانوا يعبُدُون الجنّ.[7]

قوله: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ـ يعني إبليس، حيث قال: ـ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ

---

(١) «حمّاد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام» كذا في البرهان. والظاهر كونه هو الصواب بقرينة سائر الروايات. أنظر معجم رجال الحديث: ٦/١٩٠.

(٢) «التحمّل» البحار. وكذا ما يأتي.

(٣) عنه البحار: ٧٤/٢٢٢ ح٦ وفيه «التحمّل» وص ٢٤٥ س٨ وفيه «التمحّل»، والبرهان: ٢/١٧٢ ح١، ونور الثقلين: ٢/١٤٥ ح٥٦٠، والوسائل: ١١/٥٩٤ ح٢.

(٤) «أيمانكم» البحار.

(٥) عنه البحار: ٧٤/٢٢٣ ح٧، والبرهان: ٢/١٧٢ ح٢، ونور الثقلين: ٢/١٤٥ ح٥٦١، والوسائل: ١١/٥٩٤ ح٣.

(٦) عنه البرهان: ٢/١٧٤ ذح٣.

(٧) عنه البرهان: ٢/١٧٤ ح١، ونور الثقلين: ٢/١٤٨ ح٥٧٠، ويأتي ذكرها في ص٣٩١ في هذا الكتاب.

وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ أي أمر الله.[١] وقوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: يعني ليس ما تتمنّون أنتم ولا أهل الكتاب أن لا تعذّبوا بأفعالكم.[٢] قوله: ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ وهي النقطة الّتي في النواة.[٣]

قوله: ﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ قال: هي الحنيفيّة العشرة الّتي جاء بها إبراهيم عليه السلام، الّتي لم تنسخ إلى يوم القيامة.[٤]

٢٦ـ قوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ فإنّه حدّثني أبي، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال: إنّ إبراهيم عليه السلام هو أوّل من حوّل له الرمل دقيقاً؛ وذلك أنّه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام، فلم يجده في منزله، فكَرِه أن يرجع بالحمار خالياً، فملأ جرابه رملاً، فلمّا دخل منزله، خلّى بين الحمار وبين سارة، إستحياءً منها، ودخل البيت ونام، ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون! فخبزت وقدّمت إليه طعاماً طيّباً، فقال إبراهيم عليه السلام: من أين لك هذا؟

قالت: من الدقيق الّذي حملته من عند خليلك المصريّ. فقال إبراهيم: أما إنّه خليلي، وليس بمِصرِي، فلذلك أُعطي الخُلّة[٥]، فشكر الله وحمده وأكل.[٦]

قوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَاكُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ...﴾ «١٢٧»

قال: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى

---

(١) عنه البرهان: ٢/١٧٥ ح ١. (٢) عنه البحار: ٩/١٩٤ صدر ح ٤١، والبرهان: ٢/١٧٦ ح ١.

(٣) عنه البحار: ٩/١٩٤ ذح ٤١، والبرهان: ٢/١٧٦ ح ١.

(٤) عنه البحار: ١٢/٧ ح ١٥، والبرهان: ٢/١٧٧ ح ١، ونور الثقلين: ٢/١٥٠ ح ٥٨٠.

(٥): الصداقة والمحبّة الّتي تخلّلت القلب فصارت خلاله (النهاية: ٢/٧٢).

(٦) عنه البرهان: ٢/١٧٧ ح ١، ونور الثقلين: ٢/١٥٢ ح ٥٨٩.

وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ قال: نزلت مع قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ...﴾.[(١)]

وأمّا قوله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ «١٢٨»

قال: إن خافت المرأة من زوجها أن يطلّقها ويعرض عنها، فتقول له: قد تركت لك كلّ ما عليك ولا أسألك نفقة، فلا تطلّقني ولا تعرض عنّي، فإنّي أكره شماتة الأعداء؛ فلا جناح عليه أن يقبل ذلك ولا يجري عليها شيئاً.[(٢)]

٢٧ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء﴾ فإنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله سُئِل عن النّساء ما لهنّ من الميراث؟ فأنزل الله: الرُّبُع والثُّمُن.[(٣)]

وقوله: ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء﴾

فإنّ الرجل كان يكون في حجره يتيمة، فتكون ذميمة أو ساقطة، يعني حمقاء، فيرغب الرجل [عن] أن يزوّجها ولا يعطيها مالها، فينكحها غيره من أجل مالها، ويمنعها النكاح، ويتربّص بها الموت ليرثها! فنهى الله عن ذلك.

وقوله: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ فإنّ أهل الجاهليّة كانوا لا يورّثون الصبيّ الصغير، ولا الجارية من ميراث آبائهم شيئاً، وكانوا لا يعطون الميراث إلّا لمن يُقاتِل، وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً.

فلمّا أنزل الله فرائض المواريث وجدوا من ذلك وجداً[(٤)] شديداً، فقالوا:

---

(١) عنه البرهان: ١٧٩/٢ ح١، ونور الثقلين: ١٥٣/٢ ح٥٦٣ وفيهما: فنصف الآية في أوّل السورة ونصفها على رأس المائة وعشرين آية. وذلك أنّهم كانوا لا يستحلّون أن يتزوّجوا يتيمةً قد ربّوها. فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿يستفتونك في النساء ـ إلى قوله ـ مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾.

(٢) عنه البحار: ٥٦/١٠٤ صدر ح٢، ومستدرك الوسائل: ١٠٦/١٥ ح١ (صدره).

(٣) عنه البرهان: ١٨٠/٢ ح٢، ونور الثقلين: ١٥٣/٢ ح٥٩٤، والوسائل: ٥١٠/١٧ ح٣.

(٤) هو من لغات الأضداد: الفرح والحزن، وفي المقام: الحزن (مجمع البحرين: ١٩٠٩/٣).

انطلقوا إلى رسول الله ﷺ فنذكر له ذلك لعلّه يدعه أو يُغيّره! فأتوه، فقالوا:
يا رسول الله! للجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها، ويُعطى الصبيّ الصغير الميراث، وليس أحدٌ منهما يركب الفرس، ولا يحوز الغنيمة، ولا يقاتل العدوّ؟!
فقال رسول الله ﷺ: بذلك أُمرتُ.(١)

قوله: ﴿وَأَنْ تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ «١٢٧»

فإنّهم كانوا يُفسدون مال اليتيم، فأمرهم الله أن يُصلِحُوا أموالَهم.(٢)
وأمّا قوله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً﴾ نزلت في ابنة «محمّد بن مسلمة» كانت امرأة «رافع بن خديج» وكانت امرأة قد دخلت في السنّ، فتزوّج عليها امرأة شابّة كانت أعجب إليه من ابنة محمّد بن مسلمة،
فقالت له ابنة محمّد بن مسلمة: ألا أراك معرضاً عنّي مؤثراً عليَّ؟
فقال رافع: هي امرأة شابّة، وهي أعجب إليَّ، وإن شئت أقررت على أنّ لها يومين أو ثلاثة منّي، ولك يوم واحد! فأبت ابنة محمّد بن مسلمة أن ترضى(٣)، فطلّقها تطليقة واحدة، ثمّ طلّقها أُخرى، فقالت:
لا والله لا أرضى أن تُسوّي بيني وبينها. يقول الله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ وابنة محمّد لم تطب نفسها بنصيبها وشحّت عليه، فعرض عليها رافع:
إمّا أن ترضى، وإمّا أن يطلّقها الثالثة، فشحّت(٤) على زوجها ورضيت، فصالحته على ما ذكر، فقال الله: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾
فلمّا رضيت واستقرّت لم يستطع أن يعدل بينهما، فنزلت:
﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَنْ تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أن

---

(١) عنه البرهان: ٢/١٨٠ ح ١، والوسائل: ١٧/٥٨٨ ح ١٠.
(٢) عنه البرهان: ٢/١٨٠ ح ١.
(٣) «ترضاها» البحار.
(٤) «فسخت» مستدرك الوسائل.

تأتي واحدة وتذر الأُخرى، لا أيّم[1] ولا ذات بعل، وهذه السنّة فيما كان كذلك إذا أقرّت المرأة ورضيت على ما صالحها عليه زوجها، فلا جناح على الزوج ولا على المرأة، وإن هي أبت طلّقها، أو يساوي بينهما لا يسعه إلّا ذلك.[2]

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله [تعالىٰ]: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ قال: اُحضرت الشحّ، فمنها ما اختارته، ومنها ما لم تختره.[3]

قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَنْ تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ «١٢٩»

٢٨ ـ **إنّه روي** لمّا سأل رجل من الزنادقة أبا جعفر الأحول، فقال: أخبرني عن قوله: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾[4]

وقال في آخر السورة: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَنْ تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ﴾ فبين القولين فرق؟

فقال أبو جعفر الأحول: فلم يكن في ذلك عندي جواب، فقدمت المدينة، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسألته عن الآيتين؟ فقال:

أمّا قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾[5] فإنّما عنى به [في] النفقة، وقوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَنْ تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَو حَرَصْتُمْ﴾ فإنّما عنى به [في] المودّة،

فإنّه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين في المودّة. فرجع أبو جعفر الأحول إلى الرجل فأخبره، فقال: هذا ما حملته الإبل من الحجاز.[6]

---

(١) الأيّم كقيّم: امرأة لا بعل لها. (مجمع البحرين: ١٠٣/١).

(٢) عنه البحار: ٥٦/١٠٤ صدر ح ٢، والبرهان: ١٨٢/٢ ح ٨، ونور الثقلين: ١٥٤/٢ ح ٥٩٦، ومستدرك الوسائل: ١٠٦/١٥ ذح ١.

(٣) عنه البحار: ٥٧/١٠٤ ذح ٢، والبرهان: ١٨٣/٢ ح ٩.

(٤) النساء: ٣.

(٥) النساء: ٣.

(٦) عنه البحار: ٥٠/١٠٤ ح ١، والبرهان: ١٧/٢ ح ٣ وص ١٨٣ ح ٢، والوسائل: ٨٦/١٥ ح ١، وعن الكافي: ٣٦٢/٥ ح ١.

فأمّا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ «١٣٥»

فإنّ الله أمر الناس أن يكونوا قوّامين بالقسط، أي بالعدل، ولو على أنفسهم أو على والديهم أو على قراباتهم.

٢٩ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ للمؤمن على المؤمن سبع حقوق: فأوجَبُها أن يقول الرجل حقّاً وإن كان على نفسه أو على والديه، فلا يميل لهم عن الحقّ، ثمّ قال: ﴿فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ ـ يعني عن الحقّ ـ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.(١)

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ﴾ «١٣٦»

يعني يا أيّها الّذين آمنُوا أقرّوا وصدّقوا.(٢)

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً...﴾ «١٣٧»

قال: نزلت في الّذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله إقراراً لا تصديقاً، ثمّ كفروا لمّا كتبوا الكتاب فيما بينهم أن لا يردّوا الأمر إلى أهل بيته أبداً،

فلمّا نزلت الولاية وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الميثاق عليهم لأمير المؤمنين عليه السلام آمنوا إقراراً، لا تصديقاً، فلمّا مضى رسول الله صلى الله عليه وآله كفروا وازدادوا كفراً،

﴿لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ يعني طريقاً إلّا طريق جهنّم.(٣)

---

(١) عنه البحار: ٢٢٣/٧٤ ح٨ (قطعة)، والبرهان: ١٨٦/٢ ح٢، ونور الثقلين: ١٥٩/٢ ح٦١٥ (قطعة)، ومستدرك الوسائل: ٤٤/٩ ح١٣ (قطعة).

(٢) عنه البرهان: ١٨٦/٢ ح١.

(٣) عنه البحار: ٥٧٦/٣١ ح٦، ونور الثقلين: ١٦٢/٢ صدر ح٦٢٤.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ «١٣٩»

قال: نزلت في بني أُميّة، حيث خالفوا نبيّهم على أن لا يردّوا الأمر في بني هاشم، ثمّ قال: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ يعني القوّة.[١]

وقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ﴾ «١٤٠»

قال: آيات الله هم الأئمّة صلوات الله عليهم.[٢]

قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «١٤١»

فإنّها نزلت في عبدالله بن أُبيّ وأصحابه الّذين قعدوا عن رسول الله ﷺ يوم أُحد، فكان إذا ظفر رسول الله ﷺ بالكفّار، قالوا له: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ وإذا ظفر الكفّار، قالوا: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أن نعينكم ولم نعن عليكم[٣]! قال الله:
﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.[٤]

---

(١) عنه البحار: ٥١١/٣١ صدر ح٣، والبرهان: ١٨٩/٢ ح١، ونور الثقلين: ١٦٢/٢ ذح ٦٢٤.

(٢) عنه البحار: ٥١١/٣١ ذح٣، البرهان: ١٨٩/٢ ح١.

(٣) أعان عليه: أي ضرّه، وفي الدعاء: «ربّ أعنّي ولاتعن عليّ».

(٤) عنه البحار: ٦٤/٢٢ صدر ح٥، والبرهان: ١٩١/٢ ح١.

وأمّا قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ - إلى قوله - إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ﴾ «١٤٢-١٤٥»

قال: الخديعة من الله العذاب.

قوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا - مع رسول الله ﷺ - إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ - أنّهم مؤمنون - وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي لم يكونوا [من المؤمنين] ولا من اليهود، ثمّ قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ نزلت في «عبد الله بن أُبيّ» وجرت في كلّ منافق ومشرك.(١)

قوله: ﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ «١٤٨»

أي لا يحبّ أن يجهر الرجل بالظلم والسوء ويظلم، إلّا من ظُلم، فقد أطلق له أن يُعارضه بالظلم.(٢)

وفي حديث آخر في تفسير هذا، قال: إن جاءك رجل وقال فيك ما ليس فيك من الخير والثناء والعمل الصالح، فلا تقبله منه وكذّبه فقد ظلمك.(٣)

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ - إلى قوله - أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾ «١٥٠-١٥١»

قال: هم الّذين أقرّوا برسول الله ﷺ وأنكروا أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [أي ينالوا خيراً]. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾.(٤)

---

(١) عنه البحار: ٢٢/٦٤ ذح ٥، والبرهان: ٢/١٩١ ح ١ و ١٩٤ ح ١.

(٢) عنه البرهان: ٢/١٩٥ ح ٣، ونور الثقلين: ٢/١٦٧ ح ٦٤٥.

(٣) عنه البحار: ٧٣/٢٩٤ ح ٢، والبرهان: ٢/١٩٥ ح ٤، ونور الثقلين: ٢/١٦٧ ح ٦٤٦.

(٤) عنه البرهان: ٢/١٩٥ ح ١، ونور الثقلين: ٢/١٦٨ صدر ح ٦٤٩.

قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ﴾ «١٥٥»

يعني فبنقضهم ميثاقهم ﴿وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ قال: هؤلاء لم يقتلوا الأنبياء، وإنّما قتلهم أجدادهم وأجداد أجدادهم، فرضوا هؤلاء بذلك، فألزمهم الله القتل بفعل أجدادهم. فكذلك من رضي بفعل فقد لزمه وإن لم يفعله؛ والدليل على ذلك أيضاً، قوله في سورة البقرة: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللهِ مِن قَبْلُ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] فهؤلاء لم يقتلوهم ولكنّهم رضوا بقتل آبائهم، فألزمهم فعلهم.[2]

قوله: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيمًا﴾ «١٥٦»

أي قولهم: إنّها فجرت.[3]

قوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ «١٥٧»

لمّا رفعه الله إليه، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.[4]

وقوله: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ[5] وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ «١٥٩»

٣٠ـ فإنّه روي أنّ رسول الله ﷺ إذا رجع آمن به الناس كلّهم.[6]

---

(١) البقرة: ٩١.
(٢) عنه البرهان: ١٩٥/٢ ح ١ و ١٩٦ ح ٢، ونور الثقلين: ١٦٨/٢ ذح ٦٤٩.
(٣) عنه البحار: ٣٣٦/١٤ صدر ح ٥، والبرهان: ١٩٦/٢ ح ١.
(٤) عنه البحار: ٣٣٦/١٤ ذح ٥.
(٥) قال الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع (٣٠٢/١): ما من اليهود والنصارى أحد الّا ليؤمننّ قبل موته بعيسى عليه السلام وبأنّه عبدالله ورسوله حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف، وقيل: الضميران لعيسى أي وإن منهم أحد إلّا ليؤمننّ بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الّذين يكونون في زمان نزوله فإنّه ينزل من السماء في آخر الزمان ولا يبقى أهل ملّة إلّا يؤمن به ويصلّي خلف المهدي من آل محمّد ﷺ.
(٦) عنه البحار: ٥٠/٥٣ ح ٢٤، والبرهان: ١٩٧/٢ ح ١، ونور الثقلين: ١٧١/٢ ح ٦٦١.

٣١ـ قال: حدّثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن أبي حمزة، عن شهر بن حوشب، قال: قال لي الحجّاج:

يا شهر! آية في كتاب الله قد أعيتني! فقلت: أيّها الأمير أيّة آية هي؟ فقال: قوله: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ والله إنّي لآمر باليهوديّ والنصرانيّ فيضرب عنقه، ثمّ أرمقه[١] بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتّى يخمد.

فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأوّلت. قال: كيف هو؟ قلت:

إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ ولا غيره إلّا آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهديّ عليه السلام.

قال: ويحك! أنّى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت:

حدّثني به محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام والتحيّة والإكرام، فقال: جئت بها ـ والله ـ من عين صافية.[٢]

قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً﴾ «١٦٠»

٣٢ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من زرع حنطة في أرض، فلم يزكّ[٣] في أرضه وزرعه، وخرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض، أو بظلم [لـ]مزارعه[٤] وأكَرته[٥]، لأنّ الله يقول: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ

---

(١) الرمق: بقيّة الحياة (القاموس المحيط: ٣٣٧/٣).

(٢) عنه البحار: ١٩٥/٩ ح ٤٥، وج ٣٤٩/١٤ ح ٣، والبرهان: ١٩٧/٢ ح ٢، ونور الثقلين: ١٧١/٢ ح ٦٦٢، وحلية الأبرار: ٣٠٥/٥ ح ١، والإيقاظ من الهجعة: ٣٣٩ ح ٦٤.

(٣) «فلم تَزْكُ» البرهان. زكا الزرع: نما وزاد.

(٤) «لمزارعيه» خ.

(٥): جمع أكّار، وهو الفلاّح (لسان العرب: ٢٦/٤).

﴿لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً﴾ [يعني لحوم الإبل والبقر والغنم] هكذا أنزلها الله[(١)]، فاقرأوها هكذا، وما كان الله ليحلّ شيئاً في كتابه ثمّ يحرّمه بعد ما أحلّه، ولا أن يحرّم شيئاً ثمّ يحلّه من بعد ما حرّمه.

قلت: وكذلك أيضاً قوله: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾[(٢)]؟ قال: نعم.

قلت: فقوله: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ؟[(٣)]، قال: إنّ إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل يهيج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل! وذلك من قبل أن تنزّل التوراة، فلمّا [أُ]نزلت التوراة لم يحرّمه ولم يأكله.[(٤)]

قوله: ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ ـإلى قوله ـ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ «١٦٢ـ١٦٥»

فإنّه محكم.

وقوله: ﴿لٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ـإلى قوله ـ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ «١٦٦ـ١٦٩»

٣٣ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

---

(١) قال المجلسي رحمه الله: لعلّه عليه السلام قرأ «حَرَمنا» بالتخفيف، أي جعلناهم محرومين، وتعديته بعلى لتضمين معنى السخط أو نحوه واستدلّ عليه السلام على ذلك بأنّ ظلم اليهود كان بعد موسى عليه السلام ولم تنسخ شريعته الّا بشريعة عيسى، واليهود لم يؤمنوا به: فلا بدّ من أن يكون «حرمنا» بالتخفيف أي سلبنا عنهم التوفيق حتّى ابتدعوا في دين الله، وحرّموا على أنفسهم الطيّبات الّتي كانت جلالاً عليهم افتراء على الله، ولم أر تلك القراءة في الشواذ أيضاً. (البحار: ١٩٦/٩ وج ٣٣٦/١٣).

(٢) الأنعام: ١٤٦.

(٣) آل عمران: ٩٣.

(٤) عنه البحار: ١٩٥/٩ ح٤٦، و٣٢٥/١٣ ح١، و٣٠٩/٧٥ ح٥ (قطعة)، والبرهان: ١٩٨/٢ ح١، ونور الثقلين: ١٧٣/٢ ح٦٦٦، ورواه الكليني رحمه الله في الكافي: ٣٠٦/٥ ح٩ بإسناده عن عبدالله بن أبي يعفور (مثله)، عنه الوافي: ١٠٨٠/١٨ ح١، وأورده العيّاشي رحمه الله في تفسيره: ٤٥٥/١ ح٣٠٧ عن عبدالله بن أبي يعفور (مثله)، عنه المستدرك: ٤٧٢/١٣ ح٢، و٩٥/١٧ ح٧، عنها الوسائل: ٢١٧/١٣ ح٤.

إنّما أُنزلت: «لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ـ في عليّ ـ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً».

وقرأ أبو عبدالله عليه السلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ ـ آل محمّد حقّهم ـ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾.(١)

وقوله: ﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ﴾ «١٧١»

فهم الّذين قالوا بالله وبعيسى وبمريم، فقال الله: ﴿انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾.(٢)

وقوله: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ﴾ «١٧٢»

أي لا يأنف أن يكون عبداً لله ﴿وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً﴾.(٣)

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ «١٧٤»

فالنور إمامة عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

ثمّ قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ «١٧٥»

وهم الّذين تمسّكوا بولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام.(٤)

---

(١) عنه البحار: ٩٣/٣٦ ح٢١، والبرهان: ٢٠٢/٢ ح١، و٢٠٣ ح٣، ونور الثقلين: ١٧٧/٢ ح٦٨٤.

(٢) عنه البرهان: ٢٠٣/٢ ح١.　　(٣) عنه البرهان: ٢٠٤/٢ ح١.

(٤) عنه البحار: ٢٧/٦٧ س١٦ (قطعة)، والبرهان: ٢٠٤/٢ ح٢، ونور الثقلين: ١٨١/٢ ح٦٩٩.

وقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ «١٧٦»

٣٤ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن بكير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا مات الرجل وله أُخت، تأخذ نصف ما ترك من الميراث بالآية، كما تأخذ البنت[1] لو كانت، والنصف الباقي يرد عليها بالرحم، إذا لم يكن للميّت وارث أقرب منها.

فإن كان موضع الأُخت أخ أخذ الميراث كلّه بالآية لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾

فإن كانتا أُختين أخذتا الثلثين بالآية، والثلث الباقي بالرحم،

وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ وذلك كلّه إذا لم يكن للميّت ولد، أو أبوان أو زوجة.[2]

■ □ ■ □

(١) «الابنة» البحار.

(٢) عنه البحار: ٣٤١/١٠٤ ح ٢، والبرهان: ٢٠٥/٢ ح ١، ونور الثقلين: ١٨٢/٢ ح ٧٠٤، والوسائل: ٤٨٠/١٧ ح ٥.

سُورَةُ المَائِدَة

نزلت بالمدينة وهي مائة وعشرون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ «١»

١ـ فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: ﴿أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ قال: أي بالعهود.(١)

٢ـ وأخبرنا الحسين بن محمّد بن عامر، عن المعلّى بن محمّد البصريّ، عن ابن أبي عمير(٢)، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عقد عليهم لعليّ عليه السلام بالخلافة في عشرة مواطن، ثمّ أنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ الّتي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام.(٣)

وقال عليّ بن إبراهيم، في قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ قال: الجنين في بطن اُمّه إذا أوبر وأشعر، فذكاته ذكاة اُمّه، فذلك الّذي عناه الله.(٤)

وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ دليل على أنّ غير الأنعام محرّم.

---

(١) عنه البرهان: ٢/٢١٦ ح٨، ونور الثقلين: ٢/١٨٦ ح٨.

(٢) «ابن عمر» البحار.

(٣) عنه البحار: ٣٦/٩٢ ح٢٠، والبرهان: ٢/٢١٦ ح٩، ونور الثقلين: ٢/١٨٦ ح ٩.

(٤) عنه البحار: ٦٦/٢٩ ح٤، والبرهان: ٢/٢١٧ ح٧، ومستدرك الوسائل: ١٦/١٤٠ ح٤، وأورده العيّاشي في تفسيره: ٢/٥ ح١١ بإسناده عن الصادق عليه السلام (مثله)، عنه الوسائل: ١٦/٢٧١ ح١١، والبحار: ٦٦/٣٠ ح٧، ورواه الشيخ رحمه الله في التهذيب: ٩/٥٨ ح٢٤٤، والكليني رحمه الله في الكافي: ٦/٢٣٤ ح١ بإسنادهما عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام (مثله).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ «٢»

الشعائر: الإحرام والطواف والصلاة في مقام إبراهيم، والسعي بين الصفا والمروة، ومناسك الحجّ كلّها من شعائر الله، ومن الشعائر إذا ساق الرجل بدنة في الحجّ ثمّ أشعرها ـ أي قطع سنامها ـ أو جلّلها أو قلّدها، ليعلم الناس أنّها هديٌ، فلا يتعرّض لها أحد، وإنّما سمّيت الشعائر ليشعر الناس بها فيعرفونها.

قوله: ﴿وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ وهو ذو الحجّة، وهو من الأشهر الحرم.

قوله: ﴿وَلاَ الْهَدْيَ﴾ وهو الّذي يسوقه إذا أحرم المحرم.

قوله: ﴿وَلاَ الْقَلآئِدَ﴾ قال: يقلّدها النعل الّذي قد صلّى فيه.

قوله: ﴿وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ قال: الّذين يحجّون البيت الحرام.[١]

قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾ فأحلّ لهم الصيد بعد تحريمه إذا أحلّوا.[٢]

قوله: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُواْ﴾ أي لا تحملنّكم عداوة قريش أن صدّوكم عن المسجد الحرام في غزوة الحديبيّة أن تعتدوا عليهم وتظلموهم. ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾،

ثمّ نُسِخت هذه الآية بقوله: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٣].[٤]

وأمّا قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ «٣»

فالميتة والدم ولحم الخنزير معروف، ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ ـ يعني ما ذبح للأصنام ـ

---

(١) عنه البحار: ٩٩/١٠٢ ح ٤ (قطعة)، والبرهان: ٢/٢١٨ ح ١، ونور الثقلين: ٢/١٨٧ ح ١٤ (قطعة).

(٢) عنه البرهان: ٢/٢١٩ ح ٥. (٣) التوبة: ٥. (٤) عنه البرهان: ٢/٢١٩ ح ٦.

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ فإنّ المجوس كانوا لا يأكلون الذبائح، ويأكلون الميتة، وكانوا يخنقون البقر والغنم، فإذا ماتت أكلوها ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ كانوا يشدّون عينيها وأرجلها ويضربونها حتّى تموت، فإذا ماتت أكلوها.

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ كانوا يشدّون عينها ويلقونها من السطح، فإذا ماتت أكلوها.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ كانوا يتناطحون[1] بالكباش، فإذا مات أحدهما أكلوه.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ فكانوا يأكلون ما يأكله الذئب والأسد والدبّ! فحرّم الله ذلك ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ كانوا يذبحون لبيوت النيران، وقريش كانوا يعبدون الشجر والصخر فيذبحون لها ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ قال: كانوا يعمدون إلى الجزور فيُجزّئونه عشرة أجزاء، ثمّ يجتمعون عليه، فيخرجون السهام ويدفعونها إلى رجل، والسهام عشرة: سبعة لها أنصباء، وثلاثة لا أنصباء لها؛

فالّتي لها أنصباء: الفذّ، والتوأم، والمُسبِل، والنافس، والحِلْس، والرقيب، والمعلّى، فالفذّ له سهم، والتوأم له سهمان، والمُسبِل له ثلاثة أسهم، والنافس له أربعة أسهم، والحِلْس له خمسة أسهم، والرقيب له ستّة أسهم، والمعلّى له سبعة أسهم، والّتي لا أنصباء لها: السفح والمنيح، والوغد، وثمن الجزور على ما لم يخرج له الأنصباء شيئاً، وهو القمار، فحرّمه الله عزّ وجلّ.[2]

قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ دِينِكُمْ...﴾ «٣»

قال: ذلك لمّا نزلت ولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه.[3]

---

(١): نطحه كمنعه وضربه، أصابه بقرنه (القاموس المحيط: ١/٢٥٣).

(٢) عنه البحار: ١٠٣/١٨٩ ح ٢ (قطعة)، وج ٦٥/٣١٩ ح ١٩، وج ٧٩/٢٣٢ ح ٦ عنه وعن الخصال: ٤٥١ ح ٥٧ (بإسناده عن أحمد بن زياد والحسين بن إبراهيم وعليّ بن عبدالله الورّاق وحمزة بن محمّد العلوي جميعاً، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمّد بن زياد الأزدي، وأحمد بن محمّد البزنطي معاً عن أبان بن عثمان، عن أبان ابن تغلب، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام (مثله)، عنه البرهان: ٢/٢٢١ ح ٢، ونور الثقلين: ٢/١٩٠ ح ١٩، والوسائل: ١٦/٢٧٣ ح ٧.

(٣) عنه البرهان: ٢/٢٢٣ ح ١، ونور الثقلين: ٢/١٩١ ح ٢٣.

أمّا قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾

٣ـ فإنّه حدّثني أبي، عن صفوان بن يحيى، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: آخر فريضة أنزلها الله الولاية، ثمّ لم ينزل بعدها فريضة، ثمّ [أ]نزل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بكراع الغميم.(١)

فأقامها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجحفة(٢)، فلم ينزل بعدها فريضة.(٣)

قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ فهو رخصة للمضطرّ أن يأكل الميتة والدم، ولحم الخنزير. والمخمصة: الجوع.(٤)

٤ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾: قال: يقول: غير متعمّد لإثم.(٥)

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾: أي غير مائل إلى الإثم.

فلا يأكل الميتة إذا اضطرّ إليها، إذا كان في سفر غير حقّ، وكذلك إن كان في قطع الطريق أو ظلم أو جور.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾ «٤»

وهو صيد الكلاب المعلّمة خاصّة، أحلّه الله إذا أدركته وقتلته، لقوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

٥ـ أخبرني أبي، عن فضالة بن أيّوب، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود

---

(١): موضع بناحية الحجاز بين مكّة والمدينة، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال. (معجم البلدان: ٤/٤٤٣).

(٢): قرية كبيرة على طريق المدينة من مكّة، بينها وبين غديرخمّ ميلان. (معجم البلدان: ٢/١١١).

(٣) عنه البحار: ٣٧/١١٢ ح ٥، والبرهان: ٢/٢٢٣ ح ١، ونور الثقلين: ٢/١٩٢ ح ٢٧، وغاية المرام: ٣/٣٣٢ ح ١.

(٤) عنه البرهان: ٢/٢٤٧ ح ١. (٥) عنه البرهان: ٢/٢٤٧ ح ٢.

والكلاب، قال: لا تأكلوا إلّا ما ذكّيتم إلّا الكلاب. قلت: فإن قتله؟ قال: كل، فإنّ الله يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾. ثمّ قال عليه السلام: كلّ شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها، إلّا الكلاب المعلّمة، فإنّها تمسك على صاحبها.

[و]قال: إذا أرسلت الكلب المعلّم، فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته.(١)

قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ... وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ «٥»

قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ قال: عنى بطعامهم [هٰهنا] الحبوب والفاكهة غير الذبائح الّتي يذبحونها، فإنّهم لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم. ثمّ قال: والله ما استحلّوا ذبائحكم، فكيف تستحلّون ذبائحهم؟!.(٢)

وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فقد أحلّ الله نكاح أهل الكتاب بعد تحريمه في قوله في سورة البقرة: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾(٣) وإنّما يحلّ نكاح أهل الكتاب الّذين يؤدّون الجزية على ما يجب،

فأمّا إذا كانوا في دار الشرك ولم يؤدّوا الجزية، لم يحلّ مناكحتهم.(٤)

قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ قال: من آمن ثمّ أطاع أهل الشرك، فقد حَبِطَ عمله وكفر بالإيمان ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.(٥)

---

(١) عنه البحار: ٢٨٥/٦٥ ح٣٩، والبرهان: ٢٤٨/٢ ح٥، ونور الثقلين: ١٩٧/٢ صدر ح٤٧.

(٢) عنه البحار: ٢١/٦٦ ح١١، والوسائل: ٢٩١/١٦ ح٤٦، ونور الثقلين: ١٩٧/٢ ذح٤٧، وص٣٩٣ ح٢٦٠.

(٣) البقرة: ٢٢١.

(٤) عنه البحار: ٣٨١/١٠٣ ح٢٦.

(٥) عنه البرهان: ٢٥٥/٢ ح١٠، ونور الثقلين: ٢٠١/٢ ح٦٩.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ «٦»

يعني من المرفق، وهو محكم.

وقوله: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ «٧»

قال: لمّا أخذ رسول الله ﷺ الميثاق عليهم بالولاية، قالوا: سمعنا وأطعنا. ثمّ نقضوا ميثاقهم!.(١)

وقوله: ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ «١١»

يعني أهل مكّة من قبل أن يفتحها، فكفّ أيديهم بالصلح يوم الحديبيّة.(٢)

وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ...﴾ «١٣»

يعني نقض عهد أميرالمؤمنين عليه السلام. ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ﴾ قال: من نحّى أمير المؤمنين عليه السلام عن موضعه. والدليل على ذلك أنّ الكلمة(٣) أمير المؤمنين عليه السلام. قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾(٤) يعني [به] الإمامة.(٥)

قوله: ﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾

قال: منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(٦).(٧)

---

(١) عنه البحار: ٣٧٠/٢٣ ح٤٦، وج٣٥١/٦٩ س١٤، والبرهان: ٢٦٢/٢ ح١، ونور الثقلين: ٢٠٦/٢ ح٨٦.

(٢) عنه البحار: ٥١/١٨ ح١، وج٣٥٢/٦٩ س١، والبرهان: ٢٦٢/٢ ح٣.

(٣) «على أنّ الكلم» البرهان. (٤) الزخرف: ٢٨.

(٥) عنه البرهان: ٢٦٣/٢ ح١، ونور الثقلين: ٢٠٧/٢ صدر ح ٨٩. (٦) التوبة: ٥.

(٧) عنه البرهان: ٢٦٣/٢ ح١، ونورالثقلين: ٢٠٧/٢ ذح٨٩.

قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ «١٤»

٦ ـ قال عليّ عليه السلام: إنّ عيسى بن مريم عبد مخلوق، فجعلوه ربّاً ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾.[1]

قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ «١٥»

قال: يبيّن لكم النبيّ صلى الله عليه وآله ما أخفيتموه ممّا في التوراة من أخباره، ويدع كثيراً لا يبيّنه.[2]

﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ يعني بالنور: النبيّ وأميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام.[3]

قوله: ﴿قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ...﴾ «١٩»

مخاطبة لأهل الكتاب يبيّن لكم. ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ قال: على إنقطاع من الرُّسل. ثمّ احتجّ عليهم، فقال: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ أي لئلّا تقولوا: ﴿مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[4]

قوله: ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً﴾ «٢٠»

يعني في بني إسرائيل، لم يجمع الله لهم النبوّة والملك في بيت واحد، ثمّ جمع ذلك لنبيّه صلى الله عليه وآله.[5]

---

(١) عنه البحار: ١٩٧/٩ صدر ح٤٨، والبرهان: ٢٦٤/٢ ح١.

(٢) عنه البحار: ١٩٧/٩ ضمن ح٤٨، وج٢٠٤/١٧ ح٤، والبرهان: ٢٦٤/٢ ح١، ونور الثقلين: ٢٠٨/٢ صدر ح٩١.

(٣) عنه البحار: ١٩٧/٩ ضمن ح٤٨، والبرهان: ٢٦٤/٢ ح١، ونور الثقلين: ٢٠٨/٢ ذح٩١.

(٤) عنه البحار: ١٩٧/٩ ضمن ح٤٨، والبرهان: ٢٦٥/٢ ح١.

(٥) عنه البحار: ١٩٨/٩ ذح٤٨، وج١٧٤/١٣ ح١، والبرهان: ٢٦٥/٢ ح١، ونور الثقلين: ٢٠٨/٢ ح٩١.

وقوله: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ
ـ إلى قوله ـ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ «٢١»

[قال:] فإنّ ذلك نزل لمّا قالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾.[1]

فقال لهم موسى ﷺ: ﴿اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[2]. فقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

فنصف الآية هاهنا، ونصفها في سورة البقرة.

فلمّا قالوا لموسى ﷺ: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾، قال لهم موسى ﷺ: لا بدّ أن تدخلوها! فقالوا له: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فأخذ موسى ﷺ بيد هارون، وقال كما حكى الله:

﴿إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ يعني هارون ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

فقال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾

يعني مصر، لن يدخلوها أربعين سنة ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

فلمّا أراد موسى أن يفارقهم فزعوا، وقالوا: إن خرج موسى من بيننا نزل علينا العذاب. ففزعوا إليه وسألوه أن يقيم معهم، ويسأل الله تعالى أن يتوب عليهم، فأوحى الله إليه: قد تبت عليهم على أن يدخلوا مصر، وحرّمتها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، عقوبة لقولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾.

فدخلوا كلّهم في[3] التيه إلّا قارون، فكانوا يقومون في أوّل الليل ويأخذون في قراءة التوراة، فإذا أصبحوا على باب مصر، دارت بهم الأرض فردّتهم إلى مكانهم! وكان بينهم وبين مصر أربعة فراسخ، فبقوا في ذلك أربعين سنة.

فمات هارون وموسى في التيه، ودخلها أبناؤهم وأبناء أبنائهم.

وروي أنّ الّذي حفر قبر موسى ملك الموت في صورة آدميّ، ولذلك لا يعرف

(١ و٢) البقرة: ٦١. (٣) «في التوبة والتيه» البحار.

بنو إسرائيل قبر موسى، وسُئِل النبيّ ﷺ عن قبره، فقال: عند الطريق الأعظم عند الكثيب الأحمر. قال: وكان بين موسى وداود خمسمائة سنة، وبين داود وعيسى ألف ومائة سنة.[١]

قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ - إلى قوله - فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ «٢٧ ـ ٣١»

٧ـ قال: فإنّه حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة الثمالي، عن ثوير بن أبي فاختة، قال:

سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلاً من قريش، قال:

لمّا قرّب ابنا آدم القربان، قرّب أحدهما أسمن كبش كان في ظأنه، وقرّب الآخر ضغثاً من سنبل فتقبّل من صاحب الكبش وهو «هابيل» ولم يتقبّل من الآخر

فغضب «قابيل» فقال لهابيل: والله لأقتلنّك! فقال هابيل:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾

فلم يدرِ كيف يقتُله، حتّى جاء إبليس فعلّمه، فقال: ضع رأسه بين حجرين، ثمّ اشدخه! فلمّا قتله لم يدرِ ما يصنع به، فجاء غرابان[٢] فأقبلا يتضاربان حتّى قتل أحدهما صاحبه، ثمّ حفر الّذي بقي الأرضَ بمخالبه، ودفن فيها صاحبه!

قال قابيل: ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ فحفر له حفيرة ودفنه فيها، فصارت سنّة يدفنون الموتى.

---

(١) عنه البحار: ١٧٥/١٣ ح٣، و٣٦٣ ح١ (ذيله)، والبرهان: ٢٧٠/٢ ح١٢.

(٢) «فبعث الله غرابين» خ.

فرجع قابيل إلى أبيه فلم يرَ معه هابيل، فقال له آدم عليه السلام: أين تركت ابني؟ قال له قابيل: أرسلتني عليه راعياً؟ فقال آدم: انطلق معي إلى مكان القربان. وأوجس[١] قلب آدم بالّذي فعل قابيل، فلمّا بلغ مكان القربان استبان قتله.

فلعن آدم الأرض الّتي قبلت دم هابيل، وأُمر آدم أن يلعن قابيل، ونودي قابيل من السماء: «لُعِنت[٢] كما قتلت أخاك» ولذلك لا تشرب الأرض الدم! فانصرف آدم، فبكى على هابيل أربعين يوماً وليلة، فلمّا جزع عليه شكى ذلك إلى الله تعالى؛ فأوحى الله إليه: «أنّي واهب لك ذكراً يكون خلفاً من هابيل».

فولدت حوّاء غلاماً زكيّاً مباركاً، فلمّا كان اليوم السابع أوحى الله إليه: «يا آدم! إنّ هذا الغلام هبة منّي لك، فسمّه هبة الله» فسمّاه آدم: هبة الله.[٣]

٨ـ قال: وحدّثني أبي، عن عثمان بن عيسى، عن أبي أيّوب، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كنت جالساً معه في المسجد الحرام، فإذا طاووس في جانب الحرم يحدّث أصحابه حتّى قال: أتدري أيّ يوم قُتل نصفُ الناس؟

فأجابه أبو جعفر عليه السلام فقال: أو ربع الناس يا طاووس؟ فقال: أو ربع الناس. فقال: أتدري ما صنع بالقاتل؟ فقلت: إنّ هذه لمسألة. فلمّا كان من الغد غدوت إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام فوجدته قد لبس ثيابه وهو قاعد على الباب ينتظر الغلام أن يسرج له، فاستقبلني بالحديث قبل أن أسأله، فقال:

إنّ بالهند أو من وراء الهند رجلاً معقولاً[٤] برجله ـ أي واحدة ـ لبس المسح[٥] موكّل به عشرة نفر، كلّما مات رجل منهم أخرج أهل القرية بدله، فالناس يموتون والعشرة لا ينقصون، يستقبلون بوجهه الشمس حين تطلع، ويديرونه معها حتّى

---

(١) توجّس بالشيء: أحسّ به (النهاية: ٥/١٥٦). (٢) «تعست» البرهان.

(٣) عنه البحار: ١١/٢٣٠ ح٨، والبرهان: ٢/٢٧٣ ح٤، ونورالثقلين: ٢/٢٢٣ ح١٤٠.

(٤): أي مشدوداً.

(٥) المسح ـ بالكسر فالسكون ـ واحد المسوح وهو كساء معروف (مجمع البحرين: ٣/٦٩٥).

تغيب، ثمّ يصبّون عليه في البرد الماء البارد، وفي الحرّ الماء الحار! قال: فمرّ به رجل من الناس، فقال له: من أنت يا عبد الله؟

فرفع رأسه ونظر إليه، ثمّ قال له: إمّا أن تكون أحمق الناس، وإمّا أن تكون أعقل الناس، إنّي لقائم هاهنا منذ قامت الدنيا، ما سألني أحد غيرك من أنت؟!

ثمّ قال: يزعمون أنّه ابن آدم.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ «٣٢»

فلفظ الآية خاصّ في بني إسرائيل، ومعناها عامّ جار في الناس كلّهم.[(١)]

وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ قال:

من أنقذها من حرق، أو غرق، أو هدم، أو سبع، أو كفّله حتّى يستغني، أو أخرجه من فقر إلى غنى، وأفضل من ذلك أن أخرجه من ضلال إلى هدى.

وقوله: ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ قال: يكون مكانه كمن أحيا الناس جميعاً.[(٢)]

وأمّا قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ «٣٣»

٩ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن عليّ بن حسّان، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

من حارب الله وأخذ المال وقتل، كان عليه أن يُقتل ويُصلب.

---

(١) عنه البحار: ٢٣١/١١ ح٩، والبرهان: ٢٧٤/٢ ح٥، ونور الثقلين: ٢٢٤/٢ ح١٤١.

(٢) عنه نور الثقلين: ٢٢٦/٢ ح١٤٧.

ومن حارب فقتل ولم يأخذ المال، كان عليه أن يُقتل ولا يصلب.

ومن حارب فأخذ المال ولم يقتل، كان عليه أن تقطّع يده ورجله من خلاف.

ومن حارب ولم يأخذ المال ولم يقتل، كان عليه أن يُنفى.

ثمّ استثنى عزّ وجلّ، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني يتوب من قبل أن يأخذه الإمام.[1]

قوله: ﴿اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ «٣٥»

قال: تقرّبوا إليه بالإمام.[2]

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ـ إلى قوله ـ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٣٦ـ٤٠»

فإنّه محكم.

وأمّا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ «٤١»

فإنّه كان سبب نزولها أنّه كان في المدينة بطنان من اليهود من بني هارون وهم: «النضير»[3] و«قريظة»، وكانت قريظة سبعمائة والنضير ألفاً، وكانت النضير أكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة، وكانوا حلفاء لعبدالله بن أُبيّ؛ فكان إذا وقع بين

---

(١) عنه البحار: ١٩٤/٧٩ ح١، والبرهان: ٢٨٨/٢ ح١١، ونور الثقلين: ٢٣٣/٢ ح١٧٣، والوسائل: ٥٣٦/١٨ ح١١.

(٢) عنه البحار: ٢٧١/٧٠ س١٣، والبرهان: ٢٩٢/٢ ح١، ونور الثقلين: ٢٣٥/٢ ح١٧٩.

(٣) «وهم بنو النضير» البرهان.

قريظة والنضير قتل، وكان القتيل[١] من بني النضير، قالوا لبني قريظة: لا نرضى أن يكون قتيل منّا بقتيل منكم! فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة، حتّى كادوا أن يقتتلوا حتّى رضيت قريظة، وكتبوا بينهم كتاباً على أنّه:

أيّ رجل من اليهود من النضير قتل رجلاً من بني قريظة أن يجنّيه ويحمّم ـ والتجنية أن يقعد على جمل ويولّى وجهه إلى ذنب الجمل، ويلطّخ وجهه بالحمأة[٢] ـ ويدفع نصف الديّة، وأيّما رجل من بني قريظة قتل رجلاً من بني النضير أن يدفع إليه الديّة كاملة ويقتل به!

فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ودخل الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود، فقتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير؛

فبعث إليهم بنو النضير، ابعثوا إلينا بدية المقتول وبالقاتل حتّى نقتله!

فقالت قريظة: ليس هذا حكم التوراة، وإنّما هو شيء غلبتمونا عليه؛

فإمّا الديّة وإمّا القتل، وإلّا فهذا محمّد بيننا وبينكم، فهلمّوا لنتحاكم إليه.

فمشت بنو النضير إلى عبدالله بن أُبيّ، وقالوا: سل محمّداً أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الّذي بيننا وبين بني قريظة في القتل!

فقال عبدالله بن أُبيّ: ابعثوا معي رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون، وإلّا فلا ترضوا به. فبعثوا معه رجلاً فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له:

يا رسول الله! إنّ هؤلاء القوم «قريظة والنضير» قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً وثيقاً تراضوا به، والآن في قدومك يريدون نقضه، وقد رضوا بحكمك فيهم، فلا تنقض عليهم كتابهم وشرطهم، فإنّ بني النضير لهم القوّة والسلاح والكراع، ونحن نخاف الغوائل والدوائر!

فاغتمّ لذلك رسول الله ﷺ ولم يجبه بشيء، فنزل عليه جبرئيل بهذه الآيات:

---

(١) «القاتل» البرهان.

(٢): الطين الأسود المتغير (مجمع البحرين: ١/٥٠).

﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ ـ يعني اليهود ـ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ـ يعني عبد الله بن أُبيّ وبني النضير ـ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ ـ يعني عبد الله بن أُبيّ حيث قال لبني النضير: إن لم يحكم لكم بما تريدونه فلا تقبلوا ـ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَآؤُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ـ إلى قوله ـ وَمَنْ لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.[١]

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا ـ يعني في التوراة ـ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ «٤٥»

فهي منسوخة بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾[٢] وقوله: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ لم تنسخ.[٣]

ثمّ قال: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ ـ أي عفى ـ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾.

وقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ـ إلى قوله ـ نَادِمِينَ﴾ «٤٨ ـ ٥٢»

قال: لكلّ نبيّ شريعة وطريق. ﴿وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم﴾ أي يختبركم.[٤]

ثمّ قال الله لنبيّه: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ وهو قول عبدالله بن أُبيّ لرسول الله ﷺ: لا تنقض حكم بني النضير، فإنّا

---

(١) عنه البحار: ٢٠/١٦٦ ح٣، والبرهان: ٢/٢٩٨ ح١، ونور الثقلين: ٢/٢٤٠ ح١٩٣.

(٢) البقرة: ١٧٨. (٣) عنه مستدرك الوسائل: ١٨/٢٤٠ ح٤.

(٤) عنه البحار: ٢٢/٦٥ ح٦، والبرهان: ٢/٣١٢ ح١، ونور الثقلين: ٢/٢٥٠ ح٢٣٧.

نخاف الدوائر! فقال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.(١)

وأمّا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ـ قال: هو مذلة لأصحاب رسول الله ﷺ ـ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ «٥٤»

قال: هو مخاطبة لأصحاب رسول الله ﷺ الّذين غصبوا آل محمّد ﷺ حقّهم وارتدّوا عن دين الله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾.(٢)

قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ «٥٥»

١٠ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن صفوان، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده قوم من اليهود، فيهم «عبد الله بن سلام» إذ نزلت عليه هذه الآية؛ فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فاستقبله سائل، فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم، ذاك المصلّي.

فجاء رسول الله ﷺ فإذا هو عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.(٣)

---

(١) عنه البحار: ١٦٨/٢٠ ذح٣، والبرهان: ٣١٣/٢ ح١.

(٢) عنه البحار: ٥٧٧/٣١ ح٧، وج٣٥٢/٦٩ س٩، والبرهان: ٣١٥/٢ ح٧، ونورالثقلين: ٢٥٢/٢ ح٢٤٧، وغاية المرام: ١١٣/٤ ح٣، وتأويل الآيات: ١٥٠/١ ح٨ (قطعة).

(٣) عنه البحار: ١٨٦/٣٥ ح٥، والبرهان: ٣١٨/٢ ح٧، ونور الثقلين: ٢٥٧/٢ ح٢٦٣، والوسائل: ٣٣٤/٦ ح٣، وإثبات الهداة: ٥٥٢/٣ ح٦١٠.

قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ آمَنَّا﴾ «٦١»

قال: نزلت في عبد الله بن اُبيّ لمّا أظهر الإسلام. ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ﴾ قال: و [قد] خرجوا به من الإيمان.(١)

وقوله: ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ «٦٢»

قال: السُّحت، هو بين الحلال والحرام، وهو أن يؤاجر الرجل نفسه على حمل المسكر(٢)، ولحم الخنزير، واتّخاذ الملاهي، فإجارته نفسه حلال، ومن جهة ما يحمل ويعلم هو سحت.(٣)

١١ـ وحدّثني أبي، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من السُّحت ثمن الميتة، وثمن الكلب، ومهر البغي والرشوة في الحكم، وأجر الكاهن.(٤)

قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ـ إلى قوله ـ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً...﴾ «٦٤»

قال: قالوا: قد فرغ الله من الأمر، لا يحدث الله غير ما قدّره في التقدير الأوّل. فردّ الله عليهم، فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي يقدّم ويؤخّر، ويزيد وينقص، وله البداء والمشيئة.(٥)

قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ قال:

---

(١) عنه البحار: ٦٥/٢٢ ح٧، والبرهان: ٣٢٩/٢ ح١، ونورالثقلين: ٢٦١/٢ ح٢٧٣.

(٢) «النبيذ» خ.

(٣) عنه البحار: ٢٥٠/٧٩ ح٣، والبرهان: ٣٢٩/٢ ح١.

(٤) عنه البحار: ٤٢/١٠٣ ح١، والبرهان: ٣٢٩/٢ ح٢، الخصال: ٣٢٩ ح٢٥، عنهما الوسائل: ٦٢/١٢ ح٥.

(٥) عنه البحار: ٩٨/٤ ح٦ وج ١٩٩/٩ صدر ح ٥٤، والبرهان: ٣٣١/٢ ح٧.

كلّما أراد جبّار من الجبابرة هلاك آل محمّد عليهم السلام قصمه الله.(١)

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ - يعني اليهود والنصارى - لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ «٦٦»

قال: من فوقهم المطر، ومن تحت أرجلهم النبات.(٢)

قوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ قال:

قوم من اليهود دخلوا في الإسلام، فسمّاهم الله مقتصدة.(٣)

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ - قال: نزلت هذه الآية في عليّ عليه السلام - وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ «٦٧»

قال: نزلت هذه الآية في منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع، وحجّ رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينة؛

وكان من قوله [في خطبته] بمنى أن حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه عنّي، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا. ثمّ قال: هل تعلمون أيّ يوم أعظم حرمة؟ قال الناس: هذا اليوم.

قال: فأيّ شهر؟ قال الناس: هذا. قال صلى الله عليه وآله: وأيّ بلد أعظم حرمة؟ قالوا: بلدنا هذا. قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربّكم، فيسألكم عن أعمالكم.

ألا هل بلّغت أيّها الناس؟ قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد.

---

(١) عنه البرهان: ٢/٣٣٢ ح١، ونور الثقلين: ٢/٢٦٤ صدر ح٢٨٦.

(٢) عنه البحار: ٩/١٩٩ ضمن ح ٥٤، وج٢٢/٦٥ ح٨ وج٦٧/٢٨ سطر آخر، والبرهان: ٢/٣٣٣ ح ٤، ونور الثقلين: ٢/٢٦٤ ذح٢٨٦.

(٣) عنه البحار: ٩/١٩٩ ذح ٥٤، ونور الثقلين: ٢/٢٦٤ ح ٢٨٩.

ثمّ قال ﷺ: ألا وكلّ مأثرة أو بدعة كانت في الجاهليّة، أو دم، أو مـال فـهو[١] تحت قدميّ هاتين، ليس أحد أكرم من أحد إلّا بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد. ثمّ قال: ألا وكلّ رِباً كان في الجاهليّة فـهو مـوضوع، وأوّل موضوع منه رِبَا «العبّاس بن عبد المطّلب» ألا وكـلّ دم كـان فـي الجـاهليّة فـهو موضوع، وأوّل موضوع منه دم «ربيعة» ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: ألا وإنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد بـأرضكم هـذه، ولكـنّه راض بـما تحتقرون من أعمالكم، ألا وإنّه إذا أُطيع فقد عُبِدَ.

ألا أيّها الناس إنّ المسلم أخو المسلم حقّاً، لا يحلّ لامرئ مسلم دم امرئ مسلم وماله إلّا ما أعطاه بطيبة نفس منه، وإنّي أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا: «لا إله إلّا الله» فإذا قالوها فقد عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها، وحسابهم على الله، ألا هل بلّغت أيّها الناس؟ قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: أيّها الناس احفظوا قولي تنتفعوا به بعدي، وافهموه[٢] تنعشوا؛

ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا،

فإن أنتم فعلتم ذلك، ولتفعلنّ، لتجدوني في كـتيبة بـين جـبرئيل وميكائيل، أضرب وجوهكم بالسيف، ثمّ التفت عن يمينه فسكت ساعة، ثمّ قال: إن شاء الله أو عليّ بن أبي طالب. ثمّ قال: ألا وإنّي قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا، ومن خالفهما فقد هلك، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: ألا وإنّه سيرد عليّ الحوض منكم رجال فيدفعون عنّي، فـأقول: ربّ أصحابي! فيقال: يا محمّد، إنّهم أحدثوا بعدك، وغيّروا سنّتك!

---

(١) «فإنّها» البحار.   (٢) «وافقهوه» البحار.

فأقول: سحقاً سحقاً. فلمّا كان آخر يوم من أيّام التشريق، أنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١)

فقال رسول الله ﷺ: نعيت إليَّ نفسي! ثمّ نادى: الصلاة جامعة في مسجد الخيف، فاجتمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

نضّر(٢) الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه؛

ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرءٍ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمّة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعوتهم(٣) محيطة من ورائهم، المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

أيّها الناس، إنّي تارك فيكم الثقلين. قالوا: يا رسول الله! وما الثقلان؟

فقال: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض كإصبعيّ هاتين ـ وجمع بين سبّابتيه ـ ولا أقول كهاتين ـ وجمع سبّابته والوسطى ـ فتفضّل هذه على هذه.

فاجتمع قوم من أصحابه، وقالوا: يريد محمّد أن يجعل الإمامة في أهل بيته!

فخرج أربعة نفر منهم إلى مكّة، ودخلوا الكعبة، وتعاهدوا وتعاقدوا، وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمّد أو قتل، أن لا يردّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً!

فأنزل الله على نبيّه في ذلك: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(٤) فخرج رسول الله ﷺ من مكّة يريد المدينة، حتّى نزل منزلاً يقال له: «غدير خمّ» وقد علّم الناس مناسكهم، وأوعز إليهم وصيّته

---

(١) النصر: ١.

(٢) أي نعّمه، ويروي بالتخفيف والتشديد من النضارة وهي في الأصل: حُسن الوجه والبريق وإنّما أراد حسّن خُلُقه وقدره (النهاية: ٥/ ٧١).

(٣) «دعوته» خ.

(٤) الزخرف: ٧٩ و ٨٠.

إذ نزل عليه جبرئيل بهذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

فقام رسول الله ﷺ فقال بعد أن حمد الله[١] وأثنى عليه، ثمّ قال:

يا أيّها الناس، هل تعلمون من وليّكم؟ فقالوا: نعم، الله ورسوله. قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. قال: اللّهمّ اشهد. فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً، كلّ ذلك يقول مثل قوله الأوّل، ويقول الناس كذلك، ويقول: اللّهمّ اشهد.

ثمّ أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها حتّى بدا للناس بياض إبطيهما، ثمّ قال:

«ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه».

ثمّ رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللّهمّ اشهد عليهم وأنا من الشاهدين. فاستفهمه عمر فقام من بين أصحابه فقال: يا رسول الله! هذا من الله ومن رسوله؟

فقال رسول الله ﷺ: نعم، من الله ومن رسوله، إنّه أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، يقعده الله يوم القيامة على الصراط، فيدخل أولياءه الجنّة وأعداءه النار.

فقال أصحابه الّذين ارتدّوا بعده: قد قال محمّد ﷺ في مسجد الخيف ما قال، وقال هاهنا ما قال، وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له.

فاجتمعوا أربعة عشر نفراً وتآمروا على قتل رسول الله ﷺ، وقعدوا له في العقبة، وهي عقبة هَرْشى[٢] بين الجحفة والأبواء[٣]، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة، وسبعة عن يسارها لينفّروا ناقة رسول الله ﷺ، فلمّا جنّ اللّيل تقدّم

(١) «فقال: تهديد ووعيد، فحمد الله» البحار.

(٢): ثنيّة في طريق مكّة قرب الجحفة يُرى منها البحر (معجم البلدان: ٥/٣٩٧).

(٣) بينها وبين الجحفة ممّا يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً (معجم البلدان: ١/٧٩).

رسول الله ﷺ في تلك الليلة العسكر، فأقبل ينعس على ناقته. فلمّا دنا من العقبة ناداه جبرئيل: يا محمّد، إنّ فلاناً وفلاناً وفلاناً قد قعدوا لك!

فنظر رسول الله ﷺ فقال: من هذا خلفي؟ فقال حذيفة بن اليمان: أنا حذيفة بن اليمان، يا رسول الله. قال: سمعت ما سمعت؟ قال: بلى. قال: فاكتم. ثمّ دنا رسول الله ﷺ منهم فناداهم بأسمائهم!

فلمّا سمعوا نداء رسول الله ﷺ فرّوا ودخلوا في غمار الناس، وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها، فلحق الناس برسول الله ﷺ وطلبوهم، وانتهى رسول الله ﷺ إلى رواحلهم فعرفهم.

فلمّا نزل قال: ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة، إن مات محمّد أو قُتل ألّا يردّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً؟! فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فحلفوا أنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً ولم يريدوه، ولم يهمّوا بشيء في رسول الله ﷺ! فأنزل الله:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ ـ أن لا يردّوا هذا الأمر في أهل بيت رسول الله ﷺ ـ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ـ من قتل رسول الله ﷺ ـ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾(١)

فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.وبقي بها المحرّم والنصف من صفر لايشتكي شيئاً، ثمّ ابتدأ به الوجع الّذي توفّي فيه ﷺ.(٢)

١٢ـ فحدّثني أبي، عن مسلم بن خالد، عن محمّد بن جابر، عن ابن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ لمّا رجع من حجّة الوداع: يابن مسعود، قد قرب الأجل

---

(١) التوبة: ٧٤.

(٢) عنه البحار: ١١٣/٣٧ ح٦، ونور الثقلين: ٢٦٨/٢ ح٢٩٩، الكافي: ٢٧٣/٧ ح٢ (بإسناده عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أُسامة زيد الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام)، الوسائل: ٣/١٩ ذح٣.

ونعيت إليَّ نفسي، فمن لذلك بعدي؟ فأقبلت أعدّ عليه رجلاً رجلاً رجلاً! فبكى رسول‌الله ﷺ، ثمّ قال: ثكلتك الثواكل! فأين أنت عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟! لِمَ لا تقدّمه على الخلق أجمعين؟! يابن مسعود! إنّه إذا كان يوم القيامة رفعت لهذه الأمّة أعلام، فأوّل الأعلام لوائي الأعظم مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والناس أجمعين تحت لوائه، ينادي مناد: هذا الفضل يابن أبي طالب.

﴿وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ...﴾ «٧١»

ثمّ نزل كتاب الله يخبر عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي لا يكون اختبار، ولا يمتحنهم الله بأمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ قال: حيث كان رسول الله ﷺ بين أظهرهم ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ حين قُبض رسول‌الله ﷺ ثمّ تاب الله عليهم وأقام أمير المؤمنين عليه السلام عليهم، فعموا وصمّوا فيه حتّى الساعة.[1]

ثمّ احتجّ عزّ وجلّ على النصارى في عيسى، فقال:

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾ «٧٥»

يعني كانا يُحدِثان، فكنّى الله عن الحدث، وكلّ من أكل الطعام يُحدِث.

ثمّ قال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ «٧٧»

أي لا تقولوا: إنَّ عيسى هو الله! أو ابن الله!.[2]

---

(١) عنه البحار: ٣٤٥/٣٧ ح٢، ونور الثقلين: ٢٧١/٢ ح٣٠٠، اثبات الهداة: ٥٥٣/٣ ح٦١٢، تأويل الآيات: ١٦٠/١ ح١٨ (باختلاف يسير).

(٢) عنه البرهان: ٣٤٢/٢ ح١.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ -إلى قوله- وَلَـكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ «٧٨»

١٣ـوحدّثني أبي، قال: حدّثني هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، قال: سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان، ويعملون لهم ويُحبُّونهم ويوالونهم؟

قال: ليس هم من الشيعة، ولكنّهم من أُولئك. ثمّ قرأ أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ -إلى قوله- وَلَـكِنَّ كَـثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قال: الخنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى.[1]

وقوله: ﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَـن مُّـنكَرٍ فَـعَلُوهُ لَـبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ «٧٩»

قال: كانوا يأكلون لحم الخنزير، ويشربون الخمر، ويأتون النساء أيّام حيضهنّ. ثمّ احتجّ الله على المؤمنين الموالين للكفّار

﴿تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ -إلى قوله- وَلَـكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ «٨٠-٨١»

فنهى الله عزّ وجلّ أن يوالي المؤمن الكافر إلّا عند التقيّة.[2]

---

(١) عنه البحار: ٦٣/١٤ ح٥، والبرهان: ٣٤٢/٢ ح١، ونورالثقلين: ٢٧٤/٢ ح٣٠٩، والوسائل: ١٣٨/١٢ ح١٠.

(٢) عنه البحار: ١٢٦/٧٩ ح٦ (قطعة)، والبرهان: ٣٤٤/٢ ح٧، ونور الثقلين: ٢٧٥/٢ ح٣١٤، والوسائل: ١٣٨/١٢ ذح١٠.

قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَىٰ -إلى قوله- وَذَٰلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ﴾ «٨٢ـ٨٥»

فإنّه كان سبب نزولها أنّه لمّا اشتدّت قريش في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه الّذين آمنوا به بمكّة قبل الهجرة، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر بن أبي طالب عليه السلام أن يخرج معهم، فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين، حتّى ركبوا البحر.

فلمّا بلغ قريش خروجهم، بعثوا «عمرو بن العاص» و«عمارة بن الوليد» إلى النجاشي ليردّهم إليهم، وكان عمرو وعمارة متعاديين، فقالت قريش:

كيف نبعث رجلين متعاديين؟! فبرئت بنو مخزوم من جناية عمارة، وبرئت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص، فخرج عمارة وكان حسن الوجه شابّاً مترفاً، وأخرج عمرو بن العاص أهله معه، فلمّا ركبوا السفينة شربوا الخمر؛

فقال عمارة لعمرو بن العاص: قل لأهلك تقبّلني!

فقال عمرو: أيجوز هذا سبحان الله؟! فسكت عمارة، فلمّا انتشى[1] عمرو، وكان على صدر السفينة، دفعه عمارة وألقاه في البحر، فتشبّث عمرو بصدر السفينة، فأدركوه وأخرجوه، فوردوا على النجاشي؛

وقد كانوا حملوا إليه هدايا، فقبلها منهم، فقال عمرو بن العاص: أيّها الملك، إنّ قوماً منّا خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا، وصاروا إليك، فردّهم إلينا.

فبعث النجاشي إلى جعفر فجاء، فقال: يا جعفر! ما يقول هؤلاء؟

فقال جعفر رضي الله عنه: أيّها الملك، وما يقولون؟ قال: يسألون أن أردّكم إليهم.

---

(١) نشي، ينشى، نشواً، ونشوة مثلّة: سكر (مجمع البحرين: ١٧٨٦/٣).

قال: أيّها الملك، سلهم أعبيد نحن لهم؟ فقال عمرو: لا، بل أحرار كرام.

قال: فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ فقال: لا، ما لنا عليكم ديون.

قال: فلكم في أعناقنا دماء تطالبوننا بذحول[1]؟ قال عمرو بن العاص: لا.

قال: فما تريدون منّا؟! آذيتمونا فخرجنا من بلادكم.

فقال عمرو بن العاص: أيّها الملك، خالفونا في ديننا، وسبّوا آلهتنا، وأفسدوا شبابنا، وفرّقوا جماعتنا، فردّهم إلينا لنجمع أمرنا.

فقال جعفر: نعم أيّها الملك، خالفناهم بأنّه بعث الله فينا نبيّاً أمر بخلع الأنداد، وترك الإستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرّم الظلم والجور، وسفك الدماء بغير حقّها، والزنا، والربا، والميتة، والدم [ولحم الخنزير] وأمرنا بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي.

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام، ثمّ قال النجاشي: يا جعفر هل تحفظ ممّا أنزل الله على نبيّك شيئاً؟ قال: نعم. فقرأ عليه سورة مريم، فلمّا بلغ إلى قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾[2]

فلمّا سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً، وقال: هذا ـ والله ـ هو الحقّ.

فقال عمرو بن العاص: أيّها الملك، إنّ هذا[3] مخالف لنا فردّه إلينا.

فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثمّ قال: اسكت، والله يا هذا لئن ذكرته بسوء لأُفقدنّك نفسك.

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه، وهو يقول:

إن كان هذا كما تقول أيّها الملك فإنّا لا نتعرّض له. وكانت على رأس النجاشي وصيفة له تذبّ عنه، فنظرت إلى عمارة بن الوليد، وكان فتى جميلاً فأحبّته!

---

(١) يقال: طلب بذحله أي بثأره، والجمع ذحول (الصحاح: ٢٢٠).

(٢) مريم: ٢٥ـ٢٦.

(٣) «إنّه» خ.

فلمّا رجع عمرو بن العاص إلى منزله، قال لعمارة: لو راسلت جارية الملك! فراسلها فأجابته، فقال عمرو: قل لها تبعث إليك من طيب الملك شيئاً.

فقال لها، فبعثت إليه، فأخذ عمرو من ذلك الطيب، وكان الّذي فعل به عمارة في قلبه حين ألقاه في البحر، فأدخل الطيب على النجاشي، فقال:

أيّها الملك، إنّ حرمة الملك عندنا وطاعته علينا [عظيمة] وما يلزمنا إذ دخلنا بلاده ونأمن فيها أن لا نغشّه ولا نريبه، وإنّ صاحبي هذا الّذي معي قد راسل حرمتك وخدعها، وبعثت إليه من طيبك! ثمّ وضع الطيب بين يديه. فغضب النجاشي وهمّ بقتل عمارة، ثمّ قال: لا يجوز قتله فإنّهم دخلوا بلادي بأمان.

فدعا النجاشي السحرة، فقال لهم: اعملوا به شيئاً أشدّ عليه من القتل.

فأخذوه ونفخوا في إحليله الزئبق، فصار مع الوحش يغدو ويروح، وكان لا يأنس بالناس، فبعثت قريش بعد ذلك [إليه] فكمنوا له في موضع حتّى ورد الماء مع الوحش فأخذوه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتّى مات.[1]

ورجع عمرو إلى قريش، فأخبرهم أنّ جعفر في أرض الحبشة في أكرم كرامة، فلم يزل بها حتّى هادن رسول الله ﷺ قريشاً وصالحهم، وفتح خيبر، فوافى بجميع من معه، وولد لجعفر بالحبشة من أسماء بنت عميس «عبد الله بن جعفر» وولد للنجاشي ابن فسمّاه «محمّداً».

وكانت أمّ حبيب بنت أبي سفيان[2] تحت عبد الله، فكتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يخطب «أمّ حبيب» فبعث إليها النجاشي فخطبها لرسول الله ﷺ فأجابته، فزوّجها منه وأصدقها أربعمائة دينار، وساقها عن رسول الله ﷺ، وبعث إليها

---

(١) «أيديهم فمات» خ.

(٢) وهي أمّ حبيبة رملة بنت أبي سفيان، هاجرت مع زوجها عبدالله بن جحش إلى الحبشة، ثمّ تنصّر عبدالله هنالك ومات على النصرانيّة! وثبتت أمّ حبيبة على دينها الإسلام ثمّ تزوّجها رسول الله ﷺ (طبقات ابن سعد: ٩٦/٨).

بثياب وطيب كثير، وجهزها وبعثها إلى رسول الله ﷺ. وبعث إليه بمارية القبطيّة أُمّ إبراهيم، وبعث إليه بثياب وطيب وفرس.

وبعث ثلاثين رجلاً من القسّيسين، فقال لهم: انظروا إلى كلامه، وإلى مقعده وإلى مطعمه ومشربه ومصلّاه. فلمّا وافوا المدينة دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ ـ إلى قوله ـ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.(١)

فلمّا سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ بكوا وآمنوا، ورجعوا إلى النجاشي فأخبروه خبر رسول الله ﷺ، وقرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النجاشي وبكى القسّيسون، وأسلم النجاشي ولم يظهر للحبشة إسلامه، وخافهم على نفسه.

وخرج من بلاد الحبشة يريد(٢) النبيّ ﷺ، فلمّا عبر البحر توفّي، فأنزل الله على رسوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ ـ إلى قوله ـ وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ﴾.(٣)

وأمّا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ـ إلى قوله ـ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ «٨٧ ـ ٨٩»

١٤ ـ فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال وعثمان بن مظعون:

فأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فحلف أن لا ينام باللّيل أبداً! وأمّا بلال فإنّه حلف أن لا يفطر بالنهار أبداً! وأمّا عثمان بن مظعون فإنّه حلف أن لا ينكح أبداً!

فدخلت امرأة عثمان على عائشة، وكانت امرأة جميلة، فقالت عائشة: ما لي أراك متعطّلة(٤)؟! فقالت: ولمن أتزيّن؟! فوالله ما قاربني زوجي منذ كذا

---

(١) المائدة: ١١٠. (٢) «إلى» البرهان.

(٣) عنه البحار: ١٨/٤١٤ ح١، وج٦٣/١٦ ح١، والبرهان: ١/٣٤٤ ح٢، ونور الثقلين: ٢/٢٧٦ ح٣١٦، قصص الأنبياء: ٣٢٢ ح٤٣١. (٤) «معطّلة» خ، وعطلت المرأة وتعطّلت: نزعت حليها.

وكذا، فإنّه قد ترهّب ولبس المسوح، وزهد في الدنيا! فلمّا دخل رسول الله ﷺ أخبرته عائشة بذلك. فخرج فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما بال أقوام يحرّمون على أنفسهم الطيّبات؟!

ألا إنّي أنام باللّيل، وأنكح وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.

فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله فقد حلفنا على ذلك!

فأنزل الله تعالى: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ الآية.[1]

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ

ـ إلى قوله ـ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ «٩٠»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أمّا الخمر: فكلّ مسكر من الشراب خمر، إذا خمّر فهو حرام[2]، وما أسكر كثيره فقليله حرام؛

وذلك أنّ أبابكر شرب قبل أن يحرّم الخمر، فسكر فجعل يقول الشعر ويبكي على قتلى المشركين من أهل بدر! فسمع النبيّ ﷺ فقال:

اللّهمّ أمسك على لسانه. فأمسك على لسانه فلم يتكلّم حتّى ذهب عنه السكر. فأنزل الله تحريمها بعد ذلك، وإنّما كانت الخمر يوم حرّمت بالمدينة فضيخ[3]

(١) عنه البحار: ١١٦/٧٠ ح ٤، والبرهان: ٣٤٦/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٢٧٩/٢ ح ٣٢٠، والوسائل: ١٤٨/١٦ ح ١.

(٢) «أخمر فهو خمر» البحار.

(٣) الفضيخ كنبيذ يُتَّخذ من البُسر، والفضيخ: عصير العنب، وشراب يتّخذ من بُسرٍ مفضوخٍ (القاموس المحيط: ٢٦٧/١)، والبُسر: التمر قبل أن يُرطب لفضاضته (لسان العرب: ٥٨/٤).

البسر والتمر، فلمّا نزل تحريمها خرج رسول الله ﷺ فقعد في المسجد، ثمّ دعا بآنيتهم الّتي كانوا ينبذون فيها فأكفأها كلّها، وقال: هذه كلّها خمر! وقد حرّمها الله. فكان أكثر شيء أُكفئ من ذلك يومئذ من الأشربة الفضيخ، ولا أعلم أُكفئ يومئذ من خمر العنب شيء إلّا إناءً واحداً كان فيه زبيب وتمر جميعاً.

وأمّا عصير العنب فلم يكن يومئذ بالمدينة منه شيء، حرّم الله الخمر قليلها وكثيرها، وبيعها وشراءها، والإنتفاع بها.

وقال رسول الله ﷺ: من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه.

وقال: حقّ على الله أن يسقي من شرب الخمر ممّا يخرج من فروج المومسات. والمومسات: الزواني، يخرج من فروجهنّ صديد.

والصديد: قيح ودم غليظ مختلط يؤذي أهل النار حرّه ونتنه.

وقال رسول الله ﷺ: من شرب الخمر لم تُقبل له[1] صلاة أربعين ليلةً، فإن عاد فأربعين ليلةً من يوم شربها، فإن مات في تلك الأربعين ليلة من غير توبة سقاه الله يوم القيامة من طينة خبال.[2]

وسُمّي المسجد الّذي قعد فيه رسول الله ﷺ يوم أُكفئت الأشربة مسجد الفضيخ من يومئذ، لأنّه كان أكثر شيء أُكفئ من الأشربة الفضيخ.

وأمّا الميسر: فالنرد والشطرنج، وكلّ قمار ميسر.

وأمّا الأنصاب: فالأوثان الّتي كان يعبدها المشركون.

وأمّا الأزلام: فالأقداح الّتي كانت يستقسم بها مشركوا العرب في الأمور في الجاهليّة، كلّ هذا بيعه وشراؤه والإنتفاع بشيء من هذا حرام محرّم من الله

---

(١) «يقبل الله منه» خ.

(٢) صديد أهل النار وما يخرج من فروج الزناة يتجمّع ذلك في قدر جهنّم فيشربه أهل النار. (مجمع البحرين: ١/ ١٩٤).

وهو رجس من عمل الشيطان، فقرن الله الخمر والميسر مع الأوثان.[١]

وأمّا قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ «٩٢»

يقول: لا تعصوا ولا تركنوا إلى[٢] الشهوات من الخمر والميسر ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ - يقول: عصيتم - ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ إذ قد بلّغ وبيّن فانتهوا.

وقال رسول الله ﷺ: إنّه سيكون قوم يبيتون وهم على شرب الخمر واللّهو والغناء، فبينما هم كذلك إذ مسخوا من ليلتهم، وأصبحوا قردة وخنازير!

وهو قوله: ﴿وَاحْذَرُواْ﴾ أن تعتدوا كما اعتدى أصحاب السبت، فقد كان أملى لهم حتّى أثروا وقالوا: إنّ السبت لنا حلال، وإنّما كان حرّم على أوّلنا، وكانوا يُعاقبون على استحلالهم السبت، فأمّا نحن فليس علينا حرام، ومازلنا بخير منذ استحللناه، وقد كثرت أموالنا وصحّت أجسامنا! ثمّ أخذهم الله ليلاً[٣] وهم غافلون.

وهو قوله: ﴿وَاحْذَرُواْ﴾ أن يحلّ بكم مثل ما حلّ بمن تعدّى وعصى.

فلمّا نزل تحريم الخمر والميسر والتشديد في أمرهما، قال الناس من المهاجرين والأنصار: يا رسول الله! قُتل أصحابنا وهم يشربون الخمر، وقد سمّاه الله رجساً وجعله من عمل الشيطان، وقد قلت ما قلت، أفيضرّ أصحابنا ذلك شيئاً بعد ما ماتوا؟ فأنزل الله:

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ...﴾ «٩٣»

فهذا[٤] لمن مات أو قُتِل قبل تحريم الخمر، والجناح: هو الإثم على من شربها

---

(١) عنه البحار: ٤٨٧/٦٦ ح٢١، وج١٣١/٧٩ صدر ح٢٠، وص٢٢٨ ح١ (قطعة)، وج١٩٠/١٠٣ ح٣ (قطعة)، والوسائل: ٢٣٩/١٢ ح١٢، وج٢٢٢/١٧ ح٥، والبرهان: ٣٥٢/٢ ح٤، ونور الثقلين: ٢٨٤/٢ ح٣٤٢-٣٤٤.

(٢) «ولا تركبوا» البحار. (٣) «ببلاء» خ. (٤) «وهذا» خ.

بعد التحريم.[١] قال عليّ بن إبراهيم، في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ «٩٤»

قال: نزلت في غزوة الحديبيّة، قد جمع الله عليهم الصيد، فدخل بين رحائلهم[٢] ليبلونّهم الله، أي يختبرهم.

قوله: ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ فهو يعلم قبل ذلك، ولكنّه عزّ وجلّ لا يعذّب أحداً إلّا بحجّة بعد إظهار الفعل.[٣]

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ...﴾ «٩٥»

فأوجب لفظ الآية أنّ الفداء يجب على من قتل الصيد متعمّداً، وفي المعنى والتفسير يجب الجزاء على من قتل الصيد متعمّداً أو خطأ.

١٦ ـ حدّثني محمّد بن الحسن، عن محمّد بن عون النصيبي، قال:

لمّا أراد المأمون أن يزوّج أبا جعفر محمّد بن عليّ بن موسى عليهم السلام ابنته أمّ الفضل، اجتمع إليه أهل بيته الأدنين منه، فقالوا له:

يا أمير المؤمنين، ننشدك الله أن تخرج عنّا أمراً قد ملكناه، وتنزع عنّا عزّاً قد ألبسناه الله، فقد عرفت الأمر الّذي بيننا وبين آل عليّ قديماً وحديثاً.

فقال المأمون: اسكتوا فو الله لا قبلت من أحدٍ منكم في أمره. فقالوا: يا أميرالمؤمنين، أفتزوّج قرّة عينك صبيّاً لم يتفقّه في دين الله! ولا يعرف فريضة من

---

(١) عنه البحار: ٥٠/١٤ ح٢، وج٣٥٣/٦٩ (قطعة) وج١٣٢/٧٩ ذح٢٠، والبرهان: ٣٦٠/٢ ح١، ونور الثقلين: ٢٨٦/٢ ح٣٥٣.

(٢) «رحالهم» البرهان.

(٣) عنه البرهان: ٣٦٣/٢ ح١٠.

سنّة[1] ولا يميّز بين الحقّ والباطل! ـ ولأبي جعفر عليه السلام يومئذ عشرة سنين أو احدى عشرة سنة ـ فلو صبرت عليه حتّى يتأدّب ويقرأ القرآن، ويعرف فرضاً من سنّة؟!

فقال لهم المأمون: والله إنّه لأفقه منكم، وأعلم بالله وبرسوله، وفرائضه وسننه وأحكامه، وأقرأ لكتاب الله، وأعلم بمحكمه ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، وناسخه، ومنسوخه، وتنزيله وتأويله منكم! فاسألوه فإن كان الأمر كما قلتم قبلت منكم في أمره، وإن كان كما قلت علمتم أنّ الرجل خير منكم.

فخرجوا من عنده، وبعثوا إلى «يحيى بن أكثم» وأطمعوه في هداياهم أن يحتال على أبي جعفر عليه السلام بمسألة لا يدري كيف الجواب فيها عند المأمون إذا اجتمعوا للتزويج، فلمّا حضروا وحضر أبو جعفر عليه السلام قالوا: يا أمير المؤمنين هذا يحيى بن أكثم إن أذنت له أن يسأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة. فقال المأمون:

يا يحيى! سل أبا جعفر عن مسألة في الفقه، لننظر كيف فقهه.

فقال يحيى: يا أبا جعفر، أصلحك الله ما تقول في مُحرِم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: قتله في حلّ أو حرم، عالماً أو جاهلاً، عمداً أو خطأ، عبداً أو حرّاً، صغيراً أو كبيراً، مبدئاً أو معيداً، من ذوات الطير أو من غيرها، من صغار الصيد أو من كبارها، مصرّاً عليها أو نادماً، بالليل في وكرها أو بالنهار عياناً، محرماً للحجّ أو للعمرة؟ قال: فانقطع يحيى بن أكثم انقطاعاً لم يخفَ على أهل المجلس، وأكثر[2] الناس تعجّباً من جوابه! ونشط المأمون، فقال:

تخطب يا أبا جعفر. فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال المأمون: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلّا الله إخلاصاً لعظمته، وصلّى الله على محمّد عند ذكره، وقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ

---

(١) «ولا سنّة» خ.
(٢) «وكثر» خ.

اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١] ثمّ إنّ محمّد بن عليّ ذكر[٢] أمّ الفضل بنت عبدالله، وبذل لها من الصداق خمسمائة درهم، وقد زوّجتك، فهل قبلت يا أبا جعفر؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم يا أمير المؤمنين! قد قبلت هذا التزويج بهذا الصداق.

ثمّ أولم عليه المأمون، وجاء الناس على مراتبهم الخاصّ والعامّ.

قال: فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كلاماً كأنّه من كلام الملّاحين في مجاوباتهم، فإذا نحن بالخدم يجرّون سفينة من فضّة، وفيها نسائج أبريسم مملوءة غالية، فخضّبوا أهل الخاصّ بها، ثمّ مرّوا بها إلى دار العامّة فطيّبوهم!

فلمّا تفرّق الناس، قال المأمون: يا أبا جعفر، إن رأيت أن تبيّن لنا ما الّذي يجب على كلّ صنف من هذه الأصناف الّتي ذكرت في قتل الصيد؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم يا أمير المؤمنين، إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ والصيد من ذوات الطير من كبارها، فعليه شاة، وإذا أصابه في الحرم، فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحلّ، فعليه جمل[٣] قد فطم، وليس عليه قيمته لأنّه ليس في الحرم، وإذا قتله في الحرم فعليه الجمل[٤] وقيمته، لأنّه في الحرم.

وإذا كان من الوحش، فعليه في حمار الوحش بدنة، وكذلك في النعامة، فإن لم يقدر فعليه إطعام ستّين مسكيناً، فإن لم يقدر فصيام ثمانية عشر يوماً.

وإن كانت بقرة، فعليه بقرة، فإن لم يقدر فعليه إطعام ثلاثين مسكيناً، فإن لم يقدر فليصم تسعة أيّام، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن لم يقدر فإطعام عشرة مساكين، فإن لم يقدر فصيام ثلاثة أيّام.

وإن كان في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة حقّاً واجباً عليه أن ينحره، وإن كان في حجّ بمنى حيث ينحر الناس، فإن كان في عمرة ينحره بمكّة ويتصدّق بمثل ثمنه حتّى يكون مضاعفاً،

---

(١) النور: ٣٢. (٢) «نكح» خ. (٣ و ٤) «حمل، الحمل» خ.

وكذلك إذا أصاب أرنباً فعليه شاة، وإذا قتل الحمامة تصدّق بدرهم أو يشتري به طعاماً لحمام الحرم، وفي الفرخ نصف درهم، وفي البيضة ربع درهم.

وكلّما أتى به المحرم بجهالة فلا شيء عليه فيه، إلّا الصيد فإنّ عليه الفداء، بجهالة كان أو بعلم، بخطأ كان أو بعمد.

وكلّما أتى به العبد، فكفّارته على صاحبه بمثل ما يلزم صاحبه.

وكلّما أتى به الصغير الّذي ليس ببالغ، فلا شيء عليه فيه، وإن كان ممّن عاد فهو ممّن ينتقم الله منه، ليس عليه كفّارة، والنقمة في الآخرة، وإن دلّ على الصيد وهو محرم فقتل، فعليه الفداء، والمصرّ عليه يلزمه بعد الفداء عقوبة في الآخرة. والنادم عليه، لا شيء عليه بعد الفداء. وإذا أصاب ليلاً في وكرها خطأ، فلا شيء عليه إلّا أن يتعمّده، فإن تعمّد بليل أو نهار، فعليه الفداء، و المحرم بالحجّ ينحر الفداء بمنى حيث ينحر النّاس، والمحرم بالعمرة ينحر بمكّة.

فأمر المأمون أن يكتب ذلك كلّه عن أبي جعفر عليه السلام ثمّ دعا أهل بيته الّذين أنكروا تزويجه عليه، فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب بمثل هذا الجواب؟

قالوا: لا والله، ولا القاضي!

ثمّ قال: ويحكم! إنّ أهل هذا البيت خلو[1] من هذا الخلق؛

أو ما علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايع الحسن والحسين وهما صبيّان غير بالغين، ولم يبايع طفلاً غيرهما؟! أو ما علمتم أنّ أباه عليّاً عليه السلام آمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله وهو ابن اثني عشرة سنة، وقبل الله ورسوله منه إيمانه، ولم يقبل من طفل غيره، ولا دعا رسول الله صلى الله عليه وآله طفلاً غيره إلى الإيمان؟! أو ما علمتم أنّها ذرّيّة بعضها من بعض، يجري لآخرهم مثل ما يجري لأوّلهم؟!

---

(١) في الحديث: «إنّ الله خِلْوٌ من خلقه، وخلقه خِلوٌ منه» بكسر الخاء وتسكين اللام، والمراد المُباينة الذاتية والصفاتية بين الخالق والمخلوق فكلّ منهما خلوٌ من شَبَه الآخر. (مجمع البحرين: ١/٥٥١).

فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، كنت أنت أعلم به منّا. قال:

ثمّ أمر المأمون أن ينثر على أبي جعفرعليه السلام ثلاثة أطباق رقاع زعفران، ومسك معجون بماء الورد، وجوفها رقاع على طبق رقاع عمالات، والثاني ضياع طعمة لمن أخذها، والثالث فيه بِدَرٌ، فأمر أن يفرّق الطبق الّذي عليه عمالات على بني هاشم خاصّة، والّذي عليه ضياع طعمة على الوزراء، والّذي عليه البدر على القوّاد، ولم يزل مكرماً لأبي جعفرعليه السلام أيّام حياته حتّى كان يؤثره على ولده.(١)

وأمّا قوله: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذٰلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ «٩٥»

١٧ـ فإنّه حدّثني أبي، عن القاسم بن محمّد [الإصفهاني] عن سليمان بن داود المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عليّ بن الحسينعليهما السلام قال:

قال لي يوماً: يا زهري من أين جئت؟ قلت: من المسجد. قال: فيمَ كنتم؟

---

(١) عنه البحار: ١٤٨/٩٩ ح٦، ونور الثقلين: ٢٩٠/٢ ح٣٦٨، إرشاد المفيد: ٢٨١/٢ بإسناده عن الريّان بن شبيب، (نحوه)، عنه كشف الغمّة: ٣٥٣/٢، وعنه في الوسائل: ١٩٤/١٤ ح٢، وعن الفقيه: ٣٩٨/٣ ح٤٣٩٩ (قطعة)، وفي الإختصاص: ٩٨ عن عليّ بن إبراهيم يرفعه (مثله)، وأورده في تحف العقول: ٤٥١، ودلائل الإمامة: ٣٩١ ح٥ (مرسلاً)، وفي الإحتجاج: ٤٦٩/٢، عنه مستدرك الوسائل: ٢٠٩/١٤ ح١٣، وروضة الواعظين: ٢٨٣، عن الريّان بن شبيب (مثله)، وأخرجه في الجنّة الواقية: ١٨٩ (حاشية) عن تفسير القمّي، وفي إثبات الوصيّة: ٢١٦ نحوه، وقطعة منه في مكارم الأخلاق: ٤٤٨/١ ح١٤، عنه في البحار: ٧٤/٥٠ ح٣، وعن الإحتجاج، وفي ج٣٨١/١٠ ح١ عن القمّي وتحف العقول والإختصاص، وفي ج٢٧١/١٠٣ ح٢٢ عن مسند فاطمةعليها السلام بإسناده، عن أبي المفضّل، عن بدر بن عمّار، عن الطبرستاني، عن الصدوق، عن المحمودي، عن أبيه (نحوه)، وفي الوسائل: ٥١٨/١٤ ح١ عن الإرشاد والإحتجاج وكشف الغمّة وروضة الواعظين، وأخرجه في ملحقات الإحقاق: ٤٢٢/١٢ عن مفتاح النجاة في مناقب آل العبا: ١٨٤، وعن الفصول المهمّة، ٢٦٧، وعن أئمّة الهدى: ١٢٩، وعن أخبار الدول وآثار الاوّل: ١١٦، وعن ينابيع المودّة: ١٣/٣، وعن الإتحاف بحبّ الأشراف: ٦٦، وعن نور الأبصار: ٢١٧، وعن الصواعق المحرقة: ١٢٣. وأخرجه في ملحقات الإحقاق: ٥٨٦/١٩ عن الصواعق المحرقة: ٢٠٢، وفي ص٥٨٩ عن الإتحاف بحبّ الأشراف: ٦٤، وفي ص٥٩٥ عن نور الأبصار.

قلت: تذاكرنا أمر الصوم، فاجتمع رأيي ورأي أصحابي أنّه ليس من الصوم شيء واجب إلّا صوم شهر رمضان. فقال: يا زهري، ليس كما قلتم؛

الصوم على أربعين وجهاً: فعشرة أوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان.

وأربعة عشر وجهاً صاحبها فيها بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر.

وعشرة أوجه منها حرام، وصوم الإذن على ثلاثة أوجه[1]، وصوم التأديب وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض. فقلت: فسّرهنّ لي جعلت فداك. فقال:

أمّا الواجب: فصوم شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين فيمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمّداً [واجب] وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق واجب، قال الله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلىٰ أَهْلِهِ﴾[2].

وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾[3].

وصيام شهرين متتابعين في كفّارة الظهار لمن لم يجد العتق واجب،

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾[4].

وصيام ثلاثة أيّام في كفّارة اليمين واجب لمن لم يجد الإطعام، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾[5]

كلّ ذلك متتابع وليس بمتفرّق، وصيام أذى حلق الرأس واجب، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّنْ رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[6]

فصاحبها فيها بالخيار، فإن شاء صام ثلاثة أيّام.

وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدي، قال الله تعالى:

﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[7]

---

(١) «وجوه» البحار.
(٢ و٣) النساء: ٩٢.
(٤) المجادلة: ٤.
(٥) المائدة: ٨٩.
(٦) البقرة: ١٩٦.
(٧) البقرة: ١٩٦.

وصوم جزاء الصيد واجب، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذٰلِكَ صِياماً﴾ أو تدري كيف يكون عدل ذلك صياماً يا زهري؟ قلت: لا. قال: يقوّم الصيد قيمته، ثمّ تنقض[1] تلك القيمة على البرّ، ثمّ يكال ذلك البرّ أصواعاً، فيصوم لكلّ نصف صاع يوماً، وصوم النذر واجب، وصوم الإعتكاف واجب.

وأمّا الصوم الحرام، فصوم يوم الفطر، ويوم الأضحى، وثلاثة أيّام التشريق، وصوم يوم الشكّ أُمرنا به [أن نصومه مع شعبان] ونهينا عنه أن ينفرد الرجل بصيامه في اليوم الّذي يشكّ فيه الناس. قلت: فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع؟

قال: ينوي ليلة الشكّ أنّه صائم من شعبان، فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه وإن كان من شعبان لم يضرّه. فقلت: وكيف يجزي صوم تطوّع عن فريضة؟

فقال: لو أنّ رجلاً صام شهر رمضان تطوّعاً وهو لا يعلم أنّه شهر رمضان، ثمّ علم بعد ذلك أجزأ عنه، لأنّ الفرض إنّما وقع على الشهر بعينه.

وصوم الوصال حرام، وصوم الصمت حرام، وصوم نذر المعصية حرام، وصوم الدهر حرام.

وأمّا الصوم الّذي صاحبه فيه بالخيار: فصوم يوم الجمعة، والخميس والإثنين، وصوم أيّام البيض، وصوم ستّة أيّام من شوّال بعد شهر رمضان، وصوم يوم عرفة، وصوم يوم عاشوراء، كلّ ذلك صاحبه فيه بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر.

وأمّا صوم الإذن، فإنّ المرأة لا تصوم تطوّعاً إلّا بإذن زوجها، والعبد لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن سيّده، والضيف لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن صاحبه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من نزل على قوم فلا يصوم تطوّعاً إلّا بإذنهم.

---

(١) «قيمة ثمّ تفضّ» البحار.

وأمّا صوم التأديب، فالصبيّ يؤمر بالصوم إذا راهق تأديباً وليس بفرض، وكذلك من أفطر [لعلّة من] أوّل النهار، ثمّ عوفي بقيّة يومه، أُمر بالإمساك بقيّة يومه تأديباً وليس بفرض، وكذلك المسافر إذا أكل من أوّل النهار ثمّ دخل مصره أُمر بالإمساك بقيّة يومه تأديباً وليس بفرض.

فأمّا صوم الإباحة، فمن أكل أو شرب ناسياً، أو تقيّأ من غير تعمّد، فقد أباح الله له ذلك، وأجزأ عنه صومه.

وأمّا صوم السفر والمرض، فإنّ العامّة اختلفت في ذلك:

فقال قوم: يصوم. وقال قوم: إن شاء صام وإن شاء أفطر. وقال قوم: لا يصوم.

وأمّا نحن فنقول: يفطر في الحالتين جميعاً، فإن صام في السفر أو في حال المرض، فهو عاص وعليه القضاء، وذلك لأنّ الله يقول:

﴿فَمَنْ كٰانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّٰامٍ أُخَرَ﴾.[1] [2]

قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعٰامُهُ مَتٰاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيّٰارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مٰا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِىَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ❁ جَعَلَ اللّٰهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرٰامَ قِيٰاماً لِلنّٰاسِ...﴾ «٩٦ و ٩٧»

قال: ما دامت الكعبة قائمة ويَحُجّ الناس إليها لم يهلكوا، فإذا هُدّمت وتركوا الحجّ هلكوا.[3]

---

(١) البقرة: ١٨٤.

(٢) عنه البحار: ٢٥٩/٩٦ ح ١، وج ١٥٠/٩٩ ح ٨ (قطعة)، والمستدرك: ٣٩٨/٧ ح ٩ قطعة وعن الهداية والمقنع، والوسائل: ٢٦٨/٧ ح ١، وعن الكافي: ٨٣/٤ ح ١ بإسناده عن الزهري (نحوه)، والفقيه: ٧٧/٢ ح ١٧٨٤ (نحوه)، الهداية: ١٩٨، المقنع: ٣٥٠، والخصال: ٥٣٤/٢ ح ٢، نورالثقلين: ٢٢٩/١ ح ٦٦٧ (عن الفقيه).

(٣) عنه البرهان: ٣٧٠/٢ ح ٣.

وأمّا قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ «١٠١»

١٨ـ فإنّه حدّثني أبي، عن حنّان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ صفيّة بنت عبد المطّلب مات ابن لها، فأقبلت، فقال لها عمر:

غطّي قرطك فإنّ قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنفعك شيئاً!

فقالت له: هل رأيت لي قرطاً يابن اللخناء[1]؟!

ثمّ دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع؟! لو قد قمت[2] المقام المحمود لشفعت في أحوجكم[3]، لا يسألني اليوم أحد مَن أبواه إلّا أخبرته. فقام إليه رجل، فقال:

مَن أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الّذي تُدعى له، أبوك «فلان بن فلان».

فقام آخر، فقال: مَن أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك الّذي تُدعى له.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بال الّذي يزعم أنّ قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه؟!

فقام إليه عمر، فقال له: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، اعف عنّي، عفى الله عنك! فأنزل الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ـ إلى قوله ـ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ﴾.[4]

وأمّا قوله: ﴿ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ﴾ «١٠٣»

فإنّ البحيرة كانت إذا وضعت الشاة خمسة أبطن، ففي السادسة قالت العرب: قد بحرت، فجعلوها للصنم، ولا تمنع ماءً ولا مرعى.

---

(١) الّتي لم تختن (مجمع البحرين: ١٦٢٧/٣). (٢) «قربت» خ. (٣) «علوجكم» البحار.

(٤) عنه البحار: ١٤٥/٣٠ ح٢، وج٢١٩/٩٦ ح٩، والبرهان: ٣٧٠/٢ ح١، ونور الثقلين: ٢٩٨/٢ ح٤٠٥، وج٢٢٩/٤ ح٣٩٤.

والوصيلة: إذا وضعت الشاة خمسة أبطن، ثمّ وضعت في السادسة جدياً وعناقاً في بطن واحد، جعلوا الأُنثى للصنم، وقالوا: وصلت أخاها، وحرّموا لحمها على النساء. والحام: كان إذا كان الفحل من الإبل جدّاً لجد، قالوا: قد حمى ظهره فسمّوه حاماً، فلا يركب ولا يمنع ماءً ولا مرعى، ولا يحمل عليه شيء! فردّ الله عليهم، فقال: ﴿ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ[1] وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ -إلى قوله- وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.[2]

قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ «١٠٥»

قال: أصلحوا أنفسكم، ولا تتّبعوا عورات الناس ولا تذكروهم، فإنّه لا يضرّكم ضلالتهم إذا كنتم أنتم صالحين.[3]

وأمّا قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ «١٠٦»

فإنّها نزلت في «ابن بندي»[4] و«ابن أبي مارية»[5] النصرانيّين، وكان رجل يُقال له: «تميم الداري»[6] مسلم خرج معهما في سفر، وكان مع تميم خَرْج ومتاع

---

(١) في الحديث ذكر «السائبة، والسوائب». كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر، أو بُرْءٍ من مرض، أو غير ذلك قال: ناقتي سائبة، فلا تمنع من ماءٍ ولا مرعى، ولا تُحلَب، ولا تُركَب، وأصله من تسييب الدواب، وهو إرسالها تذهب وتجئ كيف شاءت (النهاية: ٤٣١/٢).

(٢) عنه البحار: ١٩٩/٩ ح٥٧ وج ١٤٦/٦٤ ح ٤، والبرهان: ٣٧٣/١ ح٦، ومستدرك الوسائل: ٣٥١/١٦ ح ١.

(٣) عنه البرهان: ٣٧٤/٢ ح ٢، ونورالثقلين: ٣٠٢/٢ صدر ح ٤١٤.

(٤) «ابن بيدي» الكافي. (٥) «هاوية، ماويّة» خ.

(٦) «الدارميّ» خ، اشتباه، وهو تميم بن أوس بن حارثة الدّاري كان نصرانياً، قدم المدينة فأسلم سنة ٩ هـ، ومات سنة ٤٠ هـ، ممّن انحرف عن أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، معجم رجال الحديث: ٣٧٨/٣.

وآنية منقوشة بالذهب وقلادة، أخرجها إلى بعض أسواق العرب ليبيعها، فلمّا مرّوا بالمدينة اعتلّ تميم، فلمّا حضره الموت دفع ما كان معه إلى ابن بندي وابن أبي مارية، وأمرهما أن يوصلاه إلى ورثته. فقدما المدينة وأوصلا ما كان دفعه إليهما تميم، وحبسا الآنية المنقوشة والقلادة!

فقال ورثة الميّت: هل مرض صاحبنا مرضاً طويلاً أنفق فيه نفقة كثيرة؟

فقالا: ما مرض إلّا أيّاماً قليلة. قالوا: فهل سُرق منه شيء في سفره [هذا]؟

فقالا: لا. قالوا: فهل اتّجر تجارة خسر فيها؟ فقالا: لا.

قالوا: فقد افتقدنا أنبل شيء كان معه: آنية منقوشة بالذهب مكلّلة وقلادة!

فقالا: ما دفعه إلينا قد أدّيناه إليكم. فقدّموهما إلى رسول الله ﷺ، فأوجب عليهما اليمين، فحلفا! وأطلقهما. ثمّ ظهرت القلادة والآنية عليهما، فأخبر ورثة الميّت رسول الله ﷺ بذلك، فانتظر الحكم من الله، فأنزل الله تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ـ يعني من أهل الكتاب ـ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ـ فأطلق الله شهادة أهل الكتاب على الوصيّة فقط إذا كان في سفر ولم يجد المسلم ثمّ قال: ـ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ ـ يعني [بعد] صلاة العصر ـ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إِنّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ فهذه الشهادة الأولى الّتي جعلها[1] رسول الله ﷺ.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يِقُومَانُ﴾

ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقّا إِثْماً ـ أي حلفا على كذب ـ فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما ـ يعني من أولياء المدّعي ـ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيانِ ـ فَيُقْسِمانِ بِاللهِ أي يحلفان بالله ـ لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما وَمَا اعْتَدَيْنا إِنّا إِذاً لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾ وأنّهما قد كذبا فيما حلفا بالله.

(١) «حلّفها» البحار.

﴿ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهٰادَةِ عَلىٰ وَجْهِهٰا أَوْ يَخٰافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمٰانٌ بَعْدَ أَيْمٰانِهِمْ﴾ «١٠٨»

فأمر رسول الله ﷺ أولياء تميم الداري أن يحلفوا بالله على ما أمرهم به، فأخذ الآنية والقلادة من ابن بندي وابن أبي مارية وردّهما على أولياء تميم.[١]

وأمّا قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مٰا ذٰا أُجِبْتُمْ﴾ «١٠٩»

١٩ـ فإنّه حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء[٢]، عن محمّد [بن مسلم] عن أبي جعفر عليه السلام قال: ماذا أُجبتم في أوصيائكم؟ يسأل الله تعالى يوم القيامة فيقولون: لا علم لنا بما فعلوا بعدنا بهم.[٣]

وقوله: ﴿إِذْ قٰالَ اللّٰهُ يٰا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلىٰ وٰالِدَتِكَ ـ إلى قوله ـ وَاشْهَدْ بِأَنَّنٰا مُسْلِمُونَ﴾ «١١٠ـ١١١»

فإنّه محكم.

وأمّا قوله: ﴿إِذْ قٰالَ الْحَوٰارِيُّونَ يٰا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنٰا مٰائِدَةً مِنَ السَّمٰاءِ ـ قال عيسى: ـ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * ـ فقالوا كما حكى الله: ـ نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهٰا وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنٰا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنٰا وَ

---

(١) عنه البحار: ٦٥/٢٢ ح٩، وج ٣٢٢/١٠٤ ح١، وج٧٥/٩٣، ونورالثقلين: ٣٠٢/٢ ح٤١٤، والبرهان: ٣٧٥/٢ ضمن ح١، وأورده الكليني رحمه الله في الكافي: ٥/٧ ح٧ عن عليّ بن إبراهيم، عن رجاله ـ رفعه ـ قال: خرج تميم الداري وابن بيدي ـ الحديث ـ، المحكم والمتشابه: ٩٥، عنهما الوسائل: ١٩٤/١٣ ح١.

(٢) في المصدر: العلا بن العلا، والصواب ما في المتن، والمراد به: العلاء بن رزين الّذي صحب محمّد بن مسلم وتفقّه عليه، ويلقّب القلّاء لأنّه كان يقلي السويق. أنظر رجال النجاشي: ٢٩٨، فهرست الطوسي: ١١٢، معجم رجال الحديث: ١٦٧/١١.

(٣) عنه البحار: ٢٨٠/٧ ح٢، والبرهان: ٣٧٨/٢ ح١، ونور الثقلين: ٣٠٦/٢ ح٤٢٦.

نَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشّاهِدِينَ * قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا وَ آيَةً مِنْكَ وَ ارْزُقْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ * قالَ اللهُ ـ إحتجاجاً عليهم: ـ إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ﴾ «١١٢ـ١١٥»

فكانت تنزل المائدة عليهم، فيجتمعون عليها ويأكلون حتّى يشبعوا، ثمّ ترفع، فقال كبراؤهم ومترفوهم: لا ندع سفلتنا يأكلون منها! فرفع الله المائدة، ومُسِخوا قردةً وخنازير![١]

قوله: ﴿وَإِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ـ إلى قوله ـ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ «١١٦ـ١١٩»

فلفظ الآية ماضٍ ومعناه مستقبل، ولم يقله بعد، وسيقوله.

وذلك أنّ النصارى زعموا أنّ عيسى عليه السلام قال لهم: اتّخذوني وأُمّي إلهين من دون الله! فإذا كان يوم القيامة يجمع الله بين النصارى وبين عيسى بن مريم، فيقول له: أأنت قلت لهم ما يدّعون عليك؟ ﴿اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلٰهَيْنِ ـ فيقول عيسى: ـ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلّامُ الْغُيُوبِ ـ إلى قوله ـ وَ أَنْتَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ والدليل على أنّ عيسى لم يقل لهم ذلك،[٢] قوله: ﴿هٰذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾

٢٠ـ وحدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن النعمان، عن ضريس، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿هٰذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قال:

---

(١) عنه البحار: ٢٤٨/١٤ ح٣٣، البرهان: ٣٨٣/٢ ح١١.

(٢) عنه البحار: ٢٠٠/٩ ح٥٨ وج ٢٨٣/١٤ ح١، والبرهان: ٣٨٣/٢ ح١.

إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب، فيمرّون بأهوال يوم القيامة، فلاينتهون إلى العرصة[١] حتّى يجهدوا جهداً شديداً. قال: فيقفون بفناء العرصة ويشرف الجبّار عليهم وهو على عرشه[٢]، فأوّل من يُدعى بنداء يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمّد بن عبد الله النبيّ القرشيّ العربيّ.

قال: فيتقدّم حتّى يقف على[٣] يمين العرش، قال: ثمّ يُدعى باسم وصيّه[٤] عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، فيتقدّم حتّى يقف على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ يُدعى بأُمّة محمّد فيقفون على يسار عليّ عليه السلام ثمّ يُدعى بنبيّ نبيّ وأُمّته[٥] معه من أوّل النبيّين إلى آخرهم وأُمّتهم معهم، فيقفون على يسار العرش.

قال: ثمّ أوّل من يُدعى للمساءلة القلم، قال: فيتقدّم، فيقف بين يدي الله في صورة الآدميّين، فيقول الله: هل سطّرت في اللوح ما ألهمتك وأمرتك به من الوحي؟ فيقول القلم: نعم يا ربّ، قد علمت أنّي قد سطّرت في اللوح ما أمرتني وألهمتني به من وحيك. فيقول الله: فمن يشهد لك بذلك؟ فيقول: يا ربّ، وهل اطّلع على مكنون سرّك خلق غيرك؟! قال: فيقول الله له: أفلجت[٦] حجّتك.

قال: ثمّ يُدعى باللوح فيتقدّم في صورة الآدميّين حتّى يقف مع القلم، فيقول له: هل سطّر فيك القلم ما ألهمته وأمرته به من وحي؟ فيقول اللوح: نعم يا ربّ، وبلّغته إسرافيل. فيدعىٰ بإسرافيل فيتقدّم مع القلم واللوح في صورة الآدميّين، فيقول الله له: هل بلّغك اللوح ما سطّر فيه القلم من وحيي؟

فيقول: نعم يا ربّ، وبلّغته جبرئيل.

فيُدعى بجبرئيل، فيتقدّم حتّى يقف مع إسرافيل، فيقول الله له: هل بلّغك إسرافيل ما بُلّغ؟ فيقول: نعم يا ربّ، وبلّغته جميع أنبيائك، وأنفذت إليهم جميع

---

(١) «على العرصة ويشرف الجبّار عليهم» البحار.

(٢) قال تعالى: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ أي استولى عليه.

(٣) «عن» خ.

(٤) «بصاحبكم» خ.

(٥) «ووصيّه» خ.

(٦): فازت.

ما انتهى إليّ من أمرك، وأدّيت رسالاتك إلى نبيّ نبيّ، ورسول رسول، وبلّغتهم كلّ وحيك، وحكمتك، وكتبك، وإنّ آخر من بلّغته رسالتك ووحيك وحكمتك وعلمك وكتابك وكلامك محمّد بن عبد الله العربيّ القرشيّ الحرمي حبيبك صلى الله عليه وآله.

قال أبو جعفر عليه السلام: فأوّل من يُدعى من ولد آدم للمساءلة «محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله» فيدنيه[١] الله حتّى لايكون خلق أقرب إلى الله يومئذ منه، فيقول الله:

يا محمّد، هل بلّغك جبرئيل ما أوحيت إليك وأرسلته به إليك من كتابي وحكمتي وعلمي؟ وهل أوحى ذلك إليك؟

فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم يا ربّ، قد بلّغني جبرئيل جميع ما أوحيته إليه وأرسلته به من كتابك، وحكمتك، وعلمك، وأوحاه إليّ.

فيقول الله لمحمّد: هل بلّغت أُمّتك ما بلّغك جبرئيل من كتابي وحكمتي وعلمي؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم يا ربّ، قد بلّغت أُمّتي جميع ما أوحيت إليّ من كتابك، وحكمتك، وعلمك، وجاهدت في سبيلك.

فيقول الله لمحمّد: فمن يشهد لك بذلك؟ فيقول محمّد صلى الله عليه وآله: يا ربّ، أنت الشاهد لي بتبليغ الرسالة، وملائكتك والأبرار من أُمّتي، وكفى بك شهيداً.

فيُدعى بالملائكة فيشهدون لمحمّد صلى الله عليه وآله بتبليغ الرسالة.

ثمّ يُدعى بأُمّة محمّد فيسألون: هل بلّغكم محمّد رسالتي، وكتابي وحكمتي، وعلمي، وعلّمكم ذلك؟ فيشهدون لمحمّد صلى الله عليه وآله بتبليغ الرسالة، والحكمة والعلم.

فيقول الله لمحمّد صلى الله عليه وآله: فهل استخلفت في أُمّتك من بعدك من يقوم فيهم بحكمتي وعلمي، ويفسّر لهم كتابي، ويبيّن لهم ما يختلفون فيه من بعدك، وحجّة لي وخليفة في الأرض؟

فيقول محمّد صلى الله عليه وآله: نعم يا ربّ، قد خلّفت فيهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخي

---

(١) هو دنوّ وقرب معنوي نظير ما قال تعالى: ﴿ثمّ دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ النجم: ٨ـ٩.

ووزيري ووصيّي وخير أمّتي، ونصبته لهم علماً في حياتي ودعوتهم إلى طاعته، وجعلته خليفتي في أمّتي، إماماً تقتدي به الأمّة من بعدي إلى يوم القيامة.

فيدعى بعليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول الله عزّ وجلّ له: يا عليّ!

هل أوصى إليك محمّد صلى الله عليه وآله واستخلفك في أمّته، ونصبك علماً لأمّته في حياته، وهل قمت فيهم من بعده مقامه؟

فيقول له عليّ عليه السلام: نعم يا ربّ، قد أوصى إليّ محمّد صلى الله عليه وآله، وخلّفني في أمّته، ونصبني لهم علماً في حياته، فلمّا قبضت محمّداً صلى الله عليه وآله إليك، جحدتني أمّته، ومكروا بي واستضعفوني وكادوا يقتلونني، وقدّموا قدّامي من أخّرت، وأخّروا من قدّمت ولم يسمعوا منّي، ولم يطيعوا أمري! فقاتلتهم في سبيلك حتّى قتلوني.

فيقول الله عزّ وجلّ لعليّ عليه السلام: فهل خلّفت من بعدك في أمّة محمّد حجّة وخليفة في الأرض يدعو عبادي إلى ديني وإلى سبيلي؟

فيقول عليّ عليه السلام: نعم يا ربّ، قد خلّفت فيهم الحسن ابني وابن بنت نبيّك.

فيُدعى بالحسن بن عليّ عليهما السلام فيُسئل عمّا سُئل عنه عليّ بن أبي طالب عليه السلام،

قال: ثمّ يُدعى بإمام إمام وبأهل عالمه، فيحتجّون بحجّتهم، فيقبل الله عذرهم ويجيز حجّتهم. قال: ثمّ يقول الله: ﴿هٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

قال: ثمّ انقطع حديث أبي جعفر عليه وعلى آبائه السلام.[1]

□ ■ □

---

(١) عنه البحار: ٧/٢٨٠ ح٣، والبرهان: ٢/٣٨٥ ح١، ونور الثقلين: ٢/٣١٢ ح٤٤٦، إثبات الهداة: ٢/٢١٣ ح٧٢٨.



سورة الأنعام

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ «١»

١ـ فإنّه حدّثني أبي، عن الحسين[1] بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: نزلت «الأنعام» جملة واحدة، يشيّعها سبعون ألف ملك، لهم زجل[2] بالتسبيح [والتقديس] والتهليل والتكبير، فمن قرأها سبّحوا له إلى يوم القيامة.[3]

وأمّا قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ «٢»

٢ـ فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن الحلبي، عن عبدالله بن مسكان[4] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الأجل المقضيّ: هو المحتوم الّذي قضاه الله وحتمه، والمُسمّى: هو الّذي فيه البداء، يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء.

---

(١) نقل السيّد الخوئي رحمه الله عدّه بهذا العنوان من أصحاب الكاظم عليه السلام في رجال الشيخ: ٣٤٧، والبرقي: ٤٨، وقال: وعن بعض نسخ الرجال الحسن بن خالد بدل الحسين بن خالد، وقال أيضاً: إذا صحّت نسخة الحسن في رجال الشيخ فالظاهر أنّه الحسن بن محمّد بن خالد بن محمّد بن عليّ البرقي، وإذا صحّت نسخة الحسين المؤيّدة بالروايات فهو مردّد بين الخفّاف والصيرفي: معجم رجال الحديث: ٣١٧/٤ و ٢٢٧/٥، وظاهر الميرزا والقهبائي اتّحاده مع الحسين بن خالد الصيرفي.

(٢) الزَّجَلُ ـ محرَّكةً ـ: الجَلَبَةُ والتَّطْريبُ ورفعُ الصَّوْتِ (القاموس المحيط: ٣٨٨/٣).

(٣) عنه البحار: ٢٧٤/٩٢ح ١، والبرهان: ٣٩٥/٢ح ١، ومستدرك الوسائل: ٢٩٦/٤ح ١، ونور الثقلين: ٣١٥/٢ح ٢.

(٤) «عن النضر بن سويد، عن عبدالله بن مسكان، عن الحلبي» خ، وهو صحيح أيضاً حيث روى كلّ واحد منهما عن الآخر، ورويا عن الإمام الصادق عليه السلام، أُنظر معجم رجال الحديث: ٣٢٩/١٠ و ٨١/٢٣.

والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير.(١)

٣ـوحدّثني ياسر، عن الرضاعليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً إلّا بتحريم الخمر، وأن يقرّ له بالبداء أن يفعل الله ما يشاء، وأن يكون في تراثه الكُنْدُر(٢).(٣)

وقوله: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَ يَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ﴾ «٣»

قال: السرّ ما أسرّ في نفسه، والجهر ما أظهره. والكتمان ما عرض بقلبه ثمّ نسيه.(٤)

وقوله: ﴿وَما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ ـإلى قوله ـ وَأَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ * وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذا إِلّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ «٤ـ٧»

فإنّه محكم.(٥)

﴿وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ﴾ «٨»

ثمّ قال حكاية عن قريش: ﴿وَقالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ـ يعني على رسول الله صلى الله عليه وآله ـ

---

(١) عنه البحار: ٩٩/٤ صدر ح٧، وج٥/١٣٩ ح١، والبرهان: ٤٠٠/٢ ح١، ونور الثقلين: ٣٢٣/٢ ح١٩ (قطعة).

(٢): ضرب من العلك نافع لقطع البلغم (القاموس المحيط: ١٢٩/٢).

(٣) عنه البحار: ٤٤٤/٦٦ ح٥، والبرهان: ٤٠٠/٢ ح٢، وأورده في العيون: ١٥/٢ ح٣٣ (عن الريّان)، عنه البحار: ٤٤٣/٦٦ ح٤، وج٧٩/١٣٤ ح٢٦، وج٤/١٠٨ ح٢٥، عن التوحيد: ٣٢٥ ح٦ (صدره) عن الريّان، وفي الكافي: ١٤٨/١ ح١٥ صدره عن الريان (مثله)، وغيبة الطوسي: ٤٣٠ ح٤١٩، عنه البحار: ٩٧/٤ ح٣، مصابيح الأنوار: ٢٧٥/١ ح٤٠ (قطعة)، عنهم الوسائل: ٢٤٠/١٧ ح١٢، التهذيب: ١٠٢/٩ ح١٨١، مسند الإمام الرضاعليه السلام: ٣٣٣/١ ح٧٥ (عن القمّي).

(٤) عنه البرهان: ٤٠٣/٢ ح٣، ونور الثقلين: ٣٢٣/٢ ح٢١.

(٥) عنه البرهان: ٤٠٣/٢ ح١.

وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ﴾ فأخبر عزّ وجلّ: أنّ الآية إذا جاءت، والملك إذا نزل، ولم يؤمنوا هلكوا، فاستعفى النبيّ ﷺ من الآيات رأفة منه ورحمة على اُمّته، وأعطاه الله الشفاعة.

ثمّ قال الله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنٰاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنٰاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنٰا عَلَيْهِمْ مٰا يَلْبِسُونَ * وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحٰاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ «٩ـ١٠»

أي نزل بهم العذاب.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ «١١»

ثمّ قال: قُلْ لهم يا محمّد: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا ـ أي انظروا في القرآن وأخبار الأنبياء فانظروا ـ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.(١)

﴿قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ...﴾ «١٢»

ثمّ قال: قُلْ لهم: ﴿لِمَنْ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ ـ ثمّ ردّ عليهم، فقال: ـ قُلْ ـ لهم: ـ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ﴾ يعني أوجب الرحمة على نفسه.(٢)

وقوله تعالى: ﴿وَ لَهُ مٰا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ «١٣»

يعني ما خلق بالليل والنهار هو كلّه لله.(٣)

ثمّ احتجّ عزّ وجلّ عليهم:

---

(١) عنه البحار: ٢٠١/٩ ح٦١، والبرهان: ٤٠٣/٢ ح٢.

(٢) عنه البرهان: ٤٠٤/٢ ح٥.

(٣) عنه البرهان: ٤٠٤/٢ ح٦.

فقال: ﴿قُلْ ـ لهم: ـ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فاطِرِ السَّماوٰاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ «١٤»

أي مخترعهما.

قوله: ﴿وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لاٰ يُطْعَمُ ـ إلى قوله ـ وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ «١٥ ـ ١٨»

فإنّه محكم.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ﴾ «١٩»

٤ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ﴾ وذلك أنّ مشركي أهل مكّة قالوا:

يا محمّد! ما وجد الله رسولاً يُرسله غيرك؟ ما نرى أحداً يُصدّقك بالّذي تقول! وذلك في أوّل ما دعاهم وهو يومئذ بمكّة، قالوا: ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أنّه ليس لك ذكر عندهم، فأتنا من يشهد أنّك رسول الله!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ﴾ الآية. قال:

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾، يقول الله لمحمّد صلى الله عليه وآله: فإن شهدوا فلا تشهد معهم، قال: ﴿لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.[1]

وأمّا قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ «٢٠»

فإنّ عمر بن الخطّاب قال لعبد الله بن سلام: هل تعرفون محمّداً في كتابكم؟ قال: نعم والله، نعرفه بالنعت الّذي نعته الله لنا إذا رأيناه فيكم، كما يعرف

---

(١) عنه البحار: ٢٠١/٩ ح٦٣، وج١٨/٢٣٤ ح٧٦، والبرهان: ٤٠٤/٢ ح١، وص٤٠٦ ح٧، ونور الثقلين: ٣٢٦/٢ ح٣٠.

أحدنا ابنه إذا رآه مع الغلمان، والّذي يحلف به عبدالله بن سلام لأنا بمحمّد هذا أشدّ معرفة منّي بابني. قال الله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴾.[١]

وقال عليّ بن إبراهيم: ثمّ قال: قل لهم يا محمّد:

﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهٰادَةً ـ يعني أيّ شيء أصدق قولاً، ثمّ قال: ـ قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ﴾

قال: من بلغ هو الإمام، قال: محمّد ينذر، وإنّا نقول[٢] كما أنذر به النبيّ صلى الله عليه وآله.[٣]

ثمّ قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لاٰ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمٰا هُوَ إِلٰـهٌ وٰاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ * الَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ يَعْرِفُونَهُ كَمٰا يَعْرِفُونَ أَبْنٰاءَهُمْ ـ يعرفونه يعني رسول الله صلى الله عليه وآله كما يعرفون أبناءهم ـ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيٰاتِهِ إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ﴾ «٢١»

فإنّه محكم.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكٰاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ـ أي كذبهم ـ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا وَ اللّٰهِ رَبِّنٰا مٰا كُنّٰا مُشْرِكِينَ﴾[٤] «٢٢ـ٢٣»

والدليل على أنّ الفتنة هاهنا الكذب، قوله:

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ﴾ «٢٤»

أي ضلّ عنهم كذبهم. ثمّ ذكر قريشاً. فقال:

---

(١) عنه البحار: ١٥/ ١٨٠ ح ٢، والبرهان: ٢/ ٤٠٧ ح ٢، إثبات الهداة: ١/ ٢٣١ ح ١٢١.

(٢) «ننذر» البحار.

(٣) عنه البحار: ٢٣/ ١٩٠ ح ٧.

(٤) عنه البرهان: ٢/ ٤٠٧ ح ١.

﴿وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ـ يعني غطاءً ـ وَ فِي آذٰانِهِمْ وَقْراً ـ أي صمماً ـ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاٰ يُؤْمِنُوا بِهٰا حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُكَ يُجٰادِلُونَكَ ـ أي يخاصمونك ـ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذٰا إِلّٰا أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ «٢٥»

أي أكاذيب الأوّلين.[1]

[و] قوله: ﴿وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ «٢٦»

قال: بنو هاشم كانوا ينصرون رسول الله ﷺ ويمنعون قريشاً عنه ويصدّونهم ﴿وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾ أي يباعدون عنه، ويساعدونه ولا يؤمنون [به]![2]

وقوله: ﴿وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النّٰارِ فَقٰالُوا يٰا لَيْتَنٰا نُرَدُّ وَ لاٰ نُكَذِّبَ بِآيٰاتِ رَبِّنٰا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «٢٧»

قال: نزلت في بني اُميّة.

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾ «٢٨ـ٣١»

ثمّ قال: ﴿بَلْ بَدٰا لَهُمْ مٰا كٰانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ـ قال: من عداوة أمير المؤمنين ؑ ـ وَلَوْ رُدُّوا لَعٰادُوا

---

(١) عنه البرهان: ٢/٤١٠ ح١. (٢) عنه البرهان: ٢/٤١٠ ح٢، ونور الثقلين: ٢/٣٣٠ صدر ح٤٥.

لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾.[١] ثمّ حكى عزّ وجلّ قول الدهريّة، فقال: ﴿وَ قالُوا إِنْ هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ فقال الله: ﴿وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ﴾

قال: قال حكاية عن قول من أنكر قيام الساعة.[٢]

فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللّٰهِ حَتّٰى إِذٰا جاءَتْهُمُ السّٰاعَةُ بَغْتَةً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلىٰ ما فَرَّطْنا فِيها وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلىٰ ظُهُورِهِمْ أَلاٰ ساءَ ما يَزِرُونَ﴾ يعني آثامهم.[٣]

وقوله: ﴿وَ مَا الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا إِلاّٰ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدّٰارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ﴾ «٣٢»

فإنّه محكم.

قوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاٰ يُكَذِّبُونَكَ وَ لٰكِنَّ الظّٰالِمِينَ بِآيٰاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلىٰ ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّٰى أَتٰاهُمْ نَصْرُنٰا....﴾ «٣٣ و٣٤»

فإنّها قُرئت على أبي عبدالله عليه السلام فقال: بلى والله، لقد كذّبوه أشدّ التكذيب، وإنّما نزلت ﴿لاٰ يُكَذِّبُونَكَ﴾[٤] أي لا يأتون بحقّ[٥] يبطلون حقّك.[٦]

٥ ـ حدّثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص ابن غياث، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا حفص، إنّ من صبر صبر قليلاً، وإنّ من جزع جزع قليلاً، ثمّ قال: عليك بالصبر في جميع أُمورك، فإنّ الله تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وأمره بالصبر والرفق، فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلىٰ ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾.[٧]

---

(١) عنه البحار: ٥١٢/٣١ ح ٤، والبرهان: ٤١١/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٣٣٠/٢ ح ٤٥.

(٢) عنه البرهان: ٤١٢/٢ ح ١.
(٣) عنه البرهان: ٤١٣/٢ ح ١.

(٤) ﴿لاٰ يَأْتُونَك﴾ خ.
(٥) «بباطل يكذبون به حقّك» خ.

(٦) عنه البحار: ٢٠٢/٩ صدر ح ٦٦، والبرهان: ٤١٤/٢ ح ٥.
(٧) المزّمّل: ١٠.

وقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ـ السيّئة ـ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١)

فصبر رسول الله ﷺ حتّى قابلوه بالعظائم ورموه بها، فضاق صدره، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾(٢)

ثمّ كذّبوه ورموه، فحزن لذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاٰ يُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ الظّٰالِمِينَ بِآيٰاتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلىٰ مٰا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتّٰى أَتٰاهُمْ نَصْرُنٰا﴾

فألزم نفسه ﷺ الصبر فقعدوا، وذكروا الله تبارك وتعالى [بالسوء] وكذّبوه!

فقال رسول الله ﷺ: لقد صبرت على نفسي وأهلي وعرضي، ولا صبر لي على ذكرهم إلهي. فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَمٰا بَيْنَهُمٰا فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ وَمٰا مَسَّنٰا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ﴾(٣) فصبر رسول الله ﷺ في جميع أحواله.

ثمّ بُشّر في الأئمّة من عترته ووُصفوا بالصبر فقال: ﴿وَجَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا لَمّٰا صَبَرُوا وَكٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يُوقِنُونَ﴾(٤) فعند ذلك قال ﷺ: «الصبر من الإيمان كالرأس من البدن» فشكر الله له ذلك. فأنزل الله عليه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنىٰ عَلىٰ بَنِي إِسْرٰائِيلَ بِمٰا صَبَرُوا وَدَمَّرْنٰا مٰا كٰانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمٰا كٰانُوا يَعْرِشُونَ﴾(٥)

فقال رسول الله ﷺ: «آية بشرى وانتقام» فأباح الله قتل المشركين حيث وجدوا، فقتلهم على يدي رسول الله ﷺ وأحبّائه وعجّل الله له ثواب صبره مع ما ادّخر له في الآخرة من الأجر.(٦)

---

(١) فصّلت: ٣٤. (٢) الحجر: ٩٧. (٣) ق: ٣٨ـ ٣٩.

(٤) السجدة: ٢٤. (٥) الأعراف: ١٣٧.

(٦) عنه البحار: ٢٠٢/٩ ضمن ح٦٦، و١٨٢/١٨ ح١٣، وج٧١ ٨٧/٧١ ح٣٩، والبرهان: ٤١٤/٢ ح٦، ونور الثقلين: ٣٣٣/٢ ح٥٤ (قطعة).

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ «٣٥»

٦ـ **وفي رواية أبي الجارود،** عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ إسلام الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وجهد به أن يسلم، فغلب عليه الشقاء، فشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله:

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ـ إلى قوله ـ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ﴾ يقول سرباً[1].[2]

فقال عليّ بن إبراهيم: في قوله: ﴿نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ﴾ قال: إن قدرت أن تحفر الأرض أو تصعد السماء، أي لا تقدر على ذلك.

ثمّ قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ أي جعلهم كلّهم مؤمنين.

وقوله: ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ مخاطبة للنبيّ، والمعنى للناس.[3]

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ «٣٦ـ٣٧»

ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ـ يعني يعقلون ويصدّقون ـ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾ أي يصدّقون بأنّ الموتىٰ يبعثهم الله ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ ـ أي هلّا نزّل عليه آية، قل: ـ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) السارب: الذاهب على وجهه في الأرض (الصحاح: ٢٩٣).

(٢) عنه البحار: ٩/٢٠٣ ضمن ح٦٦، وج١٧/٨١ صدر ح٢، والبرهان: ٢/٤١٦ ح١، ونور الثقلين: ٢/٣٣٥ ح٦١.

(٣) عنه البحار: ٩/٢٠٣ ضمن ح٦٦، وج١٧/٨١ ذح٢، والبرهان: ٢/٤١٦ ح٢ وصدر ح٣.

قال: لايعلمون أنّ الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها يهلكوا.(١)

٧ـوفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ قادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ وسيريكم في آخر الزمان آيات، منها: دابّة الأرض والدجّال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها.(٢)

قوله: ﴿وَمٰا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلاٰ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلّٰا أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ﴾ «٣٨»

يعني خَلْقٌ مثلكم، وقال: كلّ شيء ممّا خلق خَلْق مثلكم.

﴿مٰا فَرَّطْنٰا فِي الْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ ـ أي ما تركنا ـ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(٣).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ «٣٩»

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمٰاتِ ـ يعني قد خفي عليهم ما تقوله ـ مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ ـ أي يعذّبه ـ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

يعني يبيّن له ويوفّقه حتّى يهتدي إلى الطريق.(٤)

٨ـ حدّثنا أحمد بن محمّد، قال: حدّثنا جعفر بن عبد الله(٥) قال: حدّثنا كثير بن عيّاش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا صُمٌّ وَبُكْمٌ ـ يقول: صمّ عن الهدى، وبُكم لا يتكلّمون بخير ـ فِي الظُّلُمٰاتِ ـ يعني ظلمات الكفر ـ مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

---

(١) عنه البحار: ٢٠٣/٩ ضمن ح ٦٦، والبرهان: ٤١٦/٢ ح ٣، ونور الثقلين: ٣٣٦/٢ صدر ح ٦٤ (قطعة).

(٢) عنه البحار: ٢٠٤/٩ ذح ٦٦، والبرهان: ٤١٦/٢ ح ٤، ونور الثقلين: ٣٣٦/٢ ذح ٦٤.

(٣) عنه البرهان: ٤١٦/٢ ح ١. (٤) عنه البرهان: ٤١٧/٢ ح ٣ و ٤.

(٥) «بن محمّد» خ، والصواب ما في المتن هو جعفر بن عبدالله رأس المدري بن جعفر المحمّدي، روى عنه أحمد ابن محمّد بن عقدة، وروى عن كثير بن عيّاش، أُنظر معجم رجال الحديث: ٧٥/٤ و ٣٢١/٧.

وهو ردّ على قدريّة هذه الأمّة، يحشرهم الله يوم القيامة مع الصابئين والنصارى والمجوس، فيقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾!

يقول الله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.(١)

قال: فقال رسول الله ﷺ: ألا إنّ لكلّ أُمّة مجوساً، ومجوس هذه الأُمّة الّذين يقولون: لا قدر(٢)، ويزعمون أنّ المشيئة والقدرة إليهم ولهم.(٣)

٩ـ أخبرنا الحسين بن محمّد، عن المعلّى بن محمّد، عن عليّ بن أسباط، عن عليّ ابن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله:

﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(٤) بولاية عليّ عليه السلام.(٥)

١٠ـ حدّثنا جعفر بن أحمد(٦) قال: حدّثنا عبد الكريم، قال: حدّثنا محمّد بن عليّ قال: حدّثنا محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، قال:

سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام:

نزلت في الّذين كذّبوا بأوصيائهم ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ كما قال الله: ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ من كان من ولد إبليس فإنّه لا يُصدّق بالأوصياء ولا يُؤمن بهم أبداً، وهم الّذين أضلّهم الله، ومن كان من ولد آدم آمن بالأوصياء فهم ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال:

وسمعته يقول: كذّبوا بآياتنا كلّها في بطن القرآن أن كذّبوا بالأوصياء كلّهم.(٧)

---

(١) الأنعام: ٢٤. (٢): أي لا قدرة لله.

(٣) عنه البحار: ١٩٧/٥ ح ١٤، والبرهان: ٤١٧/٢ ح ٥، ونور الثقلين: ٣٣٩/٢ ح ٧٤.

(٤) الأنعام: ٢٣.

(٥) عنه البحار: ٩٣/٣٦ ح ٢٢، والبرهان: ٤٠٨/٢ ح ٣، ونور الثقلين: ٣٣٠/٢ ح ٤٢.

(٦) «جعفر بن محمّد» خ، وما في المتن هو الصواب. أُنظر معجم رجال الحديث: ٥٠/٤.

(٧) عنه البحار: ٢٠٦/٢٣ ح ١، والبرهان: ٤١٨/٢ ح ٦ (صدره)، وج ٢٦١/٤ ح ١ (قطعة)، ونور الثقلين: ٣٣٩/٢ ح ٧٥، الكافي: ٢٠٧/١ ح ٢ (باختلاف).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ «٤٠-٤٣»

ثمّ قال: ﴿قُلْ ـ لهم يا محمّد: ـ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ ثمّ ردّ عليهم، فقال: ﴿بَلْ إِيّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ﴾ قال: تدعون الله إذا أصابكم ضرٌّ، ثمّ إذا كشف عنكم ذلك ﴿تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ﴾ أي تتركون الأصنام.(١)

قوله عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَالضَّرّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يعني كي يتضرّعوا.

ثمّ قال: ﴿فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا ـ يعني فهلّا إذا جاءهم بأسنا تضرّعوا ـ وَلٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾

فلمّا لم يتضرّعوا فتح الله عليهم الدنيا وأغناهم عقوبة لفعلهم الرديّ.

فلمّا ﴿فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أي آيسون.

وذلك قول الله تبارك وتعالى في مناجاته لموسى عليه السلام.(٢)

١١ـ حدّثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت مناجاة الله تعالىٰ لموسى عليه السلام: يا موسى! إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: «مرحباً بشعار الصالحين» وإذا رأيت الغنى

---

(١) عنه البحار: ٢٠٤/٩ ح٦٧، والبرهان: ٤١٨/٢ ضمن ح٦، ونورالثقلين: ٣٤٠/٢ ح٧٧ (قطعة).

(٢) عنه البحار: ١٩٩/٦٧ (قطعة)، والبرهان: ٤١٨/٢ ذح٦.

مقبلاً، فقل: «ذنب عُجّلت عقوبته» فما فتح الله على أحد هذه الدنيا إلّا بذنب لينسيه ذلك الذنب فلا يتوب، فيكون إقبال الدنيا عليه عقوبة لذنوبه.[١]

١٢ـ حدّثنا جعفر بن أحمد، قال: حدّثنا عبد الكريم بن عبد الرحيم، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، قال سألت أبا جعفر عليه السلام:

عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال:

أمّا قوله: ﴿فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ ـ يعني فلمّا تركوا ولاية عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وقد أُمروا به ـ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني دولتهم في الدنيا وما بسط لهم فيها.

وأمّا قوله: ﴿حَتّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ «٤٤»

يعني بذلك قيام القائم عليه السلام، حتّى كأنّهم لم يكن لهم سلطان قطّ، فذلك قوله: ﴿بَغْتَةً﴾ فنزل جبرئيل بهذه الآية لمحمّد صلى الله عليه وآله.[٢] [٣]

قوله: ﴿فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ «٤٥»

١٣ـ فإنّه حدثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن فضيل بن عياض، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الورع، فقال: الّذي يتورّع عن محارم الله، ويجتنب الشبهات، وإذا لم يتّق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه[٤] وإذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه، فقد أحبّ أن يُعصى الله، ومَن أحبّ أن يُعصى الله فقد بارز الله بالعداوة، ومن أحبّ بقاء الظالمين، فقد أحبّ

---

(١) عنه البحار: ٣٤٠/١٣ ح١٦، و١٩٩/٦٧ س١١، والبرهان: ٤١٨/٢ ح٧، ونور الثقلين: ٣٤١/٢ ح٨٣.

(٢) «فنزلت بخبره هذه الآية على محمّد صلى الله عليه وآله» خ.

(٣) عنه البحار: ٩٣/٣٦ ح٢٤ (صدره)، والبرهان: ٤١٩/٢ ح١، ونور الثقلين: ٣٤١/٢ ح٨٢.

(٤) «لا يدري» خ.

أن يُعصى الله! إنّ الله تبارك وتعالى حَمِد نفسه على هلاك الظالمين، فقال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[(١)]

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ «٤٦»

قال: قل لقريش: ﴿إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ يردّها عليكم إلّا الله؟! وقوله: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ أي يكذبون.[(٢)]

١٤-وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ - يقول: إن أخذ الله منكم الهدى - ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يقول: يعرضون.[(٣)]

وأمّا قوله: ﴿قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ «٤٧»

فإنّها نزلت لمّا هاجر رسول‌الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وأصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ - لهم يا محمّد - أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾.

أي إنّهم لا يصيبهم إلّا الجهد والضرر[(٤)] في الدنيا.

---

(١) عنه البحار: ٧٣/١٠٠ ح٧، وعن العيّاشي: ٩٨/٢ ح٢٥ عن ابن عياض (مثله)، وعن المعاني: ٢٥٢ ح١، عنه البحار: ٣٠٣/٧٠ ح١٥ (وعن القمّي)، وج٣٦٩/٧٥ ح٦، والبرهان: ٤١٩/٢ ح٣ (وعن القمّي)، ونور الثقلين: ٣٤٢/٢ ح٨٨، وعن الكافي: ١٠٨/٥ ح١١ (مثله)، عنه الوسائل: ٥٠١/١١ ح٥ (وعن القمّي)، مستدرك الوسائل: ١٢٨/١٣ ح١ (عن القمّي).

(٢) عنه البحار: ٢٠٤/٩ صدر ح٦٨، والبرهان: ٤٢١/٢ ح١، ونور الثقلين: ٣٤٣/٢ ح٨٩.

(٣) عنه البحار: ١٩٧/٥ ح١١، وج٢٠٤/٩ ضمن ح٦٨، والبرهان: ٤٢١/٢ ح٢، ونور الثقلين: ٣٤٣/٢ ح٩٠.

(٤) «إنّه لا يصيبكم إلّا الجهد والضُر» البحار.

فأمّا العذاب الأليم الّذي فيه الهلاك، فلا يصيب إلّا القوم الظالمين.[١]

قوله: ﴿وَمٰا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلّاٰ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا يَمَسُّهُمُ الْعَذٰابُ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ﴾

ثمّ قال: ﴿قُلْ ـ لهم يا محمّد ـ لاٰ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزٰائِنُ اللهِ وَ لاٰ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاٰ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّٰ مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ...﴾ «٤٨ ـ ٥٠»

قال: لا أملك لكم خزائن الله، ولا أعلم الغيب، وما أقول، فإنّه من عند الله.

ثمّ قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ ـ أي من يعلم ومن لا يعلم ـ أَفَلاٰ تَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ «٥١»

ثمّ قال: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ ـ يعني بالقرآن ـ الَّذِينَ يَخٰافُونَ ـ أي يرجون ـ أَنْ يُحْشَرُوا إِلىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاٰ شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.[٢]

وأمّا قوله: ﴿وَلاٰ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مٰا عَلَيْكَ مِنْ حِسٰابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمٰا مِنْ حِسٰابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّٰالِمِينَ﴾ «٥٢»

فإنّه كان سبب نزولها أنّه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون، يُسمّون أصحاب الصُفّة، وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في صفّة يأوون إليها، وكان

---

(١) عنه البحار: ٢٠٤/٩ ذح٦٨، والبرهان: ٤٢١/٢ ح١، ونور الثقلين: ٣٤٣/٢ ذح٩٠.

(٢) عنه البرهان: ٤٢٢/٢ ح١.

رسول الله ﷺ يتعاهدهم بنفسه، وربّما حمل إليهم ما يأكلون، وكانوا يختلفون إلى رسول‌الله ﷺ فيُقرّبهم، ويقعد معهم، ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه أنكروا عليه ذلك، ويقولون له: اطردهم عنك!

فجاء يوماً رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وعنده رجل من أصحاب الصُفّة قد لزق برسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يُحدّثه، فقعد الأنصاري بالبعد منهما، فقال له رسول الله ﷺ: تقدّم. فلم يفعل! فقال له رسول الله ﷺ: لعلّك خفت أن يلزق فقره بك؟! فقال الأنصاري: اطرد هؤلاء عنك! فأنزل الله: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ الآية.[1]

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ «٥٣»

ثمّ قال: ﴿وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ـ أي اختبرنا الأغنياء بالغنىٰ، لننظر كيف مُواساتهم للفقراء، وكيف يُخرجون ما فرض الله عليهم في أموالهم، واختبرنا الفقراء لننظر كيف صبرهم على الفقر وعمّا في أيدي الأغنياء ـ لِيَقُولُوا ـ أي الفقراء: ـ أَهٰؤُلاٰءِ ـ الأغنياء قد ـ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنٰا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشّٰاكِرِينَ﴾ ثمّ فرض الله على رسوله ﷺ أن يُسلّم على التوّابين الّذين عملوا السيّئات ثمّ تابوا، فقال:

﴿وَإِذٰا جٰاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيٰاتِنٰا فَقُلْ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾ «٥٤»

يعني أوجب الرحمة لمن تاب، والدليل على ذلك قوله:

---

(١) عنه البحار: ٨١/١٧ صدر ح٣ وج٢٢/٦٦ صدر ح١٠ وج٧٢/٣٨ صدر ح٣٢، والبرهان: ٤٢٢/٢ ح١، ونور الثقلين: ٣٤٥/٢ ح٩٤.

﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهٰالَةٍ ثُمَّ تٰابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[١]

قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيٰاتِ وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ «٥٥»

يعني مذهبهم وطريقتهم تستبين[٢] إذا وصفناهم.

ثمّ قال: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لاٰ أَتَّبِعُ أَهْوٰاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّٰهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ «٥٦ و٥٧»

﴿قُلْ إِنِّي عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ـ أي بالبيّنة الّتي أنا عليها ـ مٰا عِنْدِي مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ـ يعني الآيات الّتي سألوها ـ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفٰاصِلِينَ﴾ أي يفصل بين الحقّ والباطل.

ثمّ قال: ﴿قُلْ ـ لهم ـ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...﴾ «٥٩»

يعني إذا جاءت الآية هلكتم وانقضى ما بيني وبينكم.[٣]

قوله: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفٰاتِحُ الْغَيْبِ ـ يعني علم الغيب ـ لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ وَيَعْلَمُ مٰا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّٰ يَعْلَمُهٰا وَلاٰ حَبَّةٍ فِي ظُلُمٰاتِ الأَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ﴾

قال: الورقة: السقط. والحبّة: الولد. وظلمات الأرض: الأرحام. والرطب: ما يبقى ويحيا. واليابس: صورة ما تغيض الأرحام[٤]، وكلّ ذلك في كتاب مبين.[٥]

---

(١) عنه البحار: ٨٢/١٧ ذ ح ٣، وج ٦٦/٢٢ ذ ح ١٠، وج ٣٨/٧٢ ح ٢٢ (قطعة)، والبرهان: ٤٢٣/٢ ح ٣.

(٢) «لتستبين» البرهان.

(٣) عنه البرهان: ٤٢٤/٢ ح ١.

(٤) ما تغيض الأرحام: أي ما ينقص من تسعة أشهر (القاموس المحيط: ٣٣٩/٢).

(٥) عنه البرهان: ٤٢٥/٢ ح ١.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «٦٠»

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفّاكُمْ بِاللَّيْلِ - يعني بالنوم - وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ - يعني ما عملتم بالنهار، وقوله: - ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ يعني ما عملتم من الخير والشرّ.[1]

١٥- وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لِيُقْضىٰ أَجَلٌ مُسَمّىً - قال: هو الموت - ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ﴾ «٦١»

[وأمّا] قوله: ﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً - يعني الملائكة الّذين يحفظونكم ويحفظون[2] أعمالكم - حَتّٰى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا - وهم الملائكة - وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ أي لا يقصرون. ثمّ قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ﴾.[3]

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ «٦٣-٦٧»

قوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً - إلى قوله - ثُمَّ أَنْتُمْ

---

(١) عنه البرهان: ٤٢٧/٢ ح ١. (٢) «ويضبطون» البرهان.

(٣) عنه البرهان: ٤٢٧/٢ ح ٢، ونور الثقلين: ٣٤٨/٢ ح ١٠٤ (قطعة).

تُشْرِكُونَ﴾ فإنّه محكم. فقوله: ﴿يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ـ قال: السلطان الجائر ـ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ـ قال: السفلة ومن لا خير فيه ـ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ـ قال: العصبيّة ـ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: سوء الجوار.(١)

١٦ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ـ قال: هو الدخان(٢) والصيحة ـ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ـ وهو الخسف ـ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ـ وهو إختلاف في الدين، وطعن بعضكم على بعض ـ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ـ وهو أن يقتل بعضكم بعضاً، وكلّ هذا في أهل القبلة، يقول الله: ـ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ وهم قريش. قوله: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ـ يقول: لكلّ نبأ حقيقة ـ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثمّ قال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعني كي يفقهوا.(٣)

قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن كذّبت به قريش.

وقوله: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ـ أي لكلّ خبر وقت ـ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.(٤)

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ...﴾ «٦٨»

يعني الّذين يكذّبون بالقرآن ويستهزئون، ثمّ قال: فإن أنساك الشيطان في ذلك الوقت عمّا أمرتك به ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.(٥)

١٧ـ أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن سيف بن عميرة، عن عبد الأعلى بن أعين، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس في مجلس

---

(١) عنه البحار: ٢٠٥/٩ صدر ح ٦٩، والبرهان: ٤٢٨/٢ ح ٢. (٢) «الدجّال» البحار.

(٣) «أي كي يفقهون» البحار.

(٤) عنه البحار: ٢٠٥/٩ ضمن ح ٦٩، وج ١٨٢/٥٢ ذح ٤، والبرهان: ٤٢٩/٢ ح ٣، ونور الثقلين: ٣٤٩/٢ ح ١٠٩.

(٥) عنه البحار: ٢٠٥/٩ ذح ٦٩، والبرهان: ٤٢٩/٢ ح ١.

يُسبّ فيه إمام، أو يُغتاب فيه مسلم، إنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَلَـكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ * قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «٦٩-٧١»

وقوله: ﴿وَ مَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ليس يؤخذ المتّقون بحساب الّذين لا يتّقون: ﴿وَلٰكِنْ ذِكْرىٰ﴾ ـ أي أذكر[2] ـ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ كي يتّقوا[3].[4]

ثمّ قال: ﴿وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيا﴾ يعني الملاهي.

﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ ـ أي تُسلم ـ ﴿لَيْسَ لَهٰا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيٌّ وَ لاٰ شَفِيعٌ وَ إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاٰ يُؤْخَذْ مِنْهٰا﴾ يعني يوم القيامة لا يقبل منها فداء ولا صرف.

﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمٰا كَسَبُوا﴾ ـ أي أسلموا بأعمالهم[5] ـ ﴿لَهُمْ شَرٰابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذٰابٌ أَلِيمٌ بِمٰا

---

(١) عنه البحار: ٢٠٩/٢٣ ح١٣، وج ٢١٧/٧٤ س١٨، وج ٢٤٦/٧٥ ح٩ (وعن السرائر)، والبرهان: ٤٢٩/٢ ح٢، ونور الثقلين: ٣٥١/٢ ح١١٦، والوسائل: ٥٠٤/١١ ح٨ (وعن الكافي)، ورواه في مستطرفات السرائر: ١٤٧ ح٢٢ عن عبد الأعلى (مثله)، عنه الوسائل: ٥٠٧/١١ ح٢١، والبحار: ١٩٥/٧٤ ح٢٤، وص٢١٣ ح٤٦، عن الكافي: ٣٧٧/٢ ح٩ بإسناده عن عبد الأعلىٰ (نحوه)، عنه الوافي: ١٠٤٨/٥ ح٧، وفي المستدرك: ٣١٥/١٢ ح١٧، عن المؤمن: ٧٠ ح١٩٢ مرسلاً (مثله)، وأورده في تنبيه الخواطر: ٢١٠/٢ (نحوه).

(٢) «ذكّر» البرهان. (٣) «يتقون» خ. (٤) عنه البرهان: ٤٣٠/٢ ح٥.

(٥) أسلموا مبنيّ للمفعول، ومعنىٰ أبسل نفسه للهلاك: أسلم نفسه له.

كانُوا يَكْفُرُونَ﴾ الآية، قال: وقال إحتجاجاً على عبدة الأوثان: ﴿قُلْ ـ لهم: ـ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَ لا يَضُرُّنا وَ نُرَدُّ عَلىٰ أَعْقابِنا بَعْدَ إِذْ هَدانَا اللهُ﴾

وقوله: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ ـ أي خدعته ـ فِي الأَرْضِ ـ فهو ـ حَيْرانَ﴾. وقوله: ﴿لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنا﴾ يعني ارجع إلينا، وهو كناية عن إبليس، فردّ الله عليهم، فقال: ﴿قُلْ ـ لهم يا محمّد: ـ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدىٰ وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾.[1]

وقوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماوٰاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ «٧٢ـ٧٣»

فإنّه محكم. ثمّ حكى الله عزّ وجلّ قول إبراهيم عليه السلام:

﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّي أَراكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ﴾ «٧٤»

فإنّه محكم.

وأمّا قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ «٧٥»

١٨ـ فإنّه حدّثني أبي، عن إسماعيل بن مرّار[2]، عن يونس بن عبدالرّحمان، عن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كُشط[3] له عن الأرض ومن عليها وعن السماء ومن[4]

---

(١) عنه البحار: ٩/٢٠٥ ذح ٦٩ (قطعة)، والبرهان: ٢/٤٣٠ ح٧.

(٢) «ضرار» خ، والصواب ما في المتن. (أنظر معجم: ٣/١٤٣ و١٨٣).

(٣) كشف. (مجمع البحرين: ٣/١٥٧٣).

(٤) «وما» البحار.

فيها، والملك الّذي يحملها، والعرش ومن عليه، وفعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين صلوات الله عليه.[١]

١٩ـ وحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات! ثمّ رأى آخر، فدعا عليه فمات! حتّىٰ رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا! فأوحى الله عزّ ذكره إليه: يا إبراهيم، إنّ دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي، فإنّي لو شئت لم أخلقهم، إنّي خلقت خلقي على ثلاثة أصناف: صنف يعبدني ولا يشرك بي شيئاً فأُثيبه، وصنف يعبد غيري فليس يفوتني، وصنف يعبد غيري فأُخرج من صلبه من يعبدني[٢].[٣]

وأمّا قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ ـ أي غاب ـ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ[٤]... ❊ ... قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي

---

(١) عنه البحار: ٢٨/١٢ ح١، وج١٤٦/١٧ ح٣٧، وج١١٤/٢٦ ح١٣، والبرهان: ٤٣٤/٢ ح٧، ونور الثقلين: ٣٥٨/٢ ح١٣٢.

(٢) «يطيعني» خ.

(٣) عنه البحار: ٦١/١٢ ح٦ (وعن علل الشرائع والعيّاشي)، والبرهان: ٤٣٣/٢ ح٦، عن الكافي: ٣٠٥/٨ ح٤٧٣، عنه البحار: ٤١/٧ ح١٢ (وعن العلل)، ونور الثقلين: ٣٥٨/٢ ح١٣٣ (وعن القمّي)، ورواه العيّاشي في تفسيره: ١٠٢/٢ ح٣٧، وعلل الشرائع: ٥٨٥ ح٢١ عن أبي بصير (مثله).

(٤) لا يخفى أنّه قد اختلف العلماء في والد إبراهيم عليه السلام: قال الرازي ٣٧/١٣ في تفسير قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾: ظاهر هذه الآية تدلّ على أنّ اسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر، ومنهم من قال اسمه تارح. وقال الزجاج: لا خلاف بين النسّابين أنّ اسمه «تارح» وعلى هذه آزر كان عمّه وإطلاق لفظ الأب على العمّ في لغة العرب والقرآن شائع، ومنه الحديث المعروف «عمّ الرجل صنو أبيه»، وقال الله تعالى حاكياً عن أولاد يعقوب عليه السلام أنّهم قالوا: ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق﴾، علماً بأنّ إسماعيل كان عمّاً ليعقوب. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم نزل ننتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات. وقال الله تعالى: ﴿إنّما المشركون نجس﴾ فلا يكون أحد أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله ولو بعيداً نجساً وهذا هو معقد أجماع الطائفة المحقّة فتحمل الروايات المخالفة له على التقيّة (البحار: ٤٨/١٢ ـ ٤٩).

بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ «٧٦ـ٧٩»

٢٠ـ فإنّه حدّثني أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ آزر[١] أبا إبراهيم عليه السلام كان منجّماً لنمرود بن كنعان، فقال له: إنّي أرى في حساب النجوم أنّ في هذا الزمان يحدث رجل فينسخ هذا الدين، ويدعو إلى دين آخر.

فقال له نمرود: في أيّ بلاد يكون؟ قال: في هذه البلاد. وكان منزل نمرود بكوثى ربّي[٢] فقال له نمرود: قد خرج إلى الدنيا؟ قال آزر: لا.

قال: فينبغي أن يفرّق بين الرجال والنساء! ففُرّق بين الرجال والنساء.

وحملت أُمّ إبراهيم بإبراهيم عليه السلام ولم يبن حملها، فلمّا حانت ولادتها قالت: يا آزر، إنّي قد اعتللت وأُريد أن أعتزل عنك. وكان في ذلك الزمان المرأة إذا اعتلّت اعتزلت عن زوجها، فخرجت واعتزلت في غار، ووضعت إبراهيم عليه السلام وهيّأته وقمّطته، وسدّت باب الغار بالحجارة، ورجعت إلى منزلها.

فأجرى الله لإبراهيم عليه السلام لبناً من إبهامه. وكانت أُمّه تأتيه.[٣]

ووكّل نمرود بكلّ امرأة حامل، فكان يذبح كلّ ولد ذكر! فهربت أُمّ إبراهيم بإبراهيم عليه السلام من الذبح، وكان يشبّ إبراهيم عليه السلام في الغار يوماً كما يشبّ غيره في الشهر، حتّى أتى له في الغار ثلاث عشر سنة.

فلمّا كان بعد ذلك زارته أُمّه، فلمّا أرادت أن تفارقه تشبّث بها فقال: يا أُمّي، أخرجيني. فقالت له: يا بنيّ إنّ الملك إن علم أنّك ولدت في هذا الزمان قتلك.

فلمّا خرجت أُمّه وخرج من الغار وقد غابت الشمس، نظر إلى الزهرة في

---

(١) عنه البرهان: ٢/٤٣٦ ح ١٠.

(٢) من أرض بابل بالعراق، فيها مولد إبراهيم الخليل عليه السلام وفيها مشهده (معجم البلدان: ٤/٤٨٧).

(٣) «تتفقّده» خ.

السماء، فقال: هذا ربّي! فلمّا أفلت[١]، قال: لو كان هذا ربّي ما تحرّك ولا برح! ثمّ قال: لا أُحبّ الآفلين ـ والآفل: الغائب ـ فلمّا نظر إلى المشرق رأى القمر [بازغاً][٢]، قال: هذا ربّي، هذا أكبر وأحسن! فلمّا تحرّك وزال، قال إبراهيم عليه السلام:

﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالِّينَ﴾ فلمّا أصبح وطلعت الشمس ورأى ضوءها وقد أضاءت الدنيا لطلوعها، قال: هذا ربّي هذا أكبر وأحسن!

فلمّا تحرّكت وزالت كشف[٣] الله له عن السماوات حتّى رأى العرش ومن عليه، وأراه الله ملكوت السماوات والأرض، فعند ذلك قال:

﴿يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فجاء إلى أُمّه وأدخلته دارها وجعلته بين أولادها.

وسُئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿هٰذا رَبِّي﴾ [لغير الله هل] أشرك في قوله: ﴿هٰذا رَبِّي﴾؟ فقال: لا، بل من قال هذا اليوم فهو مشرك، ولم يكن من إبراهيم عليه السلام شرك، وإنّما كان في طلب ربّه، وهو من غيره شرك.

فلمّا أدخلت أُمّ إبراهيم إبراهيم دارها، نظر إليه آزر، فقال:

من هذا الّذي قد بقي في سلطان الملك، والملك يقتل أولاد الناس؟

فقالت: هذا ابنك ولدته في وقت كذا وكذا حين اعتزلت عنك.

فقال: ويحك! إن علم الملك بهذا زالت منزلتنا عنده.

وكان آزر صاحب أمر نمرود ووزيره، وكان يتّخذ الأصنام له وللناس، ويدفعها إلى ولده فيبيعونها، وكان على دار الأصنام، فقالت أُمّ إبراهيم لآزر: لا عليك إن لم يشعر الملك به بقي لنا ولدنا، وإن شعر به كفيتك الإحتجاج عنه.

---

(١) «غابت الزهرة فقال» البحار.

(٢) «وقد طلع القمر» البحار.

(٣) «كشط» البحار.

وكان آزر كلّما نظر إلى إبراهيم أحبّه حبّاً شديداً، وكان يدفع إليه الأصنام ليبيعها كما يبيع إخوته، فكان يعلّق في أعناقها الخيوط ويجرّها على الأرض، ويقول: من يشتري ما لا يضرّه ولا ينفعه؟! ويغرقها في الماء والحماة، ويقول لها: كلي واشربي وتكلّمي! فذكر إخوته ذلك لأبيه فنهاه، فلم ينته، فحبسه في منزله ولم يدعه يخرج.

﴿وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ ـ فقال إبراهيم: ـ أَ تُحاجُّونِّي فِي اللهِ وَ قَدْ هَداٰنِ ـ أي بيّن لي ـ وَلاٰ أَخاٰفُ ماٰ تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاّٰ أَنْ يَشاٰءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَ فَلاٰ تَتَذَكَّرُونَ ـ ثمّ قال لهم: ـ وَكَيْفَ أَخاٰفُ ماٰ أَشْرَكْتُمْ وَ لاٰ تَخاٰفُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللّٰهِ ماٰ لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاٰناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ «٨٠ـ٨١»

أي أنا أحقّ بالأمن حيث أعبدالله، أو أنتم الّذين تعبدون الأصنام!!.[١]

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيماٰنَهُمْ بِظُلْمٍ ـ إلى قوله ـ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ «٨٢ـ٨٣»

وأمّا قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيماٰنَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي صدقوا ولم ينكثوا ولم يدخلوا في المعاصي فيبطل إيمانهم.

ثمّ قال: ﴿أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُناٰ آتَيْناٰهاٰ إِبْراٰهِيمَ عَلىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاٰتٍ مَنْ نَشاٰءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ يعني ما قد احتجّ إبراهيم على أبيه وعليهم.[٢]

---

(١) عنه البحار: ٧٧/١١ ح ٥ (قطعة)، وج ٢٩/١٢ ح ٦، والبرهان: ٤٣٦/٢ ح ١١، ونور الثقلين: ٣٦٣/٢ ح ١٤٩.

(٢) عنه البحار: ٢٨/١٢ ح ٢.

قوله: ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ - يعني لإبراهيم -كُلًّا هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَ مُوسىٰ وَهارُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيّا وَيَحْيىٰ وَعِيسىٰ وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحِينَ * وَإِسْماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ * وَمِنْ آبائِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْناهُمْ -أي اخترناهم[1] -وَهَدَيْناهُمْ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ «٨٤ـ٨٧»

فإنّه محكم.

٢١ـوحدّثني أبي، عن ظريف بن ناصح، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليهما السلام؟ قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله!

قال: فبأيّ شيء احتججتم عليهم؟ قلت: احتججنا عليهم بقول الله عزّ وجلّ في عيسى بن مريم عليهما السلام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ -إلى قوله -وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

فجعل عيسى بن مريم من ذرّيّة إبراهيم عليه السلام. قال: فبأيّ شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد البنت من الولد، ولا يكون من الصلب!

قال: فبأيّ شيء احتججتم عليهم؟ قال: قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالىٰ: ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[2]

قال: فأيّ شيء قالوا لكم؟ قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل، والآخر يقول: أبناؤنا[3]. قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: والله يا أبا الجارود لأعطينّكها[4] من كتاب الله أنّهما من صلب[5] رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يردّها إلّا كافر.

---

(١) «اختبرناهم» خ.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) «ابني رجل واحد فيقول: أبناؤنا وإنّما هما ابن واحد» البحار.

(٤) «لأوضحتها لك» خ.

(٥) «تسمّي لصلب» البحار: ٩٦، «مسمّى لصلب» البحار: ٤٣.

قال: قلت: جعلت فداك وأين؟ قال: من حيث قال الله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ وَأَخَواتُكُمْ ـ الآية، إلى أن ينتهي إلى قوله: ـ وَحَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾[١]

فسَلهم يا أبا الجارود هل حلّ لرسول الله ﷺ نكاح حليلتيهما[٢]؟

فإن قالوا: نعم، فكذبوا ـ والله ـ وفجروا؛

وإن قالوا: لا، فهما والله أبناؤه[٣] لصلبه، وما حرمتا عليه إلّا للصلب.[٤]

﴿ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ * وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ «٨٨ـ٩٢»

ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا ـ يعني الأنبياء الّذين قد تقدّم ذكرهم ـ لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) النساء: ٢٣. (٢) «حليلتهما» البحار. (٣) «ابناه» البحار.

(٤) عنه البحار: ٢٣٣/٤٣ ح٩ (وعن الكافي)، و٢٣٩/٩٦ ح٣ (وعن الإحتجاج)، والبرهان: ٤٤٦/٢ ح١ (وعن الكافي)، ونور الثقلين: ٣٦٩/٢ ح١٦٥، الإحتجاج: ١٧٥/٢ ح٢٠٤ عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام (مثله)، الكافي: ٣١٧/٨ ح٥٠١ العدّة، عن البرقي، عن الحسن بن ظريف، عن عبد الصمد (مثله)، عنه الوافي: ٩٤٤/٣ ح٣.

ثمّ قال: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هٰؤُلاءِ ـ يعني أصحابه، وقريشاً، ومن أنكر بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ـ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾ يعني شيعة أمير المؤمنين عليه السلام. ثمّ قال تأديباً لرسول الله صلى الله عليه وآله:

﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ ـ يا محمّد، ثمّ قال: قُلْ لقومك: ـ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ ـ يعني على النبوّة والقرآن ـ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرىٰ لِلْعالَمِينَ﴾.[(١)]

قوله: ﴿وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ـ قال: لم يبلغوا من عظمة الله أن يصفوه بصفاته[(٢)] ـ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ـ وهم قريش واليهود، فردّ الله عليهم واحتجّ، وقال: قُلْ لهم يا محمّد ـ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها ـ يعني تقرّون[(٣)] ببعضها ـ وَتُخْفُونَ كَثِيراً ـ يعني من أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ يعني فيما خاضوا فيه من التكذيب.

ثمّ قال: ﴿وَهٰذا كِتابٌ ـ يعني القرآن ـ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ـ يعني التوراة والإنجيل والزبور ـ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرىٰ وَمَنْ حَوْلَها ـ يعني مكّة، وإنّما سمّيت أمّ القرى لأنّها أوّل بقعة خلقت [في وجه الأرض] ـ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ـ أي بالنبيّ والقرآن ـ وَهُمْ عَلىٰ صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾.[(٤)]

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللهُ﴾ «٩٣»

فإنّها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان أخا عثمان من الرضاعة.[(٥)]

٢٢ـ حدّثني أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام

---

(١) عنه البحار: ٢٥/١١ ح ٥ (قطعة)، و٣٦/٩٣ ح ٢٣ (قطعة)، والبرهان: ٢/٤٥٠ ح ١٣.

(٢) «بصفته» البحار. (٣) «تقرءون» خ.

(٤) عنه البحار: ٩/٢٠٥ ح ٧١، وج ١٧/٢٠٤ صدر ح ٩، والبرهان: ٢/٤٥٠ ح ٣.

(٥) عنه البحار: ٩٢/٣٥ صدر ح ١، ونور الثقلين: ٢/٣٧٣ ح ١٨٠.

قال: إنّ عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان [بن عفّان] من الرضاعة قدم المدينة وأسلم، وكان له خطّ حسن، وكان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ دعاه فكتب ما يمليه عليه رسول‌الله ﷺ من الوحي.

فكان إذا قال له رسول الله ﷺ: «سميع بصير» يكتب «سميع عليم»! وإذا قال: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يكتب: بصير، ويفرّق بين التاء والياء!

وكان رسول الله ﷺ يقول: هو واحد. فارتدّ كافراً ورجع إلى مكّة!،

وقال لقريش: والله ما يدري محمّد ما يقول، أنا أقول مثل ما يقول، فلا ينكر عليّ ذلك، فأنا أُنزل مثل ما أنزل الله! فأنزل الله على نبيّه ﷺ في ذلك ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾

فلمّا فتح رسول الله ﷺ مكّة أمر بقتله، فجاء به عثمان قد أخذ بيده ورسول‌الله ﷺ في المسجد، فقال: يا رسول الله! اعف عنه.

فسكت رسول الله ﷺ ثمّ أعاد، فسكت، ثمّ أعاد، فقال: هو لك.

فلمّا مرّ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله؟!

فقال رجل: كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إليّ فأقتله.

فقال رسول الله ﷺ: إنّ الأنبياء لا يقتلون بالإشارة. فكان من الطلقاء.(١)

ثمّ حكى عزّوجلّ ما يلقى أعداء آل محمّد عليه وآله السلام عند الموت، فقال:

﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذِ الظّٰالِمُونَ ـ آل محمّد حقّهم ـ فِي غَمَرٰاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلاٰئِكَةُ بٰاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذٰابَ الْهُونِ ـ قال: العطش ـ بِمٰا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيٰاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ «٩٣»

قال: ما أنزل الله في آل محمّد تجحدون به! ثمّ قال:

---

(١) عنه البحار: ٣٥/٩٢ ح ١، والبرهان: ٤٥٣/٢ ح ٢، ونور الثقلين: ٣٧٤/٢ ح ١٨١.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادىٰ كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَما نَرىٰ مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ ـ والشركاء هم أئمّتهم ـ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ـ يعني المودّة ـ وَضَلَّ عَنْكُمْ ـ أي بطل ـ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[1] «٩٤»

٢٣ـ حدّثني أبي[2]، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: نزلت هذه الآية في معاوية وبني أُميّة وشركائهم وأئمّتهم.[3]

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ «٩٥»

قوله: ﴿إِنَّ اللهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوىٰ﴾ قال: الحبّ ما أحبّه، والنوى ما نأى عن الحقّ.[4]

وقال أيضاً في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوىٰ﴾

قال: الحبّ: أن يفلق العلم من الأئمّة عليهم السلام، والنوى: ما بعد عنه.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ـ قال: المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ـ ذٰلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي تكذبون.[5]

قوله: ﴿فالِقُ الإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً﴾ «٩٦»

فقوله: ﴿فالِقُ الإِصْباحِ﴾ يعني مُجيء[6] النهار، والضوء بعد الظلمة.[7]

---

(١) عنه البرهان: ٤٥٤/٢ ح٦، ونور الثقلين: ٣٧٥/٢ ح ١٨٥.

(٢) «حدّثني عليّ، عن أبيه» خ، وما أثبتناه هو الصواب، ويُحتمل سقوط الواسطة بين أبيه وبين البعض.

(٣) عنه البرهان: ٤٥٤/٢ ح٧، ونور الثقلين: ٣٧٥/٢ ح ١٨٦.

(٤) عنه البرهان: ٤٥٧/٢ ح٤، ونور الثقلين: ٣٧٧/٢ صدر ح ١٩٤.

(٥) عنه البحار: ١٠٨/٢٤ ح١٨ (قطعة)، والبرهان: ٤٥٧/٢ ح٥، ونور الثقلين: ٣٧٧/٢ ذح ١٩٤.

(٦) «يجئ بالنّهار» البرهان. (٧) عنه البرهان: ٤٥٧/٢ ح٧.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ﴾ «٩٧»

قال: النجوم آل محمّد عليه وعليهم السلام.

﴿وَهُوَ الَّذِىَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ «٩٨»

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ﴾ ـ قال: من آدم ـ ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: المستقرّ: الإيمان الّذي يثبت في قلب الرجل إلى أن يموت.
والمستودع: هو المسلوب منه الإيمان.(١)

﴿وَهُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٩٩ـ١٠١»

قوله: ﴿وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَخْرَجْنٰا بِهِ نَبٰاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنٰا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرٰاكِباً﴾ ـ يعني بعضه على بعض ـ ﴿وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهٰا قِنْوٰانٌ دٰانِيَةٌ﴾ ـ وهو العنقود ـ ﴿وَ جَنّٰاتٍ مِنْ أَعْنٰابٍ﴾ يعني البساتين.

---

(١) عنه البحار: ٧٦/٢٤ ح ١٥ (قطعة)، والبرهان: ٤٥٨/٢ ح ١، ونورالثقلين: ٣٧٨/٢ ح ٢٠٣، وتأويل الآيات: ١٦٤/١ ح ٤ (قطعة).

قوله: ﴿انظُرُوا إِلىٰ ثَمَرِهِ إِذٰا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ - أي بلوغه - ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكُمْ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ الْجِنَّ﴾ - قال: وكانوا يعبدون الجنّ - ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنٰاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ - أي موّهوا وحرّفوا فقال الله عزّ وجلّ ردّاً عليهم: - ﴿بَدِيعُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ أَنّٰى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صٰاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.(١)

﴿لاٰ تُدْرِكُهُ الْأَبْصٰارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصٰارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ «١٠٣»

قوله: ﴿لاٰ تُدْرِكُهُ الْأَبْصٰارُ﴾ - أي لا تحيط به - ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصٰارَ﴾ - أي يحيط بها، وخلق كلّ شيء - ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

قوله: ﴿قَدْ جٰاءَكُمْ بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهٰا﴾ «١٠٤»

يعني عمى النفس وذلك لاكتسابها المعاصي.

وهو ردّ على المجبّرة الّذين يزعمون أنّه ليس لهم فعل ولا اكتساب.(٢)

قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيٰاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ «١٠٥»

قال: كانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: إنّ الّذي تخبرنا به من الأخبار تتعلّمه من علماء اليهود وتدرسه.(٣)

قوله: ﴿اتَّبِعْ مٰا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ «١٠٦»

منسوخ بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾(٤).(٥)

---

(١) عنه البرهان: ٤٦٠/٢ ح ١٣. (٢) عنه البرهان: ٤٦٦/٢ ح ١٠.

(٣) عنه البحار: ٢٠٤/١٧ ضمن ح ٦، والبرهان: ٤٦٦/٢ ح ١١، نور الثقلين: ٣٨٦/٢ ح ٢٣٣.

(٤) التوبة: ٥. (٥) عنه البرهان: ٤٦٦/٢ ح ١٢.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ «١٠٧»

فهو الّذي يحتجّ به المجبّرة، إنّا بمشيئة الله نفعل كلّ الأفعال، وليس لنا فيها صنع، فإنّما معنى ذلك أنّه لو شاء الله أن يجعل الناس كلّهم معصومين، حتّى كان لا يعصيه أحد لفعل ذلك، ولكن أمرهم ونهاهم وامتحنهم، وأعطاهم ما أزال علّتهم، وهي الحجّة عليهم من الله، يعني الإستطاعة، ليستحقّوا الثواب والعقاب، وليصدّقوا ما قال الله من التفضّل والمغفرة والرحمة والعفو والصفح.[1]

قوله: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ «١٠٨»

٢٤ـ فإنّه حدّثني أبي، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّه سئل عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء! فقال: كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم، لكيلا يسبّ الكفّار إله المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون

فقال: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية.[2]

قوله: ﴿كَذٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ يعني بعد اختبارهم ودخولهم فيه، فنسبه الله إلى نفسه، والدليل على أنّ ذلك لفعلهم المتقدّم، قوله: ﴿ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) عنه البرهان: ٢/٤٦٦ ح ١٣.

(٢) عنه البحار: ٧٢/٩٣ ح ٣، والبرهان: ٢/٤٦٧ ح ١، ونورالثقلين: ٢/٣٨٧ ح ٢٣٩، والوسائل: ١١/٤٩٨ ح ٣.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَـاتُ عِندَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ «١٠٩ و ١١٠»

ثمّ حكى قولهم وهم قريش، فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها ـ فقال الله عزّ وجلّ: ـ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُـؤْمِنُونَ﴾ يـعني قريشاً.[1] قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ﴾

٢٥ـ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ﴾ يقول: نُنكّس قلوبهم، فيكون أسفل قلوبهم أعلاها، ونُعمي أبصارهم، فلا يبصرون الهدى.

٢٦ـ وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ أوّل ما تغلبون عليه[2] من الجهاد: الجـهاد بأيديكم، ثمّ الجهاد بألسنتكم، ثمّ الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه مـعروفاً ولم ينكر منكراً نكس قلبه، فجعل أسفله أعلاه، فلا يقبل خيراً أبداً! ﴿كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني في الذرّ والميثاق ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي يضلّون.[3]

ثمّ عرّف الله نبيّه صلى الله عليه وآله ما في ضمائرهم، وأنّهم منافقون:

﴿وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتىٰ وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ـ أي عياناً ـ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾ «١١١»

وهذا أيضاً ما يحتجّ به المجبِّرة.

---

(١) عنه البرهان: ٤٦٨/٢ ح ٤. (٢) «ما تقلبون إليه» البحار.

(٣) عنه البحار: ١٩٧/٥ ح ١٢ (صدره) وج ٧٢/١٠٠ ح ٦، والبرهان: ٤٦٨/٢ ح ٥، ونور الثقلين: ٣٨٨/٢ ح ٢٤١ و ٢٤٢، وأخرجه في البحار المذكور ص ٨٩ ح ٧١، عن نهج البلاغة: ٥٤٢ خ ٣٧٥ عن أبي جحيفة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام (مثله)، عنهما الوسائل: ٤٠٦/١١ ح ١٠، ومختصر البصائر: ٤١٤ ح ٤٤.

ومعنى قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إلّا أن يُجبرهم على الإيمان.[١]

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ «١١٢»

يعني ما بعث الله نبيّاً إلّا وفي اُمّته شياطين الإنس والجنّ ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يقول بعضهم لبعض: لا تؤمنوا بـ ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٢] فهذا وحي كذب.[٣]

٢٧ـ حدّثني أبي، عن الحسين بن سعيد، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً إلّا وفي اُمّته شيطانان يؤذيانه ويضلّان الناس بعده؛

فأمّا صاحبا نوح عليه السلام: فقنطيفوص وخرام، وأمّا صاحبا إبراهيم عليه السلام فمكثل وزرّام، وأمّا صاحبا موسى عليه السلام: فالسامري ومرعقيبا، وأمّا صاحبا عيسى عليه السلام: فبولس ومريتون وأمّا صاحبا محمّد صلى الله عليه وآله فحبتر وزريق.[٤]

قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ «١١٣»

لتصغى إليه: أي تستمع لقوله المنافقون، ويرضونه بألسنتهم، ولا يؤمنون بقلوبهم. ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا ـ أي ينتظروا ـ مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ أي منتظرون.

---

(١) عنه البحار: ٢٠٤/١٧ ح٦ (قطعة)، والبرهان: ٤٦٨/٢ ح٧.

(٢) لا يخفي أنّ كلام الشياطين وايحاء بعضهم إلى بعض هو زخرف القول لأنّه مفعول «يوحي» لا أنّ الشياطين جعلوا كلام النبيّ مزخرفاً كما هو الظاهر من عبارة المصنّف وظنّ أنّه لأجل تصحيف في العبارة وكذا العبارة الآتية في شرح قوله تعالى: «ولتصغىٰ إليه أفئدة الّذين لا يؤمنون بالآخرة» لأنّه لا معنى لاستماع المنافقين لقول الشياطين ثمّ إرضائهم بمجرّد اللسان دون الجنان، والحال أنّ المنافقين شأنهم أن يؤمنوا بوحي الشياطين قلباً لا لساناً فهو بالعكس.

(٣) عنه البحار: ٤٥٤/١٤ ح١ (قطعة) و٤٥٦ ح٧ (قطعة)، وج٥٧٦/٣١ ح٥، وج٦٩/٦٣ ح١٠، والبرهان: ٤٦٩/٢ ح١.

(٤) عنه البحار: ١٨٦/٣٠ ح٤٥ (باختلاف)، والبرهان: ٤٦٩/٢ ح٢، ونور الثقلين: ٣٨٩/٢ ح٢٤٤.

ثمّ قال: قل لهم يا محمّد:

﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾ «١١٤»

يعني يفصل بين الحقّ والباطل.(١)

قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ «١١٥-١١٦»

٢٨ـ حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا خلق الله الإمام في بطن أُمّه، يكتب على عضده الأيمن: ﴿وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.(٢)

٢٩ـ وحدّثني أبي، عن حميد بن شعيب، عن الحسن بن راشد، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الله إذا(٣) أحبّ أن يخلق الإمام، أخذ شربة من تحت العرش من ماء المزن، وأعطاها ملكاً، فسقاها أباه، فمن ذلك يخلق الإمام!

فإذا ولد بعث الله ذلك الملك إلى الإمام فكتب بين عينيه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فإذا مضى ذلك الإمام الّذي قبله، رفع له مناراً يبصر به أعمال العباد، فلذلك يحتجّ به على خلقه.(٤)

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ «١١٦»

ثمّ قال عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ يعني

---

(١) عنه البرهان: ٤٦٩/٢ ح ٤.

(٢) عنه البحار: ٣٦/٢٥ ح ٢، والبرهان: ٤٧٢/٢ ح ٧.

(٣) «لمّا» خ.

(٤) عنه البحار: ٣٧/٢٥ ح ٣، والبرهان: ٤٧٢/٢ ح ٨.

يحيّروك عن الإمام، فإنّهم مختلفون فيه ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي يقولون ـ بلا علم ـ بالتخمين والتقريب.(١)

قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ «١١٧»

قال: من الذبائح، ثمّ قال:

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ـ يعني بيّن لكم ـ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ «١١٩»

وقوله: ﴿وَ ذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ «١٢٠»

قال: الظاهر من الإثم: المعاصي. والباطن: الشرك، والشكّ في القلب. وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ أي يعملون.(٢)

﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ «١٢١»

قوله: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ قال:

من ذبائح اليهود والنصارى، وما يذبح على غير الإسلام.

ثمّ قال: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ـ يعني وحي كذب وفسق وفجور إلى أوليائهم من الإنس ومن يطيعهم ـ لِيُجَادِلُوكُمْ ـ أي ليخاصموكم ـ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.(٣)

---

(١) عنه البرهان: ٢/٤٧٣ ح ١١.

(٢) عنه البرهان: ٢/٤٧٤ ح ٥، ونور الثقلين: ٢/٣٩٢ ح ٢٥٧.

(٣) عنه البرهان: ٢/٤٧٤ ح ٦، ونورالثقلين: ٢/٣٩٣ ح ٢٥٩ (قطعة).

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ «١٢٢»

وقوله: ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ ـ قال: جاهلاً عن الحقّ والولاية فهديناه إليها ـ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ ـ قال: النور: الولاية ـ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها ـ يعني في ولاية غير الأئمة عليهم السلام ـ كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[1]

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا ـ يعني رؤسائها ـ لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ «١٢٣»

أي يمكرون بأنفسهم، لأنّ الله يعذّبهم عليه.

﴿وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ﴾ «١٢٤»

قال: قالت الأكابر: لن نؤمن حتّى نؤتى مثل ما أُوتي رسل الله من الوحي والتنزيل، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَعَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي يعصون الله في السرّ.[2]

قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً...﴾ «١٢٥»

فالحرج: الّذي لا مدخل له. والضيق: ما يكون له المدخل الضيّق ﴿كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾ قال: يكون مثل شجرة حولها أشجار كثيرة، فلا تقدر أن تُلقي أغصانها يمنة

---

(١) عنه البحار: ٣٠٩/٢٣ ح٨، وج٦٧/٣٠ س١٦، والبرهان: ٤٧٥/٢ ح٢، ونور الثقلين: ٣٩٦/٢ صدر ح ٢٧٤.

(٢) عنه البرهان: ٤٧٦/٢ ح٥، ونور الثقلين: ٣٩٦/٢ ذ ح ٢٧٤.

ويسرة فتمرّ[١] في السماء وتسمّىٰ حرجة، فضرب بها مثلاً، ثمّ قال: ﴿كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴾.[٢]

﴿وَهَـٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ـ إلى قوله ـ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ «١٢٦ ـ ١٢٧»

وقوله: ﴿وَهٰذٰا صِراٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً ـ يعني الطريق الواضح ـ قَدْ فَصَّلْنَا الآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

وقوله: ﴿لَهُمْ دٰارُ السَّلاٰمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ـ يعني في الجنّة، والسلام: الأمان والعافية والسرور، ثمّ قال: ـ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ـ اليوم ـ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني الله عزّ وجلّ وليّهم، أي أولى بهم.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقٰالَ أَوْلِيٰاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنٰا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنٰا بِبَعْضٍ﴾ «١٢٨»

قال: كلّ من والى قوماً فهو منهم وإن لم يكن من جنسهم.

وقوله: ﴿وَبَلَغْنٰا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنٰا﴾ يعني يوم القيامة.

قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظّٰالِمِينَ بَعْضاً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ﴾ «١٢٩»

قال: نولّي كلّ من تولّى أولياءهم، فيكونون معهم يوم القيامة.[٣]

ثمّ ذكر عزّ وجلّ إحتجاجاً على الجنّ والإنس يوم القيامة، فقال:

﴿يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيٰاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقٰاءَ يَوْمِكُمْ هٰذٰا قٰالُوا شَهِدْنٰا عَلىٰ أَنْفُسِنٰا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا وَشَهِدُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كٰانُوا كٰافِرِينَ﴾ «١٣٠»

قوله: ﴿ذٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهٰا غٰافِلُونَ﴾ «١٣١»

---

(١) «فتثمر» خ. (٢) عنه البرهان: ٤٧٩/٢ ح ١٢.

(٣) عنه البحار: ١٨١/٨ ح ١٣٩ (نحوه)، والبرهان: ٤٧٩/٢ ح ١٣، ونور الثقلين: ٣٩٩/٢ ح ٢٨٧.

يعني لا يظلم أحداً حتّى يبيّن لهم ما يرسل إليهم، فإذا لم يؤمنوا هلكوا.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ «١٣٢»

وقوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجٰاتٌ مِمّٰا عَمِلُوا﴾ ـ يعني لهم درجات على قدر أعمالهم ـ ﴿وَمٰا رَبُّكَ بِغٰافِلٍ عَمّٰا يَعْمَلُونَ﴾.

ثمّ قال: ﴿وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مٰا يَشٰاءُ كَمٰا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ * إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ «١٣٣ و١٣٤»

وقوله: ﴿إِنَّ مٰا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ ـ يعني من القيامة، والثواب، والعقاب ـ ﴿وَمٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.(١)

قوله: ﴿وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ مِمّٰا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعٰامِ نَصِيباً فَقٰالُوا هٰذٰا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هٰذٰا لِشُرَكٰائِنٰا فَمٰا كٰانَ لِشُرَكٰائِهِمْ فَلاٰ يَصِلُ إِلَى اللّٰهِ وَ مٰا كٰانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلىٰ شُرَكٰائِهِمْ سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ﴾ «١٣٦»

قال: فإنّ العرب كانت إذا زرعوا زرعاً، قالوا: هـذا لله، وهـذا لآلهـتنا، وكـانوا إذا سقوها فخرق الماء من الّذي لله في الّذي للأصنام لم يسدّوه، وقالوا: الله أغنى! وإذا خرق الماء من الّذي للأصنام في الّذي لله سدّوه، وقالوا: الله أغنىٰ!

وإذا وقع شيء من الّذي لله في الّذي للأصنام لم يردّوه، وقالوا: الله أغنىٰ!

وإذا وقع شيء من الّذي للأصنام في الّذي لله ردّوه، وقالوا: الله أغنىٰ!.

فأنزل الله في ذلك على نبيّه ﷺ وحكى فعلهم وقولهم، فقال:

﴿وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ مِمّٰا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعٰامِ نَصِيباً فَقٰالُوا هٰذٰا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هٰذٰا لِشُرَكٰائِنٰا فَمٰا كٰانَ لِشُرَكٰائِهِمْ فَلاٰ يَصِلُ إِلَى اللّٰهِ وَ مٰا كٰانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلىٰ شُرَكٰائِهِمْ سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ﴾.(٢)

---

(١) عنه البرهان: ٤٨٠/٢ ح١٥.

(٢) عنه البحار: ٢٠٧/٩ صدر ح٧٤، والبرهان: ٤٨٠/٢ ح١.

﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ «١٣٧»

قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاٰدِهِمْ شُرَكٰاؤُهُمْ ـ قال: يعني أسلافهم زيّنوا لهم قتل أولادهم ـ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ـ يعني يغيّروهم[١] ـ وَلَوْ شٰاءَ اللهُ مٰا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمٰا يَفْتَرُونَ﴾.[٢]

﴿وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَنْ نَّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ـ إلى قوله ـ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ «١٣٨ـ١٣٩»

قوله: ﴿وَ قٰالُوا هٰذِهِ أَنْعٰامٌ وَ حَرْثٌ حِجْرٌ ـ قالوا: الحجر: المحرّم ـ لاٰ يَطْعَمُهٰا إِلاّٰ مَنْ نَشٰاءُ بِزَعْمِهِمْ ـ قال: كانوا يحرّمونها على قوم ـ وَ أَنْعٰامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهٰا ـ يعني البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام ـ وَأَنْعٰامٌ لاٰ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرٰاءً عَلَيْهِ ـ على الله ـ سَيَجْزِيهِمْ بِمٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ * وَ قٰالُوا مٰا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعٰامِ خٰالِصَةٌ لِذُكُورِنٰا وَ مُحَرَّمٌ عَلىٰ أَزْوٰاجِنٰا وَ إِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكٰاءُ﴾ قال: كانوا يحرّمون الجنين الّذي يخرجونه من بطون الأنعام، على النساء، فإذا كان ميتاً يأكله الرجال والنساء! فحكى الله قولهم لرسول الله ﷺ فقال: ﴿وَقٰالُوا مٰا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعٰامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.[٣]

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاء عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ «١٤٠»

ثمّ قال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاٰدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ـ أي بغير فهم ـ وَحَرَّمُوا مٰا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾

---

(١) «يغروهم» البرهان. (٢) عنه البرهان: ٤٨١/٢ ح ١.

(٣) عنه البرهان: ٤٨١/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٤٠١/٢ صدر ح ٢٩٣.

وهم قوم يقتلون أولادهم من البنات للغيرة، وقوم كانوا يقتلون أولادهم من الجوع! وهذا معطوف على قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاٰدِهِمْ شُرَكاٰؤُهُمْ ـ فقال الله ـ وَ لاٰ تَقْتُلُوا أَوْلاٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاٰقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيّاٰكُمْ﴾.[١] [٢]

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنّاٰتٍ مَعْرُوشاٰتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشاٰتٍ﴾ قال: البساتين[٣].

قوله: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمّاٰنَ مُتَشاٰبِهاً وَغَيْرَ مُتَشاٰبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذاٰ أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصاٰدِهِ﴾ «١٤١»

قال: يوم حصاده، كذا نزلت، قال: فرض الله يوم الحصاد من كلّ قطعة أرض قبضة للمساكين، وكذا في جذاذ النخل، وفي التمر[٤]، وكذا عند البذر[٥].[٦]

٣٠ـ أخبرنا أحمد بن إدريس، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن شعيب العقرقوفي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصاٰدِهِ﴾ قال: الضغث من السنبل، والكفّ من التمر إذا خرص. قال: وسألت هل يستقيم إعطاؤه إذا أدخله بيته؟

قال: لا، هو أسخىٰ لنفسه قبل أن يدخله بيته.[٧]

٣١ـ وعنه، عن أحمد بن إدريس، عن البرقي[٨]، عن سعد بن سعد، عن الرضا

---

(١) الإسراء: ٣١. (٢) عنه البرهان: ٢/٤٨١ ح ٢.

(٣) عنه البرهان: ٢/٤٨٢ ح ١، ونور الثقلين: ٢/٤٠٢ ذح ٢٩٣. (٤) «الثمرة» خ.

(٥) وفي الكافي: ٣/٥٦٤ ح ١، عن معاوية بن شريح قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في الزرع حقّان: حقّ تؤخذ به، وحقّ تعطيه. قلت: وما الّذي أُوخذ به، وما الّذي أُعطيه؟ قال: أمّا الّذي تؤخذ به فالعشر ونصف العشر، وأمّا الّذي تعطيه فقول الله عزّ وجلّ: «وءَاتوا حقّهُ يوم حصاده» يعني من حصدك الشيء بعد الشيء ـ ولا أعلمه إلّا قال: ـ الضغث ثمّ الضغث حتّى يفرغ. فيظهر من هذه الرواية وغيرها أنّ المراد في الآية في المقام الزكاة المستحبّة دون الواجبة. (٦) عنه البحار: ٩٦/٩٣ ح ٣، والبرهان: ٢/٤٨٢ ح ١، ونور الثقلين: ٢/٤٠٥ ح ٣٠٨.

(٧) عنه البحار: ٩٦/٩٤ صدر ح ٤، والبرهان: ٢/٤٨٢ ح ٢، ونور الثقلين: ٢/٤٠٥ ح ٣٠٩، والوسائل: ٦/١٣٥ ح ٤.

(٨) «أحمد البرقي» خ. وكلا الطريقين صحيح، فإنّ أحمد وأبيه يرويان عن سعد بن سعد (أنظر معجم رجال الحديث: ٨/٦٢).

صلوات الله عليه قال: قلت له: فإن لم يحضر المساكين وهو يحصد كيف يصنع؟ قال: ليس عليه شيء.[١]

قوله: ﴿وَ مِنَ الْأَنْعٰامِ حَمُولَةً وَ فَرْشاً...﴾ «١٤٢»

يعني به الثياب من الفرش.[٢] ﴿كُلُوا مِمّٰا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّيْطٰانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

قوله: ﴿ثَمٰانِيَةَ أَزْوٰاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحٰامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَـبِّئُونِي بِـعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ * وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحٰامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ «١٤٣ـ١٤٤»

فهذه الّتي أحلّها الله في كتابه في قوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعٰامِ ثَمٰانِيَةَ أَزْوٰاجٍ﴾[٣] ثمّ فسّرها في هذه الآية فقال: من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، فقال عليه السلام:

قوله: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ عنى الأهلي والجبلي

﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ عنىٰ الأهلي والوحشي الجبلي

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ يعني الأهلي والوحشي الجبلي

﴿وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ﴾ يعني البخاتي[٤] والعراب. فهذه أحلّها الله.[٥]

وقد احتجّ قوم بهذه الآية:

---

(١) عنه البحار: ٩٦/٩٤ ذح ٤، والبرهان: ٤٨٢/٢ ح ٣، ونور الثقلين: ٤٠٥/٢ ح ٣١٠، والوسائل: ١٣٥/٦ ح ٥، ومسند الإمام الرضا عليه السلام: ٣٣٣/١ ح ٧٤.

(٢) عنه البرهان: ٤٨٧/٢ ح ١.

(٣) الزمر: ٦.

(٤): نوع من الإبل (مجمع البحرين: ١١٨/١).

(٥) عنه البرهان: ٤٨٩/٢ ح ٦، ونور الثقلين: ٤٠٧/٢ ح ٣١٨، ومستدرك الوسائل: ٣٤٩/١٦ ح ٢.

﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلىٰ طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ «١٤٥»

فتأوّلوا هذه الآية، أنّه ليس شيء محرّماً إلّا هذا، وأحلّوا كلّ شيء من البهائم: القردة والكلاب والسباع والذئاب والأسد والبغال والثعالب والحمير والدوابّ، وزعموا أنّ ذلك كلّه حلال، لقوله: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلىٰ طاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾

وغلطوا في هذا غلطاً بيّناً، وإنّما هذه الآية ردّ على ما أحلّت العرب وحرّمت، لأنّ العرب كانت تحلّل على نفسها أشياء، وتحرّم أشياء!

فحكى الله ذلك لنبيّه ﷺ ما قالوا، فقال: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ الأَنْـعَامِ خَـالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ فكان إذا سقط الجنين حيّاً أكله الرجال وحرّم على النساء، وإذا كان ميتاً أكله الرجال والنساء، وقد مضى ذكره، وهو قوله:

﴿وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هٰذِهِ الأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا...﴾.[1]

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ -إلى قوله- ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ «١٤٦-١٥٣»

وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ يعني اليهود، حرّم الله عليهم لحوم الطير، وحرّم عليهم الشحوم -وكانوا يحبّونها- إلّا ما كان على ظهور الغنم، أو في جانبه خارجاً من البطن، وهو قوله: ﴿حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إِلّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أَوِ الْحَوايا﴾ أي في الجنبين ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنّا لَصادِقُونَ﴾ .

ومعنى قوله: ﴿جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ أنّه كان ملوك بني إسرائيل يمنعون فقراءهم من أكل لحم الطير والشحوم، فحرّم الله ذلك عليهم ببغيهم على فقرائهم.

ثمّ قال الله لنبيّه ﷺ: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ وَ لا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ

---

(١) عنه البرهان: ٢/٤٩٠ ح ١.

الْمُجْرِمِينَ - ثمّ قال: - سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّٰى ذاقُوا بَأْسَنا - قُلْ لهم يا محمّد: - هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلّا تَخْرُصُونَ - ثمّ قال: قُلْ لهم: - ﴿فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١] قال: لو شاء لجعلكم كلّكم على أمر واحد ولكن جعلكم على اختلاف.

ثمّ قال: ﴿قُلْ - يا محمّد لهم: - هَلُمَّ شُهَداءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هٰذا﴾

وهو معطوف على قوله: ﴿وَ قالُوا ما فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعامِ﴾.

ثمّ قال: ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ - ثمّ قال لنبيّه ﷺ: قل لهم: - تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾ قال: الوالدان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام.[٢]

وقوله: ﴿وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلّا بِالْحَقِّ ذٰلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فإنّه محكم.[٣]

قوله: ﴿وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلّا وُسْعَها وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذا قُرْبىٰ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذٰلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فهذا كلّه محكم.

وقوله: ﴿وَأَنَّ هٰذا صِراطِي مُسْتَقِيمًا﴾ قال: الصراط المستقيم الإمام، ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ - يعني غير الإمام - فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يعني لا تفرّقوا ولا تختلفوا في الإمام، إن تختلفوا في الإمام تضلّوا عن سبيله.[٤]

٣٢ـ أخبرنا الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن سنان، عن أبي خالد القمّاط، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله:

---

(١) عنه البحار: ٢٠٧/٩ ح ٧٥، وج ٣٢٦/١٣ ح ٣، والبرهان: ٤٩٢/٢ ح ٢، ونور الثقلين: ٤١٠/٢ ح ٣٢٨.

(٢) عنه البحار: ٨/٣٦ ح ٨، وج ٢٥/٧٤ س ١٢، والبرهان: ٤٩٧/٢ ح ٦ و ٩، ونور الثقلين: ٤١٢/٢ ح ٣٣٧.

(٣) عنه البرهان: ٤٩٧/٢ ح ١٠.

(٤) عنه البحار: ١٣/٢٤ ح ٨، والبرهان: ٤٩٨/٢ ح ١، وغاية المرام: ٣٢٤/٤ ح ١.

﴿وَأَنَّ هٰذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ قال: نحن السبيل، فمن أبى فهذه[1] السبل [فقد كفر].

ثمّ قال: ﴿ذٰلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني كي تتّقوا.[2]

وقوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِىَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ «١٥٤»

وقوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ يعني تمّ له الكتاب لمّا أحسن ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ هو محكم.

﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ «١٥٥»

وقوله: ﴿وَهٰذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ - يعني القرآن - مُبارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يعني كي ترحموا.[3]

وقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ عَلىٰ طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا وَإِنْ كُنّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ﴾ «١٥٦»

يعني اليهود والنصارى، وإن كنّا لم ندرس كُتُبهم.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾ «١٥٧»

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتابُ لَكُنّا أَهْدىٰ مِنْهُمْ - يعني قريشاً، قالوا: لو أُنزل

---

(١) في المصدر «بهذه».

(٢) عنه البحار: ١٣/٢٤ صدر ح٩، والبرهان: ٤٩٨/٢ ح٢، ونور الثقلين: ٤١٤/٢ ح٣٤٧، وغاية المرام: ٤٧/٣ ح١٥، وج٣٢٤/٤ ح٢.

(٣) «أي كي ترحمون» خ.

علينا الكتاب لكنّا أهدى وأطوع منهم ـ فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ ـ يعني القرآن ـ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللهِ وَ صَدَفَ عَنْها ـ يعني دفع عنها ـ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا ـ أي يدفعون ويمنعون عن آياتنا ـ سُوءَ الْعَذابِ بِما كانُوا يَصْدِفُونَ﴾.[١]

ثمّ قال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ...﴾ «١٥٨»

٣٣ـ فإنّه حدّثني أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً﴾ قال: نزلت «أو اكتسبت» ﴿فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنّا مُنْتَظِرُونَ﴾ قال: إذا طلعت الشمس من مغربها، فكلّ من آمن في ذلك اليوم لاينفعه إيمانه.[٢]

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾ «١٥٩»

قال: فارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وصاروا أحزاباً.[٣]

٣٤ـ حدّثني أبي، عن النضر[٤] بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً﴾ قال: فارق القوم ـ والله ـ دينهم.[٥]

---

(١) عنه البحار: ٢٠٨/٩ ح٧٦، وج ١٣/٢٤ ذح٩ (قطعة)، والبرهان: ٤٩٩/٢ ح١١.

(٢) عنه البحار: ٣١٣/٦ ح١٨، والبرهان: ٥٠٠/٢ ح١، ونور الثقلين: ٤١٨/٢ صدر ح ٣٦١.

(٣) عنه البحار: ٢٠٨/٩ صدر ح٧٧، والبرهان: ٥٠٣/٢ ح١، ونور الثقلين: ٤١٨/٢ ذح ٣٦١.

(٤) «النصر» خ، وما في المتن هو الصواب، أنظر معجم رجال الحديث: ١٤٨/١٩ و ١٥١.

(٥) عنه البحار: ٢٠٨/٩ ذح٧٧، وج ١٣١/٧٢ ح١، والبرهان: ٥٠٣/٢ ح٢، ونور الثقلين: ٤١٨/٢ ح٣٦٢.

قوله: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزىٰ إِلاّٰ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ «١٦٠»

فهذه ناسخة لقوله: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها﴾.(١)

قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدٰانِي رَبِّي إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ «١٦١»

والحنيفيّة هي العشرة الّتي جاء بها إبراهيم عليه السلام.(٢)

﴿قُلْ إِنَّ صَلاٰتِي وَنُسُكِي وَمَحْيٰايَ وَمَمٰاتِي لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ * لاٰ شَرِيكَ لَهُ وَ بِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ «١٦٢ـ١٦٤»

ثمّ قال: ﴿قُلْ ـ لهم يا محمّد ـ أَ غَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاّٰ عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ ـ أي لا تحمل آثمة إثم أُخرى ـ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.(٣)

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٦٥»

قوله: ﴿وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ ـ قال: في القدر والمال ـ لِيَبْلُوَكُمْ ـ أي يختبركم ـ فِي ما آتاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.(٤)

---

(١) النحل: ٤٦. (٢) عنه البرهان: ٥٠٧/٢ ح١. (٣) عنه البرهان: ٥٠٨/٢ ح٨.

(٤) عنه البرهان: ٥٠٩/٢ ح١١، ونور الثقلين: ٤٢٤/٢ ح٣٨٦.



سورة الأعراف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ * كِتٰابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ ـ مخاطبة لرسول الله ﷺ ـ فَلاٰ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ـ أي ضيق ـ لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِكْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ «١ ـ ٢»

١ ـ حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ حُييّ بن أخطب وأخاه أبا ياسر بن أخطب ونفراً من اليهود من أهل نجران، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا له: أليس فيما تذكر فيما أُنزل إليك ﴿الٓم﴾؟ قال: بلى. قالوا: أتاك بها جبرئيل من عند الله؟ قال: نعم.

قالوا: لقد بعث الله أنبياء قبلك، ما نعلم نبيّاً منهم أخبرنا ما مدّة ملكه! وما أكل أُمّته غيرك! قال عليه السلام: فأقبل حُييّ بن أخطب على أصحابه، فقال لهم:

الألف واحد، واللّام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه احدىٰ وسبعون سنة؛ فعجب ممّن يدخل في دينه، ومدّة ملكه، وأُكل أُمّته احدىٰ وسبعون سنة!

قال عليه السلام: ثمّ أقبل على رسول الله ﷺ فقال له: يا محمّد، هل مع هذا غيره؟

قال: نعم. قال: هاته. قال: ﴿المص﴾. قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحد، واللّام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه مائة واحدىٰ وستّون سنة!

ثمّ قال لرسول الله ﷺ: هل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هات.

قال: ﴿الٓر﴾، قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحد، واللّام ثلاثون، والرّاء مائتان!

فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هات. قال: ﴿الٓمر﴾ قال:

هذا أثقل وأطول، الألف واحد، واللّام ثلاثون، والميم أربعون، والرّاء مائتان!

ثمّ قال: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: لقد إلتبس علينا أمرك، فما ندري ما أُعطيت! [ثمّ] قاموا عنه، قال أبو ياسر لحُييّ أخيه:

وما يُدريك لعلّ محمّداً ﷺ قد جمع هذا كلّه وأكثر منه. فقال أبو جعفر عليه السلام:

إنّ هذه الآيات اُنزلت ﴿مِنهُ آيـاتٌ مُـحْكَمَاتٌ هُـنَّ أُمُّ الْكِـتابِ وَأُخَـرُ مُـتَشابِهاتٌ﴾[١] وهي تجري في وجوه اُخر على غير ما تأوّل به حُييّ وأبو ياسر وأصحابه.[٢]

﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّنْ رَّبِّكُمْ ـإلى قوله تعالى ـفَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ «٣ـ١١»

ثمّ خاطب الله تبارك وتعالى الخلق، فقال: ﴿اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ـ غير محمّد ـ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾.[٣]

قوله: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً ـ أي عذاباً باللّيل ـ أَوْ هُمْ قـائِلُونَ ـ يـعني نصف النهار.

وقوله: ﴿فَما كانَ دَعْواهُمْ إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا إِلاّ أَنْ قالُوا إِنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ الآية، فإنّه محكم.[٤]

وقوله: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال: الأنبياء، عمّا حمّلوا من الرسالة.

قوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ ما كُنّا غائِبِينَ﴾ قال: لم نغب عن أفعالهم.

قوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ قال: المجازات بالأعمال، إن خيراً فخير، وإن شـرّاً فشرّ، وهو قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ﴾ قال: بالأئمّة يجحدون.

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) عنه البحار: ٢٠٩/٩ ح٧٩، و٣٧٤/٩٢ ح٢، والبرهان: ٥١٦/٢ ح٢ وص٥١٩ صدر ح١ (قطعة)، ونور الثقلين: ٤٢٦/٢ ح٦.

(٣) عنه البرهان: ٥١٩/٢ ذح١.

(٤) عنه البحار: ٤٥٤/١٤ ذح١، و٤٥٦ ضمن ح٧، والبرهان: ٥١٩/٢ ح٣.

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ﴾ أي مختلفة.

﴿قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ أي لا تشكرون الله.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ أي خلقناكم في أصلاب الرجال.

﴿ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ في أرحام النساء، ثمّ قال: وصُوّر ابن مريم في الرحم دون الصلب وإن كان مخلوقاً في أصلاب الأنبياء، ورفع وعليه مدرعة من صوف.[١]

٢ـ حدّثنا أحمد بن محمّد، عن جعفر بن عبد الله المحمّدي، قال: حدّثنا كثير بن عيّاش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ قال: أمّا ﴿خَلَقْناكُمْ﴾ فنطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ عظماً، ثمّ لحماً.

وأمّا ﴿صَوَّرْناكُمْ﴾ فالعين والأنف والأُذنين والفم واليدين والرجلين صوّر هذا ونحوه، ثمّ جعل الدميم والوسيم والجسيم والطويل والقصير وأشباه هذا.[٢]

أمّا قوله: ﴿لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ﴾ «١٧»

أمّا ﴿بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ فهو من قبل الآخرة لأُخبرنّهم أنّه لا جنّة ولا نار ولا نشور!

وأمّا ﴿خَلْفِهِمْ﴾ يقول: من قبل دنياهم آمرهم بجمع الأموال، وآمرهم أن لا يصلوا في أموالهم رحماً، ولا يُعطوا منه حقّاً، وآمرهم أن لا ينفقوا على ذراريهم، وأُخوّفهم على[٣] الضَّيعة، وأمّا ﴿عَنْ أَيْمانِهِمْ﴾ يقول: من قبل دينهم، فإن كانوا على ضلالة زيّنتها لهم، وإن كانوا على هدى جهدت عليهم حتّى أُخرجهم منه.

وأمّا ﴿عَنْ شَمائِلِهِمْ﴾ يقول: من قبل اللّذات والشهوات، يقول الله:

---

(١) عنه البحار: ٢٠٨/٢٣ ح ٩ (قطعة)، وج ٣٦٥/٦٠ صدر ح ٦٠ (قطعة)، والبرهان: ٥١٩/٢ ح ٤، ونور الثقلين: ١٧١/٢ ح ٦٥٨ (قطعة)، و ١٧٨ ح ٦٨٧ (قطعة)، و ٤٢٨ ح ١٠ (قطعة)، و ٤٢٩ ح ١٦.

(٢) عنه البحار: ٣٦٥/٦٠ ذح ٦٠ وج ٧٨/١٠٤ ح ١، والبرهان: ٥١٩/٢ ح ٥، ونور الثقلين: ٤٣٠/٢ ح ١٧.

(٣) في المصدر: «أن يقلّلوا على ذرّيّاتهم، وأُخوّفهم عليهم».

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.[١]

وأمّا قوله: ﴿اخْرُجْ مِنْهٰا مَذْؤُماً مَدْحُوراً﴾ «١٨»

فالمذءوم: المعيب. والمدحور: المقصّي أي ملقى في جهنّم.[٢]

وقوله: ﴿يٰا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ـ إلى قوله ـ لَمِنَ النّٰاصِحِينَ﴾ «١٩ـ٢١»

وقوله: ﴿يٰا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاٰ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمٰا وَلاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونٰا مِنَ الظّٰالِمِينَ﴾ وكان كما حكى الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطٰانُ لِيُبْدِيَ لَهُمٰا مٰا وُورِيَ عَنْهُمٰا مِنْ سَوْآتِهِمٰا وَقٰالَ مٰا نَهٰاكُمٰا رَبُّكُمٰا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاّٰ أَنْ تَكُونٰا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونٰا مِنَ الْخٰالِدِينَ * وَقٰاسَمَهُمٰا ـ أي حلف لهما ـ إِنِّي لَكُمٰا لَمِنَ النّٰاصِحِينَ﴾.[٣]

٣ـ روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا اُخرج آدم من الجنّة، نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم! أليس الله خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وزوّجك حوّاء أمَتَهُ، وأسكنك الجنّة، وأباحها لك، ونهاك مشافهة أن لا تأكل من هذه الشجرة، فأكلت منها وعصيت الله؟! فقال آدم عليه السلام: يا جبرئيل! إنّ إبليس حلف لي بالله أنّه لي ناصح! فما ظننت أنّ أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً.[٤]

قوله: ﴿فَدَلاّٰهُمٰا بِغُرُورٍ فَلَمّٰا ذٰاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمٰا سَوْآتُهُمٰا ـ إلى قوله ـ وَمَتٰاعٌ إِلىٰ حِينٍ﴾ «٢٢ـ٢٤»

٤ـ حدّثنا أحمد بن إدريس، حدّثنا أحمد بن محمّد، عن ابن أبي عمير، عن بعض

---

(١) عنه البرهان: ٥٢٢/٢ ح٦، والبحار: ١٥٣/١١ ح٢٧، وج٢٤٣/٦٣ ح٩٣.

(٢) عنه البحار: ١٥٣/١١ ذح٢٧، و٢٤٣/٦٣ ذح٩٣، والبرهان: ٥٢٢/٢ ح٧.

(٣) عنه البرهان: ٥٢٢/٢ ح١.

(٤) عنه البحار: ١٦٣/١١ ح٧، والبرهان: ٥٢٣/٢ ح٣، ونور الثقلين: ٤٣٨/٢ ح٣٧.

أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ قال: كانت سوءاتهما لا تبدو لهما، فبدت، يعني كانت داخلة.(١)

قوله: ﴿وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ـ أي يغطّيان سوءاتهما به ـ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

فقالا كما حكى الله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

فقال الله: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ـ يعني آدم وإبليس ـ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني إلى القيامة.(٢)

قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ «٢٦»

قال: ﴿لِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ لباس البياض.(٣)

٥ ـ **وفي رواية أبي الجارود**، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً﴾ فأمّا اللباس فالثياب الّتي يلبسون.

وأمّا الرياش فالمتاع والمال، وأمّا لباس التقوى فالعفاف، لأنّ العفيف لا تبدو له عورة، وإن كان عارياً من الثياب، والفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً من الثياب، يقول الله: ﴿وَ لِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يقول: العفاف خير؛

﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ «٢٧»

فإنّه محكم.(٤)

(١ و ٢) عنه البحار: ١١/١٦٠ ح ١ و ٢، والبرهان: ٢/٥٢٣ ح ١ وص ٥٢٤ ح ٢.

(٣) عنه البحار: ٨٣/١٦٨ س ١، والبرهان: ٢/٥٢٥ ح ٢، ونور الثقلين: ٢/٤٤٠ ح ٤٣.

(٤) عنه البحار: ٧١/٢٧١ ح ١٥، والبرهان: ٢/٥٢٦ ح ٣، ونور الثقلين: ٢/٤٤٠ ح ٤٤.

قوله: ﴿وَ إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَةً قٰالُوا وَجَدْنٰا عَلَيْهٰا آبٰاءَنٰا وَاللّٰهُ أَمَرَنٰا بِهٰا﴾ «٢٨»

قال: الّذين عبدوا الأصنام، فردّ الله عليهم، فقال: قُلْ لهم: ﴿إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَأْمُرُ بِالْفَحْشٰاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ﴾.[1]

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ -إلى قوله تعالى- وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ «٢٩-٣٠»

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل.[2]

﴿وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي في القيامة. ﴿فَرِيقاً هَدىٰ وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاٰلَةُ﴾ يعني العذاب وجب عليهم.[3]

٦-**وفي رواية أبي الجارود،** عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدىٰ وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاٰلَةُ﴾ قال: خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً، وسعيداً وشقيّاً وكذلك يعودون يوم القيامة مهتدياً وضالاًّ.[4]

يقول: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيٰاطِينَ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ وهم القدريّة[5] الّذين يقولون لاقدر، ويزعمون أنّهم قادرون على الهدى

---

(١) عنه البحار: ٢٠٩/٩ صدر ح ٨٠، وج١٦٨/٨٣ س ١، والبرهان: ٥٢٦/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٤٤٣/٢ ح ٥٤.

(٢) عنه البرهان: ٥٢٧/٢ ح ١. (٣) عنه البرهان: ٥٢٨/٢ ح ١. (٤) «مهتدٌ وضالٌّ» البحار.

(٥) هم المنسوبون إلى القدر، ويزعمون أنّ كلّ عبد خالق فعله، ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيئته «مجمع البحرين: ١٤٤٨/٣» وفي الحديث: لا يدخل الجنّة قدريّ، وهو الّذي يقول: لا يكون ما شاء الله، ويكون ما شاء إبليس، ويُسمّون «بالمفوّضة» أيضاً لزعمهم أنّ الله فوّض إليهم أفعالهم. وبازاء هذه الفرقة «المجبِّرة» وهم الّذين قالوا: ليس لنا صنع ونحن مجبورون، يحدث الله لنا الفعل عند الفعل، وإنّما الأفعال منسوبة إلىٰ الناس على المجاز لا على الحقيقة «مجمع البحرين: ٢٦٧/١» ويسمّون «بالمرجئة» أيضاً، فذاك إفراط، وهذا تفريط والحقّ الوسط ما ذهبت إليه الإماميّة وهو ما أفاده الإمام الصادق عليه السلام: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، سُئل ما الأمر بين الأمرين؟ قال: مثل ذلك مثل رجل رأيته علىٰ معصية فنهيته فلم ينته فتركته، ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته أنت الّذي أمرته بالمعصية... «البحار: ١٧/٥ ح ٢٧».

والضلالة، وذلك إليهم إن شاءوا اهتدوا، وإن شاءوا ضلّوا، وهم مجوس هذه الأمّة، وكذب أعداء الله، المشيئة والقدرة لله.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ من خلقه الله شقيّاً يوم خلقه كذلك يعود إليه شقيّاً، ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيداً. قال رسول الله ﷺ: «الشقيّ من شقي في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمّه».(١)

قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ «٣١»

فإنّ أناساً كانوا يطوفون عُراةً بالبيت، الرجال بالنهار، والنساء باللّيل، فأمرهم الله بلبس الثياب. وكانوا لا يأكلون إلّا قوتاً، فأمرهم الله أن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا.(٢)

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ ـ إلى قوله ـ وَأَنْ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ «٣٢-٣٣»

قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ وهي الثياب ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وهي الحلال ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾ اشترك فيها البرّ والفاجر ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ للّذين آمنوا ـ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: في العيدين والجمعة يغتسل ويلبس ثياباً بيضاً، وروي أيضاً المشط عند كلّ صلاة.(٣)

⬅ وقال البصري لأبي عبدالله عليه السلام: الناس مجبورون؟ قال: لو كانوا مجبورين لكانوا معذورين، قال: ففوّض اليهم؟ قال: لا، قال: فما هم؟ فقال: علم منهم فعلاً فجعل فيهم آلة الفعل، فإذا فعلوا كانوا مع الفعل مستطيعين (مجمع البحرين: ١١٢٢/٢).

(١) عنه البحار: ٩/٥ ح١٣ وج٢٠٩/٩ ذح ٨٠ (قطعة)، والبرهان: ٥٢٨/٢ ح٢، ونور الثقلين: ٤٤٣/٢ ح٥٨.

(٢) عنه البرهان: ٥٣٣/٢ صدر ح ٢١.

(٣) عنه البحار: ١٦٨/٨٣ س١٧، وج٣٢٩/٨٤ ح١ (قطعة)، وج١٨٩/٨٩ ح٢٧ (قطعة)، والبرهان: ٥٣٣/٢ ذح٢١، ونور الثقلين: ٤٤٤/٢ ح٦١.

قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وهي حكاية، معناها قالوا: من حرّم زينة الله [الّتي] أخرج لعباده والطيّبات من الرزق؟

فقال الله: ﴿قُلْ ـ لهم ـ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾:

قل: من آمن في الدنيا فهذه الطيّبات لهم خالصة عند الله يوم القيامة.

ثمّ قال: ﴿قُلْ ـ لهم ـ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ﴾ قال: من ذلك أئمّة الجور ﴿وَالإِثْمَ﴾ يعني به الخمر ﴿وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللّٰهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ وهذا ردّ على من قال في دين الله بغير علم، وحكم فيه بغير حكم الله، فعليه مثل ما على من أشرك بالله، واستحلّ المحارم والفواحش، فالقول على الله محرّم بغير علم مثل هذه المعاني.[1]

وقوله: ﴿وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا ـ إلى قوله ـ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ «٣٦ـ٣٩»

وقوله: ﴿وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها﴾ الآية، فإنّه محكم.

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولٰئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ﴾ أي ينالهم ما في كتابنا من عقوبات المعاصي.

قوله: ﴿قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قالُوا ضَلُّوا عَنّا﴾ أي يضلّوا.

قوله: ﴿قالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الإِنْسِ فِي النّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتّٰى إِذَا ادّارَكُوا فِيها جَمِيعاً﴾ يعني اجتمعوا.

قوله: ﴿أُخْتَها﴾ أي الّتي كانت بعدها تبعوهم على عبادة الأصنام.

قوله: ﴿قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هٰؤُلاءِ أَضَلُّونا﴾ يعني أئمّة الجور.[2]

﴿فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النّارِ﴾ فقال الله: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لٰكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) عنه البحار: ٣٠٣/٢٤ ح١٣ (قطعة)، والبرهان: ٥٤٠/٢ ح٧، ونور الثقلين: ٤٥١/٢ ح٩٠ (قطعة).

(٢) عنه البرهان: ٥٤١/٢ ح٢.

ثمّ قال أيضاً: ﴿وَقالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ قال: شماتة بهم.[١]

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾ «٤٠»

٧ـ **فإنّه حدّثني أبي**، عن فضالة بن أيّوب، عن أبان بن عثمان، عن ضريس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في طلحة والزبير، والجمل جملهم.[٢]

والدليل على أنّ جنان الخلد في السماء، قوله: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ﴾ والدليل أيضاً على أنّ النيران في الأرض، قوله في سورة مريم: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسانُ أَإِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً * أَوَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً * فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾[٣]

ومعنى ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ البحر المحيط بالدنيا يتحوّل نيراناً وهو قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ﴾[٤] ثمّ يحضرهم الله حول جهنّم، ويوضع الصراط من الأرض إلى الجنان. وقوله: ﴿جِثِيّاً﴾ أي على ركبهم. ثمّ قال: ﴿وَ نَذَرُ الظّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا﴾[٥] يعني في الأرض إذا تحوّلت نيراناً.[٦]

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ ـ إلى قوله ـ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «٤١ـ٤٣»

قوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ﴾ أي مواضع ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ﴾ أي نار تغشاهم. وقوله: ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلّا وُسْعَها﴾ أي ما يقدرون[٧] عليه.

---

(١) عنه البرهان: ٥٤١/٢ ح ٤، ونور الثقلين: ٤٥٦/٢ ح ١١٠.

(٢) عنه البحار: ١٠٦/٣٢ ح٧٦، والبرهان: ٥٤٢/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٤٥٧/٢ صدر ح ١١٢.

(٣) مريم: ٦٦ ـ ٦٨. (٤) التكوير: ٦. (٥) مريم: ٧٢.

(٦) عنه البحار: ١٢٢/٨ ح١٦ (قطعة)، و ١٦٤ ح١٠٧ و ٢٩٠ ح٢٨ (قطعة)، والبرهان: ٥٤٣/٢ ح ٤.

(٧) «ما يقوون» خ.

قوله: ﴿وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ قال: العداوة تُنزع منهم، أي من المؤمنين في الجنّة، فإذا دخلوا الجنّة قالوا كما حكى الله: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدانا لِهٰذا وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[1]

وأمّا قوله: ﴿وَ نادىٰ أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمِينَ﴾ «٤٤»

٨ـ فإنّه حدّثني أبي، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: المؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام يؤذّن أذاناً يسمع الخلائق كلّها؛ والدليل على ذلك قول الله عزّ وجلّ في سورة براءة: ﴿وَأَذانٌ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾[2]

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت أنا الأذان في النّاس.[3]

وأمّا قوله: ﴿وَ بَيْنَهُما حِجابٌ وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيماهُمْ ـ إلى قوله ـ قالُواْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ﴾ «٤٦ ـ ٥٠»

٩ـ فإنّه حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي أيّوب، عن بُريد، عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: الأعراف كُثبان[4] بين الجنّة والنار. والرجال الأئمّة عليهم السلام، يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سيق المؤمنون إلى الجنّة بلا حساب، فيقول الأئمّة لشيعتهم من أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في الجنّة قد سيقوا إليها بلاحساب، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

ثمّ يُقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النار، وهو قوله: ﴿وَإِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ

---

(١) عنه البحار: ١٢٣/٨ ح١٧ (قطعة)، والبرهان: ٥٤٤/٢ ح٧، ونور الثقلين: ٤٥٨/٢ ح١١٦ (قطعة).

(٢) التوبة: ٣.

(٣) عنه البحار: ٦٣/٣٦ ح١ (قطعة)، والبرهان: ٥٤٥/٢ ح١.

(٤) «كثيب» خ. والكثيب: التلّ من الرمل، الجمع أكثبة وكثبٌ وكثبانٌ (القاموس المحيط: ١٢٢/١).

أَصْحابِ النّارِ قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ * وَنادىٰ أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ ـ في النّار ـ قالُوا ما أَغْنىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ ـ في الدنيا ـ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

ثمّ يقولون لمن في النار من أعدائهم: أهؤلاء شيعتي وإخواني الّذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا أن لا ينالهم الله برحمة!

ثمّ يقول الأئمّة لشيعتهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

ثمّ ﴿نادىٰ أَصْحابُ النّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾.[(١)]

١٠ ـ حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي الربيع قال: حججت مع أبي جعفر عليه السلام في السنة الّتي حجّ فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطّاب، فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، من هذا الّذي تكافأ[(٢)] عليه الناس؟ قال: هذا نبيّ أهل الكوفة، محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام. فقال: لآتينّه فلأسألنّه عن مسائل لا يجيبني فيها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ! قال: فاذهب إليه فاسأله لعلّك تُخجِله!

فجاء نافع حتّى اتّكأ على الناس، فأشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا محمّد بن عليّ، إنّي قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسألك عن مسائل لايجيب فيها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ أو ابن نبيّ.

فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه، فقال: سَل عمّا بدا لك.

قال: أخبرني كم كان بين عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله من سنة؟

فقال: أُخبرك بقولك أم[(٣)] بقولي؟ قال: أخبرني بالقولين جميعاً.

قال: أمّا في قولي فخمسمائة سنة، وأمّا في قولك فستمائة سنة.

---

(١) عنه البحار: ٣٣٥/٨ ح ٢ وج ٢٤٧/٢٤ ح ١، والبرهان: ٥٥٢/٢ ح ١٨، ونور الثقلين: ٤٦٢/٢ ح ١٣٦.

(٢) «تداكّ» خ. (٣) «أو» البرهان.

قال: أخبرني عن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[١] من الّذي سأل محمّد ﷺ وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟ قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا﴾[٢]

كان من الآيات الّتي أراها الله تعالىٰ محمّداً ﷺ حيث اُسري به إلى بيت المقدس، أنّه حشر الله له الأوّلين والآخرين من النبيّين المرسلين، ثمّ أمر جبرئيل عليه السلام فأذّن شفعاً، وأقام شفعاً[٣] وقال في إقامته: «حيّ على خير العمل».

ثمّ تقدّم محمّد ﷺ فصلّى بالقوم، فلمّا انصرف قال الله تعالى له:

﴿وَاسْأَلْ ـ يا محمّد ـ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[٤]

فقال رسول الله ﷺ: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، ونشهد أنّك رسول الله، اُخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا. قال نافع: صدقت يا أبا جعفر!

[وأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.[٥] قال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أهبط آدم إلى الأرض، وكانت السماوات رتقاً لا تُمطر شيئاً، وكانت الأرض رتقاً لا تُنبت شيئاً، فلمّا تاب الله عزّ وجلّ على آدم عليه السلام أمر السماء فتفطّرت بالغمام، ثمّ أمرها فأرخت عزاليها[٦] ثمّ أمر الأرض فأنبتت الأشجار، وأثمرت الثمار، وتفهّقت[٧] بالأنهار، فكان ذلك رتقها، وهذا فتقها].

---

(١) الزخرف: ٤٥. (٢) الإسراء: ١.

(٣) شفعت الشيء شفعاً من باب نفع، ضممته إلى الفرد وشفعت الركعة جعلتها ركعتين، ومنه قول الفقهاء: والشفع ركعتان والوتر واحدة. (مجمع البحرين: ٢/٩٦٢). (٤) الزخرف: ٤٥.

(٥) الأنبياء: ٣٠. (٦): أي انهمرت بالمطر. (المعجم الوسيط: ٢/٥٩٩).

(٧) أي اتّسعت وامتلأت.

فأخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ[1] الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰاوٰاتُ﴾[2] بأيّ أرض تبدّل؟ فقال أبو جعفرعليه السلام: بخبزة بيضاء يأكلون منها حتّى يفرغ الله

---

(١) تبدّل الأرض يوم القيامة بخبزة بيضاء قد وردت فيه روايات كثيرة خاصّة وعامّة، أمّا الروايات الخاصّة فعن الكافي: (٢٨٦/٦ ح ١ و ٤) عن أبي جعفرعليه السلام، قال: سأله الأبرش الكلبي عن قول الله عزّ وجلّ: «يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض» قال: تبدّل خبزة نقيّة يأكل الناس منها حتّى يفرغوا من الحساب. فقال الأبرش: فقلت: إنّ الناس يومئذ لفي شغل عن الأكل، إلىٰ آخر ما أجاب به الإمامعليه السلام عن الإيراد المذكور.

عن زرارة قال: سألت أبا عبداللهعليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «يوم تبدّل الأرض... الخ» قال: تبدّل خبزاً نقيّاً يأكل منه الناس حتّى يفرغوا من الحساب، قال قائل: إنّهم لفي شغل عن الأكل والشرب؟ فقال: إنّ الله خلق ابن آدم أجوف ولا بدّ له من الطعام والشراب ... الخ.

وعن إرشاد المفيدرحمه الله: (١٦٣/٢) عن عبدالرّحمن بن عبدالله الزهري، قال: حجّ هشام بن عبدالملك فدخل المسجد الحرام متّكئاً علىٰ ولد سالم مولاه، ومحمّد بن عليّعليهما السلام جالس في المسجد، فقال له سالم مولاه: يا أمير المؤمنين! هذا محمّد بن عليّعليهما السلام قال هشام: المفتون به أهل العراق؟ قال: نعم. قال: اذهب إليه. فقل له: ما الّذي يأكل الناس ويشربون إلىٰ أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ قال أبو جعفرعليه السلام: «يحشر الناس علىٰ مثل قرص النقيّ، فيها أنهار متفجرة، يأكلون ويشربون حتّىٰ يفرغ من الحساب» إلىٰ غير ذلك من الروايات المتظافرة الواردة فيه. وأمّا الروايات العامّة ففي روح المعاني: (٢٢٨/١٤) عن ابن جبير: تبدّل الأرض خبزة بيضاء فيأكل المؤمن من تحت قدميه. وعن أفلح مولىٰ أبي أيّوب: أنّ الأرض تكون يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبّار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنّة وهو في الصحيحين» أن تبدّل الأرض خبزاً، وإن كان ممّا تستغربه الأذهان العامّة، لكنّ شيئاً من التأمّل يدفعه؛ لأنّ المراد منها ليس هي الخبزة الّتي نأكلها، بل مادّة شبيهة لها كما مضىٰ في قول الإمامعليه السلام في الرواية «علىٰ مثل قرص نقي» هذا ثمّ إنّ الغرابة إمّا من جهة الاستحالة الذاتية فهي ممنوعة، أو الاستحالة العاديّة وهي مرتفعة بعموم قدرة الله تعالىٰ، وإمّا من جهة أُخرىٰ كعدم المناسبة أو عدم الداعي إلىٰ ذلك، وقد أجاب عنه الإمامعليه السلام مِن أنّ ابن آدم خلق أجوف فما دام فيه أثر من الحياة يحتاج إلىٰ ما يملأ جوفه، حتّىٰ في رحم الأُمّهات، وفي الجنان وجهنّم كذلك، ففي يوم القيامة كيف لا يحتاج إليه مع طول مدّته الّتي نصّ عليها القرآن بأنّه «كألفِ سنةٍ ممّا تعدّونَ» (الحج ٤٧).

وقد وردت فيه روايات أُخر أيضاً لا تقلّ غرابة ممّا ذكره القمّي كتبدّل الأرض فضّة والسماء ذهباً. ذكرها تفاسير العامّة. وفي رواية السجّادعليه السلام «تُبدّل الارضُ غير الأرضِ» يعني بأرض لم تُكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أوّل مرّة (الصافي: ٩٦/٣) وعلىٰ هذا التفسير لا حاجة إلىٰ تجشّم الذبّ عنه.

(٢) إبراهيم: ٤٨.

من حساب الخلائق. فقال نافع: إنّهم عن الأكل لمشغولون؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: أهم حينئذ أشغل أم وهم في النار؟

فقال نافع: بل وهم في النار. فقال عليه السلام: فقد قال الله:

﴿وَنادىٰ أَصْحابُ النّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ ما شغلهم [أليم عذاب النار] إذ دعوا بالطعام فأُطعموا الزقّوم، ودعوا بالشراب فسقوا الحميم؟! فقال: صدقت يابن رسول الله! بقيت مسألة واحدة. قال: وما هي؟ قال: أخبرني عن الله، متى كان؟ قال: ويلك! أخبرني متى لم يكن حتّى أُخبرك متى كان؟

سبحان من لم يزل ولا يزال، فرداً صمداً، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً.

ثمّ قال عليه السلام: يا نافع، أخبرني عمّا أسألك عنه؟ فقال: هات يا أبا جعفر. قال عليه السلام: ما تقول في أصحاب النهروان؟ قال: فإن قلت بأنّ أمير المؤمنين قتلهم بحقّ فقد ارتددت ـ أي رجعت إلى الحقّ ـ وإن قلت أنّه قتلهم باطلاً فقد كفرت!

قال: فولّى عنه وهو يقول: أنت ـ والله ـ أعلم الناس حقّاً حقّاً.

ثمّ أتى هشام بن عبد الملك. فقال له: ما صنعت؟

قال: دعني من كلامك، هو ـ والله ـ أعلم الناس حقّاً حقّاً، وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حقّاً حقّاً، ويحقّ لأصحابه أن يتّخذوه نبيّاً.[1]

ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ﴾ «٥١»

أي نتركهم، والنسيان منه عزّ وجلّ هو الترك.[2]

---

(١) عنه البرهان: ٥٥٤/٢ ح٣١، ونور الثقلين: ٢٠٩/٢ ح٩٦ و٤٦٥ ح١٤٦ و٤٩٩/٣ ح١٣٩، الكافي: ١٢٠/٨ ح٩٣ العدّة، عن البرقي، عن ابن محبوب (مثله)، الإحتجاج: ١٧٧/٢ ح٢٠٥ (مرسلاً مثله)، عنه البحار: ٣٤٦/١٤ ح٢ (وعن القمّي) (قطعة)، عنهم البحار: ١٠٠/٧ ح٥ (قطعة)، التوحيد: ١٦٨ ح١، عنهم البحار: ٢٨٤/٢ ح٣ (قطعة).

(٢) عنه البرهان: ٥٥٨/٢ ح١.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ تَأْوِيلَهُ -إلى قوله- يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ «٥٢ - ٥٤»

قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ فهو من الآيات الّتي تأويلها بعد تنزيلها، قال: ذلك في قيام القائم عليه السلام، ويوم القيامة:

﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ -أي تركوه- قَدْ جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنٰا مِنْ شُفَعٰاءَ فَيَشْفَعُوا لَنٰا﴾ قال: هذا يوم القيامة ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنّٰا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ -أي بطل عنهم- مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ﴾ قال: في ستّة أوقات ﴿ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي علا بقدرته على العرش.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهٰارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ أي سريعاً.[١]

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً -إلى قوله- إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ «٥٥ - ٥٦»

قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً﴾ أي علانية وسرّاً.

قوله: ﴿وَ لاٰ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاٰحِهٰا وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: أصلحها[٢] برسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام وذرّيّته عليهم السلام.[٣]

﴿وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيٰاحَ بُشْراً -إلى قوله- لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ «٥٧ - ٥٨»

وقوله: ﴿وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيٰاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ -إلى قوله- كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتىٰ﴾ دليل على البعث والنشور، وهو ردّ على الزنادقة.

---

(١) عنه البحار: ٧٣/٥٧ ح٤٨، والبرهان: ٥٥٨/٢ ح ٤، ونور الثقلين: ٤٦٦/٢ ح ١٤٩، مصابيح الأنوار: ٣٨٦/٢ ح ٣١١ (قطعة). (٢) «إصلاحها» البرهان.

(٣) عنه البحار: ١٤٧/٣٦ ح ١٢٢، والبرهان: ٥٥٩/٢ ح ١.

وقوله: ﴿وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾

وهو مثل الأئمّة صلوات الله عليهم يخرج علمهم بإذن ربّهم

﴿وَ الَّذِي خَبُثَ ـ مثل أعدائهم ـ لا يَخْرُجُ ـ علمهم ـ إِلاّ نَكِداً﴾ أي كدراً فاسداً.(١)

قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ﴾ «٥٩»

نكتب خبر هود ونوح وصالح وشعيب عليهم السلام في سورة هود إن شاء الله تعالى.(٢)

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ ـ إلى قوله ـ وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ﴾ «٩٩ـ١٠٢»

قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ قال: المكر من الله العذاب.(٣)

وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ ـ يعني أوَلم يُبيّن ـ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية.

ثمّ قال: ﴿تِلْكَ الْقُرىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ ـ يا محمّد ـ مِنْ أَنْبائِها﴾ يعني من أخبارها.

﴿فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني في الذرّ الأوّل.

قال: لا يؤمنون في الدنيا بما كذّبوا في الذرّ الأوّل.

وهو ردّ على من أنكر الميثاق في الذرّ الأوّل.(٤)

ثمّ قال: ﴿وَ ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ أي ما عهدنا عليهم في الذرّ لم يفوا به في الدنيا ﴿وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ﴾.(٥)

---

(١) عنه البحار: ١٠٨/٢٤ ح١٩ و١٠٩/٦٦ س١١ (قطعة)، والبرهان: ٥٦٠/٢ ح١، ونور الثقلين: ٤٧٠/٢ ح١٦٦.

(٢) عنه البرهان: ٥٦٠/٢.

(٣) عنه البحار: ٣٣٣/٧٠ السطر الأخير، والبرهان: ٥٦٥/٢ ح١، ونور الثقلين: ٤٨٣/٢ ح٢٠٠.

(٤) عنه البرهان: ٥٦٥/٢ ح٣، ونور الثقلين: ٤٨٤/٢ ح٢٠٥ (قطعة).

(٥) عنه البرهان: ٥٦٦/٢ ح٥.

قوله: ﴿وَقٰالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ «١٢٧»

قال: كان فرعون يعبد الأصنام، ثمّ ادّعى بعد ذلك الربوبيّة؛ قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنٰاءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِسٰاءَهُمْ وَ إِنّٰا فَوْقَهُمْ قٰاهِرُونَ﴾ [أي غالبون].(١)

وقوله: ﴿قٰالُوا أُوذِينٰا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنٰا وَ مِنْ بَعْدِ مٰا جِئْتَنٰا -إلى قوله- وَنَقْصٍ مِّنْ الثَّمَرَاتِ﴾ «١٢٩-١٣٤»

قال: قال الّذين آمنوا: يا موسى قد أُوذينا قبل مجيئك بقتل أولادنا ومن بعد ما جئتنا، لمّا حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى، فقال موسى:

﴿عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ومعنى ينظر أي يرى كيف تعملون، فوضع النظر مكان الرؤية.

[قال:] قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنٰا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَرٰاتِ﴾ يعني بالسنين الجدبة، لمّا أنزل الله عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم.

﴿فَإِذٰا جٰاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ -إلى قوله- وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ «١٣١-١٣٤»

وأمّا قوله: ﴿فَإِذٰا جٰاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قٰالُوا لَنٰا هٰذِهِ﴾ قال:

الحسنة هاهنا: الصحّة والسلامة، والأمن والسعة.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قال: السيّئة هاهنا: الجوع والخوف والمرض.

﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسىٰ وَ مَنْ مَعَهُ﴾ أي يتشاءموا بموسى ومن معه.

وأمّا قوله: ﴿وَقٰالُوا مَهْمٰا تَأْتِنٰا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنٰا بِهٰا فَمٰا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمُ الطُّوفٰانَ وَالْجَرٰادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفٰادِعَ وَالدَّمَ آيٰاتٍ مُفَصَّلاٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكٰانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ فإنّه

---

(١) عنه البرهان: ٥٦٩/٢ ح١، ونور الثقلين: ٤٨٩/٢ ح٢١٩.

قال: لمّا سجد السحرة ومن آمن به من الناس، قال هامان لفرعون: إنّ الناس قد آمنوا بموسى، فانظر من دخل في دينه فاحبسه. فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل، فجاء موسى إليه فقال له: خلّ عن بني إسرائيل. فلم يفعل؛

فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطّوفان، فخرّب عليهم دورهم[1] ومساكنهم حتّى خرجوا إلى البريّة، وضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: أُدع لنا ربّك حتّى يكفّ عنّا الطوفان حتّى أُخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك.

فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الطوفان، وهمّ فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل، فقال له هامان: إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك.

فقبل منه ولم يخلّ عن بني إسرائيل!

فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد، فجردت كلّ شيء كان لهم من النبت والشجر حتّى كانت[2] تجرد شعرهم ولحاهم.

فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً، وقال: يا موسى، أُدع ربّك أن يكفّ عنّا الجراد حتّى أُخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك. فدعا موسى ربّه، فكفّ عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخلّي عن بني إسرائيل!

فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القُمّل، فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القُمّل كففت عن بني إسرائيل.

فدعا موسى ربّه حتّى ذهب القُمّل، وقال:

أوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزمان، فلم يخلّ عن بني إسرائيل!

فأرسل الله تعالى عليهم بعد ذلك الضفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنّها كانت تخرج من أدبارهم وآذانهم وآنافهم.

فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فجاءوا إلى موسى، فقالوا: ادع الله أن يُذهب عنّا

---

(١) «زروعهم» خ.　　(٢) «كادت» البرهان.

الضفادع، فإنّا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى عليه السلام ربّه، فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا أبوا أن يخلّوا عن بني إسرائيل، حوّل الله ماء النيل دماً!

فكان القبطيّ يراه دماً، والإسرائيليّ يراه ماءً! فإذا شربه الإسرائيليّ كان ماءً، وإذا شربه القبطيّ كان دماً! فكان القبطيّ يقول للإسرائيليّ:

خذ الماء في فمك وصبّه في فمي! فكان إذا صبّه في فم القبطيّ تحوّل دماً!

فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لئِن رفع الله عنّا الدم لنرسلنّ معك بني إسرائيل. فلمّا رفع الله عنهم الدم، غدروا ولم يخلّوا عن بني إسرائيل! فأرسل الله تعالى عليهم الرجز، وهو الثّلج، ولم يَرَوه قبل ذلك، فماتوا فيه، فجزعوا جزعاً شديداً وأصابهم ما لم يعهدوا قبله ﴿قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ فدعا ربّه فكشف عنهم الثّلج، فخلّى عن بني إسرائيل، فلمّا خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام، وخرج موسى من مصر، واجتمع إليه من كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك، فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل، فقد اجتمعوا إليه!

فجزع فرعون وبعث في المدائن حاشرين، وخرج في طلب موسى.[١]

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ -إلى قوله- وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ «١٣٧ـ١٤١»

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾ يعني بني إسرائيل، لمّا أهلك الله فرعون، ورثوا الأرض وما كان لفرعون.

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنىٰ عَلىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا﴾ يعني الرحمة بموسى تمّت لهم ﴿وَدَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ﴾

---

(١) عنه البرهان: ٢/٥٧١ ح ١، ونور الثقلين: ٢/٤٩٠ ح ٢٢٤ (صدره)، و٤٩٣ ح ٢٢٩ (ذيله).

يعني المصانع، والعريش، والقصور.

[وأمّا] قوله: ﴿وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلىٰ أَصْنامٍ لَهُمْ﴾ فإنّه لمّا أغرق الله فرعون وأصحابه، وعبّر موسى وأصحابه البحر، نظر أصحاب موسى إلى قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا لموسى: ﴿يامُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلٰهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ ـ فقال موسى ـ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هٰؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ * قالَ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ * وَإِذْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ فهو محكم.[١]

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً ـ إلى قوله ـ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ «١٤٢ـ١٤٤»

قوله: ﴿وَواعَدْنا مُوسىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ فإنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى: أنّي أنزل عليك التوراة الّتي فيها الأحكام[٢] إلى أربعين يوماً، وهو ذو القعدة وعشرة من ذي الحجّة. فقال موسى عليه السلام لأصحابه:

إنّ الله تبارك وتعالى قد وعدني أن يُنزّل عليَّ التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً. وأمره الله تعالى أن لا يقول إلى أربعين يوماً، فتضيق صدورهم.

فذهب موسى عليه السلام إلى الميقات، واستخلف هارون على بني إسرائيل، فلمّا جاوز الثلاثين يوماً ولم يرجع موسى غضبوا، فأرادوا أن يقتلوا هارون، وقالوا:

إنّ موسى كذبنا وهرب منّا، واتّخذوا العجل وعبدوه، فلمّا كان يوم عشرة من ذي الحجّة، أنزل الله تعالى على موسى الألواح، وما يحتاجون إليه من الأحكام والأخبار والسنن والقصص.

فلمّا أنزل الله عليه التوراة وكلّمه ﴿قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ فأوحى الله إليه:

﴿لَنْ تَرانِي ـ أي لا تقدر على ذلك ـ وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي﴾

---

(١) عنه البحار: ١٣/١٧٦ ح ٤، والبرهان: ٢/٥٧٨ ح ١.

(٢) «التوراة والألواح» البرهان.

قال: فرفع الله الحجاب، ونظر إلى الجبل، فساخ[١] الجبل في البحر، فهو يهوي حتّى الساعة، ونزلت الملائكة. وفتحت أبواب السماء، فأوحى الله تعالى إلى الملائكة: أدركوا موسى لا يهرب. فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى، وقالت:

تب[٢] يابن عمران، فقد سألت الله عظيماً! فلمّا نظر موسى عليه السلام إلى الجبل قد ساخ، والملائكة قد نزلت، وقع على وجهه فمات من خشية الله، وهول ما رأى؛

فردّ الله عليه روحه، فرفع رأسه وأفاق، وقال: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أوّل من صدّق أنّك لا تُرى، فقال الله له:

﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

فناداه جبرائيل: يا موسى أنا أخوك جبرئيل.[٣]

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ «١٤٥»

أي كلّ شيء موعظة أنّه مخلوق.

وقوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي قوّة القلب.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي بأحسن ما فيها من الأحكام.[٤]

قوله: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي يجيئكم قوم فسّاق تكون الدولة لهم.[٥]

قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ «١٤٦»

يعني أصرف القرآن عن الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ قال:

---

(١) أي غاص (النهاية: ٢/٤١٦). (٢) «أثبت» البرهان والبحار.

(٣) عنه البحار: ١٣/٢١٣ صدر ح٧، والبرهان: ٢/٥٨٥ ح١١، ونور الثقلين: ٢/٥٠١ ح٢٥٣.

(٤) عنه البحار: ١٣/٢١٤ ضمن ح٧، والبرهان: ٢/٥٨٨ ح٥.

(٥) عنه البحار: ٣/٢١٤ ضمن ح٧، والبرهان: ٢/٥٨٨ ح٧.

إذا رأوا الإيمان والصدق والوفاء والعمل الصالح لا يتّخذوه سبيلاً!
وإن يروا الشرك والزنا والمعاصي يأخذوا بها ويعملوا بها.[١]

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «١٤٧»

فإنّه محكم.[٢] وقوله: ﴿هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَ إِلٰهُ مُوسىٰ فَنَسِيَ﴾[٣] أي ترك.
قوله: ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾[٤] يعني لا يتكلّم العجل، وليس له منطق.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ -إلى قوله- إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٤٩-١٥٣»

وأمّا قوله: ﴿وَ لَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ[٥]﴾ يعني لمّا جاءهم موسى عليه السلام وأحرق العجل، قالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَ يَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[٦]
﴿وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسىٰ إِلىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ -إلى قوله- إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
فإنّه محكم.[٧]

---

(١) عنه البحار: ٢١٤/١٣ ضمن ح٧، وج١٧/٢٠٥ ضمن ح٦ (قطعة)، والبرهان: ٥٨٩/٢ ح٩، ونور الثقلين: ٥٠٤/٢ ح٢٦١.
(٢) عنه البحار: ٢١٤/١٣ ضمن ح٧، والبرهان: ٦٣٤/٢ ح١.
(٣ و٤) طه: ٨٨ و ٨٩.
(٥) قال في مجمع البحرين (٨٥٤/٢): ﴿ولمّا سُقِط في أيديهم﴾ بالبناء للمفعول، والظرف نائبه، يقال لكلّ من ندم وعجز عن الشيء: قد سقط في يده، وأُسقط في يده لغتان، ومعنى سقط في أيديهم: ندموا علىٰ ما فاتهم (وفي الصّحاح: ١١٣٢/٣)، وقرأ بعضهم سقط: بالفتح كأنّه أضمر الندم انتهىٰ. فعلىٰ هذا يكون معنىٰ الآية الشريفة: لما لحقتهم الندامة، وكذا في مجمع البيان، أمّا علىٰ ما فسّر به المصنّف رحمه الله فهو «سقط» بالفتح مبني للفاعل، ومعناه جاء موسىٰ نازلاً من الجبل بين أيديهم، يُقال علىٰ الخبير سقطت أي نزلت عنده وجئت عنده.
(٦) عنه البحار: ٢١٥/١٣ ضمن ح٧، والبرهان: ٥٨٩/٢ ح٢.
(٧) عنه البحار: ٢١٥/١٣ ضمن ح٧.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً ـ إلى قوله ـ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ «١٥٥ـ١٥٧»

وقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ فإنّ موسى عليه السلام لمّا قال لبني إسرائيل: إنّ الله يكلّمني ويناجيني لم يصدّقوه، فقال لهم: اختاروا منكم من يجيء معي حتّى يسمع كلامه. فاختاروا سبعين رجلاً من خيارهم، وذهبوا مع موسى عليه السلام إلى الميقات، فدنا موسى فناجىٰ ربّه، وكلّمه الله تبارك وتعالى، فقال موسى عليه السلام لأصحابه: اسمعوا، واشهدوا عند بني إسرائيل بذلك. فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ فاسأله أن يظهر لنا! فأنزل الله عليهم صاعقة فاحترقوا، وهو قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١] فهذه الآية في سورة البقرة، وهي مع هذه الآية في سورة الأعراف.

[وقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾].

فنصف الآية في سورة البقرة، ونصفها في سورة الأعراف هاهنا.

فلمّا نظر موسى إلى أصحابه قد هلكوا حزن عليهم، فقال:

﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾

وذلك أنّ موسى عليه السلام ظنّ أنّ هؤلاء هلكوا بذنوب بني إسرائيل، فقال:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾

فقال الله تبارك وتعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.[٢]

---

(١) البقرة: ٥٥ و ٥٦.

(٢) عنه البحار: ٢١٥/١٣ ذ ح ٧، والبرهان: ٥٩١/٢ ح ٣، والإيقاظ من الهجعة: ١٣٦ ح ٢٨ (قطعة).

ثمّ ذكر الله فضل النبيّ ﷺ وفضل من تبعه، فقال:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني الثقل الّذي كان على بني إسرائيل؛

وهو أنّه فرض الله عليهم الغسل والوضوء بالماء، ولم يحلّ لهم التيمّم، ولا يحلّ لهم الصلاة إلّا في البيع والكنائس، والمحاريب، وكان الرجل إذا أذنب خرج نفسه منتناً[1]، فيعلم أنه أذنب، وإذا أصاب شيئاً من بدنه البول قطعوه، ولم يحلّ لهم المغنم، فرفع ذلك رسول الله ﷺ عن اُمّته.

ثمّ قال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ يعني برسول الله ﷺ ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فأخذ الله ميثاق رسول الله ﷺ على الأنبياء أن يخبروا اُممهم وينصروه، فقد نصروه بالقول، وأمروا اُممهم بذلك، وسيرجع رسول الله ﷺ ويرجعون فينصرونه في الدنيا.[2]

١١ ـ حدّثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء إبليس لعنه الله إلى موسى عليه السلام وهو يناجي ربّه، فقال له ملك من الملائكة: ويلك! ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجي ربّه؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنّة.

وكان ممّا ناجى الله موسى عليه السلام: يا موسى! إنّي لا أقبل الصلاة إلّا لمن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفي، وقطع نهاره بذكري، ولم يبت مصرّاً على الخطيئة، وعرف حقّ أوليائي وأحبّائي.

---

(١) «جرح نفسه جُرحاً متيناً» البرهان.

(٢) عنه البحار: ٣٠٩/٢٣ ح ٩ (قطعة)، وج ١٥٥/٨١ ح ١٢ (قطعة)، والبرهان: ٥٩٤/٢ ح ٣، والوسائل: ٩٧٠/٢ ح ٥ (صدره)، إثبات الهداة: ٢٤٩/٢ ح ٢ (قطعة)، والإيقاظ من الهجعة: ٣٤٠ ح ٦٦.

فقال موسى عليه السلام: يا ربّ، تعني بأوليائك وأحبّائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب؟ فقال: هو كذلك، إلّا أنّي أردت بذلك مَن مِن أجله خلقت آدم وحوّاء، ومَن مِن أجله خلقت الجنّة والنّار.

قال: ومن هو يا ربّ؟ فقال: محمّد، أحمد، شققت اسمه من اسمي؛ لأنّي أنا المحمود، وهو محمّد.

فقال موسى: يا ربّ اجعلني من اُمّته.

فقال له: يا موسى! أنت من اُمّته إذا عرفته وعرفت منزلته، ومنزلة أهل بيته. وإنّ مَثَلَه وَمَثَل أهل بيته فيمن خلقت كمثل الفردوس في الجِنان، لا ينتثر[1] ورقها، ولا يتغيّر طعمها، فمن عرفهم وعرف حقّهم جعلت له عند الجهل علماً[2]، وعند الظُلمة نوراً، اُجيبه قبل أن يدعوني، واُعطينّه[3] قبل أن يسألني.

يا موسى، إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنىٰ مقبلاً، فقل: ذنب تعجّلت عقوبته!

يا موسى، إنّ الدنيا دار عقوبة عاقبتُ فيها آدم عند خطيئته، وجعلتُها ملعونة ملعون بمن فيها إلّا ما كان فيها[4] لي.

يا موسى، إنّ عبادي الصالحين زهدوا فيها بقدر علمهم بها، وسائرهم من خلقي رغبوا فيها بقدر جهلهم، وما من خلقي أحد عظّمها فقرّت عيناه فيها، ولم يحقّرها أحد إلّا تمتّع بها.

ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: إن قدرتم أن لا تُعْرَفوا[5] فافعلوا، وما عليك إن لم يثن عليك الناس، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس وكنت عند الله محموداً.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلّا لأحد رجلين:

---

(١) «لا ييبس» الأمالي. (٢) «حلماً» خ. (٣) «أعطيه» خ.

(٤) «منها» خ. (٥) «لا تعرفوها» خ.

رجل يزداد كلّ يوم إحساناً، ورجل يتدارك منيّته بالتوبة، وأنّى له بالتوبة!

والله لو سجد حتّى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلّا بولايتنا أهل البيت، ألا ومن عرف حقّنا ورجا الثواب فينا، رضي بقوته نصف مدّ كلّ يوم، وما يستر به عورته وما يكنُّ به رأسه، وهم في ذلك [والله] خائفون وجلون.[1]

وأمّا قوله: ﴿وَقَطَّعْنٰاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبٰاطاً أُمَماً﴾ «١٦٠»

أي ميّزناهم.[2]

﴿وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كٰانَتْ حٰاضِرَةَ الْبَحْرِ ـ إلى قوله ـ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ «١٦٣ـ١٦٥»

قوله: ﴿وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كٰانَتْ حٰاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتٰانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ يَوْمَ لاٰ يَسْبِتُونَ لاٰ تَأْتِيهِمْ﴾ فإنّها قرية كانت لبني إسرائيل قريباً من البحر، وكان الماء يجري عليها في المدّ والجزر، فيدخل أنهارهم وزروعهم، ويخرج السمك من البحر حتّى يبلغ آخر زروعهم.

وقد كان الله حرّم عليهم الصيد يوم السبت، وكانوا يضعون الشباك في الأنهار ليلة الأحد ويصيدون بها السمك، وكان السمك يخرج يوم السبت، ويوم الأحد لا يخرج، وهو قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتٰانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ يَوْمَ لاٰ يَسْبِتُونَ لاٰ تَأْتِيهِمْ﴾

فنهاهم علماؤهم عن ذلك فلم ينتهوا، فمُسخوا قردة وخنازير.

وكانت العلّة في تحريم الصيد عليهم يوم السبت أنّ عيد جميع المسلمين

---

(١) عنه البحار: ٣٣٩/١٣ ذح ١٤، وعن أمالي الصدوق: ٧٦٤ ح ٢، ومعاني الأخبار: ٥٤ ح ١ عن العطّار، عن سعد، عن الاصفهاني، عن المنقري، عن حفص (مثله)، عنه البحار: ٣٦٠/١٦ ح ٦٠، وج ٢٦٧/٢٦ ح ١ (قطعة) وعن القمّي، والبرهان: ٧١٧/٣ ح ١، (عن القمّي).

(٢) عنه البحار: ١٧٤/١٣ ذح ١، والبرهان: ٥٩٧/٢ ح ١.

وغيرهم كان يوم الجمعة، فخالف اليهود، وقالوا: عيدنا يوم السبت! فحرّم الله عليهم الصيد يوم السبت، ومُسخوا قردة وخنازير.[١]

١٢ ـ حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب[٢] عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنّ قوماً من أهل أيكة[٣] من قوم ثمود وأنّ الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت؛ ليختبر الله طاعتهم [في ذلك] فشُرِّعت إليهم يوم سبتهم في ناديهم، وقدّام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم، فبادروا إليها وأخذوا يصطادونها ويأكلونها، فلبثوا في ذلك ما شاء الله لا ينهاهم عنها الأحبار، ولا يمنعهم العلماء من صيدها.

ثمّ إنّ الشيطان أوحى إلى طائفة منهم: إنّما نُهيتم عن أكلها يوم السبت ولم تُنهوا عن صيدها! فاصطادوها يوم السبت وأكلوها فيما سوى ذلك من الأيّام!

فقالت طائفة منهم: الآن نصطادها. فعتت وانحازت طائفة أُخرى منهم ذات اليمين، فقالوا: ننهاكم عن عقوبة الله أن تتعرّضوا لخلاف أمره.

واعتزلت طائفة أُخرىٰ منهم ذات اليسار، فسكتت[٤] فلم تعظهم، فقالت للطائفة الّتي وعظتهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ فقالت الطائفة الّتي وعظتهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال: فقال الله جلّ وعزّ:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مٰا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني لمّا تركوا ما وُعِظُوا به، مضوا على الخطيئة، فقالت الطائفة الّتي وعظتهم: لا والله، لا نجامعكم ولا نبايتكم الليلة في مدينتكم هذه الّتي عصيتم الله فيها، مخافة أن ينزل بكم البلاء، فيعمّنا معكم. قال: فخرجوا عنهم من

---

(١) عنه البحار: ٥١/١٤ صدر ح ٥، والبرهان: ٥٩٨/٢ ح ١.

(٢) «رباب» خ، والصواب ما في المتن.

(٣) الأَيْكَ: الشجر الكثير المُلتفّ، الواحدة (أيكة). ومن قرأ «أصحاب الأيْكة» فهي الغيضة. ومن قرأ «ليكةَ» فهي اسم القرية، ويقال هما مثل بكّة ومكّة (الصحاح: ١٥٧٣/٤). وفي البرهان: «أيلة» وأيلة ـ بالفتح ـ مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأوّل الشام (معجم البلدان: ٢٩٢/١).

(٤) «فتنكبت» البحار.

المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء فنزلوا قريباً من المدينة. فباتوا تحت السماء، فلمّا أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية، فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت، فدقّوه فلم يجابوا، ولم يسمعوا منها خبر واحد[1]! فوضعوا سُلّماً على سور المدينة، ثمّ أصعدوا رجلاً منهم، فأشرف على المدينة، فنظر فإذا هو بالقوم قردة يتعاوون!

فقال الرجل لأصحابه: يا قوم، أرى ـ والله ـ عجباً! قالوا: وما ترى؟ قال:

أرى القوم قد صاروا قردة يتعاوون ولهم أذناب! فكسروا الباب، قال: فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهكم؟! فقال عليّ عليه السلام: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّي لأعرف أنسابها من هذه الأُمّة لاينكرون ولا يغيّرون[2]، بل تركوا ما أُمروا به، فتفرّقوا، وقد قال الله: ﴿فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾ فقال الله:

﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ﴾.[3]

﴿وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ـ إلى قوله ـ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ «١٦٧ـ١٧٠»

وأمّا قوله: ﴿وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ـ يعني بعلم ربّك ـ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

نزلت في اليهود، ولا تكون لهم دولة أبداً.[4]

[وقوله:] ﴿وَقَطَّعْناهُمْ فِي الأَرْضِ ـ أي ميّزناهم ـ أُمَماً مِنْهُمُ الصّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ

---

(١) «حسّ أحد» البرهان. (٢) «ولا يعتبرون» خ.

(٣) عنه البحار: ٥٢/١٤ ذح ٥، والبرهان: ٥٩٨/٢ ح ٢، ونور الثقلين: ٥٢٤/٢ ح ٣١٧.

(٤) عنه البرهان: ٦٠٣/٢ ح ١.

وَ بَلَوْناهُمْ - أي اختبرناهم - بِالْحَسَناتِ - يعني بالسّعة، والأمن - وَالسَّيِّئاتِ﴾ يعني الفقر والفاقة والشدّة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يعني كي يرجعوا.

وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنىٰ﴾ يعني ما يُعرض لهم من الدنيا ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا ما فِيهِ﴾ يعني ضيّعوه.

ثمّ قال: ﴿وَالدّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ * وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَأَقامُوا الصَّلاٰةَ إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.(١)

١٣-وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله:

﴿والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ﴾ إلى آخره قال: نزلت في آل محمّد صلى الله عليه وآله وأشياعهم.(٢)

وأمّا قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ﴾ فهم في أُمّة محمّد يسومون أهل الكتاب سوء العذاب؛ يأخذون منهم الجزية.(٣)

وأمّا قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ﴾ «١٧١»

١٤-قال الصادق عليه السلام: لمّا أنزل الله التوراة على بني إسرائيل لم يقبلوه، فرفع الله تعالى عليهم جبل طور سيناء، فقال لهم موسى عليه السلام:

إن لم تقبلوا وقع عليكم الجبل! فقبلوه وطأطأوا رؤوسهم.(٤)

---

(١) عنه البرهان: ٦٠٣/٢ ح٣.

(٢) عنه البحار: ٢٠٥/٢٣ صدر ح٥٥، والبرهان: ٦٠٣/٢ ح٤، ونور الثقلين: ٥٢٨/٢ ح٣٢٩.

(٣) عنه البحار: ٢٠٥/٢٣ ذح ٥٥.

(٤) عنه البحار: ٢٤٤/١٣ ح٥١ وص٢٠٨ ح١ (باختلاف يسير)، والبرهان: ٦٠٥/٢ ح٢، ونور الثقلين: ١٠٨/١ ح٢٢٦، وج ٥٢٨/٢ ح٣٣١.

وأمّا قوله: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلىٰ﴾ «١٧٢»

١٥ـ فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن سنان، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أوّل من سبق [من الرسل] إلى قول «بلى» رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان بالمكان الّذي قال له جبرئيل لمّا أُسري به إلى السماء: «تقدّم يا محمّد، فقد وطأت موطئاً لم يطأه أحد من قبلك، لا ملك[1] مُقرّب ولا نبيّ مُرسل» ولو لا أنّ روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عزّ وجلّ كما قال الله تعالى: ﴿قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ﴾[2] أي بل أدنى، فلمّا خرج الأمر من الله تعالىٰ وقع إلى أوليائه عليهم السلام،

فقال الصادق عليه السلام: كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبيّة، ولرسوله صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ولأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام بالإمامة، فقال: ألست بربّكم، ومحمّد نبيّكم، وعليّ إمامكم، والأئمّة الهادون أئمّتكم؟ فقالوا: بلى شهدنا. فقال الله تعالى:

﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ ـ أي لئلّا تقولوا يوم القيامة ـ إِنّا كُنّا عَنْ هٰذا غافِلِينَ﴾

فأوّل ما أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على الأنبياء له بالربوبيّة، وهو قوله:

﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ﴾[3] فذكر جملة الأنبياء، ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي، فقال: ﴿وَمِنْكَ﴾ يا محمّد، فقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه أفضلهم، ﴿وَمِن نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله صلى الله عليه وآله أفضلهم، ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء بالإيمان به، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ـ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[4]

---

(١) «لم يطأه ملك» البحار. (٢) النجم: ٩. (٣) الأحزاب: ٧.
(٤) آل عمران: ٨١.

يعني أمير المؤمنين عليه السلام، وتخبروا أُممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة عليهم السلام.[١]

١٦ـ حدّثني أبي، عن محمّد بن أبي عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام، وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قال:

قال: ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرّاً، إلّا ويرجع إلى الدنيا فيُقاتل، وينصر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

ثمّ أخذ أيضاً ميثاق الأنبياء على رسول الله صلى الله عليه وآله[٢] فقال: قل يا محمّد: ﴿آمَنّا بِاللّٰهِ وَما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَما أُنْزِلَ عَلىٰ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسىٰ وَعِيسىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٣].[٤]

١٧ـ وحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلىٰ﴾ قلت: معاينة كان هذا؟ قال: نعم.[٥] فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه؛ فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: ﴿فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[٦].[٧]

﴿وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا ـ إلى قوله ـ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ «١٧٥ ـ ١٧٦»

وأمّا قوله: ﴿وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ

---

(١) عنه البحار: ٢٣٦/٥ ح ١٢، و١٥/١٥ ح ٢٠ (قطعة)، و٢٦٨/٢٦ ح ٢، والبرهان: ٦٠٨/٢ ح ١١، ونور الثقلين: ٤٢٧/١ ح ٢١١، و٥٣١/٢ ح ٣٤٣، و١٤٧/٤ ح ٤٧ (صدره)، وإثبات الهداة: ٢١٣/٢ ح ٧٢٩، وغاية المرام: ٩٣/١ ح ١٩، ومختصر البصائر: ٤١٠ ح ٣٨، و٥١٩ ح ١٨.

(٢) «لرسوله صلى الله عليه وآله» البرهان.

(٣) آل عمران: ٨٤.

(٤) عنه البحار: ٢٣٦/٥ ح ١٣، والبرهان: ٦٠٩/٢ ح ١٢، ومختصر البصائر: ٤١١ ح ٣٩، وغاية المرام: ٩٤/١ ح ٢٠.

(٥) أي معاينة لجلال الله تعالى.

(٦) الأعراف: ١٠١.

(٧) عنه البحار: ٢٣٧/٥ ح ١٤، والبرهان: ٦٠٩/٢ ح ١٣، ونور الثقلين: ٥٣٣/٢ ح ٣٥٣، ومختصر البصائر: ٤١٢ ح ٤٠.

مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فإنّها نزلت في «بلعم بن باعوراء» وكان من بني إسرائيل.(١)

١٨ـوحدّثني أبي، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضاﷺ: إنّ الله تعالى أعطىٰ «بلعم بن باعوراء» الاسم الأعظم، فكان يدعو به فيُستجاب له، فمال إلى فرعون! فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه، قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا. فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى وأصحابه، فوقفت وامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها، فأنطقها الله عزّ وجلّ فقالت: ويلك! على ما تضربني؟! أتريد أن أجيء معك لتدعو على موسى نبيّ الله وقوم مؤمنين؟! فلم يزل يضربها حتّى قتلها، وانسلخ الإسم الأعظم من لسانه! وهو قوله:

﴿فَانْسَلَخَ مِنْهٰا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطٰانُ فَكٰانَ مِنَ الْغٰاوِينَ * وَ لَوْ شِئْنٰا لَرَفَعْنٰاهُ بِهٰا وَ لٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾

وهو مثل ضربه الله.

فقال الرضاﷺ: فلا يدخل الجنّة من البهائم إلّا ثلاثة: حمارة بلعم، وكلب أصحاب الكهف، والذئب؛ وكان سبب الذئب أنّه بعث ملك ظالم رجلاً شرطيّاً ليحشر قوماً من المؤمنين ويعذّبهم، وكان للشرطيّ ابن يحبّه، فجاءه ذئب فأكل ابنه، فحزن الشرطيّ عليه، فأدخل الله ذلك الذئب الجنّة لما أحزن الشرطيّ.(٢)

قوله: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنٰا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ﴾** «١٧٩»

أي خلقنا.(٣)

١٩ـوفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفرﷺ في قوله: **﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ يَفْقَهُونَ بِهٰا**

---

(١) البرهان: ٦١٥/٢ ح ١.

(٢) عنه البحار: ٣٧٧/١٣ ح ١، والبرهان: ٦١٥/٢ ح ٢، ونور الثقلين: ٣٣٨/٢ ح ٧٣ و ٥٣٩ ح ٣٦٩، ومسند الإمام الرضاﷺ: ٣٣٥/١ ح ٨٤.

(٣) عنه البرهان: ٦١٦/٢ ح ١.

ـ أي طبع الله عليها فلا تعقل ـ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاٰ يُبْصِرُونَ بِهٰا ـ أي عليها غطاء عن الهدى، لا ينظرون ـ وَلَهُمْ آذٰانٌ لاٰ يَسْمَعُونَ بِهٰا﴾ أي جعل في آذانهم وقراً، فلن يسمعوا الهدى.(١)

وقوله: ﴿وَلِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا﴾ «١٨٠»

قال: الرحمن الرحيم.(٢)

قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنٰا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ «١٨١»

فهذه الآية لآل محمّد عليهم السلام وأتباعهم.(٣)

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ ـ إلى قوله ـ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ «١٨٢ ـ ١٨٤»

قال: تجديد النعم عند المعاصي.

قوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ـ أي أصبر لهم ـ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي عذابي شديد.

ثمّ قال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ـ يعني قريشاً ـ مٰا بِصٰاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله أي ما هو مجنون كما يزعمون ﴿إِنْ هُوَ إِلاّٰ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.(٤)

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ـ إلى قوله ـ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ «١٨٥ ـ ١٨٧»

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَمٰا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ـ هو هلاكهم ـ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ـ يعني بعد القرآن ـ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدّقون.

---

(١) عنه البحار: ٥/١٩٧ ح١٣، والبرهان: ٢/٦١٧ ح٢، ونور الثقلين: ٢/٥٤٠ ح٣٧٠، و٦/٣٥٧ ح٥.

(٢) عنه البرهان: ٢/٦١٧ ح١، ونور الثقلين: ٢/٥٤٢ ح٣٧٧.

(٣) عنه البحار: ٢٤/١٤٤ ح٤. (٤) عنه البرهان: ٢/٦٢١ ح٥.

وقوله: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلاٰ هٰادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال: يكله إلى نفسه.

وأمّا قوله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّٰاعَةِ أَيّٰانَ مُرْسٰاهٰا﴾ قال: فإنّ قريشاً بعثت العاص بن وائل السهميّ، والنضر بن حارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط إلى نجران؛ ليتعلّموا من علماء اليهود مسائل، ويسألوا بها رسول الله ﷺ، وكان فيها: سلوا محمّداً متى تقوم الساعة؟

فإن ادّعى علم ذلك، فهو كاذب، فإنّ قيام الساعة لم يُطلع الله عليه ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً. فلمّا سألوا رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة؟

أنزل الله تعالى تبارك وتعالى عليه: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّٰاعَةِ أَيّٰانَ مُرْسٰاهٰا قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبِّي لاٰ يُجَلِّيهٰا لِوَقْتِهٰا إِلاّٰ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ لاٰ تَأْتِيكُمْ إِلاّٰ بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهٰا ـ أي جاهل بها ـ قُلْ ـ لهم يا محمّد: ـ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ اللّٰهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ﴾.(١)

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مٰا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ «١٨٨»

قال: كنت أختار لنفسي الصحّة والسلامة.(٢)

وأمّا قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا لِيَسْكُنَ إِلَيْهٰا فَلَمّٰا تَغَشّٰاهٰا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمّٰا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللّٰهَ رَبَّهُمٰا لَئِنْ آتَيْتَنٰا صٰالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰاكِرِينَ * فَلَمّٰا آتٰاهُمٰا صٰالِحاً جَعَلاٰ لَهُ شُرَكٰاءَ فِيمٰا آتٰاهُمٰا﴾ «١٨٩ ـ ١٩٠»

٢٠ـ حدّثني أبي، قال: حدّثني الحسن بن محبوب، عن محمّد بن النعمان الأحول، عن بريد العجليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا علقت حوّاء من آدم وتحرّك

---

(١) عنه البرهان: ٦٢٢/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٥٤٤/٢ ح ٣٩٣.

(٢) عنه البرهان: ٦٢٣/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٥٤٥/٢ ح ٣٩٦.

ولدها في بطنها، قالت لآدم: إنّ في بطني شيئاً يتحرّك! فقال لها آدم: هذا الّذي في بطنك نطفة منّي استقرّت في رحمك، يخلق الله منها خلقاً ليبلونا فيه. فأتاها إبليس، فقال لها: كيف أنتِ ؟ فقالت له: أما إنّي قد علقت، وفي بطني من آدم ولد قد تحرّك.

فقال لها إبليس: أما إنّك إن نويت أن تسمّيه «عبد الحارث» ولدتيه غلاماً وبقي وعاش، وإن لم تنو أن تسمّيه «عبد الحارث» مات بعد ما تلدينه بستّة أيّام!

فوقع في نفسها ممّا قال لها شيء، فأخبرت آدم بما قال لها إبليس؛

فقال لها آدم: قد جاءك الخبيث، لا تقبلي منه، فإنّي أرجو أن يبقى لنا ويكون بخلاف ما قال لك. ووقع في نفس آدم مثل ما وقع في نفس حوّاء من مقالة الخبيث، فلمّا وضعته غلاماً لم يعش إلّا ستّة أيّام حتّى مات، فقالت لآدم:

قد جاءك الّذي قال لنا الحارث فيه! ودخلهما من قول الخبيث ما شكّكهما قال: فلم تلبث أن علقت من آدم حملاً آخر، فأتاها إبليس، فقال لها: كيف أنتِ؟ فقالت له: قد ولدت غلاماً، ولكنّه مات في اليوم السادس.

فقال لها الخبيث: أما إنّك لو كنت نويت أن تسمّيه «عبد الحارث» لعاش وبقي وإنّما هو الّذي في بطنك كبعض ما في بطون هذه الأنعام الّتي بحضرتكم، إمّا ناقة وإمّا بقرة وإمّا ضأن وإمّا معز! فدخلها من قول الخبيث ما استمالها إلى تصديقه والركون إلى ما أخبرها للّذي[1] كان تقدّم إليها في الحمل الأوّل، فأخبرت بمقالته آدم، فوقع في قلبه من قول الخبيث مثل ما وقع في قلب حوّاء!

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً﴾ أي لم تلد ناقة أو بقرة أو ضأناً أو معزاً، فأتاهما الخبيث، فقال لها:

كيف أنتِ؟ فقالت له: قد ثقلت وقربت ولادتي. فقال: أما إنّك ستندمين وترين

---

(١) «الّذي» خ.

من الّذي في بطنك ما تكرهين، ويدخل آدم منك ومن ولدك شيء لو قد ولدتيه ناقة أو بقرة أو ضأناً أو معزاً! فاستمالها إلى طاعته والقبول لقوله، ثمّ قال لها: اعلمي إن أنتِ نويت أن تسمّيه «عبد الحارث» وجعلت لي فيه نصيباً ولدتيه غلاماً سويّاً، عاش وبقي لكم. فقالت: فإنّي قد نويت أن أجعل لك فيه نصيباً!

فقال لها الخبيث: لا تدعي آدم حتّى ينوي مثل مانويت، ويجعل لي فيه نصيباً ويسمّيه «عبد الحارث»؟ فقالت له: نعم. فأقبلت على آدم فأخبرته بمقالة الحارث وبما قال لها، ووقع في قلب آدم من مقالة إبليس ما خافه، فركن إلى مقالة إبليس! وقالت حوّاء لآدم: لئن أنت لم تنو أن تسمّيه «عبد الحارث» وتجعل للحارث فيه نصيباً لم أدعك تقربني ولا تغشاني، ولم يكن بيني وبينك مودّة!

فلمّا سمع ذلك منها آدم، قال لها: أما إنّك سبب المعصية الأولى، وسيدليك بغرور، قد تابعتك وأجبت إلى أن أجعل للحارث فيه نصيباً، وأن أُسمّيه «عبد الحارث»! فأسرّا النيّة بينهما بذلك، فلمّا وضعته سويّاً، فرحا بذلك، وأمِنا ما كان خافا من أن يكون ناقة أو بقرة أو ضأناً أو معزاً، وأملا أن يعيش لهما ويبقى ولايموت في اليوم السادس، فلمّا كان في اليوم السابع سمّياه «عبد الحارث»![1]

٢١ـ أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن الفضيل[2]، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ فقال: هو آدم وحوّاء، وإنّما كان شركهما شرك طاعة، ولم يكن شرك عبادة، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ـ إلى قوله ـ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

قال: جعلا للحارث نصيباً في خلق الله، ولم يكن أشركا إبليس في عبادة الله.[3]

---

(١) عنه البحار: ١١/٢٤٩ ح١، ونور الثقلين: ٢/٥٤٧ ح٣٩٩.

(٢) «الفضل» خ، والصواب ما في المتن، أُنظر معجم رجال الحديث: ١٣/٣٢١.

(٣) عنه البحار: ١١/٢٥١ ح٢، ونور الثقلين: ٢/٥٤٦ ح٣٩٨.

﴿أَيُشْرِكُونَ مٰا لاٰ يَخْلُقُ شَيْئاً ـ إلى قوله ـ فَاسْتَعِذْ بِـاللّٰهِ إِنَّهُ سمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «١٩١ـ ٢٠٠»

ثمّ قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مٰا لاٰ يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ﴾

ثمّ احتجّ على الملحدين، فقال: ﴿وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاٰ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ـ إلى قوله ـ وَ تَرٰاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لاٰ يُبْصِرُونَ﴾.

ثمّ أدّب الله رسوله ﷺ فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجٰاهِلِينَ﴾.(١)

ثمّ قال: ﴿وَإِمّٰا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰانِ نَزْغٌ ـ قال: إن عرض في قلبك منه شيء ووسوسة ـ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.(٢)

ثمّ قـال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذٰا مَسَّهُمْ طٰائِفٌ مِنَ الشَّيْطٰانِ تَذَكَّـرُوا فَإِذٰا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ «٢٠١»

قال: إذا ذكّرهم الشيطان المعاصي وحملهم عليها يـذكرون الله ﴿فَإِذٰا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ قال: وإذا ذكّرهم الشيطان ﴿وَ إِخْوٰانُهُمْ ـ من الجنّ ـ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُـمَّ لاٰ يُـقْصِرُونَ ـ أي لا يقصرون من تضليلهم ـ وَ إِذٰا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قٰالُوا ـ قريش ـ لَوْ لاٰ اجْتَبَيْتَهٰا﴾

وجواب هذا في الأنعام، في قوله: ﴿قُلْ ـ لهم يا محمّد ـ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِـهِ ـ يعني من الآيات ـ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ﴾(٣)

وقوله في بني إسرائيل: ﴿وَ مٰا نُرْسِلُ بِالآيٰاتِ إِلاّٰ تَخْوِيفاً﴾.(٤)(٥)

---

(١) عنه البرهان: ٢/٦٢٤ ح ١.

(٢) عنه البحار: ٨٢/١٧ ح ٤، والبرهان: ٢/٦٢٥ ح ١، ونور الثقلين: ٢/٥٥١ صدر ح ٤١١.

(٣) الأنعام: ٥٨. (٤) الإسراء: ٥٩.

(٥) عنه البحار: ٢٣٦/٦٣ ح ٧٩ (قطعة)، والبرهان: ٢/٦٢٧ ح ٦، ونور الثقلين: ٢/٥٥١ ذ ح ٤١١.

وقوله: ﴿وَ إِذٰا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ «٢٠٤»

يعني في الصلاة، إذا سمعت قراءة الإمام الّذي تأتمّ به فأنصت.[1]

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ -إلى قوله- وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ «٢٠٥-٢٠٦»

﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً - قال: في الظهر والعصر[2] - وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصٰالِ﴾ قال: بالغداة والعشيّ.

﴿وَ لاٰ تَكُنْ مِنَ الْغٰافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ - يعني الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام - لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.[3]

□ ■ □

(١) عنه البحار: ٢٢١/٩٢ ح ١. (٢) عنه البرهان: ٦٢٨/٢ ح ١.

(٣) عنه البحار: ٩١/٢٤ ح ٩، البرهان: ٦٣٠/٢ ح ١١، نور الثقلين: ٥٥٦/٢ ح ٤٣٩.



سورة الأنفال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ قُلِ الأَنْفالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ «١»

١ ـ قال: حدّثني أبي، عن فضالة بن أيّوب، عن أبان بن عثمان، عن إسحاق بن عمّار، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الأنفال، فقال:

هي القرى الّتي قد خربت وانجلى أهلها، فهي لله وللرسول، وما كان للملوك فهو للإمام، وما كان من أرض خربة، وما لم يوجف[١] عليها بخيل ولا ركاب، وكلّ أرض لا ربّ لها والمعادن منها، ومن مات وليس له مولى فماله من الأنفال.

وقال: نزلت يوم بدر لمّا انهزم الناس، كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على ثلاث فرق: فصنف كانوا عند خيمة النبيّ صلى الله عليه وآله، وصنف أغاروا على النهب، وفرقة طلبت العدوّ وأسروا وغنموا، فلمّا جمعوا الغنائم والأُسارى، تكلّمت الأنصار في الأُسارى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرىٰ حَتّٰى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾[٢] فلمّا أباح الله لهم الأُسارى والغنائم تكلّم سعد بن معاذ، وكان ممّن أقام عند خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله! ما منعنا أن نطلب العدوّ زهادة في الجهاد، ولا جبناً عن العدوّ، ولكنّا خفنا أن نعدو[٣] موضعك، فتميل عليك خيل

---

(١) في البحار هكذا: «وما كان من أرض الجزية لم يوجف». أوجف دابّته إيجافاً جعلها تعدو عدواً سريعاً. وجف وجيفاً: اضطرب ومشى سريعاً (مجمع البحرين: ١٩١١/٣).

(٢) الأنفال: ٦٧.

(٣) «نعري» البحار، «يعرى» النور.

المشركين، وقد أقام عند الخيمة وجوه المهاجرين والأنصار، ولم يشكّ أحد منهم [فيما حسبته]، والناس كثير ـ يا رسول الله ـ والغنائم قليلة، ومتى تعطي هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء. وخاف أن يقسّم رسول الله ﷺ الغنائم وأسلاب القتلى بين مَن قاتل، ولا يعطي من تخلّف عند خيمة رسول الله ﷺ شيئاً، فاختلفوا فيما بينهم حتّى سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لمن هذه الغنائم؟

فأنزل الله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ قُلِ الأَنْفالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾. فرجع الناس وليس لهم في الغنيمة شيء، ثمّ أنزل الله بعد ذلك: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتامىٰ وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[١] فقسّمه رسول الله ﷺ بينهم.

فقال سعد بن أبي وقّاص: يا رسول الله ﷺ أتعطي فارس القوم الّذي يحميهم مثل ما تعطي الضّعيف؟ فقال النبيّ ﷺ: ثكلتك أُمّك، وهل تنصرون إلّا بضعفائكم! قال: فلم يخمّس رسول الله ﷺ ببدر وقسّمه بين أصحابه، ثمّ استقبل يأخذ الخمس بعد بدر. ونزل قوله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ﴾ بعد انقضاء حرب بدر، فقد كتب ذلك في أوّل السورة، وكتب بعده خروج النبيّ ﷺ إلى الحرب.[٢]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ـ إلى قوله ـ
كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ «٢ـ٦»

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ـ إلى قوله ـ لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ فإنّها نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام وأبي ذرّ وسلمان الفارسي والمقداد رحمة الله عليهم.[٣]

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) عنه البحار: ٢٦٩/١٩ ح٨، و٢١٣/٩٦ ح١٩، والبرهان: ٦٤٤/٢ ح٢٥، ونور الثقلين: ٧/٣ ح١٣، والوسائل: ٣٧١/٦ ح٢٠ (قطعة).

(٣) عنه البحار: ٣٢٢/٢٢ ح١٤، وج٣٤٢/٣٥ ح١٤، والبرهان: ٦٤٨/٢ ح١، ونور الثقلين: ١٠/٣ ح٢٣.

ثمّ ذكر بعد ذلك الأنفال، وقسمة الغنائم، وخروج رسول الله ﷺ إلى الحرب، فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾

وكان سبب ذلك أنّ عيراً[١] لقريش خرجت إلى الشام فيها خزائنهم، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج ليأخذوها، فأخبرهم أنّ الله قد وعده احدى الطائفتين: إمّا العير وإمّا قريش إن ظفر بهم، فخرج في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا قارب بدراً كان أبو سفيان في العير، فلمّا بلغه أنّ رسول الله ﷺ قد خرج يتعرّض للعير خاف خوفاً شديداً، ومضى إلى الشام.

فلمّا وافى البُهرة[٢] اكترى «ضمضم بن عمرو[٣] الخزاعيّ» بعشرة دنانير وأعطاه قلوصاً[٤] وقال له: امض إلى قريش وأخبرهم أنّ محمّداً والصّباة[٥] من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم، فأدركوا العير. وأوصاه أن يخرم ناقته ويقطع أُذنها حتّى يسيل الدم، ويَشُقَّ ثوبه من قبل ودبر! فإذا دخل مكّة ولّى وجهه إلى دبر البعير، وصاح بأعلى صوته: يا آل غالب، اللّطيمة[٦] اللّطيمة[٧]، العير العير، أدركوا [أدركوا] وما أراكم تدركون، فإنّ محمّداً والصّباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم! فخرج «ضمضم» يبادر إلى مكّة.

ورأت «عاتكة بنت عبد المطّلب» قبل قدوم «ضمضم» في منامها بثلاثة أيّام،

---

(١) العير: القافلة، وهو في الأصل الإبل الّتي عليها الأحمال لأنّها تعير أي تتردّد.

(٢) بهرة الوادي: وسطه، والبهرة أيضاً موضع بنواحي المدينة وأقصى ماء يلي قرقرى باليمامة.

(٣) «عمر» خ، اشتباه، أُنظر أُسد الغابة: ٤٦/٣، إصابة: ٢١٣/٢.

(٤) القلوص من النوق: الشابّة (الصحاح: ١٠٥٤/٣).

(٥) الصباة: جمع الصابيء، وهو من خرج من دين إلى غيره، وكان الكفّار يسمّون النبيّ ﷺ وأصحابه الصباة.

(٦): العير الّتي تحمل الطيب وبزّ التجّار، ومنه يا قوم اللّطيمة اللطيمة أي أدركوها (أقرب الموارد: ١١٥٤/٢).

(٧) «أدركوا، اللّطيمة اللّطيمة» خ، «الظّليمة الظّليمة» خ.

كأنّ راكباً قد دخل إلىٰ مكّة ينادي: يا آل عذر، يا آل فهر[1]، اغدوا إلى مصارعكم صبح ثالثة، ثمّ وافى بجمله على أبي قبيس، فأخذ حجراً فدهدهه[2] من الجبل، فما ترك داراً من دور قريش إلّا أصابها منه فلذّة، وكأنّ وادي مكّة قد سال من أسفله دماً! فانتبهت ذعرة، فأخبرت العبّاس بذلك، فأخبر العبّاس به عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: هذه مصيبة تحدث في قريش. وفشت الرؤيا في قريش؛

وبلغ ذلك أبا جهل، فقال: ما رأت عاتكة هذه الرؤيا، وهذه نبيّة ثانية في بني عبد المطّلب، واللّات والعزّى لننتظرنّ ثلاثة أيّام، فإن كان ما رأت حقّاً فهو كما رأت، وإن كان غير ذلك لنكتبنّ بيننا كتاباً: أنّه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم! فلمّا مضى يوم، قال أبو جهل: هذا يوم قد مضى، فلمّا كان اليوم الثاني، قال: أبوجهل: هذان يومان قد مضيا.

فلمّا كان اليوم الثالث وافى «ضمضم» ينادي في الوادي: يا آل غالب! يا آل غالب! اللّطيمة اللّطيمة، العير العير، أدركوا [أدركوا] وما أراكم تدركون، فإنّ محمّداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم الّتي فيها خزائنكم.

فتصايح الناس بمكّة وتهيّأوا للخروج، وقام سهيل بن عمرو، وصفوان بن اُميّة، وأبو البختري بن هشام، ومنبّه ونبيه ابنا الحجّاج، ونوفل بن خويلد، فقالوا:

يا معشر قريش، والله ما أصابكم مصيبة أعظم من هذه أن يطمع محمّد والصباة من أهل يثرب أن يتعرّضوا لعيركم الّتي فيها خزائنكم، فوالله ما قرشيّ ولا قرشيّة إلّا ولها في هذه العير نشٌّ[3] فصاعداً، إن هو إلّا الذلّ[4] والصغار أن يطمع محمّد في أموالكم، ويفرّق بينكم وبين متجركم فاخرجوا.

---

(١) «يا آل غدر، يا آل غدر» البحار، «يا آل غالب، يا آل غالب» البرهان.

(٢) دهدهت الحجر فتدهده، أي دحرجته فتدحرج (مجمع البحرين: ٦١٥/١).

(٣) النشّ: نصف أوقيّة ويعادل عشرين درهماً (الصحاح: ١٠٢١/٣).

(٤) «وإنّه لمن الذلّ» البحار.

وأخرج صفوان بن أُميّة خمسمائة دينار وجهّز بها، وأخرج سهيل بن عمرو [خمسمائة] وما بقي أحد من عظماء قريش إلّا أخرجوا مالاً، وحملوا وقوداً، ووافوا على الصعب والذلول لايملكون أنفسهم، كما قال الله تعالى: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ بَطَراً وَرِئٰاءَ النّٰاسِ﴾[1]

وخرج معهم العبّاس بن عبد المطّلب، ونوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب، وأخرجوا معهم القيان[2] يشربون الخمر ويضربون بالدفوف.

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا كان بقرب بدر على ليلة منها، بعث عدي بن أبي الزغباء، وبسبس بن عمرو[3] يتجسّسان خبر العير، فأتيا ماء بدر، وأناخا راحلتيهما، واستعذبا من الماء، وسمعا جاريتين قد تشبّثت إحداهما بالأخرى، وتطالبها بدرهم كان لها عليها، فقالت:

عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وكذا، وهي تنزل غداً هاهنا، وأنا أعمل لهم، وأقضيك. فرجعا إلى أصحاب رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا.

فأقبل أبوسفيان بالعير، فلمّا شارف بدراً تقدّم العير، وأقبل وحده حتّى انتهى إلى ماء بدر، وكان بها رجل من جهينة، يقال له: «مجدي[4] الجهنيّ» فقال له:

يا مجدي، هل لك علم بمحمّد وأصحابه؟ قال: لا. قال: واللّات والعزّى لئن كتمتنا أمر محمّد لا تزال قريش لك معادية إلىٰ آخر الدهر، فإنّه ليس أحد من قريش إلّا وله في هذه العير نشٌّ فصاعداً فلا تكتمني.

فقال: والله ما لي علم بمحمّد، وما بآل محمّد وأصحابه بالتجّار، إلّا أنّي رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا، واستعذبا من الماء، وأناخا راحلتيهما في هذا المكان

---

(١) الأنفال: ٤٧.

(٢) جمع قينة: الأمة مغنيّة كانت أو غير مغنيّة (الصحاح: ٢١٨٦/٦).

(٣) «بشير، بشر، بسيس» خ، «بسيس بن أبي الدعنا (الرغبا) ومجدي بن عمرو» خ، والصواب ما في المتن، اُنظر طبقات ابن سعد: ١٢/٢.

(٤) «كسب» البحار، وكذا بعدها، والصواب ما في المتن، (اُنظر طبقات ابن سعد: ١٣/٢).

ورجعا، فلا أدري من هما. فجاء أبو سفيان إلى موضع مناخ إبلهما، ففتّ أبعار الإبل بيده، فوجد فيها النوى، فقال: هذه علايف يثرب، هؤلاء ـ والله ـ عيون محمّد! فرجع مسرعاً وأمر بالعير، فأخذ بها نحو ساحل البحر، وتركوا الطريق ومرّوا مسرعين.

ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره أنّ العير قد أفلتت، وأنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع [عن] عيرها وأمره بالقتال، ووعده النصر. وكان نازلاً بالصفراء، فأحبّ أن يبلو الأنصار لأنّهم إنّما وعدوه أن ينصروه في الدار، فأخبرهم أنّ العير قد جازت، وأنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأنّ الله قد أمرني بمحاربتهم.

فجزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك وخافوا خوفاً شديداً!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشيروا عليّ. فقام أبوبكر، فقال: يا رسول الله، إنّها قريش وخيلاؤها[١]، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلّت منذ عزّت، ولم تخرج على هيئة الحرب! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجلس. فجلس. فقال: أشيروا عليّ. فقام عمر فقال مثل مقالة أبي بكر، فقال: اجلس. فجلس.

ثمّ قام المقداد، فقال: يا رسول الله، إنّها قريش وخيلاؤها، وقد آمنّا بك، وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا[٢] وشوك الهراس لخُضْنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[٣] ولكنّا نقول: امض لأمر[٤] ربّك فقاتلا وإنّا معكما مقاتلون. فجزاه النبيّ صلى الله عليه وآله خيراً، ثمّ جلس.

ثمّ قال أشيروا عليّ. فقام سعد بن معاذ، فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، كأنّك أردتنا؟ قال: نعم. قال: فلعلّك خرجت على أمر قد أُمرت بغيره؟ قال: نعم.

---

(١): إختال الرجل في مشيه أي تبختر كما يفعله المتكبرون. (مجمع البحرين: ١/٥٦٩).

(٢) الغضا الواحدة منه غضاة، شجر من الأثل جمره يبقىٰ زمناً طويلاً (المنجد: ٥٥٤).

(٣) المائدة: ٢٤.

(٤) «إذهب أنت وربّك» البرهان والبحار.

قال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله إنّا قد آمنّا بك، وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، فمُرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منه ما شئت، والّذي أخذت منه أحبّ إليّ من الّذي تركت منه، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك. فجزاه خيراً.

ثمّ قال سعد: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، والله ما خضت هذا الطريق قطّ ومالي به علم، وقد خلّفنا بالمدينة قوماً ليس نحن بأشدّ جهاداً لك منهم، ولو علموا أنّها الحرب لما تخلّفوا، ولكن نعدّ لك الرواحل ونلقى عدوّنا، فإنّا صبّر عند اللقاء، أنجاد[1] في الحرب، وإنّا لنرجو أن يقرّ الله عينك بنا، فإن يك ما تحبّ فهو ذاك، وإن يك غير ذلك قعدت على رواحلك فلحقت بقومنا.

فقال رسول الله ﷺ: أوَ يحدث الله غير ذلك؟ كأنّي بمصرع فلان هاهنا، وبمصرع فلان هاهنا، وبمصرع أبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومنبِّه ونبيه ابني الحجّاج، فإنّ الله قد وعدني إحدىٰ الطائفتين، ولن يخلف الله الميعاد. فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ بهذه الآية:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ـ إلى قوله ـ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل حتّى نزل عشاءً على ماء بدر، وهي العدوة الشاميّة.

وأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانيّة، وبعثت عبيدها تستعذب من الماء، فأخذهم أصحاب رسول الله ﷺ وحبسوهم، فقالوا لهم: من أنتم؟

فقالوا: نحن عبيد قريش. قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير. فأقبلوا يضربونهم، وكان رسول الله ﷺ يصلّي، فانفتل من صلاته، فقال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم! عليَّ بهم. فأتوا بهم، فقال لهم: من أنتم؟

قالوا: يا محمّد، نحن عبيد قريش. قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم.

---

(١) أي شجعان، وفي حديث عليّ عليه السلام: أمّا بنو هاشم فأنجاد (مجمع البحرين: ٣/١٧٥١).

قال: كم ينحرون في كلّ يوم جزوراً؟ قالوا: تسعة إلى عشرة.

فقال ﷺ: القوم تسعمائة إلى ألف! ثمّ قال: فمن فيهم من بني هاشم؟ قالوا: العبّاس بن عبد المطّلب ونوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب!

فأمر رسول الله ﷺ بهم فحبسوهم، وبلغ قريشاً ذلك فخافوا خوفاً شديداً، ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختريّ بن هشام فقال له: أما ترى هذا البغي؟ والله ما أبصر موضع قدمي، خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت، فجئنا بغياً وعدواناً!

والله ما أفلح قوم قطّ بغوا، ولَوَددت أنّ ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهب كلّه ولم نسر هذا المسير.

فقال له أبو البختريّ: إنّك سيّد من سادات قريش [فسِرْ في النّاس] وتحمَّل العير الّتي أصابها محمّد ﷺ وأصحابه بنخيلة ودم ابن الحضرميّ، فإنّه حليفك.

فقال عتبة: أنت [تُشير] عليَّ بذلك، وما على أحد منّا خلاف إلّا ابن الحنظليّة[1] ـ يعني أباجهل ـ فسر إليه، أعلمه أنّي قد تحمّلت العير الّتي قد أصابها محمّد بنخيلة ودم ابن الحضرميّ.

[فـ]قال أبو البختريّ: فقصدت خباءه، فإذا هو قد أخرج درعاً له، فقلت له: إنّ أبا الوليد بعثني إليك برسالة. فغضب، ثمّ قال: أما وجد عتبة رسولاً غيرك؟!

فقلت له: أما والله لو غيره أرسلني ما جئت، ولكن أبا الوليد سيّد العشيرة! فغضب أشدّ من الأولى، فقال: تقول: سيّد العشيرة؟ فقلت: أنا أقوله وقريش كلّها تقوله: إنّه قد تحمّل العير [وما أصابه محمّد بنخلة] ودم ابن الحضرميّ.

فقال: إنّ عتبة أطول الناس لساناً، وأبلغهم في الكلام، ويتعصّب لمحمّد، فإنّه من بني عبد مناف وابنه معه، ويريد أن يخذّل[2] النّاس، لا، واللّات والعزّى حتّى

---

(١) «حنظلة» البحار، وما في المتن هو الصواب (أُنظر طبقات ابن سعد: ٢٠٣/١).

(٢) «يخدّر» البحار.

نقحم عليهم بيثرب، ونأخذهم أسارى، فندخلهم مكّة، وتتسامع العرب بـذلك، ولا يكون بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه.

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ كثرة قريش، ففزعوا فزعاً شديداً، وشكوا وبكوا واستغاثوا، فأنزل الله على رسوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَ مَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرىٰ وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فلمّا أمسىٰ رسول الله ﷺ وجنّه اللّيل، ألقى الله على أصحابه النُّعاس حتّى ناموا، وأنزل الله تبارك وتعالى عليهم الماء[١]، وكان نزول رسول الله ﷺ[٢] في موضع لا تثبت فيه القدم.

فأنزل الله عليهم السماء ولبّد الأرض حتّى تثبت أقدامهم، وهو قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وذلك أنّ بعض أصحاب النبيّ ﷺ احتلم

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ وكان المطر على قريش مثل العزالي[٣] وكان على أصحاب رسول الله ﷺ رذاذاً بقدر ما لبّد الأرض.

وخافت قريش خوفاً شديداً، فأقبلوا يتحارسون؛ يخافون البيات[٤]، فبعث رسول الله ﷺ عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، وقال: ادخلا في القوم واتياني بأخبارهم. فكانا يجولان في عسكرهم لا يرون إلّا خائفاً ذعراً، إذ صهل الفرس وثبت على جحفلته[٥] فسمعوا منبّه بن الحجّاج يقول:

لا يترك الجوعُ لنا مبيتاً   لابدّ أن نموت أو نميتا

---

(١) «السماء» خ.   (٢) «وكان نزل الوليد» خ.

(٣) العزلاء فم المزادة: فقوله: (أرسلت السماء عزاليها) يريد شدّة وقع المطر (مجمع البحرين: ١٢٠٩/٢).

(٤) بيّتهم العدوّ بياتاً، أي أوقع بهم ليلاً (الصحاح: ٢٤٥/١).

(٥) الجحفلة لذوات الحافر كالشفة للإنسان (مجمع البحرين: ٢٧٢/١).

قال ﷺ: قد ـ والله ـ كانوا شباعى، و لكنّهم من الخوف قالوا هذا، وألقى الله في قلوبهم الرعب، كما قال الله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾.

فلمّا أصبح رسول‌الله ﷺ عبأ أصحابه، وكان في عسكره ﷺ فرسان: فرس للزبير بن العوّام، وفرس للمقداد، وكان في عسكره سبعون جملاً يتعاقبون عليها فكان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد الغنويّ على جمل يتعاقبون عليه، والجمل لمرثد، وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس.

فعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه بين يديه، وقال: غضّوا أبصاركم، لا تبدوهم بالقتال، ولا يتكلّمنّ أحد. فلمّا نظرت قريش إلى قلّة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل لعنه الله: ما هم إلّا أكلة رأس، ولو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد!

فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً ومدداً؟ فبعثوا عمير[1] بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتّى طاف على عسكر رسول الله ﷺ ثمّ صعد في الوادي وصوّت، ثمّ رجع إلى قريش، فقال: ما لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح[2] يثرب قد حملت الموت الناقع[3] أما ترونهم خرساً لا يتكلّمون، يتلمّظون تلمّظ الأفاعي مالهم ملجأ إلّا سيوفهم؟! وما أراهم يولّون حتّى يُقتلوا، ولا يقتلون حتّى يقتلوا بعددهم، فارتأوا رأيكم. فقال أبو جهل:

كذبت وجبنت وانتفخ سحرك[4] حين نظرت إلى سيوف أهل يثرب.

وفزع أصحاب رسول‌الله ﷺ حين نظروا إلى كثرة قريش وقوّتهم، فأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[5].

---

(١) «عمر» خ. والصواب ما في المتن، (أنظر طبقات: ١٩٩/٤).

(٢) الناضح: البعير يُستقى عليه، والجمع نواضح (الصحاح: ٤١١/١).

(٣) وفي حديث بدر «رأيت البلايا تحمل المنايا، نواضح يَثْرب تحمل السمّ الناقع» أي القاتل (النهاية: ١٠٩/٥).

(٤) : أي رئتك يقال ذلك للجبان (النهاية: ٣٤٦/٢)، وفي خ «منخرك».

(٥) الأنفال: ٦١.

وقد علم الله أنّهم لا يجنحون ولا يُجيبون إلى السَّلم، وإنّما أراد [سبحانه] بذلك لتطيب قلوب أصحاب رسول الله ﷺ:

فبعث رسول الله ﷺ إلى قريش فقال: يا معشر قريش! ما أحد من العرب أبغض إليّ من أن أبدأكم، فخلّوني والعرب، فإن أكُ صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن أكُ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا.

فقال عتبة: والله، ما أفلح قوم قطّ ردّوا هذا. ثمّ ركب جملاً له أحمر، فنظر إليه رسول الله ﷺ يجول في العسكر، وينهى عن القتال، فقال:

إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر، فإن يطيعوه [يرجعوا] ويرشدوا. فأقبل عتبة يقول: يا معشر قريش! اجتمعوا واسمعوا. ثمّ خطبهم، فقال: يمن [مع] رحب ورحب مع يمن، يا معشر قريش! أطيعوني اليوم، واعصوني الدَّهر، وارجعوا إلى مكّة واشربوا الخمور، وعانقوا الحور، فإنّ محمّداً له إلٌّ[1] وذمّة، وهو ابن عمّكم، فارجعوا ولا تردّوا رأيي، وإنّما تطالبون محمّداً بالعير الّتي أخذها بنخيلة[2]، ودم ابن الحضرميّ وهو حليفي، وعليَّ عقله.

فلمّا سمع أبو جهل ذلك غاظه، وقال: إنّ عتبة أطول الناس لساناً، وأبلغهم كلاماً، ولئن رجعت قريش بقوله، ليكوننّ سيّد قريش [إلى] آخر الدهر!

ثمّ قال: يا عتبة! نظرت إلى سيوف بني عبد المطّلب وجبنت وانتفخ سحرك، وتأمر الناس بالرجوع، وقد رأينا ثأرنا بأعيننا.

فنزل عتبة عن جمله وحمل على أبي جهل، وكان على فرس فأخذ بشعره، فقال الناس: يقتله! فعرقب فرسه، فقال: أمثلي يجبن؟! وستعلم قريش اليوم أيّنا ألأم وأجبن! وأيّنا المفسد لقومه! لا يمشي إلّا أنا وأنت إلى الموت عياناً، ثمّ قال:

هذا جناي وخياره فيه ... وكلّ جان[3] يدُه إلى فيه

---

(١) الإلّ: العهد (المنجد: ١٥).

(٢) «محمّد ﷺ بنخلة» البحار.

(٣) «جبان» خ.

ثم أخذ بشعره يجرّه فاجتمع إليه الناس وقالوا: يا أبا الوليد! الله الله لا تفتّ في أعضاد النّاس[١] تنهى عن شيء [و] تكون أوّله! فخلّصوا أبا جهل من يده.

فنظر عتبة إلى أخيه شيبة، ونظر إلى ابنه الوليد، فقال: قم يا بنيّ. فقام، ثمّ لبس درعه وطلبوا له بيضة تَسَعُ رأسه، فلم يجدوها لعظم هامته، فاعتجر[٢] بعمامتين، ثمّ أخذ سيفه وتقدّم هو وأخوه وابنه، ونادى:

يا محمّد! أخرج إلينا أكفّاءنا من قريش. فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار عوذ ومعوّذ وعوف[٣]، من بني عفراء، فقال عتبة: من أنتم، انتسبوا لنعرفكم؟

فقالوا: نحن بنو عفراء، أنصار الله وأنصار رسول الله ﷺ. فقال: ارجعوا، فإنّا لسنا إيّاكم نريد، إنّما نريد الأكفاء من قريش! فبعث إليهم رسول الله ﷺ أن ارجعوا. فرجعوا، وكره أن يكون أوّل الكرّة بالأنصار، فرجعوا ووقفوا موقفهم.

ثمّ نظر رسول الله ﷺ إلى «عبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب» وكان له سبعون سنة، فقال له: قم يا عمّ[٤]! فقام بين يديه بالسيف.

ثمّ نظر إلى «حمزة بن عبدالمطّلب» فقال: قم يا عمّ! ثمّ نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: قم يا عليّ! وكان أصغرهم، فقاموا بين رسول الله ﷺ بسيوفهم، فقال: فاطلبوا بحقّكم الّذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها، وفخرها تريد أن تُطفئ نور الله، ويأبى الله إلّا أن يُتمّ نوره.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا عبيدة! عليك بعتبة، وقال لحمزة: عليك بشيبة.

وقال لعليّ: عليك بالوليد بن عتبة. فمرّوا حتّى انتهوا إلى القوم. فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا حتّى نعرفكم، فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب.

---

(١): فتّ في عضده: كسر قوته. (٢) «فاعتمّ» خ.

(٣) «عود ومعوّد وعوف بني عفراء» البحار، وفي الطبقات: ٤٩١/٣: معاذ، ومعوّذ، وعوف.

(٤) «يا عبيدة» خ.

فقال: كفو كريم! فمن هذان؟ فقال: حمزة بن عبدالمطّلب، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال: كفوان كريمان! لعن الله من أوقفنا وإيّاكم هذا الموقف.

فقال شيبة لحمزة: من أنت؟ فقال: أنا حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله. فقال له شيبة. لقد لقيت أسد الحلفاء[١]، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله! فحمل عبيدة على عتبة، فضربه على رأسه ضربة، ففلق هامته.

وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها وسقطا جميعاً، فحمل حمزة على شيبة، فتضاربا بالسيفين حتّى انثلما، وكلّ واحد منهما يتّقي بدرقته.[٢]

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه، فأخرج السيف من إبطه، فقال عليّ عليه السلام: «فأخذ يمينه المقطوعة بيساره، فضرب بها هامتي، فظننت أنّ السّماء [قد] وقعت على الأرض»!

ثمّ اعتنق حمزة وشيبة، فقال المسلمون: يا عليّ، أما ترى الكلب قد بهر[٣] عمّك؟! فحمل عليه عليّ عليه السلام، ثمّ قال: يا عمّ طأطئ رأسك ـ وكان حمزة أطول من شيبة ـ فأدخل حمزة رأسه في صدره، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فطيّر نصفه، ثمّ جاء إلى عتبة وبه رمق، فأجهز عليه، وحمل عبيدة بين حمزة وعليّ حتى أتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله واستعبر، فقال: يا رسول الله! بأبي أنت وأُمّي ألست شهيداً؟ فقال: بلى أنت أوّل شهيد من أهل بيتي.

قال: أما لو كان عمّك حيّاً لعلم أنّي أولى بما قال منه.

قال: وأيّ أعمامي تريد؟[٤] قال: أبو طالب حيث يقول عليه السلام:

---

(١) وفي حديث بدر «إنّ عتبة بن ربيعة برز لعبيدة، فقال: من أنت؟ قال: أنا الّذي في الحَلْفاء» أراد الأسد، لأنّ مأوى الأسود الآجام ومنابت الحلفاء، وهو نبت معروف، وقيل: هو قصب لم يُدرك. (النهاية: ١/٤٢٥).

(٢) الدرقة ـ بفتحتين ـ: الترس (مجمع البحرين: ١/٥٨٩).

(٣) في النهاية (١/١٦٥): «صلاة الضحىٰ إذا بهرت الشمس الأرض» أي غلبها ضوْها ونورُها.

(٤) «تعني» البحار.

كذبتم وبيتِ الله يُبزى[1] محمّدٌ ولمّا نُطاعِنُ دونه ونُناضِلُ
ونُسْلِمه حتّى نُصرّع حوله ونَذْهل عن أبنائنا والحلائل

فقال [له] رسول الله ﷺ: أما ترى ابنه كاللّيث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟ فقال: يا رسول الله! أسخطت عليَّ في هذه الحالة؟ فقال: ما سخطت عليك ولكن ذكرت عمّي فانقبضت لذلك.

وقال أبو جهل لعنه‌الله لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما عجّل وبطر أبناء ربيعة، عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتّى ندخلهم مكّة، فنعرّفهم ضلالتهم الّتي كانوا عليها.

وكان فتية من قريش أسلموا بمكّة، فاحتبسهم آباؤهم، فخرجوا مع قريش إلى بدر وهم على الشكّ والإرتياب والنفاق، منهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكهة، والحارث بن ربيعة، وعليّ بن أُميّة بن خلف، والعاص بن المنبِّه.

فلمّا نظروا إلى قلّة أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: مساكين هؤلاء غرّهم دينهم فيُقتلون الساعة! فأنزل الله على رسول‌الله ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وجاء إبليس عليه اللعنة إلى قريش في صورة «سراقة بن مالك» فقال لهم: أنا جاركم! ادفعوا إليّ رايتكم. فدفعوها إليه، وجاء بشياطينه يهوّل بهم على أصحاب رسول الله ﷺ، ويُخيّل إليهم ويُفزِعُهم، وأقبلت قريش يقدمها إبليس معه الراية، فنظر إليه رسول‌الله ﷺ، فقال: غضّوا أبصاركم، وعضّوا على النواجذ[3]، ولا تسلّوا سيفاً حتّى آذن لكم. ثمّ رفع يده إلى السماء، فقال:

يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لم تُعبد، وإن شئت أن لا تُعبد، لا تُعبد،

---

(١): أي يقهر ويغلب، أراد لايُبزى فحَذف (لا) من جواب القسم وهي مرادة، أي لا يقهر ولم نقاتل عنه وندافع (النهاية: ١/١٢٥).

(٢) الأنفال: ٤٩.

(٣) «عضّو عليها بالنواجذ» أي تمسّكوا بها، كما يتمسّك العاضّ بجميع أضراسه (النهاية: ٥/٢٠).

ثمّ أصابه الغشي، فسُرِّيَ عنه وهو يسلت[١] العرق عن وجهه، ويقول:

هذا جبرائيل عليه السلام قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين، قال:

فنظرنا، فإذا بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله، وقائل يقول: أقدم حيزوم! أقدم حيزوم[٢]! وسمعنا قعقعة السلاح في الجوّ، ونظر إبليس لعنه الله إلى جبرائيل عليه السلام فتراجع ورمى اللّواء، فأخذ منبّه بن الحجّاج بمجامع ثوبه، ثمّ قال:

ويلك يا سراقة تفتّ في أعضاد النّاس؟! فركله[٣] إبليس ركلة في صدره، ثمّ قال: إنّي أرى ما لا ترون، إنّي أخاف الله. وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلىٰ عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرىٰ ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾[٤]

ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾.[٥]

قال: وحمل جبرائيل عليه السلام على إبليس فطلبه حتّى غاص في البحر، وقال:

[يا] ربّ أنجز لي ما وعدتني من البقاء إلى يوم الدين.

وروي في الخبر أنّ إبليس التفت إلى جبرائيل عليه السلام وهو في الهزيمة، فقال: يا هذا أبدا لكم فيما أعطيتمونا؟ فقيل لأبي عبدالله عليه السلام: أتُرى كان يخاف أن يقتله؟

فقال: لا، ولكنّه كان يضربه ضرباً[٦] يشينه منها إلى يوم القيامة.

وأنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ﴾

---

(١) أي يمسحه ويزيله «المعجم الوسيط: ١/ ٤٤١». «يسيل» خ. «يسكب» خ.

(٢) في حديث بدر: أقدم حيزوم. جاء في التفسير أنّه اسم فرس جبرائيل عليه السلام أراد: أقدم يا حيزوم فحذف حرف النداء، والياء فيه زائدة (النهاية: ١/ ٤٦٧).

(٣) أي رفسه.

(٤) الأنفال: ٤٨.

(٥) الأنفال: ٥٠.

(٦) «ضربة» خ، الشين: العيب.

قال: أطراف الأصابع، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تُطفئ نور الله، ويأبى الله إلّا أن يُتمَّ نوره. وخرج أبو جهل من بين الصفّين، فقال: اللّهمَّ إنّ محمّداً ﷺ قطعنا الرحم، وأتانا بما لا نعرفه فأحِنْهُ[١] الغداة! فأنزل الله على رسوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] ثمّ أخذ رسول‌الله ﷺ كفّاً من حصى ورمى به في وجوه قريش، وقال: شاهت الوجوه! فبعث الله رياحاً تضرب في وجوه قريش، فكانت الهزيمة، فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ لا يفلتنّ فرعون هذه الأمّة «أبوجهل بن هشام». فقُتل منهم سبعون، وأُسر منهم سبعون، والتقى عمرو[٣] بن الجموح مع أبي جهل، فضرب عمرو أباجهل بن هشام على فخذه، وضرب أبوجهل عمرو على يده فأبانها من العضد، فتعلّقت بجلده فاتّكأ عمرو على يده برجله، ثمّ رمى في السماء حتّى انقطعت الجلدة ورمى بيده.

وقال عبدالله بن مسعود: إنتهيت إلى أبي جهل وهو يتشحّط في دمه، فقلت: الحمد لله الّذي أخزاك، فرفع رأسه، فقال: إنّما أخزى الله عبد ابن أُمّ عبد، لمن الدين ويلك؟ قلت: لله ولرسوله، وإنّي قاتلك. ووضعت رجلي على عنقه، فقال: ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم! أما إنّه ليس شيء أشدّ من قتلك إيّاي في هذا اليوم، ألا تولّى قتلي رجل من المطيّبين[٤] أو رجل من الأحلاف[٥]؟

---

(١) أحنه: أي أهلكه، (قاموس المحيط: ٤/٢١٨).

(٢) الأنفال: ١٩.

(٣) «عمر» خ، والصواب ما في المتن، أنظر طبقات: ٢/٤٣ و٣/٥٦٢.

(٤) «المطّلبيّين» البحار.

(٥) لمّا أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبدالدار من الحجابة، والرّفادة، واللواء، والسّقاية، وأبت عبدالدار، عقد كلّ قوم على أمرهم حلفاً مؤكّداً على أن لا يتخاذلوا. فاجتمع بنو عبد مناف وبنو زهرة وتيم وأسد وجعلوا طيباً في جفنةٍ وغمسوا أيديهم فيه وتحالفوا على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فسمّوا المطيّبين، وتعاقدت بنو عبد الدار مع جمع ومخزوم وعديّ وكعب وسهم حلفاً آخر مؤكّداً فسمّوا الأحلاف لذلك «النهاية: ١/٤٢٥ و٣/١٤٩».

فاقتلعت بيضة كانت على رأسه فقتلته، وأخذت رأسه وجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت:[١] يا رسول الله! البشرى، هذا رأس أبي جهل بن هشام! فسجد لله شكراً.

وأسر أبو اليسر[٢] الأنصاري: العبّاس بن عبد المطّلب، وعقيل بن أبي طالب عليه السلام، وجاء بهما إلى رسول الله ﷺ فقال له: هل أعانك عليهما أحد؟

فقال: نعم، رجل عليه ثياب بياض. فقال رسول الله ﷺ: ذاك من الملائكة.

ثمّ قال رسول الله ﷺ للعبّاس: أفد نفسك وابن أخيك. فقال: يا رسول الله قد كنت أسلمت، ولكن القوم استكرهوني. فقال رسول الله ﷺ: أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقّاً، فإنّ الله يجزيك عليه، وأمّا ظاهر أمرك فقد كنت علينا.

ثمّ قال ﷺ: يا عبّاس، إنّكم خاصمتم الله فخصمكم، ثمّ قال: أفد نفسك وابن أخيك. وقد كان العبّاس أخذ معه أربعين أوقيّة من ذهب، فغنمها رسول الله ﷺ.

فلمّا قال ﷺ للعبّاس أفد نفسك [وابن أخيك]، قال: يا رسول الله احسبها من فدائي! فقال رسول الله ﷺ: لا، ذاك أعطانا الله منك فافد نفسك وابن أخيك.

فقال العبّاس: فليس لي مال غير الّذي ذهب منّي! قال: بلى، المال الّذي خلّفته عند أُمّ الفضل بمكّة، فقلت لها: إن حدث عليَّ حدث فاقسموه بينكم! فقال له العبّاس: أما تتركني أنت وأنا[٣] أسأل الناس بكفّي. فأنزل الله على رسوله في ذلك:

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ثمّ قال: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ ـ في عليّ ـ فَقَدْ خانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٤]

ثمّ قال رسول الله ﷺ لعقيل: قد قتل الله ـ يا أبا يزيد ـ أبا جهل بن هشام، وعتبة

---

(١) «وقلت» البرهان.

(٢) «أبو بشر» البحار والبرهان، ما في المتن هو الصواب، وهو كعب بن عمرو بن عبادة الأنصاري، أُنظر معجم رجال الحديث: ١٤/١١٧ و٢٢/٨٨. (٣) «فقال ما تتركني إلّا وأنا» خ. (٤) الأنفال: ٧٠ و٧١.

ابن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، [ومنبّه ونبيه] ابنا الحجّاج، ونوفل بن خويلد، وأُسر سهيل بن عمرو، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، وفلان، وفلان! فقال عقيل: إذاً لا تنازع[١] في تهامة، فإن كنت قد أثخنت القوم، وإلّا فاركب أكتافهم! فتبسّم رسول‌الله صلى الله عليه وآله من قوله.

وكان القتلى ببدر سبعين، والأسرى سبعين، قتل منهم أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرين، ولم يأسر أحداً، فجمعوا الأُسارى وقرنوهم في الحبال[٢] وساقوهم على أقدامهم، وجمعوا الغنائم، وقُتل من أصحاب رسول‌الله صلى الله عليه وآله تسعة رجال، فيهم سعد بن خثيمة وكان من النقباء.

فرحل رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر ونزل الأثيل[٣] عند غروب الشمس، وهو من بدر على ستّة أميال، فنظر رسول‌الله صلى الله عليه وآله إلى عقبة بن أبي معيط، وإلى النضر بن الحارث ابن كلدة، وهما في قران واحد.

فقال النضر لعقبة: يا عقبة! أنا وأنت من المقتولين. فقال عقبة: من بين قريش؟ قال: نعم، لأنّ محمّداً قد نظر إلينا نظرة رأيت فيها القتل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليُّ، عليّ بالنضر وعقبة، وكان النضر رجلاً جميلاً [وكان] عليه شعر، فجاء عليّ عليه السلام فأخذه بشعره فجرّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال النضر: يا محمّد! أسألك بالرحم الّذي بيني وبينك إلّا أجريتني كرجل من قريش، إن قتلتهم، قتلتني، وإن فاديتهم فاديتني، وإن أطلقتهم، أطلقتني.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا رحم بيني وبينك، قطع الله الرحم بالإسلام، قدّمه يا عليّ فاضرب عنقه. فقدّمه وضرب عنقه؛

فقال عقبة: يا محمّد! ألم تقل: لا تصبر قريش، أي لا يُقتلون صبراً؟

---

(١) «تنازعوا» البحار والبرهان. (٢) «الجمال» خ.

(٣): موضع قرب المدينة (معجم البلدان: ١/ ٩٤).

قال: أفأنت من قريش؟! إنّما أنت علج من أهل صفوريّة[١]، لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الّذي تُدعى إليه، لست منها، قدّمه يا عليّ فاضرب عنقه.

فقدّمه عليّ وضرب عنقه، فلمّا قتل رسول الله ﷺ النضر وعقبة، خافت الأنصار أن يقتل الأُسارى كلّهم، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين، وهم قومك وأُساراك، هبهم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء، وأطلقهم فأنزل الله تعالىٰ عليهم[٢]: ﴿مٰا كٰانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرىٰ حَتّٰى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْ لاٰ كِتٰابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمٰا أَخَذْتُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمّٰا غَنِمْتُمْ حَلاٰلاً طَيِّباً﴾[٣]

[قال:] فأطلق لهم أن يأخذوا الفداء ويطلقوهم، وشرط أنّه[٤] يقتل منهم في عام قابل بعدد من يأخذوا منهم الفداء، فرضوا منه بذلك.

فلمّا كان يوم أُحد قُتل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون رجلاً، فقال من بقي من أصحابه: يا رسول الله ﷺ! ما هذا الّذي أصابنا، وقد كنت تعدنا بالنصر؟

فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿أَوَلَمّٰا أَصٰابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهٰا ـ ببدر وقتلتم سبعين، وأسرتم سبعين ـ قُلْتُمْ أَنّٰى هٰذٰا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾[٥] بما اشترطتم.[٦]

رجع الحديث إلى تفسير الآيات الّتي لم تُكتب:

في قوله: ﴿وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطّٰائِفَتَيْنِ أَنَّهٰا لَكُمْ﴾ «٧»

قال: العير أو قريش. وقوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذٰاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قال: ذات الشوكة: الحرب. قال: تودّون العير لا الحرب.

---

(١): بلدة من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبرية (معجم البلدان: ٣/٤١٤).
(٢) «عليه» البرهان.
(٣) الأنفال: ٦٧ ـ ٦٩.
(٤) «أنّ» البرهان.
(٥) آل عمران: ١٦٥.
(٦) عنه البحار: ١٩/٢٤٤ ح٣، والبرهان: ٢/٦٤٨ ح٢، ونور الثقلين: ٣/١٠ ح٢٦، ومستدرك الوسائل: ٨/٢٧٣ ح١.

﴿وَ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمٰاتِهِ﴾ قال: الكلمات: الأئمّة عليهم السلام.[1]

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُـولَهُ

ـ إلى قوله ـ وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ «١٣ ـ ١٨»

وقوله: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ﴾ أي عادوا الله ورسوله. ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً﴾ أي يدنو بعضكم من بعض.[2] ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبٰارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتٰالٍ﴾ [يعني يَرجع ﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلىٰ فِئَةٍ﴾] يعني يرجع إلى صاحبه، وهو الرسول أو الإمام، فقد كفروا ﴿فَقَدْ بٰاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

ثمّ قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾ أي أنزل الملائكة حتّى قتلوهم.

ثمّ قال: ﴿وَمٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ﴾ يعني الحصى الّذي حمله رسول الله صلّى الله عليه وآله ورمىٰ به في وجوه قريش، وقال: شاهت الوجوه.[3] ثمّ قال: ﴿ذٰلِكُمْ وَ أَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكٰافِرِينَ﴾ أي مُضعف كيدهم وحيلتهم ومكرهم.[4]

وقوله: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاكُمْ لِمٰا يُحْيِيكُمْ..﴾ «٢٤»

قال: الحياة: الجنّة. وقوله: ﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ﴾ أي يحول بين ما يريد الله وبين ما يريده.[5]

٢ـ حدّثنا أحمد بن محمّد، عن جعفر بن عبدالله، عن كثير بن عيّاش، عن

---

(١) عنه البحار: ٢٠٥/١٧ ضمن ح٦ (قطعة)، وج١٩ /٢٤٣ صدر ح٢، والبرهان: ٦٥٩/٢ ح٢، ونور الثقلين: ٢٣/٣ ذح٢٦.

(٢) عنه البحار: ٢٤٣/١٩ ضمن ح٢، البرهان: ٦٦١/٢ ح٢.

(٣) عنه البحار: ٢٤٣/١٩ ضمن ح٢، والبرهان: ٦٦٢/٢ ح٧.

(٤) عنه البحار: ٢٤٣/١٩ ضمن ح٢، والبرهان: ٦٦٣/٢ ح١٢.

(٥) عنه البحار: ٢١٠/٩ صدر ح٨١، البرهان: ٦٦٤/٢ ح١، ونور الثقلين: ٣٠/٣ ح٥١.

أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾ يقول: ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّ اتّباعكم إيّاه ولايته أجمع لأمركم، وأبقى للعدل فيكم.

وأمّا قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ﴾ يقول: يحول بين المؤمن ومعصيته الّتي أن تقوده إلى النار، ويحول بين الكافر وبين طاعته أن يستكمل به الإيمان، واعلموا أنّ الأعمال بخواتيمها.[١]

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً﴾ «٢٥»

فهذه في أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله

قال الزبير يوم هُزم أصحاب الجمل: لقد قرأت هذه الآية، وما أحسب أنّي من أهلها حتّى كان اليوم، لقد كنت أتّقيها، ولا أعلم أنّي من أهلها![٢]

رجع إلى تفسير عليّ بن إبراهيم؛

قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً﴾ قال: نزلت في الزبير وطلحة لمّا حاربا أمير المؤمنين عليه السلام وظلماه.[٣]

وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ فَآواكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ «٢٦»

فإنّها نزلت في قريش خاصّة.[٤]

---

(١) عنه البحار: ٩/ ٢١٠ ذ ح ٨١، والبرهان: ٢/ ٦٦٤ ح ٤، ونور الثقلين: ٣/ ٣٠ ح ٥١، غاية المرام: ٤/ ٣٠٢ ح ٢.

(٢) عنه نور الثقلين: ٣/ ٣٢ ح ٦١.

(٣) عنه البرهان: ٢/ ٦٦٧ ح ٤.

(٤) عنه البرهان: ٢/ ٦٦٧ ح ١.

وقوله: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمٰانٰاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ «٢٧»

نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، فلفظ الآية عامّ ومعناها خاصّ.

وهذه الآية نزلت في غزوة بني قريظة في سنة خمس من الهجرة، وقد كتبت في هذه السورة مع أخبار بدر، وكانت بدر على رأس ستّة عشر شهراً من مقدم رسول‌الله ﷺ المدينة، ونزلت مع الآية الّتي في سورة التوبة.

قوله: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ [الآية][1] نزلت في أبي لبابة، فهذا دليل على أنّ التأليف على خلاف ما أنزله الله على نبيّه ﷺ.

٣ـوفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَخُونُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمٰانٰاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فخيانة الله والرسول معصيتهما. وأمّا خيانة الأمانة فكلّ إنسان مأمون على ما افترض الله عليه.[2]

رجع إلى تفسير عليّ بن إبراهيم؛

قوله: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقٰاناً﴾ «٢٩»

يعني العلم الّذي تفرّقون به بين الحقّ والباطل، ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.[3]

وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ﴾ «٣٠»

فإنّها نزلت بمكّة قبل الهجرة، وكان سبب نزولها أنّه لمّا أظهر رسول الله ﷺ

---

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) عنه البحار: ٦٧/٢٢ ح ١١، ونور الثقلين: ٣٣/٣ ح ٦٦ (قطعة).

(٣) عنه البرهان: ٦٦٨/٢ ح ١.

الدعوة بمكّة قدمت عليه الأوس والخزرج، فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنعوني وتكونون لي جاراً حتّى أتلو عليكم كتاب ربّي، وثوابكم على الله الجنّة؟ فقالوا: نعم، خذ لربّك ولنفسك ما شئت.

فقال [لهم]: موعدكم العقبة في اللّيلة الوسطى من ليالي التشريق.

فحجّوا ورجعوا إلى منى، وكان فيهم ممّن قد حجّ بشر كثير.

فلمّا كان اليوم الثاني من أيّام التشريق، قال لهم رسول الله ﷺ:

إذا كان اللّيل فاحضروا [في] دار عبد المطّلب على العقبة، ولا تنبّهوا نائماً، ولينسلّ واحداً فواحداً. فجاء سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار، فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنعوني وتجيروني حتّى أتلو عليكم كتاب ربّي وثوابكم على الله الجنّة؟ فقال أسعد[1] بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حرام[2]: نعم يا رسول الله، اشترط لربّك ولنفسك ما شئت.

فقال: أمّا ما أشترط لربّي فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني ممّا تمنعون أنفسكم، وتمنعوا أهلي ممّا تمنعون أهاليكم وأولادكم.

فقالوا: فما لنا على ذلك؟ فقال: الجنّة في الآخرة، وتملكون العرب، وتدين لكم العجم في الدنيا، وتكونون ملوكاً في الجنّة. فقالوا: قد رضينا.

فقال: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون شهداء عليكم بذلك، كما أخذ موسىٰ ﷺ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً. فأشار إليهم جبرئيل، فقال:

[هذا نقيب] وهذا نقيب، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس،

فمن الخزرج: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبدالله بن حرام ـ وهو أبو جابر بن عبدالله ـ ورافع بن مالك، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبدالله

---

(١) «سعد» البرهان. والصواب ما في المتن، أنظر سير أعلام النبلاء: ١/٢٩٩.

(٢) هو عبدالله بن عمرو بن حرام «حزام» بن ثعلبة بن حرام بن كعب الأنصاري الخزرجي، أبو جابر بن عبدالله، أُنظر معجم رجال الحديث: ١٠/٧٣ و٢٧١.

ابن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت. ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان[١] ـ وهو من اليمن ـ وأُسيد بن حضير[٢]، وسعد بن خيثمة،

فلمّا اجتمعوا وبايعوا لرسول الله ﷺ صاح إبليس:

يا معشر قريش والعرب! هذا محمّد والصُّباة من أهل يثرب على جمرة العقبة يبايعونه على حربكم. فأسمع أهل مِنى، وهاجت قريش فأقبلوا بالسلاح.

وسمع رسول الله ﷺ النداء، فقال للأنصار: تفرّقوا.

فقالوا: يا رسول الله! إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا.

فقال رسول الله ﷺ: لم أُوْمَر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم.

قالوا: أفتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله. فجاءت قريش على بكرة أبيها[٣] قد أخذوا السلاح، وخرج حمزة وأمير المؤمنين عليه السلام ومعهما السيف، فوقفا على العقبة، فلمّا نظرت قريش إليهما، قالوا: ما هذا الّذي اجتمعتم له؟

فقال حمزة: ما اجتمعنا وما هاهنا أحد، والله لا يجوز هذه العقبة أحد إلّا ضربته بسيفي هذا[٤] فرجعوا إلى مكّة وقالوا: لا نأمن [من] أن يفسد أمرنا ويدخل واحد من مشايخ قريش في دين محمّد! فاجتمعوا في [دار] الندوة، وكان لا يدخل دار الندوة إلّا من قد أتى عليه أربعون سنة، فدخل أربعون رجلاً من مشايخ قريش، وجاء إبليس لعنه الله في صورة شيخ كبير، فقال له البوّاب: من أنت؟

فقال: أنا شيخ من أهل نجد، لا يعدمكم منّي رأي صائب، إنّي حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل فجئت لأُشير عليكم.

فقال: أُدخل. فدخل إبليس. فلمّا أخذوا مجلسهم، قال أبو جهل:

---

(١) وهو مالك بن التيهان الأنصاري، أُنظر معجم رجال الحديث: ١٤/١٦١، و٢٢/٨١.

(٢) «أسد بن حصين» خ. تصحيف، أُنظر معجم رجال الحديث: ٣/٢١٢.

(٣) هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفّر العدد، وأنّهم جاءوا جميعاً لم يتخلّف منهم أحد.

(٤) «روّيت سيفي هذا من دمه» خ.

يا معشر قريش! إنّه لم يكن أحد من العرب أعزّ منّا، نحن أهل الله، تفد[١] إلينا العرب في السنة مرّتين ويكرموننا، ونحن في حرم الله لا يطمع فينا طامع، فلم نزل كذلك حتّى نشأ فينا محمّد بن عبدالله، فكنّا نسمّيه الأمين لصلاحه وسكونه وصدق لهجته حتّى إذا بلغ ما بلغ، وأكرمناه، ادّعى أنّه رسول الله، وأنّ أخبار السماء تأتيه، فسفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا، وزعم أنّه من مات من أسلافنا ففي النار، فلم يَرِدْ علينا شيء أعظم من هذا، وقد رأيت فيه رأياً. قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت فيه رأياً أن ندسّ إليه رجلاً منّا ليقتله، فإن طلبت بنو هاشم بديته[٢] أعطيناهم عشر ديات. فقال [إبليس] الخبيث: هذا رأي خبيث. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ قاتل محمّد مقتول لا محالة؛ فمن ذا الّذي يبذل نفسه للقتل منكم؟! فإنّه إذا قُتل محمّد تعصّب بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة، وإنّ بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمّد على الأرض، فتقع بينكم الحروب في حرمكم وتتفانوا. [فـ]قال آخر منهم: فعندي رأي آخر. قال: وما هو؟

قال: نثبّته[٣] في بيت ونلقي إليه قوته حتّى يأتي إليه ريب المنون فيموت، كما مات زهير والنابغة وامرؤ القيس.

فقال إبليس، هذا أخبث من [الرأي] الآخر. قالوا: وكيف ذاك؟ قال: لأنّ بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم، واجتمعوا عليكم فأخرَجوه.

قال آخر منهم: لا، ولكنّا نخرجه من بلادنا ونتفرّغ نحن لعبادة آلهتنا.

[فـ]قال إبليس: هذا أخبث من الرأيين المتقدّمين! قالوا: وكيف [ذاك]؟ قال: لأنّكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً، وأنطق الناس لساناً، وأفصحهم لهجةً، فتحملوه إلى بوادي العرب، فيخدعهم ويسحرهم بلسانه، فلا يفجأكم إلّا وقد

---

(١) «تغدوا» البرهان. (٢) «بدمه» البحار. (٣) «نلقيه» البحار.

ملأها عليكم خيلاً وَرَجِلاً. فبقوا[1] حائرين، [ثمّ] قالوا لإبليس: فما الرأي فيه يا شيخ؟ قال: ما فيه إلّا رأي واحد. قالوا: وما هو؟ قال:

يجتمع من كلّ بطن من بطون قريش واحد[2]، ويكون معهم من بني هاشم رجل، فيأخذون سكّيناً أو حديدة أو سيفاً، فيدخلون عليه فيضربونه كلّهم ضربة واحدة حتّى يتفرّق دمه في قريش كلّها، فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه، وقد شاركوا فيه، فإن سألوكم أن تعطوا الدية، فأعطوهم ثلاث ديات. [فـ]قالوا: نعم وعشر ديات! ثمّ قالوا: الرأي رأي الشيخ النجديّ!!

فاجتمعوا [فيه] ودخل معهم في ذلك أبو لهب عمّ النبيّ.

ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره أنّ قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبّرون عليك[3] وأنزل عليه في ذلك: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

واجتمعت قريش على أن يدخلوا عليه ليلاً فيقتلوه، وخرجوا إلى المسجد يصفّرون ويصفّقون، ويطوفون بالبيت، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ فالمُكاء: التصفير. والتصدية: صفق اليدين، وهذه الآية معطوفة على قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد كُتبت بعد آيات كثيرة.

فلمّا أمسى رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت قريش ليدخلوا عليه، فقال أبو لهب: لا أدعكم [أن] تدخلوا عليه بالليل، فإنّ في الدار صبياناً ونساءً، فلا نأمن أن تقع بهم يد خاطئة فنحرسه اللّيلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فناموا حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُفرش موضع منامه، ففُرش له، فقال لعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما: أفدني بنفسك؟ قال: نعم، يا رسول الله. قال: نم على فراشي

---

(١) «فانقطعوا» خ.

(٢) «قريش وقبائل العرب ما أمكن» البحار.

(٣) «يريدون قتلك» خ.

والتحف ببردتي. فنام عليّ عليه السلام على فراش رسول‌الله صلى الله عليه وآله والتحف ببردته.[(١)]

وجاء جبرئيل عليه السلام فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخرجه على قريش وهم نيام، وهو يقرأ عليهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاٰ يُبْصِرُونَ﴾[(٢)] وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثور، وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثور، فدخل الغار وكان من أمره ما كان، فلمّا أصبحت قريش وأتوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش، وثب عليّ عليه السلام في وجوههم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا له: أين محمّد؟ قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟! ألستم قلتم نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم. فأقبلوا على أبي لهب يضربونه، ويقولون: أنت تخدعنا منذ اللّيلة. فتفرّقوا في الجبال، وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له: «أبو كرز» يقفو الآثار، فقالوا له:

يا أباكرز اليوم اليوم. فوقف بهم على باب حجرة رسول‌الله صلى الله عليه وآله فقال:

هذه قدم محمّد، والله إنّها لأخت القدم الّتي في المقام. وكان أبو بكر [ابن أبي قحافة] استقبل رسول‌الله صلى الله عليه وآله فردّه معه، فقال أبو كرز: وهذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه، ثمّ قال: وهاهنا عبر[(٣)] ابن أبي قحافة. فما زال بهم حتّى أوقفهم على باب الغار، ثمّ قال: ما جاوزا[(٤)] هذا المكان، إمّا أن يكونا صعدا إلى السماء! أو دخلا تحت الأرض! وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، وجاء فارس من الملائكة حتّى وقف على باب الغار، ثمّ قال: ما في الغار أحد. فتفرّقوا في الشّعاب! وصرفهم الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ أذن لنبيّه في الهجرة [إلى المدينة].[(٥)]

---

(١) أقول: وعند ذلك نزل جبرئيل بالآية: ﴿ومن الناسِ من يشري نفسه ابتغاءَ مرضاتِ الله والله رؤُفٌ بالعباد﴾ (البقرة: ٢٠٧) وقد ذكر القندوزي في ينابيعه وغيره من المفسّرين قضية مباهاة الله الملائكة هذا الإيثار والفداء العظيم الّذي أظهره عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليلة الهجرة، فراجع.

(٢) يس: ٩.

(٣) «غير» البحار.

(٤) «جازوا» البحار.

(٥) عنه البحار: ٢١١/٩ ح٨٣ (قطعة)، وج١٩/٤٧ ح٨، وعن قصص الأنبياء: ٣٣٤ ح٤٤٢، وعن إعلام الورى: ١٣٦/١ ـ ١٤٨، وأخرجه في البرهان: ٦٦٨/٢ ح١، ونور الثقلين: ٣٦/٣ ح٧٧ (عن القمّي).

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ ـ إلى قوله ـ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ «٣٢ـ٣٥»

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فإنّها نزلت لمّا قال رسول‌الله ﷺ لقريش: إنّ الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدنيا وأُجري[1] الملك إليكم، فأجيبوني إلى ما أدعوكم إليه، تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنّة.

فقال أبو جهل لعنه الله: «اللّهمّ إن كان هذا» الّذي يقوله محمّد «هو الحقّ من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» حسداً لرسول الله ﷺ

ثمّ قال: كنّا وبنو هاشم كَفَرَسي رهان، نحمل إذا حملوا، ونطعن إذا طعنوا، ونوقد إذا أوقدوا، فلمّا استوى بنا وبهم الركب، قال قائل منهم: منّا نبيّ! لا نرضى بذلك أن يكون من بني هاشم، ولا يكون من بني مخزوم.

ثمّ قال: غفرانك اللّهمّ. فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حين قال: غفرانك اللّهمّ!

فلمّا همّوا بقتل رسول الله ﷺ وأخرجوه من مكّة، قال الله تعالى:

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ـ يعني قريشاً ما كانوا أولياء مكّة ـ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾

أنت وأصحابك يا محمّد فعذّبهم الله بالسّيف يوم بدر فقُتلوا.[2]

٤ـ قال: وحدّثني أبي، عن حنّان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

قال رسول‌الله ﷺ: مقامي بين أظهركم خير لكم، فإنّ الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ ومفارقتي إيّاكم خير لكم. فقالوا: يا رسول الله مقامك بين

---

(١) «وأجرّ» البحار.

(٢) عنه البحار: ٢١٠/٩ ح ٨٢، وج ٢٣٤/١٨ ح ٧٧، وج ٣٧/١٩ ح ١ (قطعة)، والبرهان: ٦٨٣/٢ ح ٧، ونور الثقلين: ٣٩/٣ ح ٧٨.

أظهرنا خير لنا، فكيف تكون مفارقتك خيراً لنا؟ قال: أما إنّ مفارقتي إيّاكم خير لكم، فإنّ أعمالكم تُعرض عليَّ كلّ خميس و إثنين، فما كان من حسنة حمدت الله عليها، وما كان من سيّئة استغفرت الله لكم.[١]

وأمّا قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ «٣٦»

قال: نزلت في قريش لمّا وافاهم «ضمضم» وأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ في طلب العير، فأخرجوا أموالهم وحملوا وأنفقوا، وخرجوا إلى محاربة رسول الله ﷺ ببدر، فقُتلوا وصاروا إلى النار، وكان ما أنفقوا حسرة عليهم.[٢]

وقوله: ﴿وَقاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ «٣٩»

أي كفراً، وهي ناسخة لقوله: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾[٣] ولقوله: ﴿وَدَعْ أَذاهُمْ﴾.[٤]

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبىٰ - وهو الإمام - وَالْيَتامىٰ وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ «٤١»

فهم أيتام آل محمّد خاصّة ومساكينهم وأبناء سبيلهم.

فمن الغنيمة يخرج الخمس، ويقسّم على ستّة أسهم: سهم لله، وسهم للرسول ﷺ، وسهم للإمام، فسهم الله وسهم الرسول يرثه الإمام عليه السلام، فيكون للإمام ثلاثة أسهم من ستّة، و[الـ]ثلاثة الأسهم لأيتام آل الرسول ومساكينهم وأبناء

---

(١) عنه البحار: ١٤٩/١٧ ح٤٦، والبرهان: ٦٨١/٢ ح٣، ونور الثقلين: ١٦٧/٣ ح٣٣١.

(٢) عنه البحار: ٢٠٥/١٧ ضمن ح٦، والبرهان: ٦٨٥/٢ ح١، ونور الثقلين: ٤٤/٣ ح٩٣.

(٣) النساء: ٧٧. (٤) الأحزاب: ٤٨.

سبيلهم، وإنّما صارت للإمام وحده من الخمس ثلاثة أسهم؛ لأنّ الله تعالى قد ألزمه ما ألزم النبيّ ﷺ من تربية الأيتام، ومؤن المسلمين، وقضاء ديونهم، وحملهم في الحجّ والجهاد، وذلك قول رسول‌الله ﷺ لمّا أنزل الله تعالى عليه:

﴿النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ﴾[1] وهو أب لهم، فلمّا جعله الله أباً للمؤمنين لزمه ما يلزم الوالد للولد، فقال عند ذلك:

من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك دَيناً أو ضياعاً فعلى الوالي. فلزم [الإمام] ما لزم الرسول، فلذلك صار له من الخمس ثلاثة أسهم.[2]

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا -إلى قوله- إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ «٤٢-٤٣»

وقوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ[3] الدُّنْيا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوىٰ﴾ يعني قريشاً حيث نزلوا بالعُدوة اليمانيّة، ورسول الله ﷺ حيث نزل بالعدوة الشاميّة ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ وهي العير الّتي أفلتت.[4]

ثمّ قال: ﴿وَلَوْ تَواعَدْتُمْ﴾ للحرب لما وفيتم، ولكنّ الله جمعكم من غير ميعاد كان بينكم ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ -قال- وإنّ اللهَ سَميع عليمٌ﴾

قال: يعلم من بقي أنّ الله نصره.

وقوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فالمخاطبة لرسول‌الله ﷺ والمعنى لأصحابه، أراهم الله قريشاً في نومهم أنّهم قليل، ولو أراهم كثيراً لفزعوا.[5]

---

(١) الأحزاب: ٦. (٢) عنه البحار: ١٩٨/٩٦ ح٣.

(٣) العدوة: شاطئ الوادي (مجمع البحرين: ١١٧٨/٢).

(٤) عنه البحار: ٢٤٣/١٩ ح٢ (قطعة)، والبرهان: ٧٠١/٢ ح١، ونور الثقلين: ٥١/٣ ح١١٨.

(٥) عنه البحار: ٢٤٣/١٩ ذح٢، والبرهان: ٧٠١/٢ ح٣، ونور الثقلين: ٥٢/٣ ح١٢٢.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ «٥٥»

٤ ـ **حدّثنا جعفر بن أحمد،** قال: حدّثنا عبد الكريم بن عبد الرحيم، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر صلوات الله عليه في قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: نزلت في بني أُميّة، فهم أشرّ خلق الله تعالى، هم الّذين كفروا في باطن القرآن فهم لا يؤمنون.[١]

وقوله: ﴿الَّذِينَ عٰاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ «٥٦»

فهم أصحابه الّذين فرّوا يوم أُحد.[٢]

قوله: ﴿وَإِمَّا تَخٰافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيٰانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلىٰ سَوٰاءٍ﴾ «٥٨»

قال: نزلت في معاوية لمّا خان أمير المؤمنين عليه السلام.[٣]

وقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ «٦٠»

قال: السلاح.[٤]

وقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهٰا﴾ «٦١»

قال: هي منسوخة بقوله: ﴿فَلاٰ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ﴾[٥].[٦] ونزلت هذه الآية أعني قوله[٧]: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ قبل نزول قوله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ

---

(١) عنه البحار: ٥١٢/٣١ ح ٥، والبرهان: ٧٠٤/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٥٥/٣ ح ١٣٢.

(٢) عنه البرهان: ٧٠٥/٢ ح ١.

(٣) عنه البحار: ١٦١/٣٣ ح ٤٢٣، والبرهان: ٧٠٥/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٥٦/٣ ح ١٣٤.

(٤) عنه البحار: ١٥٨/٦٤ س ٩، والبرهان: ٧٠٦/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٥٧/٣ ح ١٤٠.

(٥) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٣٥.

(٦) عنه نور الثقلين: ٥٧/٣ صدر ح ١٤٤، وج ٤٨/٧ ح ٨٦.

(٧) «هذه الآية وقوله» خ.

الأَنْفالِ﴾ وقبل الحرب. وقد كتبت في آخر السورة بعد انقضاء أخبار بدر.

وقوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ «٦٢-٦٣»

قال: نزلت في الأوس والخزرج.[1]

٥-وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ هؤلاء قوم كانوا معه من قريش، فقال الله عزّ وجلّ:

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فهم الأنصار، [و] كان بين الأوس والخزرج حرب شديد وعداوة في الجاهليّة، فألّف الله بين قلوبهم ونصر بهم نبيّه صلى الله عليه وآله فالّذين ألّف بين قلوبهم هم الأنصار خاصّة.[2]

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ -إلى قوله- وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ «٦٥-٦٦»

رجع إلى رواية عليّ بن إبراهيم،

وقوله: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً﴾ قال:

كان الحكم في أوّل النبوّة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الرجل الواحد وجب عليه أن يقاتل عشرة من الكفّار، فإن هرب منهم فهو الفارّ من الزحف، والمائة يقاتلون ألفاً، ثمّ علم الله أنّ فيهم ضعفاً لا يقدرون على ذلك، فأنزل الله:

---

(١) عنه البحار: ٣٠٨/١٩ صدر ح ٥٢، والبرهان: ٧٠٩/٢ ح ٦، ونور الثقلين: ٥٧/٣ ذح ١٤٤.

(٢) عنه البحار: ٣٠٨/١٩ ذح ٥٢ (باختلاف يسير)، والبرهان: ٧٠٩/٢ ح ٧، ونور الثقلين: ٥٨/٣ ح ١٤٥.

﴿الآنَ خَفَّفَ اللّٰهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صٰابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾

ففرض الله عليهم أن يقاتل رجل من المؤمنين رجلين من الكفّار، فإن فرّ منهما فهو الفارّ من الزحف. فإن كانوا ثلاثة من الكفّار وواحداً من المسلمين، ففرّ المسلم منهم فليس هو الفارّ من الزحف.(١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهٰاجَرُوا ـ إلى قوله ـ إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٧٢ ـ ٧٥»

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهٰاجَرُوا وَجٰاهَدُوا بِأَمْوٰالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ﴾ فإنّ الحكم [كان] في أوّل النبوّة، أنّ المواريث كانت على الأُخوّة لا على الولادة، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة [آخى بين المهاجرين والمهاجرين، وبين الأنصار والأنصار، و] آخى بين المهاجرين والأنصار، فكان إذا مات الرجل يرثه أخوه في الدين ويأخذ المال، وكان ما ترك له دون ورثته، فلمّا كان بعد بدر، أنزل الله تعالىٰ:

﴿النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوٰاجُهُ أُمَّهٰاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحٰامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتٰابِ اللّٰهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهٰاجِرِينَ إِلاّٰ أَنْ تَفْعَلُوا إِلىٰ أَوْلِيٰائِكُمْ مَعْرُوفاً﴾(٢).

فنسخت آية الأُخوّة [بقوله]: ﴿أُولُوا الْأَرْحٰامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ﴾.(٣)

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهٰاجِرُوا مٰا لَكُمْ مِنْ وَلاٰيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتّٰى يُهٰاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاّٰ عَلىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثٰاقٌ﴾:

فإنّها نزلت في الأعراب؛ وذلك أنّ رسول الله ﷺ صالحهم على أن يدعهم في ديارهم ولا يهاجروا إلى المدينة، وعلى أنّه إن أرادهم رسول الله ﷺ غزا بهم،

---

(١) عنه البحار: ١٠٠/٣٠ ح ١، والمستدرك: ١١/٦٩ ح ٣، والبرهان: ٢/٧٠٩ ح ١.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) عنه البحار: ١٩/٣٧ صدر ح ٢، وج ١٠٤/٣٦٦ ح ١، والبرهان: ٢/٧١٦ ح ١.

وليس لهم في الغنيمة شيء، وأوجبوا على النبيّ ﷺ أنّه إن أرادهم الأعراب من غيرهم، أو دهاهم دهم[1] من عدوّهم أن ينصرهم، إلّا على قوم بينهم وبين الرسول ﷺ عهد وميثاق إلى مدّة.[2]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ـ يعني هم يوالي بعضهم بعضاً، ثمّ قال: ـ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ـ يعني إن لم تفعلوه فوضع حرف مكان حرف ـ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾. ثمّ قال:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ قال: نسخت قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾[3].[4]

□ ■ □

---

(١) في الحديث: «من أراد أهل المدينة بدَهْم» أي بأمر عظيم وغائلة، من أمرٍ يَدْهَمُهم: أي يَفجأُهُم (النهاية: ١٤٥/٢).

(٢) عنه البحار: ٣٣/١٠٠ ح ١٤، والبرهان: ٧٢٠/٢ ح ٤، ونور الثقلين: ٦٣/٣ ح ١٦٢.

(٣) النساء: ٣٣.

(٤) عنه البحار: ٣٧/١٩ ذح ٢، والبرهان: ٧٢٠/٢ ح ١، ونور الثقلين: ٦٧/٣ ح ١٧٤.